اصدق ما كان

عن

تاريخ لبنان

هدية المؤلف [illegible]



الفيكنت فيليب دي طرازي

اجلو عن الدُنيا وتبقى صورتي
أثراً لأهلي والاحبّةِ في الورى
فتقومَ بينهمُ مقامي عندما
جِسمي يُحجّبهُ الرّدى تحتَ الثّرى

أصدق ما كان عن تاريخ لبنان

وصفحة من أخبار السريان

بقلم

الفيكنت فيليب دي طرازي

مؤسس دار الكتب اللبنانية
والعضو في عدة مجامع علمية شرقية وغربية

المجلد الأول

تمهيد

لدى الفراغ من نشر بعض مؤلفاتي التاريخية والفنية والادبية ، يطيب لي ان اتحف اللبنانيين بمؤلف جديد كانت المكتبة العربية في حاجة ماسّة اليه . لأنه كشف النقاب عن جيل مُهم من سكان لبنان كان السواد الاعظم من المؤرخين لا يكترثون للتنقيب عنه في جميع ما دوّنوه من التآليف حتى الآن . ولم نجدْ بين السريان انفسهم مؤلفاً واحداً اخذ على عاتقه القيام بهذا الواجب القومي سواء كان من فئة العالميين او من ارباب الكهنوت . ذلك ما حملني على سدّ هذه الثلمة في تاريخ بلادي المحبوبة التي خدمتها وما برحت اخدمها باخلاص ومحبة قولاً وعملاً .

مَن هو جيل الناس الذي اهمل التاريخ التبسط في اخباره ؟

تعاقب في لبنان اقوام عديدون وتوالت على حكمه دول شتى في سالف الازمنة . غير ان التاريخ تبسط في ذكر تلك الاقوام وتلك الدول وكاد يُرخي سدل الاهمال على شعب اصيل في هذه البقعة المباركة من الارض . فتناسى ما لهذا الشعب ذي الماضي المجيد من الفضل لا في سبيل لبنان فقط ، بل في سبيل الانسانية والحضارة والمعرفة ايضاً .

وليس هذا الشعب سوى الأمة الآرامية السريانية التي انبثق منها اجدادنا الفونيقيون والتي استحقت ان يسمّيها العلماء بحق وصواب « اميرة الثقافة » و « امّ الحضارة » .

السريان هم سكان لبنان الاصليون

لا جدال في ان اقدم الشعوب التي تألف منها سكان لبنان في القرون الحالية هو الشعب الآرامي السرياني دون سواه . يؤيد ذلك : اولاً اجماع العلماء من جميع الملل والنحل على الاقرار بسريانية لبنان منذ اقدم عصور التاريخ . ثانياً شيوع اللغة السريانية قديماً دون سواها من اللغات في صرود لبنان وسفوحه ووهاده . ثالثاً اسماء مئات من قرى لبنان فضلاً عن ينابيعه لا تزال على كرور الزمان معروفة حتى اليوم باسماء سريانية صرفة . رابعاً ان الآثار العديدة التي خلفها السريان في لبنان كالابنية القديمة والكنائس والاديار وغيرها تلهج بحضارتهم وسابق مجدهم . خامساً الوف المخطوطات المنقطعة النظير التي تزيّن اليوم خزائن الشرق والغرب كُتبت باللغة السريانية . وهي بلا ريب اقدم جميع المخطوطات بل ان بعضها يتقادم عهده الى القرن الخامس للميلاد . فيتضح جلياً مما تقدم انّ السريان هم سكان لبنان الاصليون بلا ادنى منازع . ولا سبيل الى انكار هذه الحقيقة التي اصبحت عقيدة راسخة اثبتها العلم والتاريخ معاً .

الجهود المبذولة لتأليف الكتاب

كل مَن طالع هذا الكتاب برويّة وامعان اتضحت له الجهود العظيمة التي بُذلت لاخراجه الى حيّز الوجود . وناهيك من تضحيات تجشمتها لأجل تأليفه واختيار موادّه وجمعها من شتى الامصار . فاني لم اضنّ بالذهب والتعب والاسهار والاسفار باحثاً عن كل شاردة وواردة لاتقان العمل وانجازه على اكمل وجه . هكذا وفقني الله سبحانه ان اتحف ابناء وطني ولاسيما ارباب البحث والنقد باخبار وثيقة عن جيل مخصوص من سكان لبنان كان تاريخه غامضاً حتى الآن . ولو لم انبش تلك الاخبار من دفائنها لظلت مطمورة مكتومة الى ما شاء الله تعالى .

اقسام الكتاب وفصوله وخلاصة ابحاثه

تسهيلًا لبلوغ الغاية المقصودة من تأليف هذا التاريخ قسمته سبعة عشر قسماً. ثم جعلت لكل قسم فصولا ولكل فصل فروعاً كي يتسنى للقارىء ان يطالع بسهولة جميع الابحاث التي احتواها الكتاب برمّته. وهي تتناول ابحاثاً دينية وتاريخية وعلمية واجتماعية لا غنى لأكثر اللبنانيين عن معرفتها والوقوف على خفاياها والانتفاع من فوائدها.

اذا ألقى القارىء نظرة اجمالية على اقسام الكتاب وفصوله تجلت امام عينيه امور جديرة بالاعتبار كان يجهلها معظم الناس حتى الآن. ولست ارى حاجة بعد ذلك كله الى زيادة الايضاح لاني استقصيت اهمّ ما وجب استقصاؤه في هذا الصدد وايدته بحجج ساطعة وبيّنات دامغة لا تقبل تأويلًا او تخريجاً.

واؤمل ان كل مَن يطالع هذا التأليف بامعان وروية يسلم بالحقائق التاريخية والقضايا الراهنة التي اوردتها فيه بصفاء نيّة دون محاباة. ولا ريب في ان ارباب البحث سيرحّبون به لانه اماط اللثام عن غوامض كثيرة من اخبار بلادنا ولاسيما عن منشأ العدد الوافر من خيرة اسرها قديماً وحديثاً. فمهّد السبيل لمعرفتها والوقوف على ما خفي من دقائقها وحقائقها.

وعملًا بالاصول المرعية عند المؤرخين المدققين دعمت كل بيّنة بمصدرها دفعاً للشبهات وبياناً للحقيقة. وقد استندت في هذا الكتاب استنادي في جميع مؤلفاتي الى الصدق والصراحة وامانة النقل. اسأل الله ان يرشدنا الى محجة الصواب ويعصمنا من الزلل

فان العصمة لله وحده.

القسم الأول

حدود لبنان ولغته وآثاره السريانية

الفصل الاول

حدود لبنان واسمه ووصفه

أطلق اسم « السريان » منذ فجر النصرانية على « الآراميين » القاطنين البلاد التي يحدّها غرباً بحر فونيقي(١) وهو البحر المتوسط . وشرقاً بلاد فارس، وشمالا ارمينيا وآسيا الصغرى ، وجنوباً بلاد العرب(٢) .

اما تخوم لبنان فلم يتفق قدماء الجغرافيين على ضبطها طولا وعرضاً . فالبعض جمعوا بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي اللذين يفصلهما سهل البقاع واطلقوا على كليهما اسم لبنان . وجعل له البعض الآخر حدوداً غيرها لا نرى حاجة الى تفصيلها .

ويشتمل لبنان الحالي او الجمهوريّة اللبنانية على سلسلة جبال تمتد من الجنوب الى الشمال على سَمْت البحر المتوسط يحدّه النهر الكبير شمالا وسهل البقاع وبعلبك شرقاً وبلاد فلسطين جنوباً والبحر المتوسط غرباً .

واسم لبنان لفظ مستمد من اللغات الساميّة . سمّاه الاثوريون « لبنانُو » بضم آخره طبقاً للاصول الآرامية . وضبطه العبريون « لِبَنُون » والآراميون « لِبْنُون » . وعنهم اتخذه اليونان والرومان فقالوا « لِيبانوس » . اما العرب

---

(١) تاريخ البطريرك ميخائيل الكبير : صحة ٨ - وتاريخ « الرهاوي » السرياني صفحة ١٣

(٢) اللمعة الشهية : للمطران اقليميس يوسف داود : صفحة ١

فقالوا « لِبْنان » بكسر اللام وسكون الباء وفتح النون . ومن الخطأ ان يقال « لُبنان » بضم اللام كما اصطلح بعض المتأخرين من الناطقين بالضاد .

ومعنى « لِبنان » في اللغة العبرية « الابيض » لبياض الثلوج التي تتوّج قممه في اكثر فصول السنة . وله معنى آخر وهو « اللُبان » اعني البخور لِما يتضوع في ارجائه من الروائح الذكية التي تفوح من اشجاره ورياحينه ونباتاته المختلفة الانواع .

وقد تكرّر ذكر لبنان في الكتابات المسمارّية والهيروغليفية والفونيقية ولاسيما في اسفار التوراة والنبؤات المنزلة . واطنب الكتّاب والمؤرخون على كرور الأعصار في وصف جباله وارزه وتغزل الشعراء بجماله الرائع ومشاهده الخلابة .

الفصل الثاني

آرامية اللبنانيين ولغتهم الاصلية

اذا حصرنا الكلام في آرامية لبنان الفونيقي ولغة سكانه في سالف الزمان اتضح لنا ان الفونيقيين كانوا امّة شامية (١) اعني سريانية . وكانت لغتهم اما سريانية بحتة واما اقرب الى السريانية من سائر اللغات السامية (٢) . ومن المقرّر ان الفونيقيين الذين سكنوا السواحل اللبنانية واستنبطوا صناعة الكتابة هم فئة من الامة الآرامية السريانية . ولأجل ذلك اطلق العلماء على هذه الامة بكل حق لقب « اميرة الثقافة » و « امّ الحضارة » .

وبالتالي يجوز لنا ان نصرّح بما صرّح به المؤرخون عامة وخاصة وهو ان لبنان

---

(١) انجيل مرقس ٧ : ٢٦ (٢) اللمعة الشهية : للمطران اقليميس يوسف داود : صفحة ٢

لم يغيّر قط عنصره ولم يبدّل لغته . لكنه استمر آرامياً بحتاً في جنسه ولغته حتى القرن الثالث عشر(١) او القرن الرابع عشر(٢) . ولم تتوار عنه لغته السريانية الا تدريجاً بتوالي الازمنة . وحكى الاخ غريفون الراهب الفرنسيسي لما زار لبنان في القرن الخامس عشر انه سمع الموارنة يتكلمون بالسريانية لغة اجدادهم . وكانت اللغة العربية حين ذاك قد اخذت تتغلغل بينهم فاضطر غريفون ان يتلقن كلتا اللغتين (٣) . واستمر اهل بعض قرى لبنان الشمالية يتكلمون بالسريانية حتى القرن السابع عشر(٤) . ولما زار «شاتابل» لبنان عام ١٦٣٢ سمع اهالي حصرون يتكلمون بالسريانية(٥) .

واثبت الاب جان بوشة عن البطريرك جرجس عميرة (١٦٣٣ — ١٦٤٤) قوله : « وكلام البطريرك الفصيح الخارج من فمه تارة بالسريانية او العربية وتارة بالعبرية او بالايطالية يقطع قول كل خطيب »(٦) . بل ان العلامة السمعاني الكبير لما زار لبنان سنة ١٧٣٦ تحدث مع والديه في حصرون باللسان السرياني (٧) . وروى مرهج بن نمرون الباني (+ ١٧١٢) ان اهالي بشري وثلاث قرى مجاورة لها كانوا يتكلمون بالسريانية رجالا ونساء(٨) .

واثبت الاب مرتين اليسوعي في القسم المخطوط من كتابه « تاريخ لبنان » ان رهبان الروم الكاثوليك في دير مار يوحنا شوير اقاموا طقوس كنيستهم مدة من

(١) تاريخ مختصر الدول : للمفريان ابن العبري : صفحة ١٨ طبعة الاب صالحاني

(٢) المشرق : مجلد ٦ سنة ١٩٠٣ صفحة ٧٠٤

(٣) تاريخ الكنيسة السريانية : مخطوطة المؤلف الخوري اسحق ارملة : قسم ١٥ فصل ١ صفحة ٢٤٤

(٤) المشرق مجلد ١ : ١٨٩٨ صفحة ٥٧ ومجلد ٦ سنة ١٩٠٣ صفحة ٧٠٧

(٥) المجلة السورية البطريركية في بيروت : للخوري بولس قرألي : مجلد ٦ سنة ١٩٣١ صفحة ٥٠٤

(٦) نوابغ المدرسة المارونية : ترجمة البطريرك جرجس عميرة : بقلم الخوري بطرس غالب

(٧) لبنان : لمحات في تاريخه وآثاره واسره : صفحة ١٦ للخوراسقف يوسف داغر

(٨) Evoplia Fidei, 89

الزمان باللغة السريانية([1]) . وجرى ذلك في اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر .

ظلت اللهجة السريانية متأصلة في افواه اللبنانيين على اختلاف مذاهبهم حتى اليوم . ومن بقاياهم العالقة بالسنتهم الفاظ وعبارات واصطلاحات جمة([2]) نضرب عن سردها صفحاً . وما برحت تلك البقايا راسخة في لهجة اللبنانيين دون استثناء ولاسيما في افواه اهل الجبّة والانحاء المجاورة لها عندما يتكلمون بالعربية ([3]) . ذلك على رغم ما افرغه اليونان ثم العرب من الجهد والتشويق والضغط لأجل تعميم لغتيهم وتجويد التلفظ بها لا بين اللبنانيين فقط بل بين جيرانهم في سوريا وفلسطين وما بين النهرين ايضاً .

الفصل الثالث

الآثار السريانية في اسماء القرى اللبنانية

من دوائر اللغة السريانية اسماء مئات من قرى لبنان تمتّ باصلها ولفظها ومعناها وتركيبها الى اللسان السرياني . والى بعضها اشار اللغوي الشهير المطران اقليميس يوسف داود([4]) . والمستشرق الفرنسي الاب باريزو البندكتي([5]) . ثم جمعها بعضهم قرية فقرية فانافت على ٥٧٠ قرية اصل اسمائها سرياني بحت بلا ادنى جدال([6]) .

---

(١) المشرق : مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٣٦٠ في الحاشية

(٢) الملكيون : صفحة ٩٤ - ٩٦

(٣) تاريخ اهدن : لسمعان خازن : جزء ٢ صفحة ١٢

(٤) القصارى : صفحة ٢٣ و٢٤ ومقدمة النحو السرياني : صفحة ٦٣ - ٦٥ للمطران اقليميس يوسف داود

(٥) المجلة الاسيوية في باريس : سنة ١٨٩٨ صفحة ٢٨٦

(٦) المشرق : مجلد ٣٧ سنة ١٩٣٩

نذكر بعض تلك القرى على سبيل المثل ونضم اليها معناها في العربيـة : باريش (بيت الرئيس) . بزبينا (بيت المشتري) . بشرّي (بيت البـداءة) . كفرحاتا (القرية الجديدة) . كفر زينا (قرية السلاح) . كفرحورا (قرية البياض) . شطورا (قعر الجبل) . شربيلا (امر الله). فاريّا (الثمار) . عقماتا (مكان وعر) . جعيتا (صراخ) . حاصبيا (خزَف) . جونية (زوايا) . كفرفاقود (قرية الآمر) . شمشبايا (شمس الماء) . كفرحتنا (قرية العروس). نيحا (الهادىء) . كوشا (الحلوة) . بونين (حمّامات) . الخ الخ الخ .

الفصل الرابع

ينابيع لبنان وانهاره المشهورة بأسماء سريانية

في لبنان عيون وينابيع وانهار عديدة ما برحت تُعرف حتى الان باسمائهـــا السريانية . وفي ما يلي نسرد بعضها مع شرحها العربي : عين استيت (عين الجدار). عين اشما (عين شهيرة) . عيناب (عين الاب) . عيناتا (عيون) . عين بسابا (عين بيت الشيخ) . عين بـعال (عين بعل) . عين تراز (عين متفجرة) . عين تنتا (عين العروة) . عين جرفا (عين مغروفة) . عين حرشة (عين خرساء) . عين حور (عين بيضاء) . عين الخروبة (عين الخرنوب) . عين دارة (عين البيوت) . عين تقد (عين القضيب) . عين حزير (عين الخنزير) . عين الدلبة (عين الدلب) . عين روما (عين العلو) . عين زحلتا (عين زاحفة) . عين سنيتا (عين كريهة) . عين شطورا (عين لحف الجبل) . عين صوفر (عين العصفور) . عين طورا (عين الجبل) . عين طورين (عين الجبال) . عين عكرين (عين ثخينة) . عين عنوب (عين العنب) . عين فقاع فرين (عين بقاع الغنم) . عين القش (عين القسيس) . عين قنا (عين العش) . عين قنيا (عين القصب) . عين قورا او العاقورا (العين

الباردة) . عين ماحور (عين البلد) . عـين مجدليا (عين البرج) . عين مرعي (عين المرضى) . عين وزين (عين الاوز) .

وقس على تلك العيون : نبع افقا (نبع متدفق) . نبع بكوزا (نبع الكوز) . نبع جعيتا (نبع الصارخة) . نبع جوعيت (نبع الصرخة) . نبع سرغايا (نبـع المشبكات) . نبع الشاغور (النبع المتفجر) . نبع الشالوط (النبع المسلط) . نبع الشربينة (نبع السروة) . نبع العرعار (نبع العرعرة) . نبع قديشا (النبع المقدس) . نبع القطين (النبع الضيق) . نبع كفرحلدا (نبع قرية الخلد) . نبع اللقلوق (نبع اللقلاق) . نبع اليمونه (نبع البحيرة) . رشميا (راس المياه) . كفرمايا (قرية المياه) . ميروبا (ماء الضجيج) . ميفوق (ماء فوقا) . هرهريا (خرير الماء) . الخ الخ .

ومن انهار لبنان ذات الاسماء السريانية : نهر رشعين (راس العيون) . ونهر الليطاني (النهر اللعين) . الخ .

الفصل الخامس

نصرانية لبنان

على اثر صعود السيد المسيح الى السماء وحلول الروح القدس في العلية الصهيونية انتشر الرسل وتلاميذهم في مختلف البلدان يبشرون الاهالي بالكرازة الانجيلية . فقدم فريق منهم الى السواحل الفونيقية وبلغوا سكانها تعاليم النصرانية باللغـة الآرامية السريانية . وجاء في التواريخ القديمة ان لـبّي احد الاثني عشر اقبل الى بيروت . وارتحل يوحنا مرقس احد السبعين الى جبيل . وسار ماروثا الى طرابلس . وانطلق نوهرا او لوقيوس الى اللاذقية . وقام كل من الرسل والتلاميذ بقسطه

في زرع بذار الانجيل بين الرعية التي اؤتمن عليها . ونصبوا كهنة وشمامسة للكنائس التي انشأوها . وبتوالي الازمنة ازداد عدد المسيحيين وازداد معهم عدد الكنائس والكراسي الاسقفية .

اما السياسة الدينية العليا في المدن اللبنانية وملحقاتها فكانت منوطة باسقف انطاكية خليفة بطرس زعيم الرسل . وكانت سلطة ذلك الاسقف تشمل مدن فونيقي وسوريا وفلسطين وقبرس وقبدوقيا وقيليقيا وارمينيا وايسوريا وكرجيا وما بين النهرين والعراق وبلاد العرب وفارس حتى بلاد الهند .

الفصل السادس

الكتابات السريانية في ابنية لبنان

مَن تفقد الابنية المسيحية القديمة في لبنان شاهد فيها كتابات سريانية تُلمع الى اللغة التي سادت في الجبل اللبناني وفي سواحله واستعملها اهلوه مدة اجيال عديدة . ومن تلك الكتابات آثار سطرنجيلية وسريانيـــة صبرت على كوارث الدهر . وحُفظت على ابواب الكنائس والاديار او على حناياها ومذابحها واعمدتها او فوق اضرحة البطاركة والاساقفة والكهنة .

ومن تلك الآثار كتابة سطرنجيلية على جدار كنيسة مار نوهرا في سمار جبيل(١) وكتابة بيعة مار سابا الشهيد في ادّة البترون(٢) . وكتابات كنيسة السيدة في ميفوق(٣) وكتابات كنيسة مار ثئودورس في بحديدات(٤) .

---

(١) بعثة فينيقيا : تاليف ارنست رينان صفحة ٢٤ (٢) لبنان : لمحات في تاريخه وآثاره واسره : صفحة ١٣١ (٣) تاريخ الدويهي : صفحة ١١٣ - والمشرق : مجلد ٢٤ سنة ١٩٢٦ صفحة ٥٧٤ و٦٤٩ (٤) تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار : للاب هنري لامنس : جزء ١ صفحة ٨٧ و٨٨

ومن الكتابات السريانية التي شاهدناها بعيننا في انحاء لبنان نذكر : كتابات دير مار ماما في اهدن(1) وكتابة كنيسة مار لبّي في حصرون . وكتابات دير طاميش(2) . وكتابات كنيستَي مار عبدا هرهريا . وكتابات كنيسة مار يوسف الحصن في غوسطا . وكتابة منقوشة بالكرشوني على بلاطة فوق عتبة كنيسة مار يوحنا في جبيل(3) . وفوق عتبة كنيسة مار الياس في « حصبا الجرد » (4) . وكتابة كنيسة دير مار افرام الرغم بالقرب من الشبانية . وكتابات كنيستَي دير الشرفة(5) . وكتابة باب البطريركية المارونية في بكركي . وكتابة باب البطريركية السريانية وكنيستها في بيروت(6) . ولسنا ننسى كتابات كنيسة دير مار شليطا مقبس في كسروان وكتابة ضريح البطريرك جرجس السبعلي (١٦٥٧ ـ ١٦٧٠) بجوار هذا الدير(7) .

الفصل السابع

الكتابات السريانية على الآنية البيعية والبيتية

لم تقتصر تلك الآثار السريانية على الابنية فقط بل تعدتها الى الآنية البيعية كالصلبان والكؤوس والاطباق والمباخر والعكازات والمراوح والسجوف والصنوج والنواقيس والحلل الكهنوتية الخ .

---

(١) تاريخ اهدن : لسمعان خازن : جزء ٢ صفحة ٢٥٥ (٢) تاريخ الرهبنة اللبنانية المارونية : للاب لويس بليبل : مجلد ١ صفحة ١٣٨ (٣) المشرق : مجلد ٢٩ سنة ١٩٣١ صفحة ١٨٢ (٤) خواطر الجنان : بقلم القس اغوسطين سالم : صفحة ١٠٧

(٥) طالع هذا الكتاب : جزء اول : قسم ٩ فصل ١ رقم ٣ ـ ٤

(٦) راجع هذا الكتاب : قسم ٩ فصل ٤

(٧) تاريخ الكنيسة السريانية : للخوري اسحق ارملة : قسم ١٧ فصل ١

فما عدا ما عرفناه من تلك الآنية البيعية في معابد لبنان فقد شاهدناه في مخزن المرحوم اليان سركيس (+ ١٩٠٩) ابريقَين صغيرين من البلور قديمي العهد وقد حُفر على احدهما بالسطرنجيلية لفظة « مزجة » يعني خمراً ممزوجة . وهذا الشكل من الاباريق الكنسية يُعرف في سوريا وبلاد ما بين النهرين بلفظ « مزجات » حتى اليوم . وتلفظ الجيم في هذه الكلمة كالجيم المصرية .

وتعوّد الاحبار ان ينقشوا على خواتمهم اسمهم باللغة السريانية كالسيد سمعان عوّاد الحصروني(١) الذي ارتقى الى الكرسي البطريركي الماروني عام (١٧٤٣-١٧٥٦) . واضاف البعض الى اسمهم آية من الكتب المقدسة كالبطريرك اغناطيوس بطرس السادس (شهبادين) (١٦٧٨ - ١٧٠٢) فانه نقش على خاتمه في السريانية ما تعريبه : « الصليب غلب الصليب يغلب الصليب قهر العدو » . ولا يزال هذا الخاتم محفوظاً بين الآثار القديمة بدير الشرفة .

وهناك كتابات سريانية حُفرت على اوعية منزلية . وقد حُفظ منها في دير طاميش طنجرة نحاس كبيرة تسع نحو خمس جرار ماء نقش على حافتها كتابة باحرف سريانية وهي : ذكراً مؤبداً ووقفاً مخلداً من الفقير في رؤساء الكهنة المطران جبرائيل (صار بطريركاً باسم جبرائيل البلوزاني ١٧٠٤ - ١٧٠٥) لديره المشيّد على اسم ستنا مريم المبني على راس طاميش سنة ١٦٧٥ مسيحية بمدينة حلب في شهر ايار(٢) .

وشاهدنا في منزل صهرنا يوسف بن فرنسيس سرور (+ ١٨٩٢) قدراً من نحاس حُفر عليها بالكرشونية اسم جد ابيه فرنسيس بن فرج الله سرور سنة ١٧٢٤ ميلادية . وفي دير الشرفة طبق نحاس حفر عليه بالكرشونية سنة ١٧٩٢ اسم جبرائيل بن نعمة الله جروة الحلبي .

---

(١) المشرق : مجلد ٢٤ سنة ١٩٢٦ صفحة ٦٦٠

(٢) تاريخ الرهبنة اللبنانية المارونية : مجلد ١ صفحة ١٣٨

الفصل الثامن

آثار السريان في المخطوطات اللبنانية

بقي من آثار السريانية في لبنان مخطوطات جمة مختلفة المواضيع منها سريانية ومنها كرشونية . والمراد بالكرشونية كتابات عربية بحروف سريانية . وهذا النوع من الكتابة تفرد به الموارنة والسريان دون سائر الفرق السريانية كالنسطورية والملكية والملبارية . ومن طالع فهارس مكتبات اوروبا وبعض مكتبات الشرق اخذته الدهشة من وفرة تلك المخطوطات القديمة الباقية على رغم ما اصابها من الرزايا بكرور الاجيال .

واذا خصصنا الكلام بالمخطوطات السريانية والكرشونية المحفوظة في بعض مكتبات لبنان وفي كنائسه وادياره قلنا ان اوفرها عدداً مصون في مكتبة دير الشرفة ومكتبة البطريركية السريانية والمكتبة الشرقية لليسوعيين في بيروت والمكتبة البطريركية المارونية في بكركي . وكان دير مار شليطا مقبس يحوي مكتبة عامرة اسسها البطريرك اسطفان الدويهي . غير انها تبعثرت مع تداول الزمان وما تبقى منها نقل بعضه الى بكركي وبعضه الى دير الكريم للمرسلين اللبنانيين .

وما عدا المكتبات ففي كنائس لبنان وادياره بعض مخطوطات سريانية وكرشونية حوت صلوات الفروض البيعية وسنكسارات الاباء على مدار السنة . نذكر منها مخطوطات الاديار الرئيسية للرهبانيات اللبنانية الثلاث ومخطوطات كنائس مار جرجس في اهدن ومار جرجس في العاقورا ومار يوسف الحصن في غوسطا ومدرستي عين ورقا ومار عبدا هرهريا الخ الخ . وقد افرزنا قسماً خاصاً في كتابنا هذا ادرجنا فيه كل ما وقفنا عليه من تلك المخطوطات في مكتبات الشرق والغرب . فنحيل القارىء الى مطالعته في مكانه (١) .

---

(١) راجع المجلد الاول من هذا الكتاب : قسم ٥

الفصل التاسع

اديار لبنان المشهورة باسماء سريانية

نضم الى ما تقدم اسماء طائفة من الاديار اللبنانية التي تحمل من قديم الزمان والى الآن اسماء سريانية لا اشكال في تحليلها وتعليلها :

١ ـ اديار السريان

من اديار السريان القديمة في لبنان نذكر : دير مار ادنا (أذن) . دير الاسطوني (عمودي) . دير بشعلي (راحـات) . دير بشل (فتـل الحبل) . دير بيروت (صنوبر) . دير تالا (تل) . دير تالين (تلال) . ديروتان (اديار) . ديرونة (دير صغير) . دير حباش (حبس) . دير حردين (حردون) . دير ربولا (كبير او عظيم) . دير الرغم (رجم) . دير صوما (صوم) . دير طـاجون (قلي) . دير عـين طورين (عين الجبال) . دير قطين (ضيق) . دير الغوبة (آبار) . دير كفربوتا (قرية البيض) . دير مطرونا (حارس) الخ .

٢ ـ اديار الموارنة

من اديار الموارنة نذكر : دير بحرصاف (البرَد) . دير بقعاتا (السهول) . دير بكركي (المدارج والصحف) . دير حراش (الحرس والسكوت) . دير حوب (الجب) . دير حوقا (السطر) . دير مار روحانا (الروحي) . دير سير (القيد والكبل) . دير مار شليطا (السلطان) . دير شويا (المتوازي) . دير طاميش (المطموس) . دير عبرين (المعابر) . دير علما (الشعب) . دير عنايا (الزاهد) . دير قرطبا (القرطب) . دير القطار (العقد) . دير كفيفان (المعطوف) . دير

مار عبدا المشـمّر (المبعوث والمرسّل) . دير مرتمورا (القديسة مورا) . دير ميفوق (ماء فوقا) . دير مار نوهرا (النور) . دير مار عبدا هرهريا (العبـد عند خرير الماء) .

٣ ـ اديار الملكيين

ومن اديار الروم الملكيين نذكر : دير حمطورا (منظر الجميل) . دير زرعايا (الزروع) . دير شويا (المتوازي) . دير الشوير (القافز) . دير الشير (السوار) . دير صربا (البرج) . دير عبرا (المعبر) . دير عين دوق (الرقيب) . دير قرقفة (جمجمة) . دير كفتون او كفتين (الكف) . دير النياح (وفاة العذراء) .

٤ ـ اديار اللاتين والارمن

ونضم الى ذلك : دير حريصا (الظهر) للفرنسيسيين . دير بزمار (مكان الترنيم) للارمن . دير القريّة (المدعوّين) . دير عبيه (ضخم) للكبوشيين . دير بكفيا (مقالع الصخور) لليسوعيين .

الفصل العاشر

تخصيص اسم السريان بملة مسيحية

ظلت الوحدة الرئاسية البيعية محصورة بالبطريركية الانطاكية كما اشرنا حتى القرن الخامس . ولم تتفكك عراها الا بظهور الفرق النسطورية فاليعقوبية فالملكية فالمارونية ببطريركياتها وجميع شؤونها . وكانت تلك الفرق الاربع تستعمل اللسان السرياني في طقوسها البيعية ولهجتها القومية .

ثم تشعب من تلك البطريركية الانطاكية الواحدة جاثليقيات ارمينيا وايسوريا وكرجيا ومطرانية قبرس . وانبثقت منها ايضاً البطريركيات الكاثوليكية الشرقية وهي : البطريركية المارونية والبطريركية الكلدانية والبطريركية السريانية والبطريركية الملكية وبطريركية قيليقيا الارمنية . نضيف اليها مطرانية المليبار السريانية التي انشئت سنة ۱۹۳۱ . هكذا استقلت كل ملة ببطريركها ومطارنتها واساقفتها واقليريسها وشعبها وكنائسها وسائر شؤونها الدينية .

وعلى كرور الزمان اصبح اسم « السريان » علماً خاصاً بملة مسيحية من اصل الملل المذكورة . وبهذه التسمية الرسمية عرفتها السلطتان الدينية والمدنية شرقاً وغرباً . وتتألف هذه الملة من طائفتين متميزتين : احداهما سريانية كاثوليكية يرعاها رئيس يقال له في قيود البيعة « بطريرك السريان الانطاكي » . وهو يقيم اليوم شتاء في بيروت وصيفاً في دير الشرفة بجبل لبنان . وتشمل سلطته البيعية مطارنة حلب والموصل ودمشق وبغداد واساقفة حمص وحماة ومصر والجزيرة وما بين النهرين وتركيا ولبنان وفلسطين الخ .

اما الطائفة الثانية فهي السريانية الارثوذكسية يرعاها رئيس اعلى يقال له كذلك « بطريرك السريان الانطاكي » وكرسيه الرسمي في دير الزعفران بجوار ماردين . وهو يقيم اليوم في مدينة حمص . ويخضع لسلطته البيعية ما عدا مطارنته في البلاد المذكورة آنفاً شعب غفير في بلاد المليبار بالهند الانكليزية له اساقفته ايضاً فيها .

فعلى هاتين الطائفتين السريانيتين اللتين استقرتا في لبنان قديماً وحديثاً يدور محور بحثنا في هذا الكتاب .

القسم الثاني

اخبار السريان اللبنانيين في القرون النصرانية الاولى

الفصل الاول

اصل الابرشيات اللبنانية القديمة

توخينا ان نقصر الكلام في هذا القسم على ابرشيات فونيقي اللبنانية كي نستنتج منها نتيجتنا المقصودة وهي : ان السريان ليسوا غرباء او دخلاء او لاجئين او ضيوفاً في لبنان كما توهم البعض . لكنهم وطنيون اصليون اقاموا وما برحوا يقيمون فيه منذ اوائل النصرانية حتى اليوم .

وليست العبرة بعدد السريان الضئيل في الزمان الحاضر . لان الفتوحات والحروب الاهلية والزلازل والاوبئة وما شاكل ذلك من النكبات والكوارث قضت على ارواح اجدادهم وعلى اموالهم وارزاقهم . وبينهم من انضموا الى دين الفاتحين او اندمجوا في المعتقد مع سائر جيرانهم المسيحيين ملكيين ام موارنة ام لاتينيين .

فاذا عدنا الى اخبار الكنيسة الانطاكية في اول نشأتها رأينـــا ان مطارنة الابرشيات الفونيقية اللبنانية واساقفتها كانوا خاضعين لصاحب الكرسي الانطاكي. وقد اشتملت رئاسته قبل عهد الانفصال على اثنتي عشرة ابرشية مطروبوليتية ينتمي اليها عدد كثير او قليل من الاساقفة . يؤيد ذلك اثر سرياني جليل تضمن سلسلة تلك الابرشيات بمطارنتها واساقفتها ونواب البطريرك فيها . ولهذا الاثر النفيس نسختان كتبتا باللغة السريانية قبل القرن السادس : حفظت احداهما بكل

حرص في المكتبة البطريركية بدير الزعفران والثانية في مكتبة مطرانية السريان بمدينة الرها[1] .

اما ابرشيات فونيقي القديمة اللائذة بالكرسي الانطاكي فتنحصر بالكراسي التالية وهي : صور وصيدا وعكا . وبيروت وجبيل وبطرون . وطرابلس وعرقا وبعلبك . واللاذقية وسلوقيا وجبلة . ففي كل من هذه المراكز اقام حيناً اساقفة خبيرون باللسان اليوناني . وتولاها بوجه الاجمال اساقفة وطنيون كانت السريانية لغتهم الابوية كما كانت لغة السواد الاعظم من سكان تلك الامصار . وهذه الحقيقة التاريخية يثبتها كثير من العلماء والمؤرخين الاقدمين كأوريجانس (١٨٥ - ٢٥٤ م) وفم الذهب (٣٤٧ - ٤٠٧ م) وهيرونيمس (٣٤٠ - ٤٢٠ م) وغيرهم . ونخص بالذكر منهم سمعان سالوس وقد ورد في اعماله « ان السريانية كانت لغة اهل سواحل الشام »[2] . وكان اغلب الاساقفة الوطنيين متضلعين من اللغة اليونانية علاوة على لغتهم السريانية يتلقنونها في المدارس الكبرى كمدارس انطاكية وبيروت ونصيبين والرها وقطسفون . ومنهم مَن تلقنها في الاديار السريانية كدير تلعدا ودير بسّوس ودير قنّسرين ودير زغبة وغيرها .

الفصل الثاني

استعمال احبار السريان اعلاما يونانية

اعتاد بعض احبار السريان ان يتخذوا اعلاماً يونانية حين ارتقائهم الى احد الكراسي الاسقفية . وقد درج عندهم ذلك بالاستعمال منذ اوائل الكنيسة تقريباً

---

(١) مجلة الآثار الشرقية : في بيروت : السنة الاولى ١٩٢٦ صفحة ٢٠٩ فما بعد

(٢) المشرق مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٢٦٨ - ٢٦٩

من ملوك الروم وتسهيلاً لتعاطيهم مع الحكام واقطاب الدولة . هكذا تغلبت تلك العادة بكرور الاجيال ولم تزل مألوفة عندهم حتى اليوم . فانهم يتيمنون مثلاً باسماء اغناطيوس واقليميس ويوليوس وديونيسيوس واوسطاثيوس ومـا شاكلها . وسبب ذلك على ما نرى وعلى ما ارتآه غيرنا ان الاقليرس السرياني الخبير باللغة اليونانية وآدابها كان يعتبر اكثر لياقة من سواه (١) بالمناصب الكهنوتية العالية .

وتعوّد احبار السريان منذ نواحي القرن الثالث عشر ان يصدّروا اسمهم الخصوصي بلقب احد ملافنة البيعة وسموه « لقباً ابوياً » . وحسب القارىء ان يلقي نظرة سريعة على اسماء احبار السريان الاحياء في عصرنا فتنجلي له الحقيقة بكل وضوحها . فانه يرى مثلاً اسماء السادة : اقليميس ميخائيل نجاش مطران مصر . وديونيسيوس حبيب نعساني مطران حلب . وقرلس جرجس دلال مطران الموصل . واثناسيوس بهنام قليان مطران بغداد . وايونّيس جرجس ستيتة مطران دمشق . وثئوفيلس يوسف رباني مطران حمص وحماة .

وقس على مطارنة السريان الكاثوليك اخوانهم مطارنة السريان الارثودكس في جميع ابرشياتهم حتى بلاد الملبار بالهند . كقولك : اثناسيوس يشوع مطران اورشليم . واوسطاثيوس قرياقس النائب البطريركي . وطيمثاوس توما مطران طورعبدين . وايونّيس يوحنا مطران بيروت ودمشق . وغريغوريوس جبرائيـل مطران حلب . واثناسيوس بولس مطران الملبار . وديوسقورس توما مطران كنعنانه بالملبار . ويوليوس الياس الزائر البطريركي بالملبار .

بناء على ذلك لا يسوغ ان يجرّد هؤلاء الاساقفة من صبغتهم السريانية الاصلية ويعتبروا يونانيين لغة او جنساً بداعي اتخاذهم اسماء يونانية عند سيامتهم الاسقفية . وما ذكرناه عن اساقفة السريان في عصرنا يشمل اسلافهم في العصور الخاليـــة .

---

(١) القصارى : للمطران يوسف داود : صفحة ١٦

كقولك ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي . وغريغوريوس يوحنا ابن العبري وباسيليوس يوحنا ابن المعدني وديوسقورس عيسى ابن ضوء وهلمّ جراً .

والى القارىء بعد هذا البيان سلاسل اساقفة الابرشيات الفونيقية اللبنانية منذ صدر النصرانية حتى القرن السادس :

الفصل الثالث

ابرشيات صور وصيدا وعكا القديمة

١ ـ ابرشية صور

صور مدينة فونيقية وثيقة الاركان قديمة البنيان كانت تحيط بها اسوار ضخمة حريزة . وابتنى الفونيقيون في ساحلها مرفأين : مرفأ صيدون في الشمال الشرقي ومرفأ مصر في الجنوب الشرقي . وكان الاسطول الفونيقي يحتلهما كليهما . وجاء ذكر صور في سفر يشوع بن نون (١٩ : ٢٩) وفي العهدَين القديم والجديد مراراً شتى . وعدّت صور في العهد المسيحي في طليعة المدن التي دانت بالدين المسيحي منذ اوائل النصرانية . واحصيت ابرشيتها المطروبوليتية في مقدّمة مطرانيات الكرسي الانطاكي الاثنتي عشرة . ولاجل ذلك قال عنها هيرونيمس الملفان بكل صواب : « انها اشرف المدن الفونيقية واجملها » . واليك رهطاً من مشاهير مطارنتها :

اول مطران تبوّأ كرسي صور هو قسيوس الذي اجتمع بقالور اسقف عكا وفريق من اساقفة فلسطين لتقرير يوم الاحتفال بعيد الفصح . وحتموا ان يسلكوا طبقاً لتقريرهم واتفاقهم ويعمّموا ذلك في الكنائس اللائذة بهم . ثم كتبوا في

هذا المعنى الى بيقطور الحبر الروماني (١٨٩ – ١٩٨ م) (١) .

وممن تولى كرسي صور نذكر طيران الذي امتاز بغيرته الرسولية واحرز اكليل الاستشهاد في عهد ديوقلطيان قيصر (٢٨٤ – ٣٠٥ م) . قال اوسابيوس القيصري المؤرخ : « من مشاهير الشهداء في فونيقي نذكر خصوصاً طيران مطران بيعة صور الذي القي جثمانه في قعر البحر . ثم زينوب الطبيب الماهر قسّيس بيعة صيدا وسلوان اسقف حمص »(٢) .

ومن مشاهير مطارنة صور فولين الذي نُقل الى الكرسي الانطاكي (٣٣٢ – ٣٣٧ م) وهو الذي جدّد بيعة صور ووسّعها . وفيها القى اوسابيوس القيصري يوم تدشينها خطبة رائعة بحضور فولين فسمّاه « المثلث الطوبى والمحنّك في السياسة »(٣) .

وحضر زينون الاول مطران صور المجمع النيقاوي الاول المسكوني(٤) عام ٣٢٥ للميلاد . وكان زينون الثاني مطران صور في عداد آباء المجمع القسطنطيني الاول المسكوني(٥) عام ٣٨١ م . واشتهر فوط مطران صور في عهد المجمع الخلقيدوني المسكوني الرابع(٦) عام ٤٥١ م . وجرت منافسة بينه وبين اوسطاثيوس اسقف بيروت فقضى الآباء في الجلسة الرابعة من ذلك المجمع ان يبقى القديم على قدمه .

وفي السنة ٤٤٨ للميلاد عُقد مجمع في صور ثم في بيروت للنظر في دعوى رفعها قسوس الرها السريان على يهيبا مطرانهم (٤٣٥ – ٤٥٧ م) فقرّر فوط مطران صور واوسطاثيوس اسقف بيروت وسائر الاساقفة بتبرئة ساحة يهيبا مطران الرها وارجعوه الى كرسيه معزّزاً مكرماً .

---

(١) تاريخ اوسابيوس القيصري : سفر ٥ خبر ٢٥ (٢) تاريخ اوسابيوس : سفر ٨ خبر ١٣ (٣) تاريخ اوسابيوس : سفر ١٠ خبر ٤
(٤) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ١٢٤ و ١٢٦ (٥) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ١٥٧ و ١٥٩ (٦) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ١٩٧ و ٢٠٣

ولما تولى ابيفان مطرانية صور دافع عن عقيدة المجمع الخلقيدوني وناهض سويرا بطريرك انطاكية (٥١٢ – ٥١٨) . ورفض رسائله وعنّفه على ما اقترف من الافعال المنافية لحقوق الكنيسة (١) . وواصل ابيفان رعاية ابرشيته حتى عهد يوسطينس قيصر (٥١٨ – ٥٢٧ م) .

٢ – ابرشية صيدا

تُعدّ صيدا او صيدون من اقدم المدن الفونيقية اللبنانية ومن اشهرها . وقد سماها يشوع بن نون (١١ : ٨ و١٩ : ٨) صيدون العظيمة . وجاء ذكرها مراراً شتى مع صور في كلا العهدَين القديم والجديد . وقد تعهدهما السيد المسيح (متى ١٥ : ٢١) وبولس الرسول (اعمال ٢٧ : ٣) . وجُعلت صيدا كرسياً اسقفياً خاضعاً لمطرانية صور .

ومن مشاهير اساقفة صيدا نذكر ثئودور احد آباء المجمع النيقاوي الاول وخلفه امفيون . وحضر بولس اسقف صيدا المجمع القسطنطيني الاول . وكان رَوَما اسقف صيدا السرياني في عداد آباء المجمع الخلقيدوني المسكوني الرابع .

٣ – ابرشية عكا

عكا ويقال لها عكّو ذكرها الكتاب الكريم مع صيدا (قضاة ١ : ٣١) . وهي في ساحل البحر الفونيقي ازاء جبل الكرمل . اتخذ الفونيقيون مرفأها الامين الهادىء مفتاحاً لبلاد سوريا والجليل . ومنها كانوا يركبون سفنهم الى مختلف البلدان . وكانوا يحطون رحالهم في مرفأها . واكتشفوا في اطرافها مادة لتركيب الزجاج(٢) . واصبحت عكا في العهد المسيحي كرسياً اسقفياً لائذاً بمطرانية صور .

---

(١) المشرق : مجلد ٩ سنة ١٩٠٦ صفحة ٣١٤

(٢) المشرق : مجلد ٢٢ سنة ١٩٢٤ صفحة ٩٥٤

ومن اساقفة عكا قلار في القرن الثاني للميلاد[1] . ويوحنا في القرن الثالث . وحضر أنياس اسقفها المجمع النيقاوي الاول . وكان نيقيطا اسقف عكا في عداد آباء المجمع القسطنطيني الاول . واشتهر من اساقفتها انطيوكس صديق اقاق السرياني اسقف حلب وحضر بولس اسقف عكا المجمع الخلقيدوني المسكوني عام ٤٥١ م .

الفصل الرابع

ابرشيات بيروت وجبيل و بطرون القديمة

١ ـ ابرشية بيروت

أحصيت بيروت في عداد اشهر المدن الفونيقية اللبنانية . اسسها الفونيقيون وسموها بروتا من السريانية ومعناها الصنوبر تكريماً لعشتروت معبودتهم ونظراً الى غابات الصنوبر المتوفرة في اطرافها منذ اقدم العصور حتى الآن . وكانت في عهد مضى خاضعةً لدولة جبيل ثم انطمس ذكرها حتى فجر النصرانية فاشتهرت باسقفيتها الرسولية ومدرستها الفقهية . غير ان الزلازل المتعددة ضعضعتها في القرن السادس حتى كادت تمحو اسمها ورسمها . ثم عادت بيروت في القرون المتأخرة الى سالف رونقها وسابق مجدها . ففاقت صوراً وصيدا وجبيل عواصم لبنان القديمة واصبحت في عصرنا حاضرة الجمهورية اللبنانية .

تفتخر بيروت بالرسول لبّي او تدّي المعروف بيهوذا (متى ١٠ : ٣) ومرقس (٣ : ١٨) ولوقا (٦ : ١٦) واعمال (١ : ١٣) . وذكر المؤرخون

(١) تاريخ اوسابيوس : سفر ٥ خبر ٢٥

السريان وغيرهم ان لَبّي الرسول شخص الى بيروت على اثر صعود المخلص وبشّر اهاليها بالكرازة المسيحية . وأسس فيها كنيسة وفيها توفي ودفن (١) . وعلى اثر وفاة لَبّي شيد المسيحيون في بيروت كنيسةً كبرى تيمناً باسمه سموها « الكنيسة المعتبرة جداً » (٢) . واليها كان يختلف زكريا السرياني الفصيح وزميله سويرا في السنتين ٤٨٧ و ٤٨٨ يوم كانا مكبين على درس الشرع في مدرسة بيروت الفقهية .

وظل اسم لَبّي مكرماً منتشراً بين كل طبقات الشعب في الاصقاع اللبنانية . وما برح فريق من الرهبان اللبنانيين ومن غير الرهبان يسمون باسم لَبّي او لابا اولبوّس او لبّاوس حتى اليوم . وقد ابتنوا على اسمه عدة كنائس نذكر منها : كنيسة في حصرون تأسست عام ٦٧٧ للميلاد (٣) وكنيسة في بشنين بالزاوية وقد شادتها تقلا (+ ١١١٣ م) ابنة الخوري باسيل البشرّاني (٤) . ويقيم له السريان تذكاراً في ٢٠ آب سنة فسنة .

وبعد لبّي الرسول تولى اسقفية بيروت قوارطس احد التلامذة السبعين . وقد عاون الرسول بولس في الكرازة الانجيلية فنصبه هذا الرسول اسقفاً على بيروت . وأثبت اسمه في تحيته للرومانيين بقوله : « يسلم عليكم ارسطس خازن المدينة وقوارطس الاخ » (روم ١٦ : ٢٣) . وذكر الرحالة هنري مندرل الانكليزي في القرن السابع عشر انه شاهد هذه العبارة : « قوارطس اول اساقفة بيروت » منقوشة على جدار احدى كنائسها (٥) .

وحضر غريغوريوس اسقف بيروت سنة ٣٢٥ المجمع النيقاوي الاول . وكان طيمثاوس اسقفها في جملة آباء المجمع القسطنطيني الاول . ولما تولى اوسطاثيوس

---

(١) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٩٢ - وتاريخ ابن العبري البيعي : جزء ١ صفحة ٤

(٢) Patrologia Orientalis, 2

(٣) جريدة البشير : عدد ٣٠٧٢ سنة ١٩٢٣ - والمشرق : مجلد ١٣ سنة ١٩١٠ صفحة ٦٠٩ - وتسريح الابصار : جزء ١ صفحة ١٠٠

(٤) تاريخ الطائفة المارونية : للدويهي : جزء ١ صفحة ١٠٣

(٥) الشرق المسيحي : تأليف لوقيان : مجلد ٢ صفحة ٨١٨

اسقفية بيروت (٤٤٣ - ٤٦٠ م) عقد مجمعاً عام ٤٤٨ للنظر في قضية يهيبا مطران الرها (٤٣٥ - ٤٥٧ م) كما ذكرنا . وكان يهيبا من ايمة كتبة السريان في عصره خلف مداريش ورسائل جمة تشهد بطول باعه (١) . وحدث تنافس بين اوسطاثيوس وبين فوط مطران صور فتمكن اوسطاثيوس بوساطة ثئودوسيوس قيصر الثاني (٤٠٨ - ٤٥٠ م) من الاستقلال بكرسيه البيروتي زماناً . وضم اليه اساقفة جبيل وبطرون وطرابلس وعرطوس وعرقا وطرطوس . واصبحت بيروت منذ ذلك العهد مستقلة عن صور خاضعة تواً للكرسي الانطاكي (٢) .

ومن اساقفة بيروت يوحنا الذي اورد اسمه زكريا السرياني الفصيح في ترجمة زميله سويرا ورفيقه في مدرسة الفقه البيروتية . وقال ان مراسلات جرت بينه وبين ربولا السميساطي الذي انشأ ديراً عظيما في لبنـان . ثم ان زكريا المؤرخ المذكور أثبت في تلك الترجمة اسماء ست كنائس في بيروت وهي : ١ - كنيسة لَبَـيَّ الرسول ٢ - كنيسة انسطاسيا ٣ - كنيسة والدة الله وكانت في المرفـأ ٤ - كنيسة الشهيد لاونطي ٥ - كنيسة اسطفانس رئيس الشمامسة واول الشهداء ٦ - كنيسة القيامة التي شيدها اوسطاث سالف يوحنا (٣) :

وفي عهد انسطاس قيصر (٤٩١ - ٥١٨ م) تولى مَرين اسقفية بيروت فتحزب لسويرا بطريرك انطاكية (٥١٢ - ٥١٨ م) وشاركه في القدسيات . وقام بعده تلاس فناضل عن عقيدة آباء المجمع الخلقيدوني الذين بلغ عـددهم ٦٣٦ اسقفاً . وامضى تلاس عريضة مع اساقفة المشرق السريانيين ورفعوها عـام ٥٣٦ م الى اغابيط الحبر الروماني (٥٣٥ - ٥٣٦ م) في قضية اشهار الحرم عـلى انتيمس اسقف قسطنطينية .

وبعد هذا التاريخ تتابعت الزلازل والحرائق على بيروت وجبيل وطرابلس

---

(١) تاريخ الرها : تأليف روبنس دوفال : فصل ١٠ صفحة ١٧٤
(٢) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ١ سنة ١٩٢٦ صفحة ٢١٩
(٣) Patrologia Orientalis, 2

وغيرها من مدن الساحل اللبناني ففتكت بمن فيها وقوّضت مبانيها . وذكر مؤرخو السريان خصوصاً زلزلتي السنة ٥٥١ و٥٥٤ وحريق السنة ٥٦٠ للميلاد . قال ميخائيل الكبير ما خلاصته : تراجعت مياه البحر نحو ميلين فظهرت اليابسة وانكشفت اعماق البحر وشوهدت فيه سفن عتيقة مشحونة باصناف البضائع . فتقاطر الاهلون ليلتقطوها ولكنهم ما كادوا يحملونها ويعودون بها الى بيوتهم مسرعين حتى لحقتهم الامواج وغمرتهم واغرقتهم . اما الذين كانوا على الشاطىء فلما هربوا لينجوا بنفوسهم من الغرق انهارت عليهم جدران المنازل المتداعية بسبب الزلزال فقتلتهم تحت الردم . ثم انتشر الحريق في المدينة مدة شهرين بعد خرابها فحوّل مبانيها الى رماد وحجارتها الى كلس(١) . هكذا بقيت بيروت مسجاة بكفنها مطمورة تحت رمادها مدة اجيال عديدة .

٢ ـ ابرشية جبيل

جبيل باسكان الجيم واللام طبقاً لوضعها السرياني وكما يلفظها اللبنانيون لعهدنا مدينة اولية ذكرها الكتاب بقوله : « ارض جبيل وجميع لبنان » (يشوع ١٣ : ٥) . ووصف حزقيال النبي (٢٧ : ٩) شيوخ جبيل وحكماءها . وكانت تعدّ في القرون الغابرة كاحدى عواصم المدن وامهاتها . واكتشف الاثريون في عصرنا نقوداً ومسكوكات وتماثيل ومصوغات وجواهر في اعماق ارضها برهنت على حضارة الجبيليين وعلى نبوغهم في ضروب الصنائع الدقيقة . وقد سماها اليونان « بيبلوس » نظراً الى معامل الورق المتوفرة فيها .

وُعدّت جبيل خامس الاسقفيات في مطرانية صور . وذهب غير واحد من المؤرخين الى ان يوحنا مرقس (اعمال ١٢ : و١٥) احد المبشرين السبعين هو

---

(١) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٣٠٨ ـ ٣١٠ وتاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ٨١

اول من اسس كنيسة في جبيل وتولى اسقفيتها(١) . وتشهد على ذلك السنكسارات السريانية والمارونية فضلاً عن الكلندار الروماني . والمؤرخون الاقدمون يوافقون في ذلك الآثار الطقسية . وعرفنا من اساقفة جبيل : اوثل في القرن الثالث وباسيليد او روفين في المجمع القسطنطيني الاول(٢) . ثم اصبحت جبيل بعد القرن السادس خاضعة تواً للكرسي الانطاكي .

٣ - ابرشية بطرون

بطرون بالطاء او بترون بالتاء مدينة لبنانية ساحلية بين جبيل وأنفة ابتناها ملك صور في القرن العاشر قبل الميلاد على ما روى ميننذر اليوناني ويوسيفوس اليهودي (٣) . ومن آثارها الفونيقية سورها المنحوت بالصخر . وقد احدث فيها الرومان ابنية عديدة قوّضتها زلازل السنة ٥٥١ وما بعدها على ما ذكر البطريرك ميخائيل الكبير (٤)

وكانت بطرون سادسة الاسقفيات في مطرانية صور .وُعرف من اساقفتها فرفور في المجمع الخلقيدوني المسكوني الرابع .

(١) مجلة الآثار الشرقية : سنة اولى : صفحة ٢٢٢ - والمشرق : مجلد ٢٢ سنة ١٩٢٤ صفحة ٣٣٠
(٢) تاريخ ميخائيل الكبير صفحة ١٥٧ - والمشرق : مجلد ١٠ سنة ١٩٠٧ صفحة ٤٠
(٣) المشرق : مجلد ٤ سنة ١٩٠١ صفحة ٥٣٩ (٤) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٣١٠

الفصل الخامس

ابرشيات طرابلس وعرقا وبعلبك القديمة

١ ـ ابرشية طرابلس

طرابلس مدينة جميلة على ساحل البحر الفونيقي كانت مؤلفة من ثلاث مدن وهي : محلات وميسا وخايسا . واهداها الفونيقيون الى اثور نصربال نحو السنة ثلاثمائة وسبعين قبل الميلاد . ثم احتلها المقدونيون واطلقوا عليها اسم « طرابلس » اشارة الى المدن الثلاث المذكورة(١) .

ترتقي نصرانية طرابلس الى القرن الاول للميـــلاد . وكان اول اساقفتها « مارونا » الذي وضع عليه اليد مار بطرس الرسول عند مروره بطرابلس وذهابه الى انطاكية ورقى معه اثني عشر قسيساً(٢) . وعدّت طرابلس الثانية عشرة بين اسقفيات مطرانية صور . وحضر اسقفها هلنيق المجمع النيقاوي الاول عـام ٣٢٥ وكان ثئودور اسقفها في جملة آباء المجمع الخلقيدوني المسكوني عام ٤٥١ .

٢ ـ ابرشية عرقا

اما عرقا فهي مدينة عريقة في القدم مبنية على ربوة صخرية تطل على سهل بهي جميل خصيب شمال طرابلس تجاه جون عكار على مسافة خمسة واربعين كيلومتراً جنوب ارواد . واسمها سورياني يراد به شجر الساج الذي كان يكثر في غاباتها .

---

(١) العصور القديمة : تأليف حايلي : صفحة ١١١

(٢) الشرق المسيحي : تأليف لوقيان : مجلد ٣ صفحة ١٢١

سمّاها الرومانيون « قيصارية لبنان » وكانت عامرة في ايام الادريسي فوصفها بقوله: « عرقا عامرة بالخلق كثيرة التجارات واهلها مياسير ... وبها بساتين وفواكه ومطاحن على نهرها وبينها وبين البحر ثلاثة اميال ... »

جرى تنصر اهالي عرقا في اوائل الكنيسة فجعلتها البطريركية الانطاكية نظراً الى كثرة المسيحيين فيها ثانية الاسقفيات اللائذة بمطرانية صور. واشتهر من اساقفتها الاقدمين لوقيان او « نوهرا » . وحضر اسقفها اسكندر في المجمع القسطنطيني الاول . ومن اساقفتها ريفران الذي نقل الى كرسي صور خلفاً لمطرانها زينون الثاني في اواخر القرن الرابع .

٣ - ابرشية بعلبك

بعلبك مدينة لبنانية قديمة سمّاها السريان « بعل بك فونيقي » (١) . ودعاها اليونان « هليوبوليس » اي مدينة الشمس وهي واقعة في سهل البقاع عند سفح الجبل الشرقي اشتهرت بابنيتها الجبارة وهيكليها الضخمين الفخمين . ورجّح بعضهم انها « بعل جاد » التي ذكرها الكتاب المقدس وقال انها في بقعة لبنان تحت جبل حرمون (يشوع ١١ : ١٧ و١٢ : ٤٧) . وذكرها كذلك مع جبيل اذ قال : « وارض الجبليين وجميع لبنان جهة مشرق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون الى مدخل حماة » (يشوع ١٣ : ٥) .

وعدّت بعلبك في القيود النصرانية الاولى بين اسقفيات مطرانية دمشق الشام . وقد اسس قسطنطين الكبير (٣٠٦ - ٣٣٧ م) الكنيسة الكبرى في بعلبك على انقاض هيكلها القديم(٢) . واشتهر ثئودوط اسقفها في القرن الثاني للميلاد . وحضر اسقفها يوسف المجمع الخلقيدوني المسكوني الرابع .

---

(١) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٣٢١ - وتاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ٦٠
(٢) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ٦٠

وجاء في اخبار الآباء ان مكسيم الاول بطريرك انطاكية (٤٤٩ - ٤٥٥ + ٤٦٠ م) كتب الى نونا السرياني مطران الرها (٤٥٧ - ٤٧١ م) المشهور بسياسته وغيرته وقداسة سيرته في الشخوص الى بعلبك ليرشد اهاليها ويوطدهم في الدين المسيحي . فامتثل نونا اوامر البطريرك واقبل الى بعلبك في سبعة اساقفة سريانيين وهدى نساء كثيرات الى محجة الايمان المقدس . وانضم على يده الى النصرانية ثلاثون الفاً من العرب . ثم قدم نونا الى انطاكية ففوض اليه البطريرك ان يخطب في الكنيسة . وفيما كان على المنبر دخلت بيلاجيا المشهورة بخلاعتها واصغت الى اقواله فاتعظت وطلبت المعمودية . فاستأذن المطران نونا رئيسه البطريرك الانطاكي وعمدها . ثم وزع ثروتها الوافرة على المساكين ونصح لها فانطلقت الى اورشليم وقضت حياتها في احد الديورة وتوفيت برائحة القداسة (١) .

الفصل السادس

ابرشيات اللاذقية وسلوقيا وجبلة القديمة

١ ـ ابرشية اللاذقية

اللاذقية واسمها السرياني القديم « راميثا » اعني الشاهقة مدينة فونيقية مبنية فوق ربض تشرف على البحر . جددها سلوقس الاول وأطلق عليها اسم امه « لوذيقيا » سنة ٢٩٠ قبل المسيح . وانتابتها الزلازل فقوضت مبانيها ثم تجددت بتوالي الايام .

---

(١) اخبار الشهداء والقديسين : طبعة الاب بيجان : مجلد ٦ صفحة ٦١٦ و٦٣٦

ذاعت النصرانية في اللاذقية على يد الرسل وكان اول اساقفتها نوهرا (لوقيوس) الذي ذكره بولس الرسول في رسالته الى الرومانيين (١٦ : ٢١) . وجعلت اللاذقية ثالثة الاسقفيات المستقلة المنوطـة تواً بالكرسي الانطاكي . وعرف من اساقفتها الاولين شاغـــار الشهيد السرياني (١) وخلفه ثئودوط ثم كوركيس . وحضر فالاغ اسقفها المجمع النيقاوي الاول عام ٣٢٥ والمجمع الانطاكي عام ٣٤١ وكان حاضراً في هذا المجمع سبعة وتسعون اسقفاً قرروا خمسة وعشرين قانوناً (٢). وبعد فالاغ قام ابولينار ثم ألبيد معاصر ميليطس البطريرك الانطاكي (٣٦٠ - ٣٨١ م .) وحضر مقارين اسقف اللاذقية المجمع الخلقيدوني المسكوني عام ٤٥١ وتولى الاسقف لارس بعده كرسي اللاذقية .

٢ - ابرشية سلوقيا

تعد سلوقيا وهي مدينة « السويدية » الحالية من أنزه نواحي انطاكية يخترقها نهر العاصي . والناظر الى دورها من بُعد يحسبها غارقة وسط الغياض والحدائق . اسسها الفونيقيون واتخذوها من اهم ثغورهم ثم جاء سلوقس فعززها .

أحصيت سلوقيا في العهد المسيحي رابعة الاسقفيـات الخاضعة تواً للبطريرك الانطاكي . وعرف من اساقفتها زينوب فاوسابيوس فاغابيوس احد آباء المجمع النيقاوي . وقد حضر بيزس اسقفها المجمع القسطنطيني الاول سنة ٦٨١ للميلاد . وتولى اسقفية سلوقيا بعده مقسيم تلميذ يوحنا فم الذهب . وخلفه دستين ثم غرناط احد آباء المجمع الخلقيدوني المسكوني وقام بعده الاسقف نونا .

٣ - ابرشية جبلة

جبلة مدينة واقعة في جنوبي شرقي اللاذقية اسسها الفونيقيون وخلفوا فيها عدة

---

(١) تاريخ اوسابيوس القيصري : سفر ٥ خبر ٢٤

(٢) مخطوطة المكتبة الواتكانية بالسريانية : رقم ١٢٧

مدافن لها شأنها لدى علماء الآثار . ثم ملكها السلوقيون فالرومان ورممها يوسطنيان الاول (٥٢٧ - ٥٦٥) بعد خرابها . وتوالت عليها دول الفاتحين حتى احتلها في السنة ١٦٢٤ فخر الدين الثاني المعني امير لبنان الشهير (١٥٧٢ - ١٦٣٥)

وأصبحت جبلة في العهد المسيحي الثالثة بين الاسقفيات السبع اللائذة تواً بالكرسي الانطاكي . وعرف من اساقفتها هيفول وباسوني في جملة اساقفة المجمع النيقاوي الاول . وفي اواخر القرن الرابع انطلق سويرين السرياني اسقف جبلة الى قسطنطينية تلبية لطلب يوحنا فم الذهب اسقفها . وتقلد وظيفة الوعظ باللغة اليونانية في كنيستها . ولكن لهجته كانت الى السريانية لغته الوطنية اقرب منها الى اليونانية (١) . وخلف الاسقف سويرين بعض خطب باللغتين السريانية واليونانية : منها ثلاث خطب اثبتتها مخطوطتان محفوظتان في المتحف البريطاني بلندن . وترتقي نساخة احداهما الى السنة ١١٩٧ للاسكندر (٨٨٦ م) (٢) .

ومن اساقفة جبلة اشتهر اوسابيوس في المجمع القسطنطيني الاول عام ٣٨١ وآرون في المجمع الخلقيدوني المسكوني الرابع عام ٤٥١

وابتنى السريان في جبلة ايام سؤددهم اديارًا عديدة عثرنا على اسماء ستة منها وهي : دير ابرهيم ودير حنا ودير صوما وديروتان . ثم ديران صغيران اسم كل منها « ديرونة » وهو لفظ سرياني يطلق على دير صغير .

---

(١) الدروس السريانية : للبطريرك افرام رحماني : جزء ٣ صفحة ٨

(٢) مخطوطتا المتحف البريطاني السريانيتان : رقم ١٧،١٩٤ و١٤،٥٣٨

الفصل السابع

عدد ابرشيات الكرسي الانطاكي القديمة

ذكرنا في الفصل الاول من هذا القسم الثاني ان الكرسي الانطاكي كان يخضع لسلطته البيعية اثنا عشر مطراناً يسوسون مائة وثلاثة واربعين اسقفاً(١) . واستندنا في تصريحنا الى اثرين سريانيين قديمين حفظا تلك الحقيقة الراهنة . وجاء الموارنة بعد ذلك فاثبتوا هذه السلسلة سنة ١٧٣٦ في مجمعهم اللبناني (٢) . وقال غريغوريوس عطا مطران حمص وحماة ويبرود للروم الملكيين ما نصه : « وهكذا كان يخضع للكرسي البطريركي الانطاكي مائة وثلاثة وخمسون اسقفاً على عدد السمكات الكبار التي وجدت في شبكة بطرس هامة الرسل مؤسس هذا الكرسي »(٣) .

وهناك مطرانيات واسقفيات عديدة انسلخت تدريجاً عن الكرسي الانطاكي واستقلت . ومنها اسقفيات اخنى عليها الدهر فاندثرت ودخلت في خبر كان . ومن هذا القبيل سبع اسقفيات لبنانية غير التي سردنا اخبارها قد اضمحلت بتوالي الايام فغمّضنا عن وصفها وهي : برفورين وطرطوس وارواد وانطردس وبانياس وهرقلية وصرفند(٤) .

---

(١) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ١ سنة ١٩٢٦ صفحة ٢١٥ - ٢١٦

(٢) المجمع اللبناني : طبعة جونية : صفحة ٣٥٧ - ٣٦٠

(٣) الجدول الثالث المختصر نقلاً عن التختيكون : للمطران غريغوريوس عطا : مخطوطة المؤلف صفحة ٤ (فهرس مخطوطات الشرفة : صفحة ٩٣ ؛)

(٤) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ١ سنة ١٩٢٦ صفحة ٢٢٠ - ٢٢٣

الفصل الثامن

تنصر السريان في لبنان ومار شمعون العمودي

لم يكتف اجداد السريان ببث الدعوة النصرانية في سواحل لبنان الفونيقية بل اخذوا يتوغلون في جباله العالية ويغشون هضابه واوديته للكرازة بالانجيل ودعوة اهاليه الى الايمان المسيحي . بيد انهم لم يتمكنوا من حمل بعض اللبنانيين الوثنيين على اعتناق النصرانية قبل القرن الرابع كما اثبته كبار المؤرخين .

١ ـ تحويل هيكل الزهرة في افقا الى كنيسة

اول اثر نصراني في لبنان على ما اورده اوسابيوس القيصري وسوزيمس وغيرهما من المؤرخين هو هيكل الزهرة في افقا . وقد حوّله قسطنطين الكبير (٣٠٦ ـ ٣٣٧ م) الى كنيسة مسيحية تيمناً باسم السيدة العذراء . غير ان يوليانس الجاحد (٣٦١-٣٦٣ م) اعاد الكنيسة المذكورة الى اصلها الوثني . ولما جلس ارقاديوس (٣٩٥ ـ ٤٠٨ م) على عرش المملكة اصدر الاوامر عام ٣٩٩ بتقويض الهياكل الوثنية والغاء العبادة الباطلة . فاعيد هيكل الزهرة الى معبد مسيحي(١) وازداد عدد المسيحيين في الجبل اللبناني بمساعي ذلك القيصر المؤمن .

٢ ـ ذيوع اسم مار شمعون العمودي في لبنان

ذاع في تلك الغضون اسم شمعون العمودي الكبير الذي وُلد في صيص بجوار عينتاف احدى المدن السريانية . ثم هجر وطنه وتوجه الى انطاكية وانزوى

---

(١) تاريخ سوزيمس : كتاب ١ فصل ٥٨

في احد اديارها . وبعد هذا اقام له كرحاً محاطاً بسياج في مكان مشهور بين حلب وانطاكية يُعرف اليوم بقلعة سمعان . وقضى حياته على عمود ضخم وانتقل سنة ٤٦٠ للميلاد(١) الى راحة الابرار بعد اصوام وصلوات وعيشة قشفة لم يسبقه اليها احد من النسّاك والحبساء .

٣ ـ اقدم أثر لمار شمعون العمودي انما كتب في السريانية

ان اعمال هذا الناسك العظيم اطّلع عليها تلميذه قزما وكتبها عام ٤٧٤ بالسريانية في نحو ١٥٠ صفحة(٢) فذكر في ما ذكر قدوم الوفود الى كرْح مار شمعون من بلاد العرب وفارس وسوريا وارمينيا والعراق وقيليقيا ومصر وبوزنطيا يطلبون شفاعته في شفاء اسقامهم . وعن هذا الكاتب السرياني الشاهد العياني نقل سائر الكتبة سيرة مار شمعون العمودي الى لغاتهم .

٤ ـ اتصال اللبنانيين بمار شمعون العمودي

مما ورد في تلك السيرة ان جماً غفيراً من اللبنانيين الوثنيين قصدوا مار شمعون العمودي يتوسلون اليه ان يصلي الى الاله القدير ليزيل عنهم الحيوانات الضواري التي تفشت في جبلهم . فشرط عليهم وليّ الله ان ينبذوا عبادة الاوثان ويعتصموا بالدين المسيحي . فنادوا قاطبة بصوت حي قائلين : « اننا نعاهد قداستك باننا نتنصّر ونهدم اصنامنا وهياكلنا » .

اشفق ولي الله تعالى على اولئك اللبنانيين واخذ حفنة من التراب باركه ودفعه اليهم وامرهم ان يذروه على حقولهم . وان ينصبوا في حدود كل قرية من قراهم اربعة حجار ينقشون على كل منها ثلاثة صلبان . وان يستدعوا كهنة من المدن المجاورة لهم ويقيموا الصلوات مدة ثلاثة ايام فتضمحل تلك الحيوانات . فعاد اللبنانيون

---

(١) مختصر تاريخ الرها : المكتبة الشرقية : للسمعاني : مجلد ١ صفحة ٣٩٢

(٢) اخبار الشهداء والقديسين : طبعة بيجان : جزء ٤ صفحة ٦٤٨ والمكتبة الشرقية : للسمعاني : مجلد ١ صفحة ٢٣٩

الى اوطانهم وصنعوا كما امرهم مار شمعون . فانقطعت عنهم تلك الحيوانات وعادت الطمأنينة الى قلوبهم . واخذوا يتقاطرون زرافات الى طلب المعمودية .

٥ ـ انتشار النصرانية في لبنان على يد مار شمعون وتلامذته

واعتاد اللبنانيون بعد ذلك ان يختلفوا مراراً في السنة الى كِرح مار شمعون عربوناً لمعرفة الجميل يحملون اليه اولادهم لينالوا منه سر العماد(١) وعلى هذا الاسلوب انتشرت النصرانية في الجبال اللبنانية منذ القرن الخامس للميلاد على يد هذا الناسك البار وتلامذته السريان . ومما ساعد اولئك الدعاة على بث معتقدهم بين اهالي الجبل ما كان بين هؤلاء واولئك من وحدة الجنس ووحدة اللسان . فان المؤرخين كافة وفي طليعتهم يوحنا فم الذهب (٣٤٧ - ٤٠٧ م) وثئودوريط اسقف قورش (٤٢٠ - ٤٥٨ م) قد اجمعوا على ان جميع الدساكر المنتشرة في ضواحي انطاكية وفي جميع الامصار المجاورة لم يكن يتكلم اهاليها في تلك العصور الا باللغة السريانية دون غيرها .

٦ ـ تاسيس الكنائس والاديار الاولى في لبنان على يد رهبان من بلاد ما بين النهرين

مما يؤسف له ان مؤلف سيرة مار شمعون العمودي لم يصرّح باسماء القرى اللبنانية التي كان يثويها المسيحيون الذين تنصروا على يد مار شمعون ورهبانه . غير ان الآثار السريانية الثمينة حفظت اسماء رهبان كثيرين شخصوا الى لبنان من الرها وآمد وسميساط وغيرها . وأسسوا في نجاده ووهاده عدة كنائس وديورة . نذكر منهم الراهب الرهاوي وربولا السميساطي ومار ملكا والرئيس لاونطي الطوباوي ويعقوب الآمدي وحلفيَ الناسك والراهب العمودي واسطفان السلوقي وغيرهم كما سترى .

---

(١) اخبار الشهداء والقديسين : طبعة الاب بيجان : جزء ٤ صفحة ٥٩١ - ٥٩٢

القسم الثالث

اخبار السريان اللبنانيين في القرون الوسطى

الفصل الاول

المؤرخون السريان

خلف كتبة السريان جيلاً بعد جيل انفس المصنّفات في العلوم العقلية والنقلية. فأدوا بذلك خدماً جلى يذكرها لهم بالثناء ومعرفة الجميل كتّاب الشرق والغرب. وحسبنا ان نقتصر منهم على ذكر اسماء المؤرخين في القرون الوسطى وقد كتبوا تواريخهم باللغة السريانية واليك اخصهم :

اولا – المؤرخون حتى القرن العاشر

اشهر المؤرخين السريانيين حتى القرن العاشر هم : ١ – زكريا البليغ اسقف ملطيـة وقد أنهى تاريخه في السنة ٤٩١ للميـلاد ومنه نسخة محفوظة تحت الرقم ١٧،٢٠٢ في المتحف البريطاني ٢ – يوحنا تلميذ بطرس اسقف الكرج ٣ – يوحنا النحوي ٤ – قورا القس السروجيّ وقد بلغ بتاريخه الى السنة ٥٨٢ ميلادية. ٥ – يوحنا الآمدي اسقف اسيا الذي ختم تاريخه سنة ٥٨٥ للميلاد. ومن تاريخه هذا نسختان في المتحف البريطاني رقم الاولى ١٤،٦٤٠ ورقم الثانية ١٤،٦٤٧

كانت نساختها في القرن السابع ٦ ـ جورجي اسقف الكوفة ببلاد العرب ٧ ـ يوحنا العمودي اليثربي بلـغ بتاريخه حتى السنـة ٦٨٨ للميلاد ٨ ـ يعقوب الرهاوي (+ ٧٠٨م) صاحب التصانيف العديـدة ٩ ـ البطريرك ديونيسيوس التلمحري (٨١٨ ـ ٨٤٥) وله تاريخ نشره المستشرق شابو في باريس ١٠ ـ موسى النحلي المؤرخ في اوائل القرن الثامن ١١ ـ دانيـال بن موسى الطور عبـديني ١٢ ـ يوحنـا بن سموئيل ١٣ ـ ثئودوسيوس مطران الرها في القرن التاسع ١٤ ـ المؤرخ القرتميني في القرن التـاسع ١٥ ـ موسى بركيفا اسقف الموصل (+ ٩٠٣م) ١٦ ـ المؤرخ المغمور في اواسط القرن التاسع (١) .

ثانياً ـ المؤرخون حتى القرن السادس عشر

اولهم اغناطيوس الملطي (+ ١٠٩٠) ٢ ـ ايونيس مطران كيسوم (+ ١١٧١) ٣ ـ القسيس رومـانس الملطي (٢) وقد صار مطراناً على اورشليم (١١٣٩ ـ ١١٨٣) ٤ ـ باسيـل مطران الرهـا (١١١٨ ـ ١١٤٣) . ٥ ـ ديونيسوس يعقوب ابن الصليبي مطران آمد (+ ١١٧١) ٦ ـ المؤرخ الرهاوي في اواخر القرن الثاني عشر ٧ ـ البطريرك ميخائيـل الاول الكبير (١١٦٧ ـ ١٢٠٠) ٨ ـ المفريان غريغوريوس ابن العبري (١٢٦٤ ـ ١٢٨٦) ٩ ـ المفريان غريغوريوس برصوما (١٢٨٨ ـ ١٣٠٨) شقيق المفريان ابن العبري ١٠ ـ الشماس عبدالله البرطلي سنة ١٣٤٥ (٣) ١١ ـ البطريرك اغناطيـوس نوح البقوفـاوي (١٤٩٤ ـ ١٥٠٩) ١٢ ـ والقس أدي السبيريني متمم تاريخ ابن العبري سنة ١٥٠٢ (٤) .

---

(١) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية : للبطريرك افرام برصوم : صفحة ٣٤١

(٢) فهرس مخطوطات باريس السريانية : رقم ٥١ (٣) الخزانة المرقسية : رقم ١٠٩

(٤) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية صفحة ٤٥٣ ـ ٤٥٤

الفصل الثاني

عصر النهضة والانبعاث عند السريان

لم يتخلف السريان عن مباراة سائر الشعوب الراقية في عصور نهضتها الأدبية . فكان لهم في تلك الحلبة المجيدة قسطهم الوافر كما شهد أساطين المؤرخين وجهابذة المستشرقين . ومَن أمعن في اخبارهم تولاه الاعجاب من درجة الكمال التي بلغها ادباؤهم على اختلاف المذهب والانتساب . فانهم فتحوا منذ المائة الرابعة للتاريخ المسيحي عصراً سعيداً ذهبياً بما انشاؤه من المدارس الشهيرة وبمن أنجبوه من الكتّاب الاعلام وبما ابرزوه من التآليف الخالدة . وظلّ يسطع عصرهم الذهبيّ حتى القرن السابع (١) بل امتدّ الى القرن التاسع .ثم عادت فبزغت انواره في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (٢) .

هكذا اشتهرت ثقافة السريان وانتشرت حضارتهم من اطراف بلاد فارس الى آثور وما بين النهرين وبلاد الشام حتى سواحل البحر المتوسط : فماروثا الميافرقيني (+ ٤٢٠ م) الواسع الشهرة كان الوسيط الامين لعقد الصلح بين دولتي الروم والفرس .

وحظي عرش القياصرة في قسطنطينية بالملكة ثئودورا السريانية التي رفعت شأن الدولة بعوارفها وحسن سياستها . واتخذ اولئك القياصرة جهابذة السريان مساعدين لهم في شؤون المملكة . واحرز السريان نفوذاً خطيراً بين قبائل العرب قبل الاسلام ولاسيما في غسّان ونجران وتغلب ومعد وبني كلب وغيرهم .

---

(١) الآداب السريانية : تاليف روبنس دوفال : قسم ٢ صفحة ٣٣٧ - والاب لابور : الدين المسيحي في الدولة الفارسية : صفحة ٣٥١

(٢) اللمعة الشهية : للمطران يوسف داود : مجلد ١ صفحة ٢٠١ - ٢٠٣ - والمروج النزهية في آداب اللغة الآرامية : للاب اوجين منا : طبعة الموصل سنة ١٩٠١

واشتهر في الدولة الاموية برجوميا السرياني الرهاوي شهرة واسعة حسده عليها الكبير والصغير . فان الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ - ٧٠٥ م) ولاه الادارة المالية في القطر المصري . فكان عهده عهد خير وبركة واقبال(١) . وفي ايام الدولة العباسية تفجرّت ينابيع المعارف على يد علماء السريان وسالت الصحف باقلام مترجميهم ومصنّفيهم وفلاسفتهم واطبائهم .

وكان اولئك العلماء والاطباء يلازمون الخلفاء في بلاطهم ويجلسون الى مائدة طعامهم ويرافقونهم في اسفارهم وحروبهم . وكان الخلفاء بدورهم يجلّون اطباءهم السريان ويُسنون لهم اعطيات سخية ويعودونهم في منازلهم حين مرضهم . وكانوا يتسمّحون معهم في قضايا دينهم ويحضرون احياناً الصلاة عليهم بالشمع والبخور في جنازاتهم(٢) .

وعلاوة على انتشار السريان في شتي الاصقاع فانهم احرزوا في القرون الوسطى مكانة علمية وشهرة عالمية لدى اقطاب الدين والدنيا . وبهذه الوسيلة عمّت عقيدتهم شعوباً غير شعوبهم كالاقباط والاحباش والارمن والعرب وهنود الملبار وغيرهم .

وكان لبطاركة السريان وائمتهم في عصرهم الذهبي علاقات جديرة بالاعتبار مع اكاسرة الفرس وقياصرة الروم وسلاطين المسلمين وملوك الفرنج والملوك الارتقيين وملوك غسّان وملوك الكرج وامراء التتر . وتشهد تلك العلاقات التي يؤيدها التاريخ والتقليد بحذق السريان ونفوذ كلمتهم واصالة رأيهم . وحسبهم فخراً مدارسهم الذائعة الصيت التي تخرّج فيها عشرات الالوف من العلماء والاحبار والمؤلفين وكبار القوم واهل الفضل كمدارس قطسفون ونصيبين والرها وانطاكية وحدّياب وقنّسرين وقورس وملطية وقرتمين وزغبة وتلعدا وقرقفة وراس العين . ذلك كله حمل جمهوراً من الكتبة والمفكرين ان يسمّوا تلك الحقبة الزاهرة « عصر السريان الذهبي » .

---

(١) تاريخ الرهاوي : فصل ١٤٩ صفحة ١٨٩

(٢) تاريخ مختصر الدول : لابن العبري : صفحة ٢٤٣

الفصل الثالث

استقلال السريان استقلالاً بيعياً

١ - انتشار عقيدة الطبيعة الواحدة بين السريان

من اشد ما نُكبت به البيعة المسيحية ذلك النزاع المشؤوم الذي فصل بينها وبين شعب عظيم من السريان تشبثوا بعقيدة الطبيعة الواحدة . فكان ذلك دافعاً الى استقلالهم استقلالا بيعياً ببطريركهم واساقفتهم وشرائعهم وسائر شؤونهم . وعُرفوا من ذلك الحين باسم « سريان منوفيزيتيين » او « سريان ارثذكس » او « سريان قديم » او « سريان يعاقبة » نسبة الى المطران المسكوني يعقوب البرادعي مطران الرها (+ ٥٧٨ م).

من ذلك الحين انتشر السريان القائلون بالطبيعة الواحدة انتشاراً عجيباً غريباً لا في اقطار سوريا وما بين النهرين والعراق وبلاد فارس وجزيرة العرب والاصقاع المصرية والحبشية فقط بل في السواحل الفونيقية والجبال اللبنانية ايضاً . فان اجدادهم سبقوا جميع الملل النصرانية في استعمار سواحل لبنان وصروده كما دلت على ذلك آثارهم التي عنينا بجمعها وتدوينها في هذا الكتاب .

٢ - تشبث السريان بكتاب « هنوتيقون » المنسوب الى زينون الملك

يؤيد هذه الحقيقة كاتب معاصر ومؤرخ ثقة هو زكريا البليغ السرياني . فقد اثبت في تاريخه ما تعريبه قال : « عاد بطرس القصّار بطريرك انطاكية (٤٦٨ - ٤٧١ - ٤٨٨) الى كرسيه ثاني مرة عام ٤٧٧ وهناك عقد مجمعاً وكتب الى زميله

بطرس البطريرك الاسكندري « رسالة الاتحاد والاخوّة » وفيها صرّح بقوله : « اننا نحن الاساقفة القادمين من بلاد العرب ومن لبنان فونيقي ومن سوريا والفرات وقيليقيا ... لا غاية لنا الا الهدو والسلام . وقد كتب لنا الآن زينون الملك (٤٧٤ - ٤٩١) المحب السلام ان نوافق على كتابه « هنوتيقون » المتضمن حقيقة ايمان آبائنا القديسين في المجمع النيقاوي »(١) .

٣ - تغلب السريان في الامصار الشامية واللبنانية

بعدما استقل السريان ذلك الاستقلال البيعي بسبب عقيدتهم المخالفة لعقيدة المجمع الخلقيدوني المسكوني ظلت جماهيرهم الغفيرة متغلبة في الديار الشامية وفي لبنان مدة اجيال عديدة . وكانوا في تلك الحقبة اصحاب بطش وسطوة لهم الكعب الاعلى في جميع تلك النواحي(٢) .

٤ - تفوق بطريركية السريان باساقفة ابرشياتها وعدد شعبها

اما بطريركية السريان الانطاكية فكانت منذ عهد استقلالها حتى ايام الصليبيين اعظم بطريركيات الفرَق النصرانية في الشرق واهمها دون جدال . وفاق عددهم في تلك الحقبة عدد سائر الملل النصرانية في نفس مدينة انطاكية عاصمة الكرسي البطريركي . فأربى عدد الاساقفة السريان في تلك الازمنة على مائة وستين اسقفاً يخضعون كلهم لبطريركهم الانطاكي او لمفريان المشرق اللائذ به . وكان لكل من اولئك الاساقفة ابرشية خاصة برعايته . لان القوانين البيعية حرّمت تنصيب اسقف دون كرسي شرعي(٣) .

---

(١) تاريخ زكريا البليغ السرياني : راس ١٠ صفحة ١٨٤
(٢) تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار : جزء ٢ صفحة ٥١
(٣) الهدى لابن العبري : قسم ٧ فصل ١ صفحة ٧٦ - ٧٧

يتضح ذلك كله جلياً من فهارس اسماء الاساقفة والابرشيات الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير ومن التاريخ البيعي تأليف المفريان ابن العبري ومن غيرهما من الآثار التاريخية . وبالجملة فان الكتبة المدققين سرياناً وغير سريان اجمعوا على ان عدد السريان في القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد ناهز المليونين من النفوس (١) او أربى على المليونين كما روى فريق من المؤرخين .

الفصل الرابع

قدوم الموارنة الى لبنان

١ ـ تسيطر السريان على لبنان حتى القرن الثامن

لا جدال في ان الآرامية السريانيـة كانت لغة قدماء اللبنانيين كما مرّ بنـا الكلام . وعلى تعاقب الدول التي دوّخت لبنان في الأعصار السالفة استمرّ سكانه الآراميون متشبثين بلغة اجدادهم في جميع شؤونهم الدينية ومعاملاتهم المدنية . وما كاد يتبلج صبح القرن السابع للمسيح حتى اندرست معالم الوثنية من لبنان وتحوّلت هياكلها تدريجاً الى معابد نصرانية . ويعود اكثر الفضل في محق عبادة الاصنام من هذا الجبل الى بعض قياصرة الروم والى رهبـان سريانيين اشتهروا بالزهد وقداسة السيرة وجلائل الاعمال .

ففي العصور النصرانية الاولى لم يكن من المسيحيين في اعالي لبنان ووسوطه سوى السريان سكانه . واصبح اولئك السريان اللبنانيون منـذ القرن الخامس

---

(١) معجم التاريخ والجغرافية الكنسي : مقـال المستشرق كرلفسكي (كيرلس شارون) صفحة ٦١٣

فرقتين : فرقة خلقيدونية قائلة بطبيعتين في السيد المسيح وفرقة منوفيزيتية قائلة بطبيعة واحدة . ولم يتبدّل موقف المسيحيين في لبنان الا بدخول الموارنة اليه .

٢ ـ هجرة الموارنة الى لبنان وامتزاجهم بالسريان

قال الاب لامنس : « ان مبادىء تاريخ الموارنة الديني تشير صريحاً الى كون هذه الطائفة كانت اولا خارجاً عن لبنان . ومن المعلوم انها تنتسب الى القديس مارون وقد عاش القديس مارون في شمالي سوريا في البلاد الواقعة بين انطاكية وقورس . ثم نراها مواصلة سيرها في وادي العاصي في زمن لم نسمع لها بذكر في لبنان . ثم بعد ذلك بمدة نجد الموارنة يتوقلون في هذا الجبل مهاجرين اليه من الشمال ونواحي سوريا المتوسطة ... فاجتازوا افاميا وحماة وحمص الى ان قرّ قرارهم في الجبل . فسكنوا اولا جهاته الشمالية ثم تقدموا الى اواسطه ثم بلغوا جنوبه ... ولما كثر عدد الموارنة في القرون الثامن والتاسع والعاشر(١) اخذوا شيئاً فشيئاً في الامتداد الى الجنوب ... وقد لقي الموارنة في تلك النواحي قوماً من اهل البلاد كانوا يسكنون السواحل والوسوط . . . وكان اكثرهم نصارى يتكلمون باللغة الآرامية ويقيمون فيها طقوسهم الدينية . وعندنا ان هؤلاء الآراميين لم يلبثوا ان يمتزجوا بعد قليل بالموارنة امتزاج الماء بالراح(٢) . »

---

(١) لعل الاب لامنس استند في قوله « القرن التاسع والعاشر » الى تصريح المطران جبرائيل القلاعي في خاتمة زجليته التاريخية حيث قال :

كملت بالدموع انكتبت — ومن التواريخ اتخذت
عن ستمائة عام حصلت — عهد مارون في جبل لبنان

(٢) تسريح الابصار : جزء ٢ صفحة ٥١ ـ ٥٣

٣ ـ استئناس الموارنة بالسريان اللبنانيين اخوانهم في اللغـة والجنس

يتلخص مما سبق ان الموارنة الذين نشأوا في اواخر القرن السابع المسيحي(١) وانتزحوا الى لبنان استأنسوا بالسريان ابناء البلاد الاصليين الذين رحّبـوا بهم ترحيبهم باخوان لهم في اللغة والجنس . فآلفوهم وصاهروهم وآكلوهم وشاربوهم وامتزجوا بهم وتحدثوا معهم باللغة السريانية التي كانت دارجة بين الفريقين وفيها كانا يقيمان الشعائر الدينية .

تلك حقيقة تاريخية راهنة يصدع بصحتها كل مَن له المام بتاريخ الامم الشرقية . ويقرّر ان سكان لبنـان عند دخول النصرانية اليـه لم يكونوا الا سرياناً(٢) . وبالتالي ان السريان المسيحيين استعمروا لبنان قبل سائر الامم النصرانية .

الفصل الخامس

اسقفيات السريان اللبنانية في القرون الوسطى

١ ـ تعداد ابرشيات السريان اللبنانية في القرون الوسطى

ما كادت تذيع عقيدة المجمع الخلقيدوني المسكوني بالطبيعتين وتنتشر في سوريا ولبنان حتى ناهضها فريق من الاساقفة السريان تمسكوا تمسكاً شديـداً بالقول

---

(١) المجلة البطريركية : للخوري بولس قراألي : مجلد ٥ سنة ١٩٣٠ صفحة ٥١٣

(٢) تاريخ اهدن : لسمعان خازن : جزء ٢ صفحة ٢٥٥

بالطبيعة الواحدة . وقد حفظ لنا المؤرخون اسماء جمهور من هؤلاء الاساقفة اقاموا في اللاذقية وفي سلوقيا وفي الكنيسي وجونية حتى القرن التاسع . وتسلسل اساقفة السريان ايضاً في بعلبك حتى القرن الحادي عشر . اما اساقفتهم في عرقا فقد ساسوا ابرشيتهم دون انقطاع حتى اواسط القرن الثاني عشر . وتسلسل اساقفتهم في عكا حتى القرن الخامس عشر وفي الحدث حتى القرن السادس عشر وفي طرابلس حتى القرن السابع عشر .

٢ – تصريح البطريرك سركيس الرزي بقدامة السريان في لبنان

اثبت بعض المؤرخين وفي جملتهم مرهج نيرون الباني الماروني (+ ١٧١١) ان أقدام السريان ظلّت راسخة في لبنان منذ العصور الغابرة . فروى ان البطريرك سركيس الرزي (١٥٨١ – ١٥٩٦) كتب الى الكردينال انطون كرافا بتاريخ ٢٥ آب ١٥٨٣ ما يلي : « كتب اليكم بعض الناس ان في كتبنا بعض كلمات تخالف رأس الكنيسة المقدسة . فنحن لا نقبل الا ما تقبله الكنيسة المقدسة . وما يوجد في بعض النسخ يمكن ان يكون أدخل على كتب الموارنة من كتب الملل المحدقة بنا من زمان مديد »(١) . ولا شك ان البطريرك سركيس عنى بهذا القول ملّة السريان خصوصاً لوفرة عددهم في انحاء لبنان . فضلاً عما وزّعوه من الكتب واذاعوه من التعاليم وشيدوه من الاديار والكنائس .

والى القارىء اسماء مَن عثرنا عليهم من اساقفة السريان في الابرشيات السريانية والسواحل الفونيقية منذ القرن السادس حتى القرن السابع عشر .

---

(١) الجامع المفصل في تواريخ الموارنة المؤصل : للمطران يوسف الدبس : عدد ٣٤ صفحة ٢١٦

الفصل السادس

اساقفة السريان في عرقا

١ ـ اهمية اسقفية عرقا السريانية

يُعدّ كرسي اسقفية عرقا من اقدم كراسي الاسقفيات السريانية واوسعها . وكانت ولاية راعيها تشتمل على قرى عامرة مأهولة بالسريان وما برحت اسماؤها حافظة صبغتها السريانية الاصلية حتى الآن . نذكر منها : شدرا وعينتقد والرحبة وخربة الرمان وشربيلا وحوشب وقرقف وقعبرين وكفرنون وكينيسا وكفر ملكا وكويخات ومجدلا ومِشحا الخ . وفي تلك القرى السريانية وفي غيرها ايضاً اسس السريان كنائس واديارا حبسوا لها اوقافاً حُفظت اسماء بعضها في قيود السلف . واخص ما بقي منها بين ايدينا سجل دير مار موسى الحبشي الكبير في النبك .

٢ ـ اساقفة عرقا من السنة ١٠٠٤ حتى السنة ١٢٠٠

واصل بطاركة السريان الانطاكيون ينصبون اساقفة لملتهم في كرسي عرقا حتى سلخ القرن الثاني عشر . وأول مَن وقفنا على اسمه هو باسيل الاول اسقف عرقا الذي وضع عليه اليد البطريرك اثناسيوس الخامس (٩٨٧ ـ ١٠٠٣) . وقد ورد ذكره في مخطوط سطرنجيلي نفيس نسخ سنة ١٣٠٤ للاسكندر (٩٩٣م) على رق الغزال . وانطوى هذا المخطوط على ضبط نصوص قراآت الكتاب المقدس وكتب ملافنة البيعة(١) . ثم ان يوحنا العاشر البطريرك (١٠٠٤ ـ ١٠٣٠ م)

---

(١) المجلة البطريركية السريانية : مجلد ٦ سنة ١٩٣٩ صفحة ١٤٨ ـ ١٤٩

نصب لعرقا اسقفاً يقال له اسحق[١] . وهو الخامس عشر في عـداد اساقفته . لكن هـذا الاسقف هجر السريان المنوفيزيتيين وانضم الى السريان الملكيين كما اثبت ميخائيـل الكبير في ملحق تاريخه والمفريان ابن العـبري في كلامه عن البطريرك يوحنا العاشر المومأ اليه .

وبعد الاسقف اسحق اقام البطريرك ديونيسيوس الرابع (١٠٣٢ - ١٠٤٢) اسقفين لعرقا احدهما تلو الآخر : اولهما يوحنا وهو الثالث في لائحة الاساقفة الذين نصبهم . وثانيهما باسيل الثاني وهو الثالث والعشرون في اللائحة المذكورة . ثم ان البطريرك يوحنا الحادي عشر (١٠٤٢ - ١٠٥٧) وضع اليد عـلى باسيل الثالث اسقف عرقا . اما البطريرك اثناسيوس السادس (١٠٥٨ - ١٠٦٤) فقد نصب لعرقا اسقفين : اولهما اغناطيوس الاول وثانيهما بطرس ابن الطويل الذي سلك مسلك اسحق اسقف عرقا سالفه فانضم الى السريان الملكيين .

وذكر مؤرخو السريان ان قسطنطين الحـادي عشر ملك الروم (١٠٥٩ - ١٠٦٧) كتب الى البطريرك اثناسيوس السادس المشار اليـه في التوجه الى قسطنطينية . فغادر البطريرك ملطية مركزه تلبية لطلب القيصر . ولكنه ما وصل الى عرقا حتى ادركته المنون عام ١٠٦٤ فشيعه الاساقفة والاقليرس وتلوا عليه صلوات الجناز الطقسية في كنيسة مار نوهرا بعرقا . وبعـد هذا نقلوا جثمانه الى دير مار اهرون بجوار سنجار[٢] .

ولما تأيد في الكرسي الانطاكي يوحنا الثاني عشر (١٠٦٤ - ١٠٧٣) نصب لعرقا اسقفاً يقال له ايونيس وهو الثـامن في لائحة اساقفته . ثم اقام البطريرك

---

(١) تاريخ الرهاوي : صفحة ٦٣ والمكتبة الشرقية للسمعاني : مجلد ٢ صفحة ٣٥٣ وكتاب « الملكيون » : صفحة ٤٩

(٢) الزهرة الزكية في البطريركية السريانية الانطاكية : للخوري اسحق ارملة : صفحة ٥١ - ٥٤

يوحنا الثالث عشر (١٠٧٥ - ١٠٩٥)(١) اسقفاً لغرقا اسمه ابدوكس . ونصب البطريرك اثناسيوس السابع (١٠٩١ - ١١٢٩) اسقفاً لعرقا يقال له اغناطيوس الثاني وهو الحادي والستون في مصاف اساقفته . وخلفه الاسقف اغناطيوس الثالث وهو الثاني والعشرون في عداد اساقفة البطريرك اثناسيوس الثامن (١١٣٩- ١١٦٦) . وقد حضر اغناطيوس الثالث المذكور مع ثمانية وعشرين مطراناً الاحتفال بترقية ميخائيل الكبير الى الكرسي الانطاكي عام ١١٦٧ في دير برصوما الكبير بجوار ملطية(٢) . .

الفصل السابع

اساقفة السريان في كنيسي

كنَيسي اصلها في السريانية « كينيسا » حرّفها العامة فقالوا « كنَيسي » وهي بلدة تابعة لقضاء عكار في لبنان الشمالي كانت عامرة بالسريان في الزمان الغابر. ولذلك جعلها بطاركتهم كرسياً اسقفياً .

وخلّفت لنا التواريخ اسماء بعض اساقفة تولوا رعاية ابرشية كنيسي نذكر منهم اسقفين وضع اليد عليهما البطريرك ديونيسيوس الاول التلمحري (٨١٨ - ٨٤٥ م) : احدهما الاسقف يوحنا جادودا وهو الثاني والستون من اساقفته . وثانيهما الاسقف جبرائيل احد رهبان دير رفين وهو الثامن والسبعون من اساقفته(٣) .

---

(١) نصب يوحنا الثالث عشر المعروف بابن عبدون بطريركاً عام ١٠٧٥ واستغرقت بطريركيته عشرين سنة . وفي ايامه قام على السريان اربعة بطاركة وهم : ديونيسيوس الخامس (١٠٧٧ - ١٠٧٩) ويوحنا الرابع عشر (١٠٨٦ - ١٠٨٧) وديونيسيوس السادس (١٠٨٨ - ١٠٩٠) واثناسيوس السابع (١٠٩١ - ١١٢٩) (٢) لائحة الاساقفة الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير .

(٣) لائحة الاساقفة الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير

الفصل الثامن

اساقفة السريان في بعلبك

١ ـ اساقفة بعلبك من السنة ٧٩٠ حتى السنة ١٠٥٠

يُقرأ في لائحة الاساقفة الذين نصبهم البطريرك يوسف (٧٩٠ ـ ٧٩٢ م) اسم انتيما اسقف بعلبك في القرن الثامن . وذكر المؤرخان ميخائيل الكبير والمفريان ابن العبري ان ثئودوسيوس اسقف بعلبك وضع اليد على قرياقس البطريرك في كنيسة حرّان بجوار الرها . وهذا البطريرك قرياقس (٧٩٣ ـ ٨١٧) رقى الى كرسي بعلبك الاسقف سرجيس الاول وهو الحادي والستون في مصاف اساقفته . وخلفه الاسقف يعقوب الاول وهو الرابع عشر في عداد اساقفة البطريرك اغناطيوس الثاني (٨٧٨ ـ ٨٨٣) . ثم تولى الكرسى البعلبكي الاسقف قرياقس وهو عاشر اساقفة البطريرك ديونيسيوس الثاني (٨٩٦ ـ ٩٠٩) . وخلفه في كرسي بعلبك الاسقف اثناسيوس وهو الحادي والعشرون بين اساقفة البطريرك باسيل الاول (٩٢٣ ـ ٩٣٥) .

وذكر المفريان ابن العبري ان سرجيس (الثاني) اسقف بعلبك السرياني وضع اليد على البطريرك يوحنا التاسع (٩٦٥ ـ ٩٨٦) . وتولى بعده ابرشية بعلبك كرسطوذلس ثامن اساقفة البطريرك اثناسيوس الخامس (٩٨٧ ـ ١٠٠٣) . وخلفه الاسقف يعقوب الثاني وهو الحادي والثلاثون بين اساقفة البطريرك اثناسيوس المشار اليه . ونصب البطريرك ديونيسيوس الرابع (١٠٣٢ ـ ١٠٤٢) اسقفاً لبعلبك يقال له ايونيس . ولم نعثر بعده على اسم اسقف للسريان في بعلبك في ما طالعناه من التواريخ .

٢ ـ أستقرار السريان في بعلبك وضواحيها حتى القرن الثامن عشر

ظلت مدينة بعلبك وبعض قراهـا مأهولة بشعب سرياني حتى القرن الثامن عشر . يدلنا على ذلك سجل قديم اشتمل على جريدة اوقاف دير مار موسى الحبشي بجوار النبك . فانه عدّد عقارات شتى حبسها السريان عـلى رهبان هذا الدير في قرى بشوات ونيحا والفيكة (فاكية) والراس وقرية العين وشعيبة وغيرها من القرى المجاورة لبعلبك .

الفصل التاسع

اساقفة السريان في اللاذقية

١ ـ اساقفة اللاذقية من السنة ٥١٢ حتى القرن التاسع

كانت اللاذقية في عداد الابرشيات الاسقفية القديمة عند السريان . وتولى رئاستها البيعية في القرون الوسطى عدة اساقفة نذكر في طليعتهم نيقيـا او نقولا الذي حضر حفلة سيامة البطريرك سويرا الاول عام ٥١٢ في انطاكية (١) . ومنهم الاسقف قسطنطين الاول الذي حالف اربعة اساقفـة سريانيين ونادوا بيعقـوب البرادعي اسقف الرها مطراناً مسكونياً (+ ٥٧٨ م) . وجرى ذلك في قسطنطينية عاصمة قياصرة الروم في عهـد البطريرك سرجيس التلي (٥٣٨ ـ ٥٤١ م) (٢) .

---

(١) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني : رقم ١٢،١٥٥ صفحة ١٦١ وهذا المخطوط منسوخ في القرن الثامن

(٢) لائحة الاساقفة الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير . وابن العبري : تاريخ البيعي : مجلد ١ في كلامه عن البطريرك سرجيس التلي

وعرفنا بعده الاسقف ديمط الذي نصبه المطران يعقـوب البرادعي (١) . ومن مشاهير اساقفة اللاذقية قسطنطين الثاني في القرن التاسع للميلاد . وقد رقّاه الى تلك المرتبة البطريرك ديونيسيوس الاول (٨١٨ - ٨٤٥) المؤرخ السرياني المعروف بالتلمحري نسبة الى « تل محر » على ساحل نهر الفرات . ويُعدّ قسطنطين المشار اليه الاسقف الثلاثين بين الاساقفة التسعة والتسعين الذين وضع عليهم اليد ذلك البطريرك الخطير .

٢ - اشتراك ثمانية واربعين اسقفاً في سيامة البطريرك ديونيسيوس التلمحري

اتحفنا صاحب الغبطة مار اغناطيوس افرام الاول برصوم بطريرك السريان الارثودكس بنبذة نفيسة « في انتخاب سلفه مار ديونيسيوس الاول التلمحري » بطريرك انطاكية . واستند فيها الى مخطوطة ثمينة فريدة كتبت على رق الغزال في اواسط المائة التاسعة للميلاد عثر عليها في « باسبرينا » احدى قرى طورعبدين . وهي تشتمل على اسماء الاساقفة الذين التأموا في الكنيسة الكبرى بالرقة عـلى الفرات عام ٨١٨ للميلاد . وانتخبـوا هناك للاريكة البطريركية ديونيسيوس التلمحري المشار اليه . ونظراً الى مشقّات السفر في تلك العصور لم يتيسر حضور الانتخاب من مجموع اساقفة السريان البالغ عددهم زهاء مائة وستين الا لثمانيـة واربعين اسقفاً فقط(٢) .

---

(١) تاريخ يوحنا الافسوسي : جزء ٢ صفحة ٣٧٠

(٢) المجلة البطريركية بالقدس : سنة ١٩٤٠

الفصل العاشر

اساقفة السريان في سلوقيا

من قدماء اساقفة السريان الذين تولوا كرسي سلوقيا (السويدية) الاسقف نونا الذي احصاه ميخائيل الكبير بين الاساقفة الذين ناهضوا تعليم المجمع الخلقيدوني (١) . وبينهم ايضاً الاسقف اوجين الذي نصبه المطران يعقوب البرادعي (+ ٥٧٨) على كرسي سلوقيا بلبنان في القرن السادس(٢) . وعرفنا بعده نوحا اسقف سلوقيا الذي استعفى من كرسيه وعاد الى آمد مسقط راسه . فعاش في بيت والديه لانه كان من ذوي الجاه واليسار(٣) . وعرف بعد ذلك تدّى اسقف سلوقيا الذي وافق سنة ١١٠٩ للاسكندر (٧٩٨ م) على تحديد امانة البطريرك قرياقس (٧٩٣ - ٨١٧)(٤) . وقام بعده الاسقف ثئودوسيوس الذي عاش في اوائل القرن التاسع للميلاد . وقد حضر اصالة عن نفسه ونيابة عن طيمثاوس مطران اورشليم مجمع الاساقفة الذين انتخبوا البطريرك ديونيسيوس الاول التلمحري للكرسي الانطاكي في كنيسة الرقة(٥) .

وعرفنا من اساقفة السريان في سلوقيا اهرون الذي وضع عليه اليد البطريرك يوحنا الخامس (٨٤٧ - ٨٧٤) خليفة ديونيسيوس المشار اليه . ويعدّ اهرون تاسع الاساقفة الذين رقّاهم ذلك البطريرك الى مختلف الابرشيات وقد بلغ عددهم اربعة وثمانين اسقفاً(٦) .

وقام في كرسي سلوقيا بعد هؤلاء الاساقفة اساقفة غيرهم واصلوا سياسة الابرشية كأسلافهم . غير اننا لم نتوفق الى العثور على اسمائهم واخبارهم .

---

(١) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٢٦٦ (٢) تاريخ يوحنا اسقف اسيا : صفحة ٣٧٠

(٣) تاريخ زكريا البليغ السرياني : راس ٥ ميمر ٨ صفحة ٢٤٧ طبعة لندن سنة ١٨٧٠

(٤) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني : رقم ١٧،١٤٥ (٥) نبذة في انتخاب مار ديونيسيوس الاول التلمحري : للبطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم : صفحة ٤ - ٥

(٦) لائحة الاساقفة الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير

الفصل الحادى عشر

اسقفية السريان فى جونية

١ ـ اسقفية جونية في القرن التاسع

جونية فرضة لبنانية بهيجة على ساحل البحر الفونيقي بين نهر ابراهيم ونهر الكلب . وليس في كل السواحل الفونيقية خليج اجمل واحكم من خليجها . واسمها سرياني بحت معناه « زوايا » . وظلت جونية قرية صغيرة مدة اجيال ثم اخذ الناس يؤمونها من الاطراف ويؤسسون فيها الابنية منذ القرون الوسطى . وذكر ميخائيل الكبير في لائحته التاريخية ان ديونيسيوس الاول التلمحري بطريرك السريان نصب لجونية اسقفاً يقال له « روبيل » وهو الثاني والاربعون في عداد اساقفته (١).

٢ ـ استقرار السريان في جونية دون سائر النصارى

ومما لا ريب فيه ان السريان ظلوا اجيالا عديدة مستوطنين جونية وواصلوا اقامتهم فيها الى ما بعد القرن الثالث عشر . يؤيد ذلك ابو عبدالله المعروف بالشريف الادريسي المؤرخ المشهور بقوله : « جونية حصن على البحر وأهله نصارى يعاقبة » (٢) .

هكذا سبق السريان المنوفيزيتيون او اليعاقبة فاستقروا في ثغر جونية قبل ان يسكنها غيرهم من النصارى . ومن المعلوم ان الموارنة لم تكن ابنيتهم قبل

---

(١) لائحة الاساقفة الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير

(٢) الادريسي : صفحة ١٧ طبعة غلدميستر

القرن الخامس عشر تتعدى نهر ابرهيم الى الجنوب كما قرّر مؤرخوهم(1) . وكَتب الاب هنري لامنس ما نصه : « وعندنا ان الموارنة لم يتوطنوا كسروان قبل القرن السادس عشر . وهو قول يمكن تأييده بأدلة عديدة »(2) .

ولسنا ندري مصير اولئك السريان الذين مكثوا حقبة مديدة في جونية وضواحيها . لكننا نرجح بل نعتقد انهم اندمجوا بتمادي الايام في الملة المارونية كما اندمج فيها غيرهم في اماكن شتى .

الفصل الثاني عشر

اساقفة السريان في عكا

١ ـ زيارة البطريرك ميخائيل الكبير ابرشية عكا ومقابلته للملك بغدوين

جاء في اخبار بطاركة السريان انهم كانوا كلما حجّوا الاراضي المقدسة تعهدوا ابناء جماعتهم في السواحل اللبنانية وفي جملتها ابرشية عكا . وذكر ميخائيل الكبير انه زار في عكا بغدوين الملك الفتى واطلعه على رسالة وجهها اليه البابا اسكندر الثالث (١١٥٩ ـ ١١٨١) . فابتهج الملك غاية الابتهاج وبالغ في تكريم البطريرك ودفع اليه كتاب توصية الى نائبه في اورشليم(3) .

---

(١) المشرق : مجلد ١ سنة ١٨٩٨ صفحة ١١٨ – والمشرق : مجلد ٢ سنة ١٨٩٩ صفحة ٥ ؛
(٢) تسريح الابصار : جزء ١ صفحة ٨٢ (٣) الحروب الصليبية في الآثار السريانية : صفحة ١٥٦ وتاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٧١٩

٢ ـ اخبار اساقفة عكا

ذكر ابو الفرج الملطي المعروف بابن العبري في تاريخه البيعي السرياني ان البطريرك داود وهو اغناطيوس الثالث (١٢٢٢ ـ ١٢٥٢) رقى الى الرتبة الاسقفية كلًا من الراهبين صليبا بن يعقوب الرهاوي ويوحنا بن اهرون الملطي . فنادى بالاول اسقفاً على عكا ونصب الثاني وهو ابو الفرج ابن العبري اسقفاً لكرسي جوباس المجاورة لملطية . وتم ذلك في كنيسة السريان بانطاكية في ١٤ ايلول ١٢٤٦ للميلاد . وهذان الاسقفان كلاهما اكملا علومهما في مدرسة طرابلس الشهيرة . ثم تفرغ احدهما وهو ابن العبري لوضع التآليف الجمة في شتى العلوم العقلية والنقلية نضرب عن وصفها صفحاً لشهرتها .

وذكر ابن العبري نفسه ان اثناسيوس يشوع مطران عكا السرياني سار الى انطاكية وزار بطريركه يوحنا السابع عشر (١٢٥٣ ـ ١٢٦٣) وهو العلامة المشهور بابن المعدني . ولا حاجة الى تعريف هذا البطريرك الذي كان من افاضل كتبة عصره وجهابذتهم شعراً ونثراً .

وفي مخطوطة سريانية نسخت في القرن الثالث عشر وهي تخص المتحف البريطاني[١] وتتضمن سبعين خبراً من اخبار العذراء والدة الله والقديسين ورد ما تعريبه : « نقلنا هذه الاخبار عن كتاب كنيسة مار بطرس في عكا . وارسلناه مع الراهب عزيز ... كتبه يوحنا السجستاني ... طالع هذا المخطوط الاسقف بولس تلميذ مار فيلكسين اسقف حماة وطرابلس وحردين بجبل لبنان سنة ١٨٢١ لليونان (١٥١٠ م) » . فاستنتجنا من هذا التصريح : اولا ان السريان كان لهم في عكا كنيسة على اسم مار بطرس . ثانياً ان جماعتهم السريانية ظلّت الى القرن السادس عشر زاهرة في تلك المدينة او الى ما بعد ذلك التاريخ .

---

(١) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني : رقم ١٤،٧٣٢

الفصل الثالث عشر

اساقفة السريان في الحدث

اولا ـ الرهبنة السريانية في الحدث منذ القرن الخامس

الحدث او « حدث الجبة » بلدة لبنانية عريقة في القدم تطلّ على وادي قديشا وتعدّ من اعلى قرى لبنان . وهي مجاورة للديمان مقرّ البطريركية المارونيـة في فصل الصيف وارتفاعها فوق سطح البحر ١٤٥٠ متراً .

ورد ذكر « الحدث » في مخطوطة سريانيـة موسومة بالرقم ١٤،٥٤٢ من مخطوطات المتحف البريطاني والتي يرتقي عهد نساختها الى السنة ٨٢٠ للاسكندر (٥٠٩ م) . وكتب هذه المخطوطة الراهب يعقوب الآمدي في « دير الحدث » بلبنان في عهد رئيسه لاونطي الحدثي السرياني الموصوف بمناقبه الرهبانية . وقد دوّن له المؤرخ المشهور يوحنا الآمدي اسقف اسيا ترجمة عنوانها « سيرة الطوباوي لاونطي الفاضل ولي الله »(١) . وسيأتي ذكر دير الحدث في فصل خصصناه بوصف اديار السريان القديمة في لبنان .

ثانياً ـ اساقفة الحدث من السنة ٧٩٣ حتى السنة ١٥٣٧

حفلت « الحدث » وضواحيها بالسريان حتى ان بطاركتهم جعلوها كرسياً اسقفياً تسلسل فيه الاساقفة بلا انقطاع حتى القرن السادس عشر . واليـك اسماء مَن عرفناهم من اولئك الاساقفة :

١ ـ ايليا الاول

هو الثامن والثلاثون من الاساقفة الذين وضع عليهم اليد البطريرك قرياقس

---

(١) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني : رقم ١٤،٦٤٧ وهي مخطوطة نسخت عام ٦٨٨ للميلاد

(٧٩٣ - ٨١٧ م) . وكان ايليا الاسقف الثاني والعشرين بين الاساقفة التسعة والاربعين الذين انتخبوا البطريرك ديونيسيوس الاول التلمحري (٨١٨ - ٨٤٥ م)(١) . واشتركوا في حفلة تنصيبه بطريركاً بكنيسة الرقة الكبرى اي كنيسة قلنيقس على ساحل الفرات .

٢ - جرجي

نصّبه اسقفاً على الحدث البطريرك ديونيسيوس التلمحري . وهو الرابع والستون في عداد اساقفته الذين بلغ عددهم تسعة وتسعين اسقفاً(٢) . وكان الاسقف جرجي من رهبان دير « الجب الخارجي » احد اديار السريان الزاهرة بضواحي انطاكية .

٣ - اغناطيوس

هو الثاني والعشرون بين الاساقفة الذين رقّاهم البطريرك يوحنا الخامس (٨٤٧ - ٨٧٤ م) وعينه لرعاية السريان في ابرشية الحدث .

٤ - ايليا الثاني

يُعدّ ايليا الثاني اسقف الحدث عاشر الاساقفة الذين سامهم اغناطيوس الثاني بطريرك السريان الانطاكي (٨٧٨ - ٨٨٣ م) .

٥ - قزما

هو خامس الاساقفة الذين تولوا رعاية ابرشية الحدث والثامن والعشرون بين اساقفة البطريرك ديونيسيوس الثاني (٨٩٦ - ٩٠٩ م) .

---

(١) صفحة جميلة من التاريخ السرياني في عصر الكنيسة الذهبي : بقلم البطريرك اغناطيوس افرام برصوم : صفحة ٥ (٢) لائحة الاساقفة الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير

٦ ـ غريغوريوس الاول

اتشح بالاسكيم الرهباني في احد اديار جبل الرهـــا . ونصبه البطريرك ديونيسيوس الثاني المشار اليه اسقفاً للحدث . وهو الثاني والثلاثون في عـداد اساقفته .

٧ ـ شمعون

تربّى شمعون في دير مار يعقوب المجاور لكَيسوم . وهو سابع الاساقفـة الذين وضع اليد عليهم البطريرك باسيل الثاني (٩٢٣ ـ ٩٣٥ م) .

٨ ـ غريغوريوس الثاني

رقّاه الى اسقفية الحدث البطريرك باسيل الثاني المومأ اليـه . وهو الخامس والعشرون في سلسلة اساقفته .

٩ ـ ابرهيم

قرأ العلوم في دير مار زكّى المجاور لدير العمود او دير « الاكراح » الذي ابتنته الملكة ثئودورا السريانية على شاطىء الفرات . وقد تخرّج في كلا الديرَين رهط غفير من الاحبار والعلماء والفضلاء . واثبت ميخائيل الكبير اسم الاسقف ابرهيم في جملة الاساقفة الذين سامهم البطريرك يوحنا السابع (٩٣٦ ـ ٩٥٣ م) وهو سابع اساقفته .

١٠ ـ ديونيسيوس

اقامه اسقفاً على الحدث يوحنا التاسع البطريرك (٩٦٥ ـ ٩٨٦ م) وهو الثاني عشر في سلسلة اساقفته .

١١ - باسيل

بدأ حياته الرهبانية في دير ماراهرون القديم العهد والواقع في نواحي سنجار. وقد كافأه على علمه وفضيلته البطريرك ديونيسيوس الرابع (١٠٣٢ - ١٠٤٢ م) فرقّاه الى كرسي اسقفية الحدث . وهو الحادي عشر بين اساقفته .

١٢ - ايونيس

هو الثالث بين الاساقفة الذين رقّاهم البطريرك يوحنا الحادي عشر (١٠٤٢- ١٠٥٧ م) وفوّض اليه تدبير ابرشية الحدث . وكانت مدته قصيرة في سياسة هذا الكرسي الاسقفي .

١٣ - طيمثاوس

قرأ العلوم في دير برجاجي بنواحي ملطية العامرة بالسريان . وقد نبغ منها علماء اعلام اغنوا المكتبات بتصانيفهم الوافرة كاغناطيوس وورمانس المؤرخين، ويعقوب ابن الصليبي، وميخائيل الكبير، والمفريان ابن العبري وغيرهم . وتفرّد طيمثاوس بعلمه وفضيلته حتى استحق ان يرقّيه البطريرك يوحنا الحادي عشر المذكور آنفاً الى الرتبة الاسقفية على قاسطرة الحدث . ويعدّ طيمثاوس تاسع اساقفة هذا البطريرك .

١٤ - غريغوريوس يوسف الكرجي (١٥١٠ - ١٥٣٧)

الى هنا انتهى ما وقفنا عليه من اساقفة كرسي الحدث طبقاً للوائح البطريرك ميخائيل الكبير . وظل بطاركة السريان يقيمون رعاة للكرسي المذكور لم تتصل بنا اسماؤهم لِما احاط باخبارهم من الغموض وما انتاب الامّة السريانية من كوارث الدهر . وعلى اثر تلك الكوارث اخذ البطاركة يُلحقون كرسي الحدث

بكرسي ابرشية طرابلس او بغيرها من الابرشيات . وقد حفظت لنا خزانة كمبردج مخطوطاً سريانياً يتضمن « اخبار القديسين » ورد فيه ما نصه : « لما كان تاريخ سنة ١٨٣٠ للاسكندر (١٥١٩ م) في شهر آب كان الاب المطران يوسف الكرجي مار غريغوريوس مطراناً على القدس والشام وعين حليا وعين حور ونصف صدَد وقرية الحدث ... »(١) . ذلك برهان جلي على ان السريان كانوا لا يزالون مقيمين في الحدث او حدث الجبة حتى القرن السادس عشر .

الفصل الرابع عشر

اساقفة السريان في طرابلس

اولا ـ كنائس طرابلس السريانية

اشتهرت مدينة طرابلس في القرون الوسطى بمدارسها وكنائسها ومكتباتها . وابتنى السريان فيها عدة كنائس عرفنا منها خمساً : الاولى كنيسة لاونطي الشهيد وقد تعمذ فيها سويرا(٢) . الثانية : كنيسة مار بهنام الشهيد الكبرى شيّدت عام ٩٦١ للمسيح واتخذت مركزاً لراعي الابرشية . الثالثة : كنيسة مار ...وس وكانت عامرة عام ١١٩٦ للميلاد · الرابعة : كنيسة سيدة الحارة في القرن السادس عشر . الخامسة : كنيسة العذراء والدة الله في القرن السابع عشر . وذكر ابن العبري « ان غلاء شديداً حلّ عام ٩٦١ في الموصل فاضطر خلق كثير بداعي المجاعة ان يرتحلوا عنها الى سوريا وبغداد . اما المسيحيون فانتزحوا الى مدن ساحل البحر »(٣) .

---

(١) فهرس مخطوطات كمبردج : رقم ٢٨٨١ (٢) راجع هذا الكتاب : قسم ٦ فصل ٩ رقم ١ (٣) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ١٨٤

ثانياً ـ اساقفة طرابلس من السنة ١١٢٥ حتى السنة ١٣٦١ وزيارة بعض البطاركة لابرشيتها

تكاثر عدد السريان في طرابلس فرأى البطاركة ان يقيموا لهم مطراناً يسكن عندهم او يتفقدهم حيناً بعد حين . ففوّضوا رعايتهم الى مطارنة اورشليم وضمّوا اليهم رعاية المدن الساحلية التي كان يسكنها قوم من السريان كيافا وعكا وصور وصيدا وبيروت وجونية ولاسيما طرابلس . فاخذ كل من اولئك الاساقفة يوقّع امضاءه هكذا : « مطران اورشليم وساحل البحر » او « مطران طرابلس » فقط.

ومن المعلوم ان لمطرانية اورشليم المرتبة الاولى في قيود المطرانيات السريانية ولصاحبها في المجامع حق الجلوس بعد البطريرك والمفريان وحق التقدم على سائر المطارنة والاساقفة . واليك بعد هذا سلسلة مطارنة اورشليم وطرابلس نقلنا اغلبها عن معلومات ثمينة اقتبسناها من صاحب الغبطة مار اغناطيوس افرام الاول برصوم بطريرك السريان الارثوذكس . وهذه المعلومات لخصها لنا هذا الحبر العلامة عن تاريخين نفيسَين صنّفهما وهيأهما للطبع : اولهما في « بطاركة انطاكية » وثانيهما في « تاريخ الابرشيات السريانية » فنسجّل لغبطته هذه المكرمة بالثناء والشكر .

١ ـ اغناطيوس برجادانا (١١٢٥ ـ ١١٣٨ م)

هو اول مطارنة اورشليم الذين ضمّت ابرشية طرابلس الى رعايتهم . اثبت ميخائيل الكبير اسمه في لائحة الاساقفة الذين وضع عليهم اليد البطريرك اثناسيوس السابع (١٠٩١ ـ ١١٢٩ م) وهو الرابع والاربعون في عداد الاساقفة الذين وضع عليهم اليد وقد بلغوا اثنين وستين اسقفاً . وسمّاه المؤرخ الرهاوي « أبا يسر بن جادانا »(١) .

---

(١) تاريخ الرهاوي : صفحة ٢٩٥

تولى اغناطيوس برجادانا مطرانية اورشليم وساحل البحر عام ١١٢٥ واستغرقت مدة مطرانيته ثلاث عشرة سنة . وجاء عنه في مخطوطة مكتبة ليـون (١) ما ترجمته : « اعتنى بكتابة هذا الفنقيث السنوي ابونا ... مار اغناطيوس مطران القدس اي اورشليم وسائر مدن ساحـــل البحر في ١٠ شباط سنة ١٤٤٩ للاسكندر (١١٣٨ م) . كتبه الراهب ميخائيل في دير المجدلية (٢) في عهـد المطران اغناطيوس المذكور والسـير فولك ملكنا وملك الفرنج المظفر» . وقد تولى فولك عرش مملكة اورشليم عام ١١٣١ خلفاً لبغدوين الثاني(٣) .

وورد ذكر المطران برجادانا في كتاب انجيل بين مخطوطات باريس جاء فيه ما تعريبه : « كتب هذا الانجيل المقدس في القدس بتاريخ ٢٥ آب سنة ١٤٤٩ للاسكندر (١١٣٨ م) . نسخه القس رومانس تلميـذ مار اغناطيوس مطران البلد المذكور وساحل البحر » (٤) . وكان اغناطيوس برجادانا مطراناً لكرسي الرها ثم نُـقل الى آمـــد ثم الى اورشليم في ١٢ تشرين الاول سنة ١٤٣٦ يونانية (١١٢٥ م)

وفي ٢٤ ايار ١١٣٨ قـدم المطران اغناطيوس برجادانا الى عكّـا ينتظر الملك الصليبيّ ليعود معه الى اورشليم . غير ان الاجل المحتوم ادركه في عكّـا . فحنطه من كان معه من الاكليرس وجعلوهُ في نعش ونقـلوهُ عائدين به الى اورشليم . فوصلوا اليها صباح الاثنين ثاني العنصرة من السنة عينها ودفنوه في بيعة كرسيه(٥) .

٢ ـ اغناطيوس رومانس (١١٣٨ - ١١٨٣)

هو ثاني الاساقفة الذين وضع عليهم اليد البطريرك اثناسيوس الثامن (١١٣٩ـ

---

(١) فهرس مخطوطات مكتبة ليون : رقم ١ (٢) موقع هذا الدير قرب باب العمود في القدس (٣) الحروب الصليبية في الآثار السريانية : فصل ٢٧ صفحة ٨٦

(٤) فهرس مخطوطات مكتبة باريس : رقم ٥١ (٥) تاريخ الرهاوي البيعي : جزء ٢ صفحة ٢٩٥ - ٢٩٦

١١٦٦) المعروف بابن قطرة . وقد دلنا على اسمه ايضاً انجيل ثمين مصور محفوظ في الخزانة المرقسية باورشليم يرتقي عهد نساخته الى القرن الثاني عشر . وفيه يُقرأ ما تعريبه : « كتب هذا الانجيل المقدس عام ١٤٦٠ لليونان (١١٤٩ م) في دير مريم المجدلية . في عهد اغناطيوس مطران الدير واورشليم وسائر ساحل البحر . كتبه الراهب سهدو الرهاوي(١) .

وصنف هذا المطران سيرة سلفه المطران اغناطيوس برجادانا . وهي مخطوطة تحت رقم ٥١ في مكتبة باريس الاهلية(٢) .

وجاء اسم اغناطيوس رومانس في عبارة كُتبت على انجيل ثانٍ هذا تعريبها : « انجزه القس يشوع الرهاوي عام ١٤٥٥ للاسكندر (١١٤٤ م) في عهد اغناطيوس مطران اورشليم وساحل البحر »(٣) . وكان هذا الانجيل في حوزة مرقس هرون سنة ١٩٢١م بمصر القاهرة ثم باعه . ونعتقد ان اغناطيوس رومانس مطران اورشليم هو الذي وجّه اليه ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي (+١١٧١م) كتابه في « شرح القداس »(٤).

٣ ـ اثناسيوس (١١٨٣ ـ ١١٩٣)

بعد وفاة اغناطيوس رومانس رقّى البطريرك ميخائيل الكبير اخاه اثناسيوس الملطي الى الكرسي الاورشليمي وفوّض اليه رعاية السريان في طرابلس وساحل البحر . ويُعدّ اثناسيوس الاسقف السادس والعشرين بين الاساقفة الخمسة والخمسين الذين نصبهم ميخائيل الكبير البطريرك . ولم تتجاوز مدة مطرانيته عشر سنوات.

---

(١) الخزانة المرقسية في القدس : رقم ٢٧
(٢) اللؤلؤ المنثور : للبطريرك افرام برصوم : صفحة ١٣٥
(٣) مجلة الحكمة في القدس : مجلد ٢ سنة ١٩٢٧ صفحة ٢٣٩
(٤) فهرس مخطوطات الشرفة : صفحة ٦٥

٤ ـ اغناطيوس سهدو (١١٩٣ - ١١٩٦)

عرفنا اسم المطران اغناطيوس سهدو من مخطوطة لندن المنطوية على اربعة وعشرين قانوناً من القوانين اليونانية والسريانية وعلى فنقيث الآحاد والاعياد من احد تقديس البيعة حتى احد الشعانين . وهذا تعريب ما ورد فيها : « انا اغناطيوس الحقير مطران اورشليم وساحل البحر كتبت سنة ١٥٠٧ للاسكندر (١١٩٦م) هذا الفنقيث في كنيسة الشريف الشهير الحبر مار ... وس بمدينـة طرابلس الجليلة »(١) . وكان المطران اغناطيوس سهدو الاسقف الثاني والخمسين في مصاف الاساقفة الذين سامهم البطريرك ميخائيل الكبير . وحلّت وفاته سنة ١١٩٦

ومن اثاره القلمية انجيل نسخه بالحرف السطرنجيلي الرائع والحق به مقالة تاريخية عن نكبات الرها سنة ١١٤٤ - ١١٤٦ واحوال الحملة الصليبية الثانية . وعـن منكوبي مدينة الرها ومآثر اغناطيوس رومانس مطران اورشليم (٢) .

٥ ـ يشوع بن فرسون

لم نعثر على اسم مطران تولى كرسي اورشليم وساحـل البحر بعـد المطران اغناطيوس سهدو المذكور آنفاً . الا ان ابن العبري ذكر اسم يشوع بن فرسون مطران طرابلس وتبسط في اخباره . وصرّح انـه عاش في عهد البطريركين اغناطيوس داود (١٢٢٢ - ١٢٥٢) ويوحنا السابع عشر (١٢٥٣ - ١٢٦٣) المعروف بابن المعدني . ويستفاد من تاريخ ابن العبريّ ان مدة اسقفيّـة يشوع بن فرسون في طرابلس أربت على اربعين سنة .

ولما تولىّ البطريركية يوحنا السابع عشر وشخص كسالفه الى طرابلس بادر

---

(١) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني : رقم ١٤،٦٩٥

(٢) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية : صفحة ٣٩٨ - ٣٩٩

الى استقباله المطران يشوع وأبدى له عواطف الاخلاص والطاعة . وفي تلك الغضون يمم طرابلس المفريان اغناطيوس صليبا الثالث (١٢٥٣ – ١٢٥٨) المشهور بعلومه الفلسفية والطبّية . وظلّ مقيماً مع المطران يشوع زهاء سنتين حتى اخترمته المنية يوم الاربعاء ١٢ حزيران ١٢٥٨ في طرابلس . فشيعه كهنة الفرنج والسريان ودفنوه في كنيسة مار بهنام (١) . وكان طليّ الحديث فصيح اللسان له نغمة عذبة باجادة الالحان السريانية الكنسية (٢)

٦ – مرقس (١٣٦١ –)

في منتصف نيسان ١٢٨٩ وقعت في طرابلس تلك الحرب الدامية بين المسلمين والفرنج . فتغلب المسلمون وقوّضوا دور المدينة ولم يتركوا برجاً من ابراجها الا دكوّه ولا كنيسة من كنائسها الا هدموها . واستأسروا من البنين والبنات عدداً لا يقع تحت الاحصاء . وقتلوا جموعاً من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات وتركوا البلد خالياً خاوياً (٣) . « وكان عدد السريان كبيراً في طرابلس لهم فيها اسقف يرعاهم » (٤) .

ثالثاً – تصدع شمل السريان بعد غائلة طرابلس

بعد تلك الغائلة الهائلة تصدع شمل السريان في طرابلس وقلّ عددهم . وفي السنة ١٣٦١ عُين للبقية الباقية منهم مرقس مطران اورشليم الذي ضُمت الى رعايته دمشق وساحل البحر بما فيه طرابلس . وقد ورد اسم المطران مرقس في كتاب

---

(١) جثالقة المشرق ومفارنة السريان : صفحة ٣٩ – ٤٠
(٢) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٤٠٩
(٣) ملحق تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ٥٦٦
(٤) تسريح الابصار : جزء ١ صفحة ١٥٥

انجيل يخص قلاية حمص وفي كتاب انجيل ثانٍ محفوظ بالخزانة المرقسية في القدس الشريف تاريخه سنة ١٦٧٣ يونانيه (١٣٦٢م) (١).

رابعاً ـ استعمال سفر الاحياء حتى القرن الرابع عشر

ودلالة على تقوى المطران مرقس وفضائله الكهنوتيـة ضُم اسمه الى اسماء مشاهير الاساقفة في « سفر الاحياء » على هذه الصورة : « مرقس مطران اورشليم والبحر »(٢) . ومن المعلوم ان « سفر الاحياء » ظلّ مستعملاً في القداس السرياني حتى عهـد البطريرك اغناطيوس الخامس (١٢٩٣ ـ ١٣٣٣ م) المعروف بابن وُهيب (٣) . ويظهر ان كنيسة اورشليم دون سائر الكنائس السريانية واصلت استعماله الى ايام المطران مرقس المشار اليه .

الفصل الخامس عشر

السريان والصليبيون

لما استولى الصليبيون على السواحل اللبنانيـة اندمجوا في اهاليها وولوا عليها أمراءَ من الفرنج بني جنسهم . وأطلقوا الحرّية للنصارى عموماً في قضاء شعائرهم الدينية . واذا خصصنا الكلام بالملة السريانية قلنا ان ملوك الصليبين وامراءهم عاملوها وعاملوا رؤساءها معاملة حسنة طيبة . ولم يتعرضوا لها في الشئون المذهبية

---

(١) فهرس مخطوطات الخزانة المرقسية : رقم ٢٦

(٢) فهرس مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ٦

(٣) الليترجيات الشرقية والغربية : للبطريرك افرام رحماني : صفحة ٣٧٢ ــ وفهرس مخطوطات خزانة برمنغام : بقلم الفنس منكنا الكلداني : رقم ١٧٢ صفحة ٣٧٩

على رغم ما بينهم وبينها من الاختلاف في العقيدة . واليك ما صرّح به ميخائيل الكبير في تاريخه قال ما تعريبُه :

« تمتع اساقفة السريان وكهنتهم بالراحة والسكينة في عهد دولة الصليبيين . فلم يلحقوا بنا ادنى اذى لانهم كانوا يعتبرون جميع الساجدين للصليب على حد سوى . لا يحاكمونهم في المسائل الدينية كما يحاكمهم اساقفة الروم » (١) .

وقد وجد الصليبيون في السريان دون الملكيّين قوماً مسالمين مخلدين الى السكينة . فامتزجوا بهم وصافوهم واتخذوا منهم معظم الاطبّاء والصيادلة في الجيوش . وحصروا فيهم اعمال الترجمة في الدوائر الاداريّة فتألّفت من موظفي الفريقين فئة فرنجية سريانية نالت اعجاب الرحّالة ابن جبير بتنظيمها وحسن معاملتها (٢) . وانشأ الصليبيون في كل مدينة ودسكرة احتلوها محكمة للنظر في المسائل التجاريّة مؤلّفة من ستة اعضاء : اربعة سريان واثنين من الفرنج (٣) .

وكانت العلاقات بين ملوك الصليبيين واحبار السريان على أحسن ما يرام كما شهد المؤرخون المعاصرون الذين دوّنوا اخبار الحقبة الصليبية . فالبطريرك اثناسيوس السابع (١٠٩١ - ١١٢٩) كانت له منزلة رفيعة عند جوسلين الامير الصليبيّ وقد حلّ البطريرك ضيفا عليه في « تلّ باشر » (٤) عاصمته . وبعد وفاة هذا البطريرك استدعى جوسلين الى « تل باشر » اساقفة السريان فعقدوا في كنيسة الفرنج مجمعاً انتخبوا فيه بطريركاً جديداً سمّوه يوحنا الخامس عشر (١١٢٩ - ١١٣٧) . وقد احتفلوا في الكنيسة عينها احتفالا رائعاً بتنصيب هذا الحبر الانطاكي وتسليمه العكّاز البطريركيّ بحضور جوسلين ووزرائه واقطاب دولته (٥) .

ولما جلس البطريرك اثناسيوس الثامن (١١٣٩ - ١١٦٦) سار في اساقفته

---

(١) الحروب الصليبية في الآثار السريانية : صفحة ٧٥

(٢) المشرق : مجلد ٣١ سنة ١٩٣٣ صفحة ٧٢٥

(٣) راي : المستعمرات الفرنسية في سوريا في القرنين ١٢ و١٣ صفحة ٥٩

(٤) تل باشر : قلعة عظيمة بين حلب والبيرة . وفي لحفها بلدة كثيرة المياه والبساتين

(٥) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٦٠٧

٥

الى « تل باشر » فسلمه الامير جوسلين الأمتعة البيعية التي كان استحضرها من دير برصوما المجاور لملطية . وهو من اعظم اديار السريان اتخذه بعض البطاركة مركزاً لاقامتهم(١) . وفي السنة ١١٥٧ احتفل هـذا البطريرك بتدشين كنيسة ثالثة للسريان في مدينة انطاكية . وقد تم ذلك بحضور الملكة ايزابيل ورهط من الاحبار ورهبان السريان والارمن والفرنج(٢) .

واثبت ابن العبري ان جوسلين المشار اليه شعر سنة ١١٥٧ بدنو أجله وهو في سجن حلب . فاستأذن حاكم المدينة في الذهـاب الى كنيسة السريان حيث اتم فروضه الدينية لدى اغناطيوس مطرانها وتناول الاسرار من يده ثم عاد الى سجنه وفيه توفي(٣) . فشيع جثمانه الى الكنيسة المذكورة باحتفال كبير حضره المسلمون والمسيحيون ودفن ضمنها في ضريح خاص(٤) .

وفي السنة ١١٦٨ ارتحل البطريرك ميخائيل الكبير (١١٦٧ - ١٢٠٠) الى انطاكية بدعوة من ايمريك بطريركها اللاتيني . فخرج الى ملاقاتـه الوف من الاهالي يتقدمهم اركان الحكومة ورؤساء الدين . وواكبوه باحتفـال عظيم الى كنيسة « القسيان » كبرى كنائس العاصمة المذكورة . واجلسوه هناك عـلى كرسي مار بطرس وهو كرسي مصنوع من خشب النخل المصفّح بالفضة(٥) .

وفي تشرين الاول سنة ١١٧٩ سار البطريرك ميخائيل عينه للمرة الثانية الى انطاكية ومنها توجه الى اورشليم . فتفقد في طريقه ابرشيات لبنان الخاضعة لبطريركيته كسلوقيا واللاذقية وعرقا وطرابلس والحدث وجونية وبعلبك وغيرها . ثم زار الملك بغدوين الثاني في عكا واطلعه على الرسالة التي وجهها اليه البابا اسكندر

(١) الحروب الصليبية في الآثار السريانية صفحة ٧٤ — ٧٧ وتاريخ العلوم والآداب السريانية : للبطريرك افرام برصوم : صفحة ٥٠٩

(٢) الحروب الصليبية : صفحة ١٣٧

(٣) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ٣٢٦

(٤) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٦٤٩ وتاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ٣١٦

(٥) الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ولغتهم الوطنية والطقسية : صفحة ٥٦

الثالث . فابتهج الملك بذلك غاية الابتهاج وبالغ في تكريم البطريرك السرياني والاحتفاء بقدومه(١) .

وممن كانت لهم علاقات بالصليبيين البطريرك اغناطيوس الثالث (١٢٢٢ - ١٢٥٢) الذي سافر الى انطاكية في فريق من الاساقفة . ومن هناك انطلق الى اورشليم فخرج الى استقباله الاخوة الهيكليون (١١١٨ - ١٣١٢) وحملوه على الاكف واحاطوا به بمظاهر الاجلال والتوقير من باب العمود الى دير مريم المجدلية(٢)

وظلت العلاقات بين السريان والصليبيين متوثقة العرى طول مدة اقامتهم في بلاد المشرق . والى ذلك اشار بطريركنا الانطاكي اغناطيوس بطرس السادس (١٦٧٨ - ١٧٠٢) في رسالة كتبها الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا (١٦٤٣- ١٧١٥) بتاريخ ٢ نيسان ١٦٧٨ على اثر جلوسه البطريركي قال : « ... وليكن معلوماً لدى عظمتكم العالية ما صنعت السريان القدماء مع الامراء الفرنساوية في محروسة القدس الشريف والمحبة والاتفاق بغاية المودة التي ابدوها امام السلاطين العظام الذين حكموا عليها »(٣) .

والخلاصة ان السريان في عصر الصليبيين تمتعوا بحظوة في اعين ولاة الامور . وكان اقليرسهم متضلعاً من الآداب السريانية والعربية واليونانيـــة(٤) . ولما ارتحلوا عن بلاد المشرق سلموا الى السريان ديرَين كبيرَين من اديارهم وهما : دير « ستي مريم » في وادي يوشافاط ودير « البلمنـد » بجوار طرابلس . وبقي الدير الاول في حوزة السريان من السنة ١٢٨٧ حتى السنة ١٣٩٢(٥) . اما دير البلمند فظل في ايديهم من السنة ١٢٨٦ حتى السنة ١٦٠٣ (٦) .

---

(١) الحروب الصليبية في الآثار السريانية : صفحة ١٥٦

(٢) تاريخ ابن العبري اليبعي : جزء ١ في كلامه عن البطريرك اغناطيوس .

(٣) سجلات المكتبة الاهلية بباريس : الرسائل العربية : رقم ٦٢٢٤

(٤) تعاليق ريشار سيمون على رحلة دنديني : تعريب الخوراسقف يوسف العمشيتي : صفحة ١٤٥ - ١٤٦

(٥) الرهبنة البندكتية في فلسطين : صفحة ٨

(٦) راجع هذا الكتاب : جزء ١ قسم ٦ فصل ١٥ رقم ٢

الفصل السادس عشر

اتساع ابرشيات السريان ووفرة اساقفتهم وكهنتهم

١ ـ انتشار ابرشيات السريان من اطراف الهند وفارس حتى سواحل البحر المتوسط

اتضح من كلّ ما ادرجناه في القسمين الثاني والثالث من هذا التأليف ان الابرشيات السريانية ظلّت زاهرة وافرة العدد ومنتشرة في الاصقاع الممتدة من سواحل لبنان الى بلاد فارس والهند. وتسلسل فيها الاساقفة واحدهم تلو الآخر حتى القرن الرابع عشر. وتأييداً لهذه الحقيقة التاريخية اللامعة رأينا ان نسرد ههنا اسماء بعض البطاركة ونضم اليهم عدد الاساقفة الذين نصبهم كل منهم في عهد بطريركيته.

٢ ـ بعض بطاركة وضعوا اليد على اوفر عدد من الاساقفة الشرعيين

فالبطريرك قرياقس (٧٩٣ ـ ٨١٧ م) وضع اليد على ستة وثمانين اسقفاً في عهد رئاسته التي استغرقت اربعاً وعشرين سنة. وقام بعده ديونيسيوس الاول التلمحري (٨١٨ ـ ٨٤٥) الذي حضر سيامته البطريركية في بيعة الرقة الكبرى ثمانية واربعون اسقفاً. وقد وضع هو اليد على تسعة وتسعين اسقفاً في مدة سبع وعشرين سنة. وتولى كرسي البطريركية بعده يوحنا الخامس (٨٤٧ ـ ٨٧٤) فوضع اليد على اربعة وثمانين اسقفاً في مدة سبع وعشرين سنة ايضاً. ثم ديونيسيوس الثاني (٨٩٦-٩١٩) الذي وضع اليد على خمسين اسقفاً. ثم يوحنا التاسع (٩٦٥-٩٨٦) الذي نصب ستة واربعين اسقفاً.

وقس على اولئـك البطاركة الخمسة اثناسيوس السابع (١٠٩١ - ١١٢٩) الذي وضع اليد على سبعة وستين اسقفاً . ثم ميخائيل الاول الكبير (١١٦٧ - ١٢٠٠) الذي نصب خمسة وخمسين اسقفاً .

وكان المفارنة السريان ينصبون بدورهم في الوقت نفسه اساقفة لابرشيـات مفريانيتهم اللائذة بالكرسي الانطاكي . غير ان المؤرخين لم يخلفوا سلسلة لاسماء هؤلاء الاساقفة وابرشياتهم . كما خلف ميخائيل الكبير سلسلة ثمينـة محكمة حوت اسماء الاساقفة الذين نصبهم البطاركة اسلافه لمختلف الابرشيات المنوطة تواً بالسدة الانطاكية وعددها ١٢٣ ابرشية .

ومع هذا كله فاننا بعد التدقيق والبحث عثرنا على اسماء بعض ابرشيات قديمة العهد كانت خاضعة تواً للسدة المفريانية . وهذه الابرشيـات السريانية لم يتعرض البطريرك ميخائيل الكبير لسردها في اللوائح التي الحقها بكتاب « تاريخ الازمنة » نذكر منها : ابرشيات بيث نوهدرا قرب زاخو . وشهرزور . وباعربايا . ومعلثا . وجومل . وجزيرة ابن عمر . وقردو . وبازبدي . وبرطلي الخ . ونضيف اليهـــا ابرشيات بلاد فارس كالانبار وهرات ومراغة وتـبريز . ثم ابرشية بيث ارشم بجوار الكوفة وغيرها(١) .

٣ - انافة عدد اساقفة السريان وابرشياتهم على المائة والستين

ايدت التواريخ عـلى ما ذكرنا ان عكازات الاساقفة الخاضعين لبطريركية السريان الانطاكية ولمفريانيتها انافت في القرنين العاشر والحادي عشر على مائـة وستين عكازاً في وقت واحد(٢) . وكان لكل من ارباب تلك العكازات ابرشية

---

(١) تاريخ الكنيسة السريانية : قسم ٧ فصل ٣ صفحة ١٢٦ مخطوطة الخوري اسحق ارملة .

(٢) معجم التاريخ والجغرافية الكنسي : مقال المستشرق كرلفسكي : صفحة ٦١٣ - والفهارس الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير .

خاصة كما صرّحنا في غير هذا الموضع استناداً الى اقطاب المؤرخين وثقات الباحثين .

٤ ـ سيامات يوحنا اسقف تل موزل ويعقوب البرادعي

غير خاف ان احبار السريان في اول عهد استقلالهم رقّوا عدداً غفيراً الى المراتب الكهنوتية في جميع الانحاء التي انتشرت فيها عقيدتهم المنوفيزيتية . اشهرهم يوحنا اسقف مدينة تل موزل (٥١٩ ـ ٥٣٨) فقد طالعنا في مخطوط لندن العبارة التالية معرّبة عن السريانية : « بلغ عدد الذين قبلوا السيامات الكهنوتية بوضع يد يوحنا اسقف مدينة تل موزل (ويران شهر) مائة وسبعين الفاً وسبعين قسيساً وشماساً »(١) .

اما يعقوب البرادعي مطران الرها (٥٤٥ ـ ٥٧٨) الذي اليه انتسب السريان القائلون بالطبيعة الواحدة فقد اثبت عنه يوحنا اسقف اسيا معاصره ما تعريبه : « نصب يعقوب البرادعي بطريركين لانطاكية هما سرجيس وفولا . ووضع اليد على تسعة وثمانين اسقفاً لكراسي سوريا واسيا اعني سوريا ولبنان وما بين النهرين وآسيا الصغرى . ونصب في جملتهم يوحنا من دير مار بوزي لابرشية سلوقيا . وقد امتلأت تلك الانحاء من القسّان والشمامسة والاساقفة الذين رقّاهم يعقوب البرادعي الى الدرجات المذكورة » (٢) فبلغ عددهم على ما ورد بين اوراقه مائة الف(٣) .

٥ ـ اندثار اغلب الابرشيات السريانية بعد نموها وازدهارها

عدّد البحاثة الخوري اسحق ارملة اسماء الكراسي المطرانية والاسقفية

(١) مخطوط المتحف البريطاني السرياني : رقم ١٠٣٥ صفحة ١٢٠٠ من الفهرس .
(٢) تاريخ يوحنا اسقف اسيا : صفحة ٣٧٠ ـ ٣٧١ و ٣٧٦ (٣) تاريخ يوحنا اسقف اسيا : صفحة ٣٧١ و٣٧٧ وتاريخ ابن العبري البيعي : في كلامه عن البطريرك فولا

الخاضعة لبطريركية السريان . فذكرها كرسياً فكرسياً(١) بقطع النظر عن اديار سريانية عديدة تولى رئاستها الاساقفة في سوريا وقيليقيا وبلاد ما بين النهرين ولاسيما في طورعبدين واطراف الموصل وماردين . وظلت تلك الكراسي في نمو وازدهار على رغم ما انتابها من الغوائل والكوارث بكرور الزمان . ثم اخذت بالنقصان والانحطاط والتقهقر خصوصاً بعد اندحار الصليبيين ورجوعهم الى اوطانهم واستيلاء التتر او المغول على البلاد السريانية . هكذا تبدلت احوال تلك الابرشيات الاسقفية التي اشتهرت في سالف الاجيال حتى صارت الى ما هي عليه الآن من الضعف والقلة .

وما اوردناه عن اتساع ابرشيات السريان المغاربة او المنوفيزيتيين يصدق بتمامه عن اخوانهم السريان المشارقة اعني النساطرة او الكلدان . فان ابرشياتهم كانت تمتد من الصين حتى الهند وماداي وآثور وبابل والعراق وما بين النهرين الى سوريا وفلسطين وقبرص ومصر والى ارمينيا والكرج وبلاد العرب . وقد بلغ عدد تلك الابرشيات النسطورية في القرون الوسطى زهاء مائة ابرشية خاضعة كلها لجاثليق المدائن وبغداد(٢)

(١) تاريخ الكنيسة السريانية : قسم ١٤ فصل ١ صفحة ٢٢٦ - ٢٢٧ مخطوطة المؤلف .
(٢) تاريخ كلدو وآثور : تأليف المطران ادي شير الكلداني : المقدمة

القسم الرابع

أخبار السريان اللبنانيين بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر

الفصل الاول

مدار البحث في هذه الحقبة

١ ـ قلة المصادر التاريخية عند السريان بعد القرن الثالث عشر

مرّ بنا الكلام عن حقبتين من حقب تاريخ السريان في لبنان : بحثنا في احداهما عن السريان في القرون النصرانية القديمة . وخصصنا الثانية باخبارهم في القرون الوسطى . اما اخبار هذا القسم من كتابنا فتتناول خلاصة تاريخهم في حقبة استفحل فيها امرهم في لبنان بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر .

من المعلوم ان ما الحقه السريان المتأخرون بتواريخ أيمّتهم السابقين حتى عهد الرهاوي وميخائيل الكبير وابن العبريّ لا يشتمل الآ على نزر يسير لا يفي بالمقصود . وقد حدث ذلك على اثر اجتياح عساكر التتر او المغول للبلاد الشرقية وفتكهم بمعظم سكانها .

٢ ـ نكبة السريان اللبنانيين باحراق مخطوطاتهم واتلافها

مما يؤسف له غاية الاسف ان طائفة كبيرة من مؤلفات السريان المخطوطة في لبنان

او المنقولة اليه من بلاد السريان قد أتلفت غير مرّة او أحرقت . وعظمت البليّة خصوصاً في السنتين ١٥٧٨ و ١٥٨٠ بحجة انها تتضمن اموراً مخلة بعقائد الدين . ولم يفطن اولئك الذين أقدموا على هذا العمل ان بعض تلك المخطوطات على ما نعتقد ويعتقد الكثيرون كانت تحوي في مطاويها او في حواشيها او في اواخرها قضايا علمية وحوادث تاريخية لا علاقة لها بالمسائل الدينية . فلو سلمت تلك الكنوز الغالية من التلف والحريق لجنى منها العلماء والمؤرخون ولا سيما اهل البحث في هذه الديار فوائد جزيلة لا تقدّر بثمن . وجنينا نحن على منوالهم من تلك المخطوطات موادّ جمّة جديرة بالاعتبار استندنا اليها في وضع هذا التأليف .

٣ ـ اضطرارنا الى مطالعة اخبار السريان اللبنانيين في غير تواريخهم

ازاء تلك النكبة المؤلمة اضطررنا ان نطالع تواريخ غير تواريخ السريان ونستفسر عن اخبارهم في غير كتبهم . فلجأنا الى ما سطره كتبة الملّة المارونية عّلنا نعثر على نتف من حوادث السريان في لبنان بين القرنين المذكورين .

بناء عليه لخّصنا في هذا القسم الرابع حوادث خطيرة عن السريان ومقدّميهم وعن علاقاتهم بالموارنة . وألمعنا الى اخبار ابرشياتهم ورهبانهم واوقافهم في الاصقاع اللبنانية .

الفصل الثاني

السريان اللبنانيون في التواريخ المارونية

١ ـ تعداد مؤرخي الموارنة

في طليعة الآثار التاريخية التي عوّلنا عليها لتدوين اخبار هذه الحقبة زجلية

عنوانها « مديحة الى جبل لبنان » نظمها السيد جبرائيل القلاعي" اللحفدي" مطران قبرس (١٥٠٧ - ١٥١٦) الماروني . وضمنهـا اخبـار مسّلته حتى السنة ١٤٥٠ ربانية (١) . فالى هذه الزجلية استندنا كما استند جميع المؤرخين الموارنة كالبطريرك اسطفان الدويهي ومرهج نيرون الباني ويوسف شمعون السمعاني والبطريرك بولس مسعد والمطران يوسف الدبس والمطران يوسف دريان ورهط من الكهنة والكتّاب .

٢ ـ زجلية المطران جبرائيل القلاعي من الناحية التاريخية

قال البّحاثة الخوري بولس قرألي الماروني" : ان زجليـة ابن القلاعي" هي « الوثيقة الوحيدة المتّصلة بنا عن ذلك العهد وصاحبها اقرب المؤرخين اليه » (٢) . وقد سدّ بها « في تاريخ الطائفة المارونية ثغرة واسعة تمّتد من اواخر القرن السابع المسيحي" الذي نشأت فيه الى اواسط القرن الخامس عشر ... وليس لدينا ما نسد به هذه الثغرة او جزءاً منها سوى ما نقله الينا ابن القلاعي" في زجليته » (٣) المشار اليها . واردف الخوري بولس قرألي قائلًا : « فزجليـّة ابن القلاعي" صفحة مجيدة ... من تاريخ لبنان والطائفة المارونية » (٤) . وصرح ايضاً ان ابن القلاعي" هو « اول مؤرخ للطائفة المارونية »

تصفّحنا تلك الزجلية التاريخية في اعداد « المجلة السوريّة البطريركية » وقد نشرها الخوري بولس المشار اليه بحرفها الواحد تحت عنوان « حروب المقدّمين » وشرحها وعلق عليها . فاقتطفنا منهـا ما له صلة" بموضوعنا وهو انتشار السريان في الاصقاع اللبنانية حتى القرن الخامس عشر الذي فيه تنتهي اخبار الزجلية وحوادثها .

---

(١) المجلة السورية البطريركية : للخوري بولس قرألي : مجلد ٥ سنة ١٩٣٠ صفحة ٥١٣
(٢) المجلة السورية البطريركية : مجلد ٥ سنة ١٩٣٠ صفحة ٥١٥ و ٦١٥
(٣) المجلة السورية البطريركية : مجلد ٥ سنة ١٩٣٠ صفحة ٥١٣ و ٦١٦
(٤) المجلة السورية البطريركية : مجلد ٥ سنة ١٩٣٠ صفحة ٥١٩

٣ ـ قصاد الكرسي الرسولي في لبنان

ثمّ اننا تعزيزاً لبحثنا لخّصنا من اخبار الزوّار الرسوليّين الذين اوفدهم الاحبار الرومانيون الى موارنة جبل لبنان ما له علاقة بالملّة السريانية . واشهر اولئك الزوّار هم : الاب غريفون في القرن الخامس عشر والاب اليانو والاب برونو والاب دنديني في القرن السادس عشر . وصرّحنا اخيراً بان السريان لم ينقطعوا من لبنان حتى القرن الثامن عشر .

٤ ـ تشبث اهل حردين قاطبة بعقيدة الطبيعة الواحدة حتى القرن الثامن عشر

يؤيد ذلك ما كتبه المؤرخ العلاّمة البطريرك اسطفان الدويهي (١٦٧٠ - ١٧٠٤) في مؤلفه « تاريخ الازمنة » قال : « فأخذ اليعاقبة السكنة (السكنى) في حردين التي من بلاد البترون في حدود الجبة وتبعهم اهل تلك القرية . وبعدهم الى يومنا هذا ثابتين على نفاقهم » (١) . واثبت بطريركنا مار اغناطيوس ميخائيل الثالث (١٧٨٢ - ١٨٠٠) مؤسس دير الشرفة في رسالة وجهها الى نائبه في الاستانة الاب الياس شدياق بتاريخ ١٢ كانون الاول ١٧٨٤ قال : « ولا يمكننا ان نسكن في دير مار افرام الرغم لان جيرته منهم كاثوليك ومنهم يعاقبة والبقية دروز » (٢) .

---

(١) تاريخ الازمنة : للدويهي : نقلاً عن مخطوطة كاملة محفوظة في خزانة كتبنا نسخها لويس القبرسي عام ١٧٧٦ في الارنكا بقبرس . وقد انتقلت هذه المخطوطة عام ١٩٤٤ الى دار الكتب الظاهرية بدمشق

(٢) مخطوطات دير الشرفة : مجلد ٣

الفصل الثالث

وصف زجلية ابن القلاعي عن جبل لبنان

١ ـ اخبار السريان في هذه الزجلية

صدّر البحاثة الخوري بولس قرألي الماروني زجلية ابن القلاعي بتوطئة تاريخية رأينا ان نلخصها للقارىء في هذا الفصل قال : نظم المطران جبرائيل اللحفدي المشهور بابن القلاعي نحو ٤٦٥ ميمراً او زجلية تطرق في اغلبها لذكرى السريان ولخص اخبار لبنان واخبارهم خصوصا في هذه الزجلية التاريخية مستنداً في روايته الى وثائق تاريخية راهنة قال :

لولا توجـد في الاسطر	ماكان يخبر عنها انسان
لكن التواريخ بتخبرّنا	عن ما جرى في مواطنّا

وختمها بقوله :

كملت وبالدموع انكتبت	ومن التاريـــخ اتخذت

٢ ـ خلاصة اخبار الموارنة في عهد الصليبيين

استتلى الخوري بولس قرألي يقول ما ملخصه : توخى ابن القلاعي ان يسرد في زجليته هذه حوادث طائفته المارونية بلبنان منذ عهد الصليبين الى زمانه .اعني منذ اواخر القرن الحادي عشر حتى القرن الخامس عشر . فبعد انتهائه من اخبار المقدم سمعان معاصر البطريرك غريغوريوس الثالث الحالاتي (١١٣٠ ـ ١١٤١) حكى عن فتنة راهبي يانوح ودير نبوح عام ١١٤٥ .

ثم ذكر ابن القلاعي البطريرك ارميا الثاني العمشيتي (١٢٠٩ — ١٢٣٠) ذكراً دقيقاً سديداً . وانتقل بالحديث الى وصاية المقدم باخوس وبناء دير قزحيا وفتنة الرهبان الاحباش السريان عام ١٢٤٢ وتسمية « الشدياق » حاكماً رقيباً عام ١٢٥٠ على البلاد وعلى الايمان حتى وصل الى ذكر فتح طرابلس في السنة ١٢٨٩

٣ - البطريرك لوقا البنهراني

تنقل ابن القلاعي بعد هذا الى وصف فتنة السريان المنوفيزيتيين في عهد البطريرك لوقا البنهراني (١٢٨٣-١٣٠٠ ؟) فقال : « ان راهبي يانوح ودير نبوح افسدا رأي الناس ووقع الشقاق . وبلغت الاخبار الى رومية فأرسل البابا رسلاً تنذرهم ليرجعوا عن ضلالهم . فلم يقبل البطرك رُسل البابا لانه كان سقط في البدعة (المنوفيزيتية) وكان يسمى لوقا من بنهران . وكثر الشر في البلاد من قبل انشقاق المذهب »(١) .

قال الخوري بولس قرالي : « بقي علينا ان نتحقق من شخصية لوقا البنهراني الذي على زعم ابن القلاعي كان بطريركاً على الموارنة ومال الى بدعة اليعاقبة مع قسم من شعبه . فاضطر امير جبيل والثابتون من الموارنة على طاعة الكرسي الرسولي ان ينتخبوا البطريرك ارميا مكانه . ويوفدوه الى رومية لاسترضاء الحبر الاعظم على الطائفة وحل الواقعين من ابنائها في حرم الهرطقة »(٢) .

ثم اردف الخوري نفسه قائلاً(٣) : « كل ذلك يفسح امامنا مجالا واسعاً للبحث لكنه يدعونا الى الظن بان البطريرك لوقا البنهراني — اذا صح وجوده ولا يُعقل

---

(١) مختصر تاريخ لبنان : للشماس انطونيوس العينطوريني : مخطوطة المكتبة الشرقية في بيروت رقم ٤٧ صفحة ٥٥ والمجلة البطريركية : مجلد ٥ سنة ١٩٣٠ صفحة ٦٠٥

(٢) المجلة البطريركية : مجلد ٦ سنة ١٩٣١ صفحة ٣٧

(٣) المجلة البطريركية : مجلد ٦ سنة ١٩٣١ صفحة ٤٠

ان يخلقه ابن القلاعي من مخيلته – هو ... كنوح البقوفاوي احد بطاركة السريان اليعاقبة في لبنان »([1]) .

٤ ـ المقدم سالم والمقدم عبد المنعم السريانيان

تطرق الخوري بولس قرألي بعد هذا لذكر البطريرك يوحنا اللحفدي والبطريرك جبرائيل الحجولي الشهيد والبطريرك يوحنا الجاجي حتى وصل بالكلام الى البطريرك يعقوب الحدثي (١٤٤٥ – ١٤٦٨) فوصف انحياز المقدم سالم([2]) والمقدم عبد المنعم في بشري الى السريان المنوفيزيتيين وانضمام قسم من اهالي بشري وحردين ولحفد الى المقدّمين المشار اليهما . ثم ذكر هجوم المقدّمين الموارنة الثلاثين على المسلمين وتغلبهم عليهم عند نهرَي المدفون والفيدار . واردف ذلك بحدوث خلاف ديني وقع بين اولئك المقدمين الثلاثين وانحياز فريق منهم الى السريان .

٥ ـ اقامة امير واسقف للسريان في لحفد

قرر ابن القلاعي بعد ذلك ان اهل جبة بشري لم يوافقوا على تنصيب المقدم باخوس وصياً على يوحنا القاصر . لان المنوفيزيتية انتشرت في جمهور غفير منهم انتشاراً عظيماً افضى بهم الى اقامة امير لحفدي عليهم وتنصيب اسقف ([3]) سرياني يدبر شؤونهم الدينية . واقبل يومئذ كثير من الرهبان السريان وسكنوا في وادي قديشا وفي دير الفراديس بارض بان . وكان عددهم في السنة ١٢٤٢ اربعين

---

(١) راجعنا سلسلة بطاركة السريان الانطاكيين واسماء بعض بطاركتهم الدخلاء كبطاركة طور عبدين وبطاركة سوريا فلم نعثر قط على اسم بطريرك يدعى « لوقا » على الاطلاق .

(٢) مختصر تاريخ لبنان للشماس انطونيوس العينطوريني : رقم ٧ ؛ صفحة ٥٨

(٣) المجلة السورية البطريركية : مجلد ٦ سنة ١٩٣١ صفحة ١٦٠

راهباً . واستحكمت حلقات الالفة والدالة بينهم وبين اهالي بشري . غير ان المقدّم ثار عليهم وقتلهم كافة وقرر البشرانيون انهم لن يساكنوا احداً من السريان قطعاً . واقاموا لهم عام ١٢٥٠ حاكماً ورقيباً يقال له « الشدياق » .

غير انه بعد وفاة المقدم « الشدياق » تولى المقدميـة ابنه سالم فأخذ السريان يتوافدون الى لبنان خصوصاً من صدد (١) فمال اليهم سالم وانحاز الى معتقدهم وجعل يدافع عنهم . هكذا ثارت نيران الفتن في بشري وبلغت اخبارها الى الشام .

ولما تولى الملك الظاهر اقام على بشري المقدم يعقوب ابن ايوب وكتب له في المقدمية صحيفة نحاسية . ثم وقعت حادثة طرابلس وتغلب مقدمو لبنان الثلاثون عند جبيل واحتووا على غنائم جمة في جملتها اربعة آلاف راس خيل . وساروا الى قرية معاد وقسموها ثلاثين حصة خصصوا منها حصة بسالم مقدم بشري . لكن البطريرك الماروني نهاهم عن ذلك فاجتمعوا في كفرحي تحت رئاسته وقضوا بان يقيموا مقدماً عوضاً عن المقدم سالم . واذ ذاك بادر اليهم فتى يقول لهم في السريانية : « نقولا منحدر في عقبة حيرونا » ثم وصل نقولا عينه وقال للبطريرك : « ان شئت فانا اطهر الجبة من زرع سالم ومن ارطقة اليعاقبة » . فاجمعوا على اقامة نقولا مقدماً واعطوه حصة المقدم سالم . فرجع نقولا يحارب اليعاقبة حتى هزمهم . هكذا استمر لبنان هادئاً مطمئنّاً زهاء اربعين سنة (٢) .

٦ ـ خبر الحبيس اليشع

بعد هذا كله ذكر ابن القلاعي قضية الحبيس اليشع فأخبر عنه انه انطلق الى ماردين وصدد حيث تلقن طقوس السريان وعاداتهم . ورجع الى لبنان فانزوى في محبسة مار سركيس فوق دير مار آبون . واردف يقول ان اليشع هذا بينما كان منحدراً من محبسته تهور ومات مقتولا .

---

(١) صدد بلدة قديمة العهد سريانية سيرد ذكرها في غير هذا المحل (طالع هذا الكتاب : قسم ١٢ فصل ١٩)

(٢) تاريخ الازمنة : للدويهي : صفحة ١٢٣

٧- البطريرك داود يوحنا

عاد السريان ثانية الى بشري وجعلوا يتملقون البطريرك داود يوحنا المولود في العاقورا ويرشونه ليغمض عنهم . وبسبب سكوت هذا البطريرك انقسم الاساقفة قسمين والاقليرس قسمين : هذا مع الموارنة وهذا مع السريان المنوفيزيتيين فسخط اهالي جبيل والبترون وخلعوا طاعة البطريرك وقطعوا صِلاتهم مع البشرانيين .

غير ان البطريرك الدويهي روى حادثة البطريرك داود في « تاريخ الازمنة » طبقاً للمخطوطة المحفوظة في خزانتنا هكذا قال : « سنة ١٣٩٣ كان جالس على كرسي انطاكية البطرك داود . وفي دير سيدة قنوبين المطران بطرس (ستيتة) فصار ان اليعاقبة خدعوا للبطرك حتى تمسك ببعض عوائدهم . وكان القس اليشع الحدثي مستحبس في ماري سركيس فوق مار آبون . فانخضع (فانخدع) هو ايضاً وصار يوضع في القربان زيت . لاجل ذلك اجتمعوا رؤساء الكهنة وعزلوا البطرك داود الذي تسمّا من اليعاقبة حيناً . واقاموا موضعه البطرك يوحنا الجاجي »(١) .

اغتنم المسلمون فرصة اختلاف المسيحيين فسارعوا الى لبنان وقتلوا وسبوا وخطفوا ووضعوا الايدي على كثير من القرى وأسلم كثيرون . وعند ذاك هاج الاهالي وماجوا وعزلوا البطريرك داود يوحنا العاقوري (٢) ونصبوا بدلا منه البطريرك جبرائيل الثاني الحجولي الذي قتل عام ١٣٦٧ شهيداً في ضواحي طرابلس .

٨ - المقدم عبد المنعم (الثاني)

تولى عبد المنعم الثاني مقدمية بشري في عهد البطريرك يعقوب الثالث الحدثي

---

(١) تاريخ الازمنة : للدويهي : مخطوطة مكتبتنا : اخبار السنة ١٣٩٣

(٢) تاريخ العاقورا : للخوري لويس الباشم : صفحة ١٩٢

(١٤٤٥ - ١٤٦٨) فدافع عن السريان اكثر من المقدمين اسلافه . وتحزب خصوصاً لعيسى اسقف السريان ولموسى بن عطشة التاجر السرياني الشهير . وظل عبد المنعم مستمراً في معتقده حتى اخترمته المنية عام ١٤٩٥ .

٩ - ابن شعبان مقدم حردين

بعد ذلك ظهر ابن شعبان مقدم حردين وكان ملكياً ثم صار مارونياً ثم صار يعقوبياً . وتبعه في معتقده ابنه واهل حردين قريته . وانحاز اليهم راهبان لحفديان من دير الفراديس اسم احدهما سميا فاذاعا المنوفيزيتية في لحفد . وهي رابع مرة انحاز فيها اللحفديون الى معتقد السريان المنوفيزيتيين .

١٠ - سيامة قسوس سريان لابرشيات لبنان

ومن مشاهير الاكليرس السرياني يومئذ جرجس وعيسى ابنا سميا المذكور آنفاً وابن شعبان . وموسى واخوه حنا وولدا ابراهيم ابن الحاج موسى البقوفاوي . فهولاء رهبهم المطران ديوسقورس عيسى ابن ضو النبكي مطران بيت المقدس (١٤٤٥ - ١٤٧٧) ثم سامهم كهنة. وفي السنة ١٤٧٠ قدم الى لبنان فتتلمذ له رهبان كثيرون في جملتهم نوح البقوفاوي الذي تولى فيما بعد مطرانية حمص فمفريانية المشرق فبطريركية السريان الانطاكية (١٤٩٤ - ١٥٠٩) وسيأتي ذكره في غير هذا الموضع .

الفصل الرابع

نص زجلية جبرائيل ابن القلاعي مطران قبرس (١٥٠٧ - ١٥١٦)

ان ما دفع المطران جبرائيل القلاعي الى وضع زجليته هذه هو استفحال الشقاق الديني في عهده بين اهالي بشرّي وحردين ولحفد وغيرها . لان مقدّمي تلك القرى الثلاث الشهيرة انحازوا الى الملة السريانية المنوفيزيتيـة وفي طليعتهم سالم وعبد المنعم مقدَما بشري . فهبّ ابن القلاعي يستحلف ابناء لحفد وطنه ليطردوا السريان المنوفيزيتيين من بينهم . واستعان بالتاريخ ليصرّح لهم بما جرّته الفتن الدينية من الويلات والخراب لا عـلى الملة المارونية وحدها بل على غيرها من الملل ايضاً .

زد عليه ان هذه الزجلية تصرّح تصريحاً جلياً بانتشار السريان في انحاء شتى من لبنان . وأيّد البطريرك الدويهي بقوله(١) : « وكثر الشقاق في جميع الجهات حتى ان المقدم المذكور (عبد المنعم الثاني) تهدّد مَن يتعرض لهم بالنفي من بلاده واستلاب قنيته » .

ذلك ما تحرّينا اثباته في هذا القسم كما اثبتناه في القسمَين السابقين من مؤلفنا هذا . وقد اوضحنا فيهما بادلة راهنة وبراهين دامغة ان السريان هم اصليون في هذه البقعة التي منحهم اياها الله عزّ شأنه . وليسوا غرباء او دخلاء او ضيوفاً فيها . والى القارىء بعد هذا التصريح نصوص ما يهمنا من تلك الزجلية القلاعية التاريخية :

---

(١) تاريخ الدويهي : صفحة ١٤٢

ابليس اب كل الطغيان   نظر شعب مارون فرحان (١)
حسده وأرماه في احزان   لأجل اثنين كانوا رهبان

. . .

كان الواحد من يانوح   والتاني من دير نبوح
اكرزوا بسرّاً موضوح   تكلم بهم روح الشيطان

. . .

قالوا المسيح ليس له نفس   ولا طبع يستحمل ويحس (٢)
ولا منطيع كرسي بطرس   لأجل انه على ذا الايمان

. . .

سمع البابا في عصاوتهم   ارسل قصّاد توعظهم
البطرك ليس راد يقبلهم   وكان اسمه لوقا من بنهران

. . .

جبة المنيطرة افترقت   مع الملك ليس التزقت
ومع اهل لحفد هرطقت   وعملت مقدّم مع مطران (٣)

. . .

في ذا السبب تعمّر الوادي (٤)   وعملوا صلح مع الاعادي
وطلبوا السكنى والزادي   اخذوا الفراديس في ارض بان (٥)

. . .

ولبسوا المسح مع القوسال (٦)   في زي ابليس المحتال

---

(١) المجلة البطريركية السورية : مجلد ٥ سنة ١٩٣٠ صفحة ٦٠٦ وكتاب رد التهم للدويهي : فصل ٩ صفحة ٣٦٨   (٢) هذا هو معتقد القائلين بطبيعة واحدة في السيد المسيح .

(٣) المجلة البطريركية السورية : مجلد ٦ سنة ١٩٣١ صفحة ١٦٢

(٤) يعني وادي قديشا .   (٥) دير الفراديس هو دير السريان

(٦) القوسال من السريانية ومعناه عباءة الرهبان .

صار عددهم اربعين رجّال والبلاد معهم في اطمئنان

. . .

وقام بعده ابنه سالم (١) مقدمّ في خلق وصارم
طمّاع محب للمال ظالم جفّت منه البلدان

. . .

رزايا يعقوب في الجبة ورزيّة الروم في العربة
المقدم تحت حروم صعبة لأجل الوظيفة والحلفان

. . .

وكل الشعب ثبت ضده ومن الطاعة حلوا جنده
وصار مخزي محروم وحده يتلطى مع قوم سريان

. . .

اربعة آلاف راس خيل اخذوا وسلاح ورماح ليس ينعدّوا
وخوذات ولبس كتير وجدوا الذهب والفضة في الميزان

. . .

قسموا الجميع بين ثلاثين الف كل مقدّم اخذ له صنف
ثلاثين مقدم قدام وخلف غير الساقط بالطغيان (٢)

. . .

اول جعلوا له قسمة وصّى البطرك في كلمة
ان لا يوصل اليه نعمة لأنه ساقط عن الايمان

. . .

نطق طفل في لغة سريانا قال نيقولاوس قنطرونا (٣)

---

(١) المقدم سالم السرياني القائل بالطبيعة الواحدة . (٢) اعني المقدم سالم .

(٣) قنطرونا من السريانية : اي القائد والمقدم .

نازل بعقبـــة حبرونا قاصد قدسك في ذا الآن

. . .

قال : انظف ما زرعه سالم واقلع نسله العـــادم
واكون قدام قدسك خادم بسيف الطاعة والايمان

. . .

نزل وحده بجنح الليـل رجع لبشري باربعين راس خيل
الهراطقـــة حسّوا بالويل هربوا من جبل لبنـان

. . .

اربعين سنة حملت واكتر حطوا ابليس في المحشر
وصار لهم في رومية دفتر واسم عالي جبـل لبنان

. . .

حسده ابليس واوصله للبقاع في سبب الحبيس اليشاع
تكـبّر في عملـه وارتفع ومضى للشرق وجاب طغيان

. . .

وجاء زي الذئب الجوّي لمن كان معه متخـاوي
والأفعى ليس تقبل حاوي يرمي السم عـلى الابدان

. . .

عن قودشا وعن قاديشا (١) جدّف على الروح ولم يخشا
نازل من المحبسة يتمشى تهوّر واخذه روح شيطان

. . .

وقع الوسواس في الجبـة وقـلّت منـــه المحبـة
بقت السكنى فيهـا صعبة والكاشف معهم تعبـان

. . .

(١) عبارة سريانية يقولها الكاهن في القداس .

لأن البطرك(١) بلع السم — واعطوه البرطيل ملو الفم
وارتضى في سفك الدم — بين الاساقفة والعصيان

. . .

البطرك عنهم قطعوه — ولا عادوا اعطوه ولا طاعوه
ولكن الكاشف ليس منعوه — ولا اقتبلوه في البلدان

. . .

سمعوا الاسلام وامتدوا — وضياع كتير في السيف اخذوا
ونصارى كتير لهم ردوا — لأجل الشكوك في الايمان

. . .

المقدمين صارت تفزع — والاسلام ما عادت ترجع
لأجل رزيّة اليشع — تخلى عنهم الرحمان

. . .

ذاك البطرك مات معزولا (٢) — وقاموا بطرك من حجولا (٣)
مات شهيداً مقتولا — وأحرقوه في النيران

. . .

الحدثي يعقوب تحرّك (٤) — والشيخ كان قبله مبارك
والثاني قال احتمل وأدرك — لكنه احتمل الطغيان

. . .

احتمله وهو مغصوبي — من عبد المنعم اليعقوبي (٥)

(١) هو البطريرك داود الملقب يوحنا (١٣٩٣ - ١٤٠٤).

(٢) يريد البطريرك داود المشار اليه .

(٣) هو البطريرك جبرائيل الثاني الحجولي الشهيد (+ ١٣٦٧ ؟)

(٤) هو البطريرك يعقوب الحدثي (١٤٤٥ - ١٤٥٨)

(٥) هو المقدم عبد المنعم السرياني (+ ١٤٩٥) الذي ابتنى كنيسة برصوما بجوار داره في بشري وسيأتي ذكره .

مؤيد كان معـه متعوبي   أورى فيه عظم البرهـان

. . .

ومات موتـه لا دين ولا يقين   البطرك كان في قنّوبـين
وابن شعبـان في حردين   منـه تنـسّل ثلاث طغيـان

. . .

من أصله قد كان رومي   وبعـد ذلك صـار ماروني
جاء اليه داسوس ملعوني   يدعى عيسى باسم مطران (١)

. . .

وأطغى العدما والمنافقين   ابن شعبان مع اهل حردين
وصاروا في زي الشياطين   يعلمون البنات مع الصبيـان

. . .

ويصلّبون بواحـد صابع   وينكرون المجمـع الرابـع
وبابا لاون السابـع (٢)   وملك الارثدكسي مرقيـان

. . .

مات الافعى وقام ابنه (٣)   في الطغيان اتعس منـــه
وعن الايمان قد ضاع ذهنه   وراد يحـقّر لمـن ينهـان

. . .

وسعى ابليس في غدره   واشغل في الباطن فكره
ابن عطشة جمّـل قدره   وأرسل له كتاب الطغيان

. . .

على يد اثنين متهومين (٤)   راحـوا منـا مهزومـين

---

(١) هو سويرس عيسى مطران حردين (١٤٤٣ - ١٤٨٠)
(٢) الصحيح : البابا لاون الاول (٤٤٠ - ٤٦١ م) الذي دحض الزعم بالطبيعة الواحدة .
(٣) اعني موسى بن شعبان .   (٤) هما سميا وجرجس ابنه اللحفديان .

لا علماء ولا مرسومين خرجوا من لحفد صبيان

. . .

وانتهموا في القدوسيّة وهربوا من الرهبانية
وصبيان لهم في العلم غاية عدما ودخلوا في بستان

. . .

لحفد كانت محمودة في الكرم وفي الجودة
صارت من ابليس محسودة منها انجهر رابع طغيان

. . .

من اولادك يا اميّ لحفد (١) السيف في قلبي منقّد
وانا كنت باسمك امجّد وحوّلت وجهي للحيطان

. . .

من اجل سميا ورفاقه لا كان لنا يوم اشراقه
لأجل حرومات اوثاقه تزعزع اساس جبل لبنان

. . .

وسكن في دير الفراديس وطلع عن اسمه انه حبيس
تلاميذه عملهم جواسيس يطغوا في عقل النسوان

. . .

وهو أطغى قنطروني (٢) وعمل له اب روحاني
ووسّع في الدنياني وحطّه في قاع الطغيان

. . .

قوم انت اسع في روحك (٣) امحي البرادعي من لوحك

---

(١) اشار الناظم الى قرية لحفد مسقط راسه .
(٢) اي المقدم عبد المنعم
(٣) الخطاب موجه الى عبد المنعم

الغربا اطردهم من فتوحك لأن الغريب ليس له ايمان

. . .

ولو كان الف غريب عندك ربّك وبلادك ضدّك
من اين تترجى نجدك من الله او من ضعف الانسان

. . .

لماذا لم يحميك يعقوب ورزق الله عندك محبوب (١)
وابن حسن يخلّيك مغلوب وبيتك له مثل الدخان

. . .

اعترف واعرف ان الله ضدّك ولا في كثرة ولا وحدك
نظرت عدوّك جا عندك وقتل وزيرك من الشجعان

. . .

كل الخطايا بتتدبّر وفي التوبة توجد اغفر
ولكن الهرطيقي ولو استغفر هو ماضي لقعر النيران

. . .

بشري خافي وارتعي بشري ابكي وانتحبي
بشري توبي وانتصبي ضد الخايب عن الايمان

. . .

بشري بيوتك احترقت بشري كتبك اختنقت
كانت محصنة تشتتت لانها مملوة طغيان

. . .

ثمر يعقوب ما هو حلسك ولا ابداً دار على ضرسك
ولا حلّة لبس في عرسك ولا قام لك منه مطران

. . .

(١) هو المقدم رزق الله عم المقدم عبد المنعم

فلكن توبي يا بشري واطردي الغربا الى برّا
واقتنعي بزوجك يا حرّة مارون تزوجك بايقان

. . .

هو اسسك وابناك هو رفعك وولاك
ابداً ما راح وخلاّك لماذا عشقت بياع اشنان (١)

. . .

ثمرة يعقوب حلت فيكِ ويعقوب عاجز ليس يحميكِ
اطردي يعقوب الساكن فيك (٢) واقتبلي البركات من هذا الآن

. . .

كملت بالدموع انكتبت ومن التواريخ اتخذت
عن ستماية عام (٣) حصلت عهد مارون في جبل لبنان

. . .

الفصل الخامس

منزلة ابن القلاعي الدينية والعلمية

١ – خلاصة ترجمة ابن القلاعي

يتصل نسب المطران جبرائيل ابن القلاعي بأسرة ضو اللحفديّة (٤) التي انتزحت

---

(١) اشار الناظم الى ابن عطشة التاجر السرياني (٢) عنى بيعقوب السريان الساكنين في بشري (٣) لعل ابن القلاعي عنى بستمائة عام تاريخ انتزاح الموارنة الى لبنان. فيكون قد تم ذلك الانتزاح على قوله في اواخر القرن التاسع او اوائل العاشر.

(٤) جامعة بني ضو : بقلم نصري لحود اللبكي : صفحة ٥

عن النبك الى لبنان . وفي السنة ١٤٧١ حج ابن القلاعي اورشليم حيث انضوى الى الرهبنة الفرنسيسية . ثم انطلق الى رومة عام ١٤٩٣ فاكمل دروسه وعاد الى لبنان . واخذ يناضل بخطبه ورسائله وزجلياته المقدم عبد المنعم مقدّم بشري القائل بالطبيعة الواحـدة في السيد المسيح . وفي السنة ١٥٠٧ رقّاه البطريرك سمعان الحدثي (١٤٩٢ - ١٥٢٤) الى مطرانية الافقسية بقبرس وكان انتقاله الى جوار ربـّه سنة ١٥١٦ .

٢ ــ ثناء البطريرك الدويهي على ابن القلاعي

خلف ابن القلاعي مصنّفات جمة اثبت عناوينها البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخه . ومن تلك المؤلفات مخطوطات محفوظـة بين الكتب العربية في الخزائن الواتكانية وفي خزانة المدرسة المارونية برومة (١) وفي بعض مكتبات لبنان .

اثنى العلاّمة الدويهي على ابن القلاعي بقوله : « كان الاسقف جبرائيل ابن القلاعي من قرية لحفد على جانب عظيم من القداسة والعلم والغيرة (٢) . وكان وحيد عصره ونتيجة دهره . بلغ من كل فضيلة غايتها ومن كل محمدة نهايتها . ولما رآه البطريرك سمعان اماماً يقتدى بآثاره وضياء يهتدى بانواره اقامه اسقفاً على كرسي افقسية قبرس . . ونحن قد اتخذناه حجة على المعترضين وسيفاً نسلـّه على المخالفين » (٣) .

نقلنا عبارات الثناء هذه بالحرف الواحد عن تاريخ الطائفة المارونيـة الذي نشره الاستاذ رشيد الشرتوني . وكان الاولى به ان يحافظ على نصها الاصلي حرصاً على وديعة الدويهي كما خلـّفها بقلمه وهاك ما دوّنه الدويهي نفسه عن ابن القلاعي في تاريخه طبقاً للمخطوطة المحفوظة في خزانة كتبنا قال :

« سنة ٩٢٣ هاجرية التي بدوها في شهر شباط من شهور سنة ١٥١٦ مسيحية

---

(١) تاريخ سوريا : للمطران يوسف الدبس : عدد ٩٨٦ صفحة ١٥٣

(٢) تاريخ الدويهي :

(٣) تاريخ الدويهي : فصل ٩ صفحة ٣٦٩

انتقل بالوفاة الى رحمة الله الاسقف جبرائيل ابن القلاعي من لحفد . يعجز اللسان عن وصف غيرته وعلومه وقداسته حتى ان هو وحده سند بذراعيه ملته المورانية عندما احاطتها الارطقات وكانت قد قاربت الى العدم . ولم يسعفها بحياته فقط بل وبعد وفاته بواسطة المصنّفات الذين خلفهم بعد منه »(١).

٣ ـ شهادة المطران يوسف الدبس بمآثر ابن القلاعي

وقال المطران يوسف الدبس عن ابن القلاعي : « انتقل هذا المجاهد المتاجر بالوزنات الخمس الى رحمة ربه لينال الاكليل الذي اهلته له اتعابه ومبراته »(٢) .

٤ ـ وصف الاب لويس شيخو لزجليات ابن القلاعي

وقال الاب لويس شيخو عن ابن القلاعي : « هو اول كاتب ماروني اشتهر بتآليفه ... وكان شاعراً فطرياً لم يعرف من العروض والاوزان الا ما ارشدته اليه الطبيعة وما سمعه في وطنه لبنان من الاغاني العامية او المنظومات البيعية السريانية . فعلى هذا الاساس بنى زجلياته التي خلّف منها شيئاً كثيراً . . . وقد برع ابن القلاعي في كل ذلك فكان لأناشيده وزجلياته تأثير كبير في قلوب ابناء طائفته »(٣) .

فنظراً الى ما اتصف به المطران جبرائيل اللحفدي المعروف بابن القلاعي من المزايا الدينية والعلمية استندنا بكل امان واطمئنان كما استند مؤرخو الموارنة الى ما رواه عن السريان وعن مكانتهم في جبل لبنان .

---

(١) تاريخ الازمنة : مخطوطة خزانة كتبنا : اخبار السنة ٩٢٣ للهجرة

(٢) الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل : عدد ٥٣ صفحة ٣١١

(٣) شعراء النصرانية بعد الاسلام : للاب لويس شيخو : قسم ٤ صفحة ٤٣١ - ٤٣٢

الفصل السادس

السريان والاخ غريفون الفرنسيسي في لبنان

١ ـ قدوم الاخ غريفون الى لبنان واتقانه اللغتين السريانية والعربية

نشر الاب هنري لامنس اليسوعي لمحة ضافية(١) عن الاخ غريفون الفلمنكي الراهب الفرنسيسي . وتحدّث عن قدومه الى بلاد المشرق عام ١٤٤٢ وعن حجه الاراضي المقدسة في فلسطين وعن الطائفة المارونية في جبل لبنان . فاعتمدنا ما كتبه واقتبسنا منه ما له صلة بموضوعنا عن انتشار السريان في لبنان قال ما خلاصته :

سبق الاخ غريفون فدرس اللغتين العربية والسريانية واتقنها تأهباً لقدومه الى لبنان . ولما وصل سنة ١٤٥٠ الى بيروت حلّ في دير رهبنته الفرنسيسية المعروف بدير المخلص(٢) . وما مرّ على اقامته في ذلك الدير الا القليل حتى انطلق مع رفيقه الاخ فرنسيس البرسلوني الى زيارة البطريرك يعقوب الحدثي (١٤٤٥ ـ ١٤٥٨) الماروني في قنوبين . وبعد مدة توجها الى زيارة خلفه البطريرك بطرس الحدثي (١٤٥٨ ـ ١٤٩٢) المعروف بابن حسّان .

٢ ـ عبد المنعم مقدم بشري السرياني في عهد غريفون

وكان للموارنة في ذلك العهد مقدّمون عديدون : في كل من اقضية لبنان مقدم كالبترون وجبيل والعاقورا وغيرها . وكان لمقدم بشري الاسبقية على سائر المقدمين يتولى شؤون اهل لبنان ويقضي بينهم كأمير . وكان هذا المقدم عند

---

(١) المشرق : مجلد ١ سنة ١٨٩٨ وكتاب رد التهم للدويهي : فصل ١٣ صفحة ٣٩٩

(٢) كان موقع هذا الدير نفس الجامع المعروف اليوم بجامع السرايا الكائن غربي سوق سرسق .

وصول غريفون من السريان المنوفيزيتيين يتبعه في عقيدته جماهير غفيرة . اما اسمه فهو عبد المنعم ايوب بن جمال الدين بن سيفا البشراني . وكان هـذا المقدم اعظم نصير للسريان في عهده . وقد أسندت اليه مقدمية بشري التي ورثها عن آبائه واجداده واستغرقت ربع قرن كامل (١٤٧٠ - ١٤٩٥) . وظلت كلمة عبد المنعم نافذة مسموعة منذ ايام مقدّمية عمه رزق الله حتى آخر مقدّميته .

تلك فذلكة مما اثبتته مجلة المشرق عن رحلتي الاخ غريفون الى لبنان . وهي تبرهن جلياً ان مقدم بشري وهو رأس المقدمين اللبنانيين قاطبةً كان سريانيـاً منوفيزيتياً . وهي حقيقة تاريخية ايدها ابن القلاعي في زجليته كما مر بك .

الفصل السابع

السريان والاب يوحنا اليانو باطشتا في لبنان

١ - اتهام البطريرك ميخائيل الرزي بانه يعقوبي الاصل وممالىء لليعاقبة

ما كاد يرتقي السيد ميخائيل الرزي الى الكرسي البطريركي (١٥٦٧ - ١٥٨١) حتى وجه موارنـة قبرس الى البابا بيوس الخامس (١٥٦٦ - ١٥٧٢) عرائض يقولون فيها ان البطريرك الجديد اصله يعقوبي(١) وانه ممالىء للسريان اليعاقبة(٢). فكتب الحبر الروماني الى الاب فرنسيس بنجنتين حافظ الاراضي المقـدسة في اورشليم يأمره ان يبادر الى لبنـان ويدقق في اصل البطريرك وعمره وسيرته ومعتقده وفي صحة الاخبار عنه وعن عوائد ملته(٣) .

---

(١) رد التهم : للدويهي : فصل ١٦ صفحة ٣٩؛ (٢) المشرق : مجلد ٢٢ سنة ١٩٢٤ صفحة ٣٥٠ (٣) الجامع المفصل : عدد ٨؛ صفحة ٢٩٠

٢ ـ قدوم الاب اليانو الى لبنان بامر الحبر الاعظم

وفي اذار ١٥٧٨ اوفد البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ ـ ١٥٨٥) الى لبنان الاب يوحنا اليانو باطشتا والاب توما راجيو والاخ اماتو اليسوعيين يصحبهم المطران جرجس البسليقوتي والخوري اقليميس الاهدني المارونيان .

وصل الوفد الى طرابلس في حزيران ١٥٧٨ ومن هناك انطلق الراهبان اليسوعيان الى قنوبين . فرّحب بهما البطريرك ميخائيل ومكثا مدة في ضيافته ثم عادا وتوجها مع الاخ اماتو الى اورشليم ومن هناك رجع ثلاثتهم الى طرابلس .

٣ ـ وقوف الاب اليانو على مخطوطات الموارنة سريانية و كرشونية

بعد ذلك شخص الاب يوحنا اليانو وحده الى دير قنوبين وجعل يستكشف عما فيه من مخطوطات سريانية و كرشونية . فكان اذا عثر على شيء مخل بعقائد الايمان افرز ذلك المخطوط وعرضه على البطريرك فعلى الاساقفة . فاجمعوا اما على اصلاح الغلط او على احراق المخطوط لئلا يبقى عثرة في سبيل المؤمنين . وعلى هذا النمط احرقوا جانباً من الكتب بحضور رؤساء الدين وجمهور الشعب(١) .

ثم استأذن الاب اليانو ليجول في الانحاء اللبنانية ويستقصي البحث عن المخطوطات ويقف على العادات المارونية . فوافقه البطريرك على ذلك وحمّله رسالة كتبها بخط يده الى الاساقفة ورؤساء الديورة . واوصى الجميع ان يرّحبوا بالزائر ويقدموا له ما عندهم من الكتب . ثم امر اخاه الاسقف سركيس الرزي والقس جرجس بن يونان ليرافقاه في جولاته . هكذا واصل الاب اليانو طوافه في الاديار والكنائس زهاء سنة يبحث عن المخطوطات ويطّلع على ما تضمنته ويقيد الاغلاط في دفتر خاص .

---

(١) المشرق : مجلد ١٧ سنة ١٩١٤ صفحة ٥٤

وقد شاهد الاب اليانو في اثناء جولاته طائفة معتبرة من الكتب التي صنفها ايمة السريان المنوفيزيتيين او كتبها نسّاخهم الوافرو العدد او نقلها رؤساؤهم وتجارهم من مختلف البلدان . وانشأ تقريراً في ذلك رفعه الى البطريرك والاساقفة .

٤ ـ ارتحال الاب اليانو الى رومة وعرضه على الحبر الروماني

خلاصة رحلته

في ٢٢ اذار ١٥٧٩ عاد الاب اليانو مع رفيقيه الى رومة وعرض على الحبر الاعظم خلاصة اخبار رحلته . ومما جاء فيها قوله : « اننا وجدنا في الدار البطريركية المارونية شماساً قال علانية : « اننا لا نعتقد في المسيح الا مشيئة واحدة وطبيعة واحدة » . وقيل ان هذا الشماس كان من السريان اليعاقبة المتجولين في لبنان . وقد اشار اليهم البطريرك الدويهي ونسب اليهم تحريف الكتب . ثم التمس الاب اليانو من الحبر الاعظم ان يأمر بطبع كتب الموارنة الطقسية منقحة حتى تقوم مقام الكتب الخطيّة فيحرقوها مستغنين عنها بما هو افضل (١) .

٥ ـ رجوع الاب اليانو الى لبنان

وفي ايار ١٥٨٠ وهي السنة الثالثة عشرة لجلوس البطريرك ميخائيل عاد الاب اليانو من رومة حاملاً درع التثبيت من الحبر الاعظم الى البطريرك المشار اليه . فاستقبله الاهالي في كل القرى بالاهازيج والاناشيد حتى وصل في ٩ تموز الى قنوّبين مقر البطريرك . فاجتمع هناك الاقليرس واعيان الشعب وتلا الاب اليانو على مسامعهم رسالتَي البابا الروماني والكردينال كرافا . وفي ١٥ آب عيد انتقال

---

(١) المشرق : مجلد ١٧ سنة ١٩١٤ صفحة ٧٦٢

والدة الله توشّح البطريرك ميخائيل بدرع التثبيت وحلف يمين الطاعة على موجب الصورة المرسومة في المجمع التريدنتيني (١) .

٦ ــ مجمع قنوبين سنة ١٥٨٠ والمطران سويرس مهنا

وفي اليوم التالي ١٦ آب ١٥٨٠ عقد البطريرك مجمعاً طائفياً في كرسيه حضره سبعة اساقفة والزائر الرسولي الاب اليانو يرافقه الاب برونو . ووفد حين ذاك سويرس مهنا مطران السريان من حردين فرحّب به آباء المجمع ودعوه الى حضور الجلسات (٢) .

٧ ــ جولة الاب اليانو الثانية في لبنان واحراق بعض المخطوطات

بعد الفراغ من المجمع استأنف الاب اليانو بحثه عن الكتب الدينية في جولة ثانية قام بها وحده . ونسب ما عثر عليه فيها من الضلال الى نسّاخ السريان او الى جهلة الموارنة . فكان ينبّه على ما فيها من الفساد او يشير الى اصلاحها او يبتاعها من اصحابها فيحرقها ويعدهم بنسخة منها بعد طبعها (٣) .

٨ ــ زيارة الاب اليانو لبطريرك الروم في دمشق و بطريرك السريان في حلب وعودته الى رومة .

في تشرين الثاني ١٥٨١ سار الابوان اليانو وبرونو الى اورشليم ومن هناك

---

(١) الجامع المفصل : عدد ٨ ؛ صفحة ٢٩٣

(٢) المشرق : مجلد ١٨ سنة ١٩٢٠ صفحة ٣٠٧

(٣) المشرق : مجلد ١٨ سنة ١٩٢٠ صفحة ٦٧٨

انطلقا الى دمشق وقابلا يواقيم الخامس بطريرك الروم الارثذكس (١٥٨١ - ١٥٩٢) المعروف بابن ضو . ثم رجعا الى لبنان وقضيا الشتاء والربيع في طرابلس وفي قنوبين . ومن اخبار الاب اليانو انه توجه وحده الى حلب ليزور بطريرك السريان اغناطيوس بطرس الرابع (١٥٧٦ - ١٥٩١) فلم يتوفق في ذلك . فعاد الى طرابلس في آب ١٥٨٢ ومنها ابحر الى القطر المصري وتوفي في اذار ١٥٨٩ بمدينة رومة .

الفصل الثامن

السريان والاب ايرونيمس دنديني في لبنان

١ - تعيين الاب دنديني قاصداً رسولياً للموارنة

اصدر البابا اقليميس الثامن (١٥٩٢ - ١٦٠٥) امره الى الاب ايرونيمس دنديني اليسوعي عام ١٥٩٦ في القدوم الى لبنان كزائر رسولي ليشرف على احوال الموارنة ويستقصي البحث عن شؤونهم الدينية ويعود فيوقفه على حقيقتها (١) . ثم دفع اليه براءة مؤرخة في ١٢ حزيران من السنة عينها باسم البطريرك سركيس الرزي (١٥٨١ - ١٥٩٦) مصرّحاً فيها بتعيينه الاب دنديني مندوباً من قِبله . وفوّض اليه ان يتعهد الطائفة المارونية ويعزّيها في مصائبها ويطلع على احوالها ثم يوقفه عند عودته على كل حاجاتها . وختم البراءة بذكر ما ارسله من الهدايا البيعية الى ابنائه الموارنة عربوناً لعطفه الابوي .

---

(١) المشرق : مجلد ١٩ سنة ١٩٢١ صفحة ٧٥٨ - ٧٧٠

٢ ـ وصول الاب دنديني الى لبنان وعقد مجمع في قنوبين سنة ١٥٩٦

ابحر الاب دنديني في ١٤ تموز ١٥٩٦ يرافقه الاب فابيوس برونو اليسوعي مستشاره والقَس موسى العنيسي والشدياق يوسف اليان الحلبي المارونيان . فبلغوا قنّوبين في اول ايلول ورحّب البطريرك سركيس بالزائر الرسولي وتناول البراءة البابوية وقبّلها ووضعها على رأسه اجلالا . واطلع على مضامينها وعلى مضامين رسائل الكردينال باليوتي ورئيس اليسوعيين العام . وفي ٢٨ ايلول من السنة عينها عُقد المجمع في قنوبين فقرر البطريرك سركيس وثيق ارتباطه بالسدة الرومانية . ثم نهض رئيس الشمامسة ونادى قائلًا : « نعم اننا نريد ان نتبع الكنيسة الرومانية ولا ننفصل عنها حيثما سارت ولو انحدرت الى الجحيم » .

٣ ـ جولة الاب دنديني للاطلاع على المخطوطات

ثم استأذن الاب دنديني ليجول في بعض انحاء الجبل ويتعهد الكنائس والاديار ويستكشف عما فيها من المخطوطات فكتب يقول : « ... اما الكتب النافعة والمفيدة كالكتب التقوية فهي نادرة عندهم . واما الكتب الفاسدة والرديئة فهي اكثر انتشاراً بينهم لانها لم تكن محرّمة . ومن هذه الكتب مؤلفات النساطرة واليعاقبة وتبّاع ديوسقورس وما شاكلها من مؤلفات اصحاب البدع الذين يقيمون بينهم وينشرونها على اهون سبب . فيحرزها هولاء دون ان يفطنوا لِما تتضمنه من الضلال » .

٤ ـ نقل السريان ستين حمل بغل من كتبهم الى لبنان

ما عدا المخطوطات الوافرة التي امتلكها السريان في لبنان وما عدا ما نسخه

فيه رهبانهم واستنسخه علماؤهم فقد نقلوا اليه من بلاد شتى مخطوطات لا تقع تحت حصر . قال الاب دنديني : « اخبرني احدهم ان اليعاقبة ادخلوا عن قرب لبلادهم (اعني الى لبنان) ما يقارب خمسين الى ستين حمل بغل من كتبهم . ما عدا كتاب القداس والفرض الكنسي اللذين يشكوان سوء حالتهما . واما الصالح منهما فيحفظ بخزانة مقفولاً عليه بحرص دون العناية بنسخ ما اتلفته يد الاستعمال »(١) .

وكتب الاب دنديني ايضاً يقول : « لما كان تداول كتب اصحاب البدع والمشاقين بين ايدي المؤمنين السذج مضراً كثيراً بنفوسهم وجب البحث عن هذه الكتب وحفظها لدى البطريرك في مكان مغلق . ولا يؤذن بمطالعتها الا للعلماء وكبار اللاهوتيين الذين يُحسنون التمييز بين الصحيح والباطل » (٢) . واستتلى قائلًا : « قد احسن آباء المجمع كثيراً بتعيين البعض من الكهنة الذين درسوا في رومة ليعلموا الاولاد والجهّال التعليم المسيحي . ولاجل تثقيف الكهنة بالحوادث اللاهوتية وتصليح الكتب من شوائب البدع والضلال »(٣) .

فمن بيّنات الاب دنديني وتصريحاته بان مؤلفات السريان اليعاقبة وتبّاع ديوسقورس هي اكثر انتشاراً من غيرها بين الموارنة . وان اليعاقبة ادخلوا الى لبنان ما يقارب خمسين الى ستين حمل بغل من كتبهم ما عدا كتب القداس والفرض الكنسي، نستنتج النتيجة التي توخيناها في مؤلفنا هذا وهي : انتشار السريان في قلب لبنان ورواج كتبهم ومؤلفاتهم الدينية والعلمية ما بين الموارنة . وقد سبق الاب اليانو فاحرق جانباً عظيماً منها كما قلنا وتبعثر جانب في الديورة وفي المكتبات الخاصة ونُقل الجانب الآخر الى مكتبات اوروبا وغيرها .

---

(١) رحلة الاب دنديني : فصل ١٩ صفحة ٢٤٨ من المجلة السورية البطريركية سنة ١٩٣١

(٢) رحلة الاب دنديني : فصل ٢٤ قانون ٢٠

(٣) رحلة الاب دنديني : فصل ٢٦

الفصل التاسع

تأثير السريان في الطقوس المارونية

١ ـ هل الموارنة فرقة من اليعاقبة ؟

لسنا نبالغ اذا قلنا ان السريان كان لهم في لبنان القدح المعلى لا في الثروة والوجاهة فقط بل في كلتا الثقافتين الدينية والادبية . كيف لا « وكان منهم بدون شك رهبان علماء وتجار اغنياء . فأخذوا رويداً رويداً يسيطرون في محيطهم ، وهو على الارجح دونهم علماً وثروة ، حتى توصلوا الى اغواء المقدم عبد المنعم فناصرهم جهراً وتهدد من يقاومهم » (١) . وقد تأصل تأثير التعاليم اليعقوبية في الموارنة « فبلغ حداً جعل البعض يزعمون ان الموارنة فرقة من اليعاقبة » . وهذه التسمية تغلبت خصوصاً يوم استفحل أمر السريان في الانحاء اللبنانية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر

٢ ـ الآثار اليعقوبية في الطقس الماروني

أثبت الخوري ميخائيل الرجي احد كتبة البطريركية المارونية عن « الطقس الماروني » ما نصه : « واذا كان التاثير اليعقوبي قد بلغ هذا المبلغ عند الموارنة مدة قرنين ، فلا غرابة ان يكون قد ترك آثاراً جمة في الطقس . فاليعاقبة ، وبينهم رهبان علماء ، قد غمروا الاديرة والكنائس ، بل البلاد كلها بمخطوطاتهم الطقسية

---

(١) كل ما أثبتناه بين قوسين « » في هذا الفصل نقلناه حرفياً عن مقال عنوانه « الطقس الماروني » نشره الخوري ميخائيل الرجي في مجلة المشرق : مجلد ٣٣ سنة ١٩٣٥ صفحة ٤٨١ - ٥٢٢

وغيرها . ونسّاخهم أخذوا يخطّطون الكتب لحساب الموارنة . وهؤلاء قد خُلب بعضهم بمظاهر العلم والفن والجاه التي كانت لضيوفهم اليعاقبة . فأهملوا كتبهم العتيقة واخذوا باقتناء هذه الجديدة وبالنسج على منوالها وبالنتيجة باستعمالها » .

وأردف الخوري ميخائيل الرجيّ يقول : « فبعض الكتب الطقسية (المارونية) المصدّرة باسماء أيمة اليعاقبة ، مثل ساويرا وبرصوما وامثالها ، والحافلة بالرتب المنسوبة اليهم ، ليست مارونية بل يعقوبية موسومة بطابع أيمّة اليعاقبة ، وهي هي تنادي بيعقوبيتها . فلا يجوز اعتبارها مارونية ولو وجدت بين ايدي الموارنة او طُبعت لاستعمال الموارنة » .

٣ ـ ادماج كتب الموارنة الطقسية بكتب السريان اليعاقبة

لم يتمالك الخوري ميخائيل الرجيّ من ان « يوآخذ ابناء الطائفة المارونية ، وخاصة العلماء منهم ، في خلطهم بين كتب الطائفتين (المارونية واليعقوبية) وطقوسها ، وفي عدم تمييز الماروني من اليعقوبي ، وفي اعتقادهم ان للطائفتين طقساً واحدا » . وأيد ذلك بشهادات بليغة لا تُرد اقتبسها من مؤلفات مشاهير علماء الموارنة كجبرائيل الصهيوني (+ ١٦٤٨) ويوسف شمعون السمعاني (+ ١٧٦٨) والمطران اسطفان عوّاد (+ ١٧٨٢) .

٤ ـ البطريرك اسطفان الدويهي وطقس اليعاقبة

قال الخوري ميخائيل الرجي : « أبقى الدويهي كذلك في الكتب التي نظمها آثاراً عديدة بل رُتباً كاملة من الطقس اليعقوبي . فهل أجرى ذلك يا ترى بسبب اندماج هذه العناصر اليعقوبية في طقسنا ورسوخها في عوائدنا ، بحيث اصبحت يصعب تمييزها من العناصر المارونية ؟ ... فقبل الدويهي وبعده كان العلماء الموارنة وغيرهم يعتقدون ان للموارنة ولليعاقبة طقساً واحداً وكتباً واحدة . ولا غرو

ان الدويهي كان من هذا الرأي وبه الكفاية في سبب ابقائه في طقسنا (الماروني) على كثير من الطقس اليعقوبي » .

٥ ـ انتحال بعض الموارنة تآليف اليعاقبة

قال الخوري ميخائيل الرجي عينه : « قد ساعد الموارنة على الوقوع في هذا الخلط (اي خلط كتبهم مع كتب اليعاقبة) ماعمله بعض القدماء منهم · فانهم اذ رأوا فقر الطائفة بالنسبة الى اليعاقبة في المؤلفات الطقسية والقانونية ، فضلاً عن سواها ، اخذوا عن هولاء بعض كتبهم كالناموس لابن العسّال وكتاب شرح الليترجية لأبن الصليبي ونافورات اليعاقبة وغير ذلك ، وحوّروها قليلاً على موجب بعض عاداتهم وطقوسهم ونسبوها الى علمائهم الاقدمين . ولما كانت هذه الكتب تحتوي على طقس اليعاقبة ليس غير ، فقد ظن الموارنة بعدئذ ان للطائفتين طقساً واحداً » .

ونحن عرفنا اسماء طائفة مهمة من تلك الكتب والنافورات التي انتحلها الموارنة وادغموها في تصانيفهم كأنها تصانيف ايمتهم . نذكر من ذلك نافور ماروثا مطران تكريت ونافور متى الراعي اسقف الموصل ونافورين لمار يعقوب السروجي ونافور يعقوب الرهاوي وقد احصاها البطريرك الدويهي في جملة النوافير المقبولة عند الموارنة . وقد نُشر في كتاب قداس الموارنة المطبوع في رومة عام ١٥٩٤ نافور يعقوب ابن الصليبي ونافور البطريرك يوحنا بر شوشن (١) .

٦ ـ محاماة بعض الموارنة عن ايمة اليعاقبة

استنلى الخوري ميخائيل الرجي يقول : « ان الفقر في الكتب الكنسية

(١) منارة الاقداس : للدويهي : مجلد ٢ صفحة ١٥٠ ـ ١٥٢

(المارونية) دفع بعض الموارنة الى المحاماة عن بعض ايمّة اليعاقبة كالسروجي والرهاوي ، والى اجهاد النفس في تبيان كونهم ارثوذكسيين كاثوليكيين . ذلك لكي يتمكنوا من الاستعانة بمؤلفاتهم ... »

٧ ـ الخلاصة

نكتفي بالنزر مما نقلناه عن تأثير السريان اللبنانيين في الشؤون البيعية المارونية . وهناك شهادات كثيرة وبيّنات صادقة التقطناها من مصنّفات العلماء شرقاً وغرباً وأثبتناها على صفحات كتابنا هذا خدمة للحقيقة والتاريخ . واقتصرنا في هذا الفصل على ما دوّنه حضرة البحاثة الخوري ميخائيل الرجي الذي اكبّ على درس الموضوع الذي نحن بصدده . فمحّصه وكشف غوامضه اكثر من جميع الذين سبقوه من كتبة الملّة المارونية .

الفصل العاشر

المقدمون السريان في لبنان

١ ـ اشهر مقدميات السريان

المقدّم في عرف اللبنانيين هو من تولى حكم مقاطعة او ناحية او بلدة يقطعه اياها الامير او الوالي او السلطان على مبلغ معلوم من المال . واشتهرت دولة المقدمين خصوصاً في الحقبة التي يدور عليها بحثنا . ذكر المطران جبرائيل ابن القلاعي وغيره ممن نقلوا عنه زجليته بعض اخبار المقدّمين السريان في اهم الانحاء اللبنانية . وخصصوا بالذكر مقدميات بشري والحدث وحردين وجبة المنيطرة حيث

كانت العقيدة المنوفيزيتية منشورة انتشاراً عظيماً . وكان لمقدم بشري الأسبقية على سائر المقدمين يحكم كامير على لبنان(١) .

وكانت تلك المقدّميات الاربع مراكز خطيرة للسريان لهم نفوذهم فيها بالمال والعلم والتجارة والادارة . وقد تولاها مقدمون تفردوا بالمرونة واساليب السياسة حتى اصبح جيرانهم يتهيبونهم ويحسبون لهم الف حساب . ومع تعاقب الازمنة اشتهرت كل من تلك المقدميات باوصاف خاصة ذكرها ابن القلاعي في زجلياته فقال مثلاً في لحفد :

لحفد كانت محمودة   في الكرم وفي الجودة

ولم تقلّ جبة المنيطرة في ذلك عن لحفد بل بارتها في غلوّها بالمعتقد المنوفيزيتي فقال فيها ابن القلاعي :

جبة المنيطرة افترقت   مع الملك ليس التزقت
ومع اهل لحفد هرطقت   وعملت مقدم مع مطران

٢ ـ المقدمون الاولون في بشري

يُستفاد من زجليات ابن القلاعي وممن اخذ عنه ان المقدم « الشدياق » تولى سنة ١٢٥٠ للميلاد مقدمية بشري وتولاها بعده ابنه سالم . فاخذ السريان يقصدونه حتى مال اليهم وجاراهم في عقيدتهم وراح يدافع عنهم . ثم تولى مقدمية بشري يعقوب بن ايوب الذي استعمله الملك الظاهر وكتب له في المقدمية صحيفة نحاسية كما سبق الكلام .

واشتهر المقدم عبد المنعم ايوب بن جمال الدين بن سيفا البشراني(٢) في عهد البطريرك يعقوب الحدثي (١٤٤٥ – ١٤٥٨) . فناصر السريان اكثر من سائر

(١) تاريخ الدويهي : صفحة ٢٧٩   (٢) تاريخ الدويهي : صفحة ١٤٣

المقدّمين اسلافه . وتحزّب للمطران ديوسقورس عيسى ابن ضوّ ولموسى بن عطشة التاجر السرياني . وابتنى المقدم عبد المنعم بجوار داره في بشري كنيسة على اسم برصوما وظل متمسكاً بعقيدته حتى وفاته سنة ١٤٩٥ . وفي تلك الآونة استفحل امر السريان في الجبة وقويت شوكتهم وكادت تعمّ تعاليمهم شعب لبنان الشمالي برمته بسبب مناصرة عبد المنعم مقدم بشري لهم (١) .

وقام بعد عبد المنعم ابنه المقدم جمال الدين يوسف ثم حفيده عساف الياس . وخلّف عساف ولداً صغيراً اسمه يوحنا فتغلب على المقدّمية كمال الدين الايطي ابن عجرمة (٢) .

٣ ـ المقدمون العناحلة

على اثر مقتل يوحنا ابن المقدم عساف الياس سنة ١٥٤٧ انقرضت دولة مقدمي بشري ابناء سيفا وانتقلت الى المقدمين العناحلة ابناء قمر وهم : موسى ورزق‌الله وداغر وعاشينا . واطلق عليهم لقب « العناحلة » نسبة الى عين حليا(٣) التي وفد منها اجدادهم الى لبنان كما سنفصله في غير هذا المحل . وقام منهم الاسقف موسى بن ايوب بن قمر وكان متزوجاً ثم ترمّل قبل سيامته الاسقفية . وخلّف ابناً سماه عساف تولى المقدمية سنة ١٥٧٣ مع عمه داغر ولم تطل مدة حكمه حتى قتل(٤) . اما المقدم رزق‌الله فقد قتل سنة ١٥٧٠ ربانية(٥) .

غير ان مقدّمية « العناحلية » انقرضت عام ١٦١٣ بقتل عاشينا رابع ابناء قمر . قتله الشيخ ابو صافي ابن الخازن بامر الامير فخر الدين المعني (١٥٧٢ — ١٦٣٥) .

---

(١) تاريخ اهدن : تأليف سمعان خازن : جزء ٢ صفحة ٤٠ (٢) تاريخ الدويهي : صفحة ١٤٥ (٣) عين حليا : بلدة قديمة قريبة من سرغايا في قضاء الزبداني من اعمال دمشق الشام . (٤) الجامع المفصل : عدد ٦ ؛ صفحة ٢٧٨ ـ ٢٧٩

(٥) مخطوطة بكركي ، رقم ١١٨ المنسوخة عام ١٨٨١ لليونان (١٥٧٠)

وكانت مدة مقدّمية عاشينا تسع سنوات[١] . ولم تستغرق مقدّمية العناحلة في بشري اكثر من ست وستين سنة (١٥٤٧ - ١٦١٣) .

٤ - المؤرخ الدويهي والمقدمون

اليك ما دوّنه البطريرك اسطفان الدويهي عن المقدمين قال ما خلاصته : [٢]

« ولد جمال الدين بن سيفا ابن المقدم يعقوب ولدين هما عساف ورزق‌الله . فعساف ولدَ عبد المنعم ايوب ومات وانتهى حكم البلاد الى اخيه رزق‌الله . وكان المقدم رزق‌الله عالماً مكرماً في قومه ساعياً في عمران البلاد ... فقدم اليه بعض رهبان يعاقبة من نواحي الشرق في تحف وهدايا مع مكاتبات من موسى بن عطشة اليعقوبي الذي كان قد قدم سابقاً الى ايالة طرابلس بزّي تاجر . فرحّب المقدم رزق‌الله بالرهبان وانزلهم بالقرب من داره .

« وكان عبد المنعم ابن اخي المقدم رزق‌الله شاباً محباً للعلم فوجد مع الرهبان كتاباً جميل الخط في السرياني والكرشوني يتضمن قواعد اليعقوبية . فطلبه منهم واخذ يدرس فيه وهم يفسّرون له معانيه فمال اليهم . ولما تزوج حضروا عرسه وجادوا في النقوط ووعدوه بكرامات كثيرة . وحينما مات عمه المقدم رزق‌الله عاد اليه حكم البلاد . لان عساف وجبرائيل ولدَي رزق‌الله كانا قاصرَين . . . وكان ذلك سنة ١٤٧٠ حينئذ اكرم عبد المنعم على الرهبان بمواضع لسكناهم وبنى لهم كنيسة باسم برصوما بالقرب من داره .

« وعندما شاع خبر المقدم عبد المنعم قدم اليه موسى ابن عطشة بجملة رهبان . واخذ البعض منهم يسكنون الفراديس بارض بان والبعض بارض عين تورين . وكذلك القس نوح البقوفاوي[٣] الذي جُعل اسقفاً على بلاد فونيقي على يد

---

(١) تاريخ الدويهي : صفحة ١٩٨

(٢) رد التهم : تأليف البطريرك الدويهي : فصل ١ صفحة ١٤ فما بعد .

(٣) سيأتي ذكر البطريرك نوح البقوفاوي في غير هذا الفصل .

فيلكسينس بن قرمان اسقف حماة وحردين ودعي قرلس . فلما سمع بصيت المقدّم المخالف عاد الى قريته بقوفا . وكان شديد الطعن في مجمع خلقيدونية ولاون البارّ بابا رومية واعتقاد آبائه واجداده . فخدع قلوب كثيرين من السذج : مثل القس عيسى الحرديني، والقس موسى والقس يوحنـا ابـَني ابرهيم ابن الحاج موسى البقوفاوي، والقس سميا وابنه جرجس من لحفد(١) . والقس موسى من قرية موسى وغيرهم كما هو مشروح في الانجيل الذي نسخه نوح بيده سنة ١٧٩٠ لليونان (١٤٧٩ م) . والكتاب موجود الى الآن في قبرس في كنيسة كليبيني .

« واناس كثيرون مشارقة ونابلسية قصدوا السكنى في جبل لبنان حتى قوم من بلاد الاحباش كالقس يعقوب الحبشي مع غيره من الرهبان . واستوطنوا بدير مار يعقوب باهدن ولذلك دُعي دير الاحباش . وكان بثّ البدعة بجبل لبنان امراً في غاية السهولة : اولاً لان اللغة واحدة ورتب اسرار البيعة عندنا وعند اليعاقبة ليس بمختلفة الا اختلافاً يسيراً . ثانياً لان الناحية طيبة الهواء والعيش متسع فيها لأهل الدنيا ومتسهل للمتفرغين لخدمة الله والمتنسّكين في الاودية والجبال . ثالثاً لان المقدّم المتولي حكمها كان يكرّم المتمسكين بالطبيعة الواحدة ويأذن لهم في السكنى حيث شاؤا .

« فلما انكشف ذلك وتبيّن عند العلماء ورؤساء الكهنة كثر السجس والانشقاق ... ولم يجسر ابناء الكنيسة ان ينتقموا من المخالفين خوفاً من المقدم (عبد المنعم) العاصي ... الى ان قام يعقوب مطران اهدن وكشف الستائر عن أمر القس يعقوب ورفقائه الاحباش ... واقام عليهم القس ابرهيم اسقفاً سنة ١٤٨٨ فلم يستطع الاحباش ان يقاوموه . ولهذا رحلوا الى دير مار جرجس المعروف بدير الاحباش بارض حدشيت لتستتب لهم الراحة تحت حماية الشيخ جرجس بن حسن الصوفي الذي كان يعقوبياً نابلسي الاصل (١) . وكان المقدم يحبه محبة جزيلة ويعمل بمشورته في غالب تصرفاته .

---

(١) تاريخ الدويهي : صفحة ١٤١

« فحنق المقدم عبد المنعم حنقاً شديداً على اهالي اهدن بسبب طردهم الاحباش وكذلك على البطريرك (بطرس حسّان ١٤٥٨ - ١٤٩٢)وعلى الرؤساء بسبب تحذيرهم الناس من اليعاقبة. فنشر امراً ينبه به العصاة (اي الموارنة) ان يرحلوا من البلاد قبل ان يبيدهم قتلاً ويسلب مقتنياتهم. ولما لم يمكنه ان يقتص من اهالي اهدن ويشفي غليله منهم حرك عليهم مقدمي بلاد الضنية لينكبوا مواطنيهم ويسلبوا نعمتهم.

« فلما بلغ ذلك مسامع المطران يعقوب والاسقف ابرهيم واعيان القرية اخذوا يعظون جماعتهم وجيرتهم ويحرضونهم على مقاومة المقدمين لاجل خلاص بنيهم وحماية الدين. وكانوا يلجأون ليلاً ونهاراً الى شفاعة والدة الخلاص الواقع هيكلها على راس الجبل في طريق الاعداء وتدعى سيدة الحصن. فلما زحف عليهم المقدمون بالعسكر وانحدروا من الجبل الى مرجة تولا وثب عليهم اهالي اهدن وثبة الأسود. وبشفاعة السيدة أهلكوهم ولم يخلص منهم الا الشريد. فلما نظر ذلك القس يعقوب فرّ مع الاحباش الى دير مار موسى في البرية ... وهرب ايضاً نوح وجماعته. فالبعض منهم جعلوا سكنهم في السواحل والبعض فرّوا الى قبرس. وآخرون أمرهم المقدم ان ينتقلوا الى حردين من اعمال البترون ».

بعد تلك النكبة التي مُني بها السريان انتقل بعضهم الى المدن الساحلية وسكنوها وذهب البعض الآخر الى حردين العامرة بهم منذ زمن مديد.

٥ - ابن القلاعي والمقدم عبد المنعم

نظم المطران جبرائيل ابن القلاعيّ زجلية اورد فيها ذكر المقدم عبد المنعم

---

(١) كان للسريان جماعة معتبرة وكنيسة في نابلس ورد ذكرها في مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٣١٨ وفيها يقرأ ما تعريبه عن السريانية: « انتهى الكتاب سنة ١٤٧٧ لليونان (١١٦٦ م) نقل من مدينة نابلس من كنيسة السريان الى مصر واشتراه الربان عزيز البرطلي ثم باعه من الربان زخيا التكريتي سنة ١٥٠١ لليونان (١١٩٠ م) ».

وما جرى على يده في لبنان قال :

لمّا وصلت لجبل لبنان لاقي بـه مـزارع زوان
من قول عـالم في السريان ملفان أصـل كل طغيـان

...

ابن عطشة بايـع اشنـان اصلـه من بـلاد السريان
ارسل على يد الرهبـان كتـاب عربي وسرياني

...

بعثه قصداً يتسـلم بيد السّيد عبد المنعم
ومن كان ضدّه يتكلم يخرجـه من الاوطان

...

ويأخـذ من فوقه وتحتـه وينزع منـه ابنه وبنتـه
وان جاوب رمى رقبته في حـكم ظـالم دنيـاني

...

ثبت الخوف في الجبـّة من النفي مع قطع الرقبة
دخل يعقوب تحت العتبة بدا يكرز في اطمئنان

...

والكتاب هو كان درسه وجابوا له عَبـا لفرسه
عمل محفل حضروا عرسه واجهروا به الطغيـان

...

تملـك يعقوب بالديارة وافسد امانة النصـارى
وصار له كلمة ومشورة بجـاه الحاكم الدنيـاني

...

وصار مارون منه مبغوض وايمانـه منـه مرفوض
ويعقوب في قلبه محفوض بفرض مغرض حقـاني

...

وصعد ابن القلاعي في احد الايام من قنوبين الى دار المقدم عبد المنعم في بشري . وكان هذا قد نوى قتله لكثرة الرسائل التي كان يذيعها عنه ويخاصمه بها . غير ان عبد المنعم احسن استقبال ابن القلاعي وأتاه بكتاب ابن عطشة . ثم قدّم له الاكل واخذ الكتاب فأخفاه في الدار لئلا يعود فيطلبه منه . ولما رأى ابن القلاعي ان عبد المنعم شديد التمسك بالكتاب المذكور اخذ يعظه ويحذّره ليكف عن اعماله فذهب كلامه ادراج الرياح .

الفصل الحادى عشر

العلاقات بين رؤساء الموارنة ورؤساء السريان

١ - مرونة السريان في ادارة شؤونهم

استفحل امر السريان في لبنان استفحالا عظيما منذ القرن الثالث عشر فتوصلوا بدهاء رعاتهم ودماثة اخلاق زعمائهم الى اكتساب عطف مقدّمي البلاد وثقتهم ومحبتهم. ومما يستحق الذكر ان عبد المنعم (+ ١٤٩٥) احد اولئك المقدمين لمـّا ادنف اوصى ابنه المقدم جمال الدين يوسف ان يحافظ على صداقة السريان ويُحسن معاملتهم (١) . هكذا تابع السريان خطتهم الموروثة في حسن تعاطيهم مع القوم وظلوا ينشرون أصول عقيدتهم بين سكان الجبل . ثم عزّزوا اديارهم وكنائسهم وكراسي ابرشياتهم وزادوا في اوقافهم واريافهم .

اما علماؤهم ورهبانهم فانقطعوا الى تأليف الكتب العلمية والتاريخية والدينية واعتكفوا على نساختها وترويجها حواليهم . لان جلـّهم كانوا من ذوي الثقافة والذكاء والمرونة في تدبير الامور . ولولا تلك المزايا لما بلغوا ما بلغوه من النجاح ونفوذ الكلمة لدى خاصة القوم وعامـّتهم .

---

(١) رد التهم : للدويهي : فصل ١٤ صفحة ٢٥٤

٢ ـ حرص السريان على مراعاة الجوار ونشرهم لواء الامن والعمران

مما يؤثر عن السريان حرصهم على حفظ العهود ومراعاة الجوار مع جميع الملل يتشبثون بها ويحافظون عليها . وكان رهبانهم فضلاً عن اعمالهم الزهدية وانكبابهم على الدراسة ومعالجتهم المرضى يبثّون روح السلام والوئام في المحيط الذي اختاروه لحياتهم النسكية . يؤيد ذلك ما سطره ابن القلاعي في زجليته عن الرهبان السريان في وادي قاديشا اذ قال :

في ذا السبب تعمّر الوادي وعملوا صلح مع الاعادي
وطلبوا السكنى والزادي اخذوا الفراديس في ارض بان

. . .

صار عددهم اربعين رجال والبلاد معهم في اطمئنان

ويعود الفضل في نشر لواء الامن والطمأنينة في لبنان الى مقدمي جبة بشري (السريان) الذين اشتهروا بالاحكام العادلة . وبعنايتهم استتبّت الراحة وكثر العمران وأنشئت المدارس والكنائس ... ومن كانوا من النسّاخ في ذلك العصر ... ينيفون على مائة وعشرة نسّاخ(١) .

واذا لاحظنا كتابات السريان اللبنانيين في الحقبة التي نحن بصددها رأينا اصحاب تلك الكتابات يمزجونها دون تكلف بعواطف الاحترام والاكرام لجيرانهم ولئن خالفوهم في المعتقد . فلم يستنكفوا ذكر اسماء رؤسائهم بعد اسماء رؤساء جيرانهم دلالة على نبالة اخلاقهم وسلامة طويتهم وشديد حرصهم على مراعاة الجوار . وبين الامثلة الكثيرة التي تؤيد هذه الحقيقه نورد اسم كاتب شهير شهد له العلاّمة الدويهي بالبراعة في الخط السرياني وهو الخوري يوحنا ابن الحاج حسن في حدشيت (٢) . فان هذا الكاتب خلّف آثاراً جليلة عديدة من قلمه بينها مخطوط

---

(١) تاريخ الدويهي : صفحة ١٣٩ - ١٤٠ ومقال الخوري ميخائيل الرجي (المشرق : مجلد ٣٣ سنة ١٩٣٥ صفحة ٨٣؛ (٢) تاريخ الازمنة : للدويهي : مخطوطة مكتبتنا : اخبار السنة ١٤٧٢

محفوظ في مكتبة بكركي البطريركية جاء في آخره ما ترجمته عن السريانية (١) .

« انتهى في السنة ١٨١٢ لليونان (١٥٠١ م) في ٤ اذار في عهد بطريرك جبل لبنان مار بطرس (شمعون بن داود الحدثي ١٤٩٢ - ١٥٢٤) وبطريرك المشرق بطريرك السريان مار نوح (١٤٩٤ - ١٥٠٩) . كتبه الحقير الخاطىء . . . يوحنا ... ابن المرحوم حسن من قرية حدشيت المباركة في جبل لبنان المبارك . . . وهذا الكتاب يخص مار يوحنا بارض حدشيت ... » .

٣ - ترحيب احبار الموارنة باسقف سرياني في قنوبين

من اجلى الادلة على استحكام صلات الحب الوثيقة بين الموارنة والسريان مظاهر الالفة التي تبادلها هذان الشعبان السريانيان ورؤساؤهما في لبنان . يتضح ذلك من اعمال المجمع الذي عقده الموارنة كما قلنا بتاريخ ١٦ آب ١٥٨٠ في قنوبين برئاسة البطريرك ميخائيل الرزي (١٥٦٧ - ١٥٨١) وحضور سبعة من اساقفته . ففي اثناء انعقاد المجمع وَفد على قنوبين السيد سويرس مهنّا اسقف السريان في حردين يرافقه رجل من علماء ملته . فرحّب بهما البطريرك واساقفته واكرموا مثواهما ودعوهما الى حضور جلسات المجمع . ثم رخّصوا لهما ان يعرضا على الآباء ما يرومان من المسائل الدينية ففعلا (٢) .

٤ - استحكام عرى الصداقة والسلام بين ايمة السريان والموارنة

كان لهذا الصنع المشكور اثره الطيب في قلوب الايمة من كلتا الملتين الشقيقتَين . فقد جاء برهاناً على ما عُرف عنهم من استحكام عُرى الصداقة وحب التفاهم

(١) مخطوطات مكتبة بكركي البطريركية : رقم ١١٥

(٢) المشرق : مجلد ١٨ سنة ١٩٢٠ صفحة ٣٠٧

والوقوف على الحقائق . ولا غرابة في ذلك لان اولئك الاحبار ورفقاءهم اقتفوا في سلوكهم خطوات راعي الرعاة الازلي طبقاً لتصريح بولس الرسول القائل : « وجاء (يسوع المسيح) وبشركم بالسلام انتم البعيدين وبشّر بالسلام القريبين . . . فلستم اذن غرباء بعد ولا دخلاء بل انتم رعية مع القديسين واهل بيت الله»(١) .

فهذه الآية الرسولية الشريفة تطابق بمبناها ومعناها ما توخيناه من تأليف هذا الكتاب . وخلاصته ان السريان ليسوا « غرباء » وليسوا « دخلاء » في الاصقاع اللبنانية على الاطلاق . بل يستوون هم وغيرهم في الحقوق والواجبات .

الفصل الثاني عشر

اساقفة السريان في الانحاء الفونيقية اللبنانية

١ ـ عناية ميخائيل الكبير بتدوين اسماء اساقفة السريان وابرشياتهم

اجاد البطريرك ميخائيل الكبير (١١٦٧ ـ ١٢٠٠) في ما خلفه من التواريخ الدقيقة وفي ما الحقه بها من اللوائح الثمينة المنطوية على اسماء اسلافه البطاركة الانطاكيين . واجاد ايضاً وافاد في ما دوّنه في تلك اللوائح من اسماء جميع الاساقفة الذين تسلسلوا في شتى الابرشيات السريانية منذ عهد الانفصال في القرن السادس حتى ايامه . ويا ليت المؤرخين الذين جاؤا بعده نهجوا منهاجه وصنعوا صنعه في ما خلفوه من الآثار التاريخية . فلو فعلوا ذلك لكفونا مؤونة التنقيب وسهلوا لنا السبيل للوقوف على اسماء الاساقفة الذين تولوا الابرشيات اللبنانية في الحقبة التي نحن بصددها .

---

(١) افسس ٢ : ١٧ و ١٩

٢ - البطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم يواصل عمل سالفه

انصرف مار اغناطيوس افرام الاول برصوم بطريرك السريان الارثوذكس الى تتبع منهاج سالفه البطريرك ميخائيل الكبير ومواصلة مشروعه. فاستطاع بهمّته العالية واطلاعه الواسع ان يعثر في أبحاثه الدقيقة على اسماء زهاء تسعمائة اسقف تولوا رعاية الابرشيات السريانية بين القرن الثالث عشر والقرن العشرين. فدوّن اسماءهم وألمع الى اخبارهم ومآثرهم نقلاً عن أوثق المصادر. ثم نظم لهم لوائح وافية محكمة جديرة بالاعتبار. هكذا تسنى له بعد العناء الطويل والدرس المتواصل ان يسد ثلمة في تاريخ الامة السريانية هيهات ينهض بمثلها امام غيره من الائمة في مستقبل الاجيال.

٣ - سلاسل اساقفة السريان في لبنان بعد القرن الثالث عشر

ونحن لمّا صمّمنا ان ندوّن سلاسل اساقفة السريان واخبار ابرشياتهم اللبنانية في القرون المتأخرة اخذنا نراجع المخطوطات والوثائق المحفوظة في مكتبات الشرق والغرب. وجعلنا ننقّب عن اسماء مؤلفيها ونُسّاخها وعن تواريخ نساختها وأماكن تدوينها حتى توفقنا في العثور على طائفة منها مما له صلة بموضوع كتابنا. وها نحن نُطرف محبيّ التاريخ بما اطّلعنا عليه من هذا القبيل في فصول آتية.

الفصل الثالث عشر

سلسلة اساقفة السريان في كرسي طرابلس

(١٤٤٥ - ١٦٢٢)

أدرجنا في الفصل الرابع عشر من القسم الثالث سلسلة اساقفة السريان في

كرسي طرابلس منذ اوائل القرن الثاني عشر حتى اواخر القرن الرابع عشر . وأول اساقفتهم في تلك الحقبة اغناطيوس برجادانا وآخرهم مرقس خليفة يشوع بن فرسون . ونتتبّع في الفصل الحاضر اخبار الاساقفة الذين تعاقبوا في الكرسي المذكور منذ القرن الخامس عشر حتى القرن السابع عشر . وقد واصل البطاركة عادتهم في ضم ابرشية طرابلس الى الكرسي الاورشليمي طبقاً لخطةٍ انتهجوها في القرون الوسطى . ثم تتبعوها بعد ذلـك في اغلب اساقفة طرابلس لا في كلهم . وها نحن نُدرج اخبارهم في هذا الفصل :

١ – ديوسقورس عيسى بن ضو النبكي (١٤٤٥ – ١٤٧٧)

وُلد هذا المطران في لحفد وتوشح بالاسكيم الرهباني في دير مار موسى الحبشي بجوار النبك . وأطلق عليه لقب «نبكي» نسبة الى مدينة النبك(١) وطن اجداده القديم . ولما ذاع خبر فضيلته وجهوده كتب اليه البطريرك اغناطيوس بهنام الاول (١٤١٢ — ١٤٥٥) الحدلي يستقدمه الى دير الزعفران . وهناك رقاه عام ١٤٤٥ الى مطرانية اورشليم واناط به تدبير كرسي طرابلس .

توجه المطران ديوسقورس عيسى بعد سيامته الى اورشليم وجعل يتردد مراراً الى طرابلس يتفقد شؤون رعيته امتثالا لامر البطريرك . واقام زماناً طويلًا في لبنان مسقط راسه ولاسيما في قاسطرة بقوفا يقضي بين ابناء ملته ويسهر عـلى مصالحهم . واعتاد ان ينتقي منهم شباناً يوجههم الى دير مار موسى الحبشي في النبك او الى دير المجدلية او دير مار مرقس في اورشليم لكي يتثقفوا في العلوم ويتمرّنوا على العيشة الرهبانية . وقد رقى منهم فريقاً الى الدرجة الكهنوتيـة وولاهم خدمة الرعية السريانية في لبنان . نذكر منهم : القس سميا وابنَيه القس جرجس والقس عيسى من لحفد . والقس موسى والقس حنا ابني ابرهيم ابن الحاج

---

(١) تاريخ الطائفة المارونية : للدويهي : صفحة ١٣٩

موسى من بقوفا . والقس موسى من قرية موسى . وابن شعبان الحرديني وغيرهم[١] .
وبمساعي المطران ديوسقورس عيسى بن ضوّجرت بين السريان النبكيين وبين اخوانهم السريان في طرابلس ولبنان صلات متينة شوّقت جمهوراً من اهالي النبك الى الانتزاح عن وطنهم والشخوص الى لبنان والاستقرار في سواحله او في صروده .

وللمطران ديوسقورس عيسى حوادث جمة في لبنان تصدى لذكرها البطريرك الدويهي وغيره من المؤرخين الموارنة . وقد خلّف هذا المطران بعض آثار خطية نذكر منها كتاب « ليترجيات القداس » نسخه في دير مار موسى بالجبل المدّخن . وانتهى من نساخته في شهر حزيران سنة ١٧٧٣ للاسكندر (١٤٦٢ م)[٢] . ومن مشاهير تلامذته نوح البقوفاوي اللبناني الذي تدرّج في الرتب الكهنوتية وصار مطراناً فمفرياناً فبطريركاً وتوفي عام ١٥٠٩ .

٢ - فيلكسينوس جرجس بن قرمان (١٥٠٣ - ١٥٠٦)

نُصب فيلكسينوس جرجس مطراناً على كرسي قاسطرة حردين عام ١٤٨٠ كما سترى . وساس رعية ذلك الكرسي ثلاثا وعشرين سنة (١٤٨٠ - ١٥٠٣) . ولما أفضت البطريركية الى اغناطيوس نوح البقوفاوي (١٤٩٤ - ١٥٠٩) رأى ان يجعل اسقفية طرابلس مستقلة عن مطرانية اورشليم لنمو عدد السريان فيها وفي ضواحيها . فنقل عام ١٥٠٣ المطران فيلكسينوس جرجس بن قرمان من كرسي حردين الى كرسي طرابلس . فخدم تلك الابرشية ثلاث سنوات وحلت وفاته عام ١٥٧٦ وقد برع خصوصاً بنسخ الكتب وتجديد الخط السرياني[٣]

(١) تاريخ الطائفة المارونية : للدويهي صفحة : ١٤١
(٢) فهرس مخطوطات المكتبة الاهلية في باريس : رقم ٧٢
(٣) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية : للبطريرك افرام برصوم : صفحة ٣٠

٣ ـ فيلكسينوس ابراهيم حديبان (١٥٠٩ ـ ١٥٢١)

اطلق على هذا المطران لقب «حديبان» نسبة الى حـديّاب Adiabène وهي مملكة فسيحة الارجاء بجوار الموصل قاعدتها مدينة اربيل . وكانت مساحتهـا من نهر الزاب الكبير الى الزاب الصغير ومن دجلة الى اذربيجان . واول مطارنتهـا كان « فقيدا » الذي وضع اليد عليه أدي تلميذ توما الرسول فخدم الكرسي عشر سنوات (١٠٤-١١٤م) . ومن المطران فقيدا تسلسل جثالقة المشرق الذين جلسوا اولا في اربيـل ثم انتقلوا الى كرسي المدائن . وكان يخضع للجالس على كرسي حديّاب ايام عزه تسعة عشر اسقفاً(١) .

وُعرفت اسرة «حديبان» بهـذا اللقب عندما انتزح اجدادها من حديّاب الى لبنان . وولد سليلها المطران فيلكسينوس ابراهيم في قاسطرة حردين ودرس العلوم في ديرمار سرجيس القرن المجاور لها . وفي السنة ١٥٠٣ نصبه البطريرك نوح مطرانا عليهـا . وعلى اثر وفاة المطران فيلكسينوس جرجس بن قرمان وفراغ كرسي طرابلس اناط به البطريرك اغناطيوس يشوع رعاية ابرشية طرابلس عام ١٥٠٩ فخدمهـا ثلاث سنوات . ثم عـاد سنة ١٥٢١ الى حردين بأمـر البطريرك اغناطيوس عبدالله الأول (١٥٢٠ ـ ١٥٥٧) وفيها قضى نحبه عام ١٥٢٤

٤ ـ غريغوريوس يوسف الكرجي (١٥٣٠ ـ ١٥٣٧)

تولى هذا المطران نحو السنة ١٥١٠ كرسي اورشليم خلفاً للمطران ديوسقورس يعقوب حليس البيرودي . وتوجهت اليه عام ١٥٣٠ رعاية كرسي طرابلس (٢) خلفاً للمطران فيلكسينوس ابراهيم حديبان علاوة على كرسي بيت المقدس .

---

(١) جثالقة المشرق ومفارنة السريان : صفحة ٤ ـ ٨

(٢) خزانة مخطوطات دير الزعفران : رقم ٢٢٢

ويُقرأ في كتاب «السيامات الكهنوتية» خاصة الخزانة الاسقفية السريانية في اسطنبول مايلي: «انجز كتابته غريغوريوس يوسف مطران اورشليم في ١٣ حزيران سنة ١٨٤٤ للاسكندر (١٥٣٣ م) نسخه في اورشليم ... وهو يرعى ايضاً كنائس دمشق وحمص وحماه وطرابلس» . وكان هذا الراعي يجيد الخط السرياني كل الاجادة (١) .

وُسجلت وفاة المطران يوسف الكرجي عام ١٨٤٨ للاسكندر (١٥٣٧ م) في كتاب «سيامات كهنوتية» خلفه البطريرك اغناطيوس داود شاه (١٥١٩–١٥٢٠) واستعمله البطاركة من بعده . وهو محفوظ في خزانة دير الزعفران (٢) ودفن جثمانه في بيعة والدة الله بحلب .

ومن مآثر المطران يوسف الكرجي انه اشترى «دير العدس» الواقع بقرب باب العمود في اورشليم من رجل مسلم اسمه يوسف بن مرعي . وبلغت قيمة ذلك الدير اربعة آلاف وخمسمائة عثماني وصرة فلوس من الدراهم الفضية العثمانية . وسمى ذلك الدير «الدير الغريغوريوسي البطريركي الاورشليمي» (٣)

وما عدا كتاب السيامات الكهنوتية المار ذكره فقد كتب المطران غريغوريوس يوسف الكرجي نسخة ثانية منه في السنة ١٨٤٦ للاسكندر (١٥٣٥م) وهي في ملك خزانة دير الزعفران. وتشتمل خزانة اكسفورد على نسخة من المجلد الاول لكتاب «زبدة الحكمة في الفلسفة» تأليف ابن العبري. وهي بخط هذا المطران عندما كان راهباً سنة ١٨٠٩ للاسكندر (١٤٩٨ م) وافتتحه بمقدمة سريانية جميلة الخط متينة الرصف . وانشأ ثلاث حسّايات خلعت الفصاحة عليها زخرفها . والف احداها لعيد مار زخيا سنة (١٥٠٧) وهي بديعة منطقية رتبها على الحروف الابجدية

---

(١) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية : صفحة ٣٠

(٢) خزانة مخطوطات دير الزعفران : رقم ٢٢٠

(٣) المجلة البطريركية السريانية : مجلد ١ سنة ١٩٣٣ صفحة ١٤٩

طرداً وعكساً . وهذّب طقس تلبيس الاسكيم بمعارضته بالاصلين القبطي والحبشي سنة ١٥٣٣ (١) .

٥ ـ غريغوريوس يوحنا المارديني (١٥٤٠ - ١٥٧٧)

وضع عليه اليد البطريرك اغناطيوس عبدالله الاول المشهور بارسال دستور ايمانه الكاثوليكي في اللغة السريانية الى البابا يوليوس الثالث (١٥٥٠ — ١٥٥٥م) فخدم المطران غريغوريوس يوحنا ابرشيتي اورشليم وطرابلس سبعاً وثلاثين سنة .

وخلف هذا المطران نسخة من تفسير الانجيل تأليف ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبيّ . وقد كتبها بخط يده سنة ١٥٤٠ يوم كان راهباً في دير مار ابجاي بجوار مدينة سويرك . وبعد سيامته الاسقفية في السنة عينها سجل اسمه في ذلك المخطوط هكذا : « غريغوريوس مطران اورشليم ودمشق وطرابلس ». وكان المخطوط المشار اليه محفوظاً في كنيسة السريان بحصن منصور .

وأرخ الاسقف توما بن قسطنطين شقيق البطريرك اغناطيوس نعمةالله الاول (١٥٥٧ - ١٥٧٦) وفاة ابن وطنه المطران غريغوريوس يوحنا على كتاب انجيل قديم في السنة ١٨٨٨ للاسكندر (١٥٧٧ م) . وهذا الانجيل يخصّ اليوم الخزانة المرقسيّة في اورشليم (٢) .

٦ ـ غريغوريوس يوحنا الجرجري (١٥٧٧ ـ ١٥٨٧)

هو ابن القسّ شمعون الجرجريّ نسبة الى بلاد جرجر الواقعة بين الرها ودياربكر وكانت حافلةً بالسريان في سالف الازمنة . وقام منها غير واحد من مشاهير الاحبار ونوابغ الكتبة والنسّاخ . وللنسّاخ السريان في بلاد جرجر خط خصوصيّ تفرد بأسلوبه

(١) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية : للبطريرك افرام برصوم : صفحة ١٠٣ و٥٨ ؛
(٢) فهرس مخطوطات الخزانة المرقسية : رقم ٦

الجميل وحروفه الدقيقة الناعمة . وقد شُغف بهذا الخط الانيق السيد ليونرد هابيل الذي اوفده البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٣ سفيراً الى اغناطيوس بطرس الرابع بطريرك السريان (١٥٧٧– ١٥٩١) . وكان هذا البطريرك مقيماً حين ذاك في دير مار ابحاي ببلاد جرجر . فانتهز السفير البابويّ تلك الفرصة وانتقى طائفة من المخطوطات السريانية الجرجريّة ونقلها الى رومة .

تولى غريغوريوس يوحنا الجرجريّ مطرانية اورشليم وطرابلس عام ١٥٧٧ على ما ورد في جدول الاساقفة الذين نصبهم البطريرك اغناطيوس بطرس . ففيه يُقرأ : « ان البطريرك اغناطيوس بطرس رقى الربّان يوحنا الى مطرانيــــة طرابلس » . وجاء في كتاب « الأحداق » تأليف ابن العبري ما تعريبه : « نجز هذا الكتاب في علّيّة بيت الخوري يوسف بقرية عين حليا في ١٤ آب سنة ١٨٩٠ للاسكندر (١٥٧٩ م) نسخه غريغوريوس يوحنـا مطران اورشليم ودمشق وطرابلس » (١) . وقد استُشهد هذا المطران سنة ١٥٨٧ .

٧ – غريغوريوس بهنام (١٥٩٠ – ١٦١٤)

وُلد هذا المطران في « القصور » وهي قرية واقعة في جنوبي ماردين . امـا اصل والديه فمن « أربو » احدى القرى العامرة في طور عبدين . نصبه البطريرك اغناطيوس بطرس الرابع مطرانا لاورشليم وطرابلس . وقد ورد عنه في كتاب « سيامات كهنوتية » يخصّ الخزانة المرقسية (٢) ما تعريبه : «رقّى غريغوريوس بهنام مطران اورشليم وطرابلس الشماس كوركيس قسيساً لطرابلس في بيعة مار سرجيس والعذراء والدة الله ومار بهنام بقرية كفرحورا سنة ١٩٢١ للاسكندر (١٦١٠ م) » .

---

(١) فهرس مخطوطات مكتبة كمبردج : رقم ٢٠٠٥

(٢) فهرس مخطوطات الخزانة المرقسية : رقم ١١١

وجاء في كتاب « سيامات كهنوتيّة » يخصّ الخزانة المرقسية (١) ايضاً :
« ان المطران غريغوريوس بهنام الاربوي القصوري رقّى الشماس منصور الى الدرجة الكهنوتيّة على مذبح بيعة والدة الله في طرابلس سنة ١٩٢١ للاسكندر (١٦١٠ م) . »

٨ - غريغوريوس متى (١٦١٤ — ١٦٢٢)

ازتقى هذا المطران الى كرسي اورشليم وطرابلس عام ١٦١٤ خلفاً للمطران غريغوريوس بهنام الأربوي. وقد دلنا على ذلك كتاب انجيل قديم كان يخصّ دير الصليب بطور عبدين وهو المعروف بدير « المخر » المطلّ على دجلة (٢) ففي ذلك المخطوط ورد ما ننقله عن السريانيـة : « وقف هذا الانجيـل المقدّس الشريف غريغوريوس مطران اورشليم وتوابعها في شهر آب سنة ١٩٢٦ للاسكندر (١٦١٥م) . وجاء ذكر المطران غريغوريوس متى ايضاً في كتاب انجيل يخصّ بيعة مار سرجيس في صدَد تاريخه سنة ١٩٢٩ للاسكندر (١٦١٨ م) . واستأثرت رحمة الله تعالى بالمطران غريغوريوس متى سنة ١٦٢٢ .

الفصل الرابع عشر

سلسلة اساقفة السريان في كرسي حردين (١٣٨٤ - ١٥٩٨)

حردين بلدة قديمة العهد واقعة في قلب لبنان الشمالي كثر فيها عدد السريان فجعلوها قاعدة لمقدمهم و كرسياً لاساقفتهم . وابتنوا في داخلها وظاهرها كنائس

---

(١) فهرس مخطوطات الخزانة المرقسية : رقم ١١٢
(٢) المشرق : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٧٤٢ - ٧٤٣

وافرة العدد وثلاثة ديورة اتخذ البطريرك داود يوحنا (١٣٩٣ - ١٤٠٤) احدها مقراً لسكناه . وتتابع فيها الاساقفة واحدهم تلو الآخر مدّة مائتين واربع عشرة سنة (١٣٨٤ - ١٥٩٨) وحفظت لنا بعض المخطوطات القديمة شيئاً من اخبارهم .

واشتهر في حردين طائفة كبيرة من النسّاخ نشأوا فيها وتهذبوا في مدارسها. وخلّفوا آثاراً معتبرة حفظ شيء منها في بعض مكتبات الشرق وخزائن الغرب . ذلك على رغم ما اصاب تلك المخطوطات الوافرة من التلف والحريق في فترات مختلفة كما اثبتنا في الفصل الاول من هذا القسم وفي فصول القسم الخامس . واليك الآن اسماء الاساقفة الذين تسلسلوا في هذا الكرسي اللبناني بدءاً من فيلكسينوس الاول حتى فيلكسينوس جرجس داغر :

١ - فيلكسينوس الاول (١٣٨٤ - ١٤١٦)

اول اسقف عرفناه من اساقفة السريان في حردين هو فيلكسينوس الذي خدم هذا الكرسي اثنتين وثلاثين سنة . وقد اثبتت مخطوطة باريس السريانية المشتملة على « اعمال الرسل والرسائل القاتوليقية والرسائل البولسية » اسم هذا الاسقف على هذه الصورة معرّباً : « نُسخ هذا الكتاب في ٩ كانون الاول سنة ١٧٠٩ للاسكندر (١٣٩٨ م) في عهد مار اغناطيوس بطريرك انطاكية وفي زمان فيلكسينوس اسقف حردين »(١) . اما البطريرك اغناطيوس المشار اليه فهو اغناطيوس ابرهيم الثاني (١٣٨١ — ١٤١٢) .

٢ - سويرس عيسى (١٤٤٣ - ١٤٨٠)

ظلّ كرسي حردين فارغاً مدة سبع وعشرين سنة حتى تولى تلك الابرشية عام

---

(١) فهرس مخطوطات مكتبة باريس : رقم ٤٧

١٤٤٣ الاسقف سويرس عيسى . ولعله قام اسقف للسريان في حردين في تلك الفترة لم نقف على اسمه وخبره . وكان مولد الاسقف سويرس عيسى في حردين عينها . ورقاه البطريرك بهنام الاول (١٤١٢ – ١٤٥٥) الى ذلك الكرسي فرعى ابرشيته مدة سبع وثلاثين سنة . ومن اخباره انه كان صديقاً لابن شعبان الذي تمتع في زمانه بنفوذ كبير في لبنان كما سبق الكلام . يؤيد ذلك ما اورده عنه وعن الاسقف عيسى المطران جبرائيل ابن القلاعي في زجليته قال :

وابن شعبان في حردين   منه تنسّل ثلاث طغيان

من اصله قد كان رومي   وبعد ذلك صار ماروني

جا اليه جاسوس ملعوني   يدعى عيسى باسم مطران(١)

٣ - فيلوكسينوس جرجس بن قرمان (١٤٨٠ - ١٥٠٣)

سمّاه اسقفاً على حردين البطريرك اغناطيوس خلف (١٤٥٥– ١٤٨٤) وضم اليها مدينة حماة . ويشاهد اسم فيلكسينوس جرجس مدوناً في مخطوطات كنائس السريان بحمص وصدَد والحفَر والقريتين ومار موسى بدمشق وغيرها .

اورد البطريرك اسطفان الدويهي اسم هذا الاسقف بقوله(٢) : « وكذلك القس نوح البقوفاوي جُعل اسقفاً على بلاد فونيقي على يد فيلوكسينوس بن قرمان اسقف حماة وحردين » . ويؤيد هذا التصريح كتابة دوّنها الاسقف نوح البقوفاوي المشار اليه في كتاب انجيل حرقلي هذه خلاصتها : « انتهى هذا كتاب الانجيل المقدس في السنة ١٧٩١ يونانية (١٤٨٠ م) في ٢٤ نيسان . في عهد مار اغناطيوس (خَلف) بطريرك انطاكية وسوريا ومار ايونيس بطريرك الاسكندرية واخوَينا

---

(١) المجلة السورية البطريركية : مجلد ٦ سنة ١٩٣١ صفحة ٥٣٥ - وتاريخ الازمنة : للدويهي : مخطوطة مكتبتنا اخبار السنة ١٤٧٢

(٢) رد التهم : للدويهي : فصل ١٤ صفحة ١٥

الاسقفين مار ديوسقورس مطران اورشليم ومار فيلوكسينوس اسقف حردين ومدينة حماة »(١) .

وجاء اسم هذا المطران ايضاً في «فنقيثَين» مصونين في كنيسة الحفَر وفيروزة من قرى حمص (٢) . وقد ساس رعيته الحردينية حتى السنة ١٥٠٣ وفيها نُقل الى طرابلس حيث توفاه الله تعالى سنة ١٥٠٦ .

٤ ــ فيلوكسينوس ابرهيم حديبان (١٥٠٣ ــ ١٥٠٩) للمرة الاولى

سبق لنا القول ان البطريرك اغناطيوس نوح نصب فيلوكسينوس ابرهيم حديبان مطراناً على حردين عام ١٥٠٣ فخدم الكرسي ستة اعوام . ومن اخباره في تلك المدة انه انطلق الى حمص مع القس شمعون الحرديني وجماعة من الحرادنة عام ١٥٠٦ واشترك مع الاساقفة في حفلة تقديس الميرون التي ترأسها البطريرك اغناطيوس نوح في كنيسة دير زنار والدة الله . وبعد ذلك عاد المطران فيلكسينوس ابراهيم الى حردين ابرشيته ولبث يرعاها حتى السنة ١٥٠٩ وفي هذه السنة سُلخت عنه اسقفية حردين وأنيطت به مطرانية طرابلس وحماة .

٥ ــ سويرس بولس جحا (١٥٠٩ ــ ١٥٢١)

ينتمي هذا الاسقف الى اسرة جحا التي تُعد من اقدم الاسر السريانية وأنبلها في حلب . وقد ورد اسم اجدادها مراراً في وثائق كرسي حلب وفي مخطوطات دير الشرفة . وهو بولس بن يوسف بن عبد الاحد بن ميخائيل جحا . ولآه البطريرك اغناطيوس يشوع الاول اسقفية حردين فخدمها اثنتي عشرة سنة .

---

(١) فهرس مخطوطات دير الشرفة رقم ١/٢ صفحة ٢٣

(٢) رسالة البطريرك مار اغناطيوس افرام الاول : بتاريخ ٢٧ حزيران ١٩٤٢ الى مؤلف هذا الكتاب

وجاء اسم الاسقف سويرس بولس في عدة مخطوطات طقسية ودينية . نذكر منها « فنقيثاً » يخصّ كنيسة مار موسى بدمشق منسوخاً في السنة ١٨٢٤ يونانية (١٥١٣ م) . ومخطوطة المتحف البريطاني الموسومة بالرقم ٧٢٠ ومخطوطة المكتبة الواتكانية العربية الموسومة بالرقم ٤٤ ففي تلك المخطوطات يُقرأ اسم سويرس بولس بن يوسف جحا مضافاً اليه اسم حردين كرسي اسقفيته .

وكان للاسقف سويرس بولس شقيقٌ اسمه القس باسيليوس جحا ورد اسمه في مخطوطة الواتكان رقم ٣٥ وهي منسوخة عـام ١٨٣٠ للاسكندر (١٥١٩ م) . وحلت وفاة الاسقف سويرس بتاريخ ٢٨ تموز ١٨٣٢ يونانية (١٥٢١ م) على ما ورد في هامش عُلق على كتاب مقالات شمعون العمودي الصغير .

٦ ـ فيلوكسينوس ابرهيم حديبان (١٥٢١ ـ ١٥٢٤) للمرة الثانية

على اثر وفاة الاسقف سويرس بولس جحا أعيدت ابرشية حردين بأمر البطريرك اغناطيوس عبدالله الاول الى الاسقف فيلوكسينوس ابرهيم السابق ذكره . فتولى رعايتها ثلاثة اعوام حتى ادركته المنون . وقرأنا اسمه في هذه الفترة على مخطوط دير الشرفة هكذا (١) : « نسخ هذا الكتاب فيلوكسينوس الحقير سنة ١٨٣٤ للاسكندر (١٥٢٣ م) في قرية حردين » . وقد سمى نفسه « الحقير » اجلالا للعلامة الكبير فيلوكسينوس مطران منبج (+ ٥٢٣ م) الذي كان من اعظم أيمة السريان ومؤلفيهم .

٧ ـ غريغورس يوسف الكرجي (١٥٣٠ ـ ١٥٣٧)

سبق ذكر هذا المطران في سلسلة اساقفة طرابلس . ولما كان قد فرغ كرسي

---

(١) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ١٧/٣

حردين بوفاة مطرانه فيلكسينوس ابرهيم حديبان منذ ستة اعوام رأى البطريرك اغناطيوس عبدالله الاول (١٥٢٠ - ١٥٥٧) ان يضم الى ولاية المطران يوسف الكرجي كرسي حردين المشار اليه مع رعاية السريان في حمص ودمشق . وحلّت وفاته عام ١٥٣٧ في حلب .

٨ - اثناسيوس ابرهيم يغمور (١٥٤٢-- ١٥٧١)

ولد هذا الاسقف في بلدة النبك ودرس العلوم الكهنوتية في دير مار موسى الحبشي . وبرع خصوصاً بالخط فنسخ كتباً شتى لم تزل محفوظة في دمشق وفي خزائن الشرق والغرب . وفي السنة ١٥٤٢ استدعاه البطريرك اغناطيوس عبدالله الاول الى دير الزعفران ونصبه اسقفاً على حردين . وضم الى عهدته رعاية السريان في حمص وحماة ودير مار يوليان في القريتين .

ومن المخطوطات التي ورد فيها اسم هذا الاسقف كتاب « اعمال الرسل والرسائل القاتوليقية والبولسية » الذي يخصّ مكتبة اوكسفرد بانكلترا . فقد جاء فيه ما يلي : « نسخ هذا الكتاب الخوري يوحنا ابن القس يوسف من قرية عين حليا بعمل الزبداني . نسخه في قرية حردين بجبل لبنان سنة ١٨٥٦ للاسكندر (١٥٤٥ م) . فالكراريس الاولى من هذا المخطوط هي خط الخوري وهبة من قرية حردين . وبعدها خط اثناسيوس اي ابرهيم المعروف يغمور من قرية النبك . وكمال الكتاب بيد الشماس يوليان بن ابرهيم بن زلطة من قرية النبك »(١) .

٩ - سويرس مهنا (١٥٧١ - ١٥٩٠)

ينتمي المطران سويرس مهنا الى اسرة « مهنا » في العاقورا . ومنذ حداثته انقطع الى العيشة الرهبانية وتثقف بالعلوم الكهنوتية . وفي السنة ١٥٧١ قلده

---

(١) فهرس مخطوطات اوكسفرد : رقم ٣٣

البطريرك اغناطيوس نعمه الله (١٥٥٧ - ١٥٧٦) اسقفية حردين فساسها تسع عشرة سنة متوالية .

وكان للاسقف سويرس صلات وثيقة باحبار الموارنة يتبادل واياهم الزيارات ويفيضون في الحديث بلغتهم السريانية عن الشؤون العامة والطقوس البيعية . وقد ذكرنا ان البطريرك الماروني ميخائيل الرزي واساقفته السبعة رحّبوا بالمطران سويرس في دير قنوبين ودعوه الى حضور جلسات المجمع الملي الذي عقدوه هناك سنة ١٥٨٠(١) .

ومع تداول الزمان انتمت اسرة المطران سويرس مهنّا الى الملة المارونية وُعرف منها : الخوري اسطفان في القرن الثامن عشر والخوري نطانوس مهنا في مطلع القرن التاسع عشر(٢) والقس سمعان مهنّا رئيس البطركخانة المارونية في مدينة بورسعيد والقس مرتينوس مهنا الرئيس العام للرهبنة الحلبية المارونية سنة ١٩٤٤ .

١٠ - فيلوكسينوس جرجس داغر (١٥٩٠ - ١٥٩٨)

هو عاشر اسقف عرفناه بين اساقفة حردين . افضت اليه الاسقفية عام ١٥٩٠ بوضع يد البطريرك اغناطيوس داود شاه . ولبث يسوس الرعية ثماني سنوات حتى اخترمته المنية عام ١٥٩٨ في كرسيه حردين ودفن في بيعة مار ريشا . وافادنا صاحب الغبطة البطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم انه قرأ اسم الاسقف جرجس داغر في فهرس مخطوطات خزانة كمبردج وفي بعض آثار خزانة مخطوطات دير مار مرقس في القدس الشريف(٣) .

وما برح اهل حردين وتنورين وضواحيها يتناقلون حتى اليوم ان اسرة داغر

---

(١) راجع الفصل ١٠ من القسم ٤ من هذا الكتاب (٢) تاريخ العاقورا : للخوري لويس الهاشم : صفحة ٢٤٤ (٣) رسالة البطريرك اغناطيوس افرام الاول : بتاريخ ١٥ ايار ١٩٤٢

تتفرع من ارومة منوفيزيتية . وظلّت المنوفيزيتية متأصلة بـين الحردينيين حتى اوائل القرن الثامن عشر(١) .

وبعد المطران جرجس داغر لم نقف على اسماء اساقفة السريان في كرسي حردين . غير ان البطاركة كانوا يسيمون كهنة ويرسلونهم الى تلك البلدة ليقوموا بخدمة بني ملّتهم . من ذلك ان البطريرك اغناطيوس بطرس الخامس (١٥٩٨ - ١٦٣٩) لما قام بزيارة الابرشيات السريانية وحج اورشليم عاد فتفقد شؤون ابنائه في حمص وصدَد وألف القلوب النافرة . ورقى فيها شمّاسين الى الدرجة الكهنوتية احدهما من حمص والآخر من حردين .

وفي صيف السنة ١٦٤٠ نهض زلفي اغا كاخية والي طرابلس محمد باشا الارناؤط وزحف برجاله الى حردين فنهبها (٢) ولم تنحصر تلك الكارثة في بيوت اهل تلك البلدة بل تناولت كنائسهم واديارهم واوقافهم وحقولهم والكرسي الاسقفي ايضاً . وما عتّم ان استجمع السريان قواهم وظلوا في بلدتهم حتى القرن الثامن عشر كما صرّح المؤرخ الدويهي (٣)

الفصل الخامس عشر

سائر كراسي اساقفة السريان في لبنان

أدرجنا في الفصلين السابقين سلسلتي اساقفة السريان في كرسي ابرشية طرابلس وفي كرسي ابرشية حردين. والآن نخصص هذا الفصل بذكر بعض اساقفة

(١) تاريخ الازمنة : للدويهي : مخطوطة خزانتنا .

(٢) تاريخ الدويهي : صفحة ٢١٤ (٣) تاريخ الازمنة للدويهي : مخطوطة مكتبتنا

سكنوا في لبنان ردحاً من الزمان وقاموا بخدمة ابناء عقيدتهم في سوى الكرسيّين المشار اليهما وهم :

١ - كرسي جبة المنيطرة

سبق لنا ان تحدثنا عن جبة المنيطرة الفسيحة الارجاء وعن كنائسها واديارها وجماعاتها السريانية . ذلك ماحمل البطاركة ان يقيموا لتلك الجماعات مطارنة يدبّرون شؤونها البيعيّة . وقد ايّد المطران جبرائيل ابن القلاعي اللحفدي في زجليته التاريخية ان أهالي المنيطرة شايعوا اهالي لحفد مسقط راسه في معتقدهم فاستقلوا واقاموا لهم مطراناً ومقدّماً وهذا نص قوله :

جبة المنيطرة افترقت مع الملك ليس التزقت
ومع اهل لحفد هرطقت وعملت مقدم مع مطران (١)

وكنا نودّ لو ان ناظم هذه الزجلية افادنا عن اسم مطران او اكثر من مطارنة السريان الذين تولوا كرسي جبة المنيطرة . فلو فعل ذلك لأضاف الى صنعه خدمة استحق لأجلها الشكر الجزيل .

٢ - كرسي حدشيت

غصت حدشيت بسكانها السريان الوطنيين او الوافدين اليها من اطراف سوريا وفلسطين . وابتنى السريان فيها ديراً باسم مار جرجس الشهيد وبعض كنائس أهمها كنيسة مار «ادنا» وكنيسة مار يوحنا اللتان سيأتي ذكرهما في فصل لاحق .
وقام من حدشيت اسقف سرياني نوه باسمه البطريرك اسطفان الدويهي في

---

(١) المجلة الدورية البطريركية : مجلد ٦ سنة ١٩٣١ صفحة ١٦٢

اخبار السنة ١٤٧٢ ميلادية قال (١) : « من بيت الحاج حسن خرج الخوري حنا وكان حسن في الخط السرياني . فصار يغيّر في الكتب المقدسة ويزرع بهم الزؤان كقول ابن القلاعي :

ابن حسن كان من حدشيت   وأطغى لأهل كفرياشيت

كتب وغيّر البواعيت   بدستور حاكم لبناني

واستتلى الدويهي قائلاً : وايضاً اخوته(٢) القس ايليا الذي فيما بعد صار اسقفاً والشدياق جرجس شيخ حدشيت ... » . فنرجح ان الاسقف ايليا الموما اليه سكن في حدشيت وطنه وتولى هناك رعاية ابناء ملته . ولعله جعل اقامته في دير مار جرجس المذكور آنفاً .

٣ — كرسي بقوفا

بقوفا قرية قديمة في لبنان الشمالي واقعة بين اهدن وبشري . واسمها سرياني يُراد به موضع اشتهر بكثرة « العرَق » وهو خشب متين يمدّه البناؤون في الحائط بين صفّين من الحجر . وكانت قاسطرة بقوفا مركزاً خطيراً للسريان لهم فيها ديران وثلاث كنائس سنأتي على وصفها(٣) .

واتخذ السريان دير الغوبة في بقوفا كرسياً لاساقفتهم . وممن اقام فيه منهم ردحاً من الزمان المطران ديوسقورس عيسى بن ضو النبكي الذي مرّت بنا اخباره(٤) . ولما ارتقى المطران قرلس نوح الى الرتبة المفريانية جعل مقرّه في « دير الغوبة » المشيّد في قرية بقوفا مسقط رأسه . والى كرسي المفريانية هذا اشار البطريرك الدويهي في كتابه رد التهم(٥) .

---

(١) تاريخ الازمنة : للدويهي : مخطوطة مكتبتنا : اخبار السنة ١٤٧٢ (٢) اي اخوة الخوري حنا الذي كان بارعاً في الخط السرياني (٣) راجع هذا الكتاب : قسم ٦ فصل ٧ رقم ٨ — ١١ وفصل ١٨ رقم ٦ (٤) راجع هذا الكتاب : قسم ٤ فصل ١٣ رقم ١

(٥) رد التهم : للدويهي : فصل ١٦ صفحة ٤٤٠ — ٤٤١

٤ ـ اخبار البطريرك نوح البقوفاوي

وُلد نوح سنة ١٤٥١ في بقوفا وانطلق في حداثته الى دير مار موسى الحبشي بجوار النبك . واتقن هناك اللغة السريانية على يد استاذه القس توما الحمصي الناسك الحبيس وبرع في آدابها . وفي هذا الدير توشّح بالاسكيم الرهباني (١) على يد المطران ديوسقورس ابن ضوّ النبكي . وكان يتردد حيناً بعد حين الى دير مار يوليان الشهير في القريتين والى قاسطرة صدَد .

وفي السنة ١٤٨٠ صيّره البطريرك اغناطيوس خلف (١٤٥٥ – ١٤٨٤) مطراناً على حمص وسائر بلاد فونيقي ودعاه قرلس نوح . وفي السنة ١٤٩٠ استدعاه البطريرك اغناطيوس يوحنا الثامن عشر (١٤٨٤ – ١٤٩٤) ابن شيءالله ونصبه مفرياناً للمشرق في دير الزعفران وسمّاه باسيل نوح .

روى البطريرك الدويهي ان نوحاً البقوفاوي بعد صيرورته قسّيساً توجه الى بقوفا مسقط رأسه . واقام زمناً في الفراديس بارض بان يبث القول بالطبيعة الواحدة . وبعد ارتقائه الى اسقفية حمص وبلاد فونيقي عام ١٤٨٠ عاد الى لبنان واستأنف عمله في بقوفا واهدن ولحفد وعينطورين وحدشيت وحردين وكفرحوزا وغيرها . واردف الدويهي ذلك بقوله : « واهل قرية بقوفا القاطنون في الحارة السفلى مالوا ... الى اليعقوبية بسبب تعاليم ديوسقورس بن ضو . فوثب عليهم اهالي اهدن ودكّوا منازلهم مع دير الغوبة كرسي مفريانهم الى الارض ... »(٢) .

وفي احد تقديس البيعة عام ١٤٩٤ اجمع الاساقفة في دير الزعفران على المناداة باسم المفريان نوح بطريركاً للسريان وسلّموه العكاز البطريركي . فساس ابناء رعيته خمس عشرة سنة وحلّت وفاته بتاريخ ٢٨ تموز ١٥٠٩ في مدينة حماة .

---

(١) فهرس مخطوطات مكتبة اوكسفرد : رقم ٥٥ صفحة ٢٠٢

(٢) رد التهم : للدويهي : فصل ١٦ صفحة ٤٤٠ – ٤٤١

وكان البطريرك نوح مؤرخاً وخطيباً وشاعراً وخطاطاً مجيداً كما دلّت عليه تآليفه ومنسوخاته التي عدّد بعضها العلامة يوسف شمعون السمعاني في مكتبته الشرقية(١) . من ذلك تاريخ موجز ضمّنه اخبار المشرق حتى السنة ١٨٠٧ للاسكندر (١٤٩٦ م) نشره السمعاني وعلّق عليه . وللبطريرك نوح كتاب « شرح ايمان اليعاقبة وهجو الملكية والموارنة »(٢) . وله ايضاً خُطب عربية وديوان شعر (٣) يحتوي على ٦٨ قصيدة سريانية : منها ثلاث قصائد في وصف جبل لبنان وثماني قصائد في اخبار رهبانه السريان . وفي بعضها يتغنى بالأرز وجلاله ويتشوّق الى رؤيته . ومنها مرثيته لمعلمه القس توما الحمصي المذكور آنفاً وقد اطلق عليه فيها اوصافاً جميلة وسمّاه « اكليل الملافنة وتاج الاساتذة »(٤) . وكان البطريرك نوح كثير النوادر والاخبار حتى سُمّي « قاموس الزمان » .

وما عدا تآليف البطريرك نوح فقد عكف ايضاً على نساخة الكتب فخلّف منها طائفة مهمة نذكر منها : مخطوطاً في دير مار يوليان نسخه سنة ١٤٧٣ ميلادية في القريتين . ومخطوطاً ثانياً نسخه سنة ١٤٧٧ في دير مار موسى الحبشي بالنبك . ومخطوطاً ثالثاً يشتمل على « الفنقيث » الصيفي انجز نسخه في ٢٨ شباط ١٤٧٧ وهو محفوظ في كنيسة مار سرجيس بصدَد . ومخطوطاً رابعاً يتضمن الاناجيل الاربعة طبقاً للترجمة الحرقلية انتهى من نساخته في ٢٤ نيسان ١٤٨٠ وهو في خزانة مخطوطات دير الشرفة(٥) . ومخطوطاً خامساً يتضمن كتاب الانجيل نسخه سنة ١٤٨٣ في عهد مطرانيته وهو بين مخطوطات الخزانة الواتكانية(٦) . ومخطوطاً سادساً عنوانه «تراجم الاعياد المارانية» تاليف سالفه البطريرك يوحنا السابع عشر (١٢٥٣ - ١٢٦٣) المعروف بابن المعدني . نسخه سنة ١٥٠٥ في حلب في عهد

---

(١) المكتبة الشرقية : مجلد ٢ صفحة ٦٨ ؛ فما بعد (٢) مخطوطة المكتبة الواتكانية : رقم ٢٤ ؛
(٣) فهرس مخطوطات المكتبة الواتكانية : عدد ١٧٤
(٤) ديوان البطريرك نوح : صفحة ٧٤ (٥) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ١/٢
صفحة ٢٠ – ٢٤ (٦) فهرس مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ٢٧١

بطريركيته وهو بين مخطوطات الخزانة الواتكانية(١) . ومخطوطاً سابعاً نسخه في قرية كليبيني بجزيرة قبرس سنة ١٧٩٤ يونانية وهو يتضمن كتاب الانجيل(٢) وكتاب السيامات الكهنوتية (٣) . وطقس تقديس زيت العماد(٤) . وارجوزة ابن العبري في الصرف والنحو نسخها عام ١٤٣٣ عندما كان راهباً(٥) .

الفصل السادس عشر

ترهب شبان سريانيين في اديار غير اديارهم اللبنانية

اولا ــ انضواء شبان لبنانيين الى شتى الاديار السريانية

لم يكتفِ شبان السريان اللبنانيون بالانخراط في السلك الرهباني ضمن اديارهم الوطنية بل راح فريق منهم يؤثر الانقطاع الى الله عز وجل في اديار خارجة عن لبنان بعيدة عن الاهل والوطن . ففريق منهم قصدوا اديار انطاكية والرها وملطية وطور عبدين وماردين . وفريق انطلقوا الى دير مار مرقس او دير مار توما او دير المجدلية في اورشليم . وفريق ترهبوا في دير مار موسى الحبشي بجوار النبك او في دير مار يوليان الشيخ بالقريتين وهلم جرا .

---

(١) فهرس مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ٩٧

(٢) تاريخ الازمنة للدويهي : مخطوطة مكتبتنا : اخبار السنة ١٤٧٢

(٣) الخزانة المرقسية في القدس : رقم ٢٦ وكتاب « تاريخ الآداب والعلوم السريانية : للبطريرك افرام برصوم : صفحة ٨:

(٤) الخزانة المرقسية : رقم ١١١ وكتاب « تاريخ العلوم والآداب السريانيـــة » : للبطريرك افرام برصوم : صفحة ١٠٢

(٥) فهرس مخطوطات برمنكهام : رقم ٣٣

ثانياً - بعض شبان لبنانيين ترهبوا في دير والدة الله ببرية الاسقيط

ابقت لنا الآثار الخطيّة اسماء فئة من اولئك الشبان غادروا لبنان وطنهم وقصدوا برية الاسقيط (وادي النطرون) وانقطعوا الى العيشة النسكية في دير والدة الله الكبير . واعتكفوا هناك على اعمال القشف والعبادة وعلى الدرس والتأليف ونساخة الكتب . ويطول بنا المجال لو تصدّينا لذكر جميع الشبان السريانيين الذين قصدوا الترهب في اديار خارج ديارهم اللبنانية . غير اننا اكتفينا بذكر بعض شبان قصدوا دير والدة الله في برية الاسقيط بمصر ومارسوا الاعمال النسكية وهم :

١ - يوحنا ابن القس اسحق اللبناني

وُلد يوحنا في قرية لبنانية مجاورة للارز على ما ذكرته مخطوطة لندن (١) المنسوخة في القرن الثاني عشر . وهي تشتمل على الرسائل البولسية طبقاً للترجمة الحرقلية واليك تعريب ما جاء في آخرها : « كل من طالع هذا الكتاب فليصلِّ لأجل يوحنا الخاطئ ... ابن القس اسحق ابن القمّص جورجيس ابن القمص يعقوب من جبل لبنان من قرية مجاورة للارز المغروس في بيت الرب » .

فاطلق الناسخ نعت « القمّص » على جدّه وعلى ابي جده اللبنانيين كما رأيت لانه تلقن هذا النعت واقتبسه في مصر بلد غربته . وهذا النعت شائع هناك شيوع نعت « الخوري » في جبل لبنان . ولا شبهة في ان الراهب يوحنا كان سريانياً منوفيزيتياً : اولا لانه كان مقيماً في دير والدة الله الكبير . ثانياً لان اسمه مدوّن في رسائل مار بولس المنسوخة طبقاً للترجمة الحرقلية التي تفرد باستعمالها السريان المنوفيزيتيون دون سواهم من الملل السريانية .

---

(١) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني السريانية : رقم ١٤٬٦٨١

٢ - موسى الجبلي اللبناني

ورد اسم الراهب موسى السرياني اللبناني في مخطوطة لندن(١) المشتملة على صلوات فرضية لتذكارات الملافنة والرهبان. وعلى « عنيانات » عمومية والحان وبواعيث مختلفة. واليك تعريب ما سطره هذا الراهب في آخر تلك المخطوطة: « صلّوا يا اخوتي بمحبة يسوع على موسى الجبلي اللبناني الدنيء الحقير ... الذي خربط هذه السطور ... في السنة ١٨٠٠ للاسكندر (١٤٨٩ م) في برية الاسقيط في ديرنا السرياني المؤسس على اسم والدة الله. غفر الله عزّ وجل لكل من يصلي لاجلي ».

٣ - موسى الطرابلسي اللبناني

قرأنا اسم هذا الراهب اللبناني في مخطوطة لندن(٢) السريانية الثمينة المنسوخة في السنة ١٣٢٦ للاسكندر (١٠١٥ م). وهي تشتمل على مائة وسبع مقالات وعلى خطب سريانية من تأليف مار يوحنا فم الذهب ومار يعقوب السروجي والبطريرك سويرا ويعقوب الرهاوي وجورجي اسقف العرب في الكوفة. وكان موسى هذا من زمرة رهبان دير والدة الله في برية الاسقيط. واليك تعريب ما علّقه بيده على تلك المخطوطة النفيسة في الصفحة ٨٥١ قال: « صلّ يا اخانا على موسى تلميذك الذي طالع هذا الكتاب ونقل منه مقالة الى اللغة العربية في السنة ١٨٠٧ للاسكندر (١٤٩٦م). وكاتب هذه السطور هو لبناني من ولاية طرابلس».

---

(١) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني السريانية: رقم ١٤،٧٠٢

(٢) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني السريانية: رقم ١٢،١٦٥

٤ ـ المطران سويرا قرياقس اللبناني (١٤٩٢ ــ ١٥١٦)

من مشاهير اللبنانيين الذين انقطعوا الى العيشة الزهدية في دير والدة الله بمصر نذكر المطران سويرا قرياقس اللبناني رئيس ذلك الدير (١٤٩٢-١٥١٦)(١). فقد تفرّد بصلاح السيرة والغيرة كما وصفه ناسخ كتاب « بيتكاز » انتهى من نساخته في السنة ١٨٠٣ للاسكندر (١٤٩٢ م) قال ما تعريبه : « تمجيداً للثالوث الاقدس ... نُسخ هذا كتاب « البيتكاز » بمساعي رئيس الدير ومدبّر الرهبان جميعهم ابينا القديس المجيد المثلّث الطوبى الجليل الراعي المتيقظ النشيط . وحيد عصره وقريع دهره المطران الاثيل مار سويرس العفيف الوديع المنزّه عن كل خبث . اعني المطران قرياقس من جبل لبنان بولاية طرابلس ... جرى ذلك في دير والدة الله ببرية الاسقيط وهو يخصنا نحن السريان »(٢) .

ويُقرأ في مخطوطة دير مار مرقس(٣) المشتملة على كتاب « أسحق النينوي » النسطوري المنسوخ سنة ١٨٢٧ (١٥١٦ م) بالحرف الكرشوني ما نصه : « ... وكان المتولي على دير السيدة ورئيس على الرهبان المطران قرياقس من جبل لبنان . له ستين سنة في برية شيهات . وعمّر اربع كنائس ... وكان في الدير ثلاثة واربعون نفر ... ثلاثة مطارين والباقي قمامصة ورهبان ... » .

ثالثاً ـ الراهب سركيس اللبناني في دير مار بيشوي

انطلق سركيس من لبنان الى بريّة الأسقيط في مصر وانضم الى النسّاك السريان بدير مار بيشوي حيث توشح بالاسكيم الرهباني . وكان هذا الدير زاهراً

(١) بحث تاريخي عن السريان في القطر المصري : صفحة ٤٤ (٢) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني السريانية : رقم ١٤،٧٣٦ (٣) مخطوطات الخزانة المرقسية بالقدس : رقم ١٨٢

بالرهبان كسائر الاديار السريانية التي بلغ عددها في تلك البرّية ثمانية عشر ديراً(١). وقد اورد المقريزي وغيره من المؤرخين ذكر اغلبها(٢) . وكان الراهب سركيس مُكباً على الدرس والتأليف ونساخة الكتب . ومن اثاره الكتابية زجلية في مدح مار بهنام الشهيد واخته سارة مؤلفة من مائة وخمسة وتسعين بيتاً ورد في آخرها : « زجلية في مدح مار بهنام وضعها الحقير سركيس بثوب الرهبنة خادم لمار بيشوي بايام البابا محب سبطنا قديس غريغوريوس » (٣) . وقد ذكر الناسخ اسم البابا غريغوريوس الثالث عشر لان السيد اغناطيوس نعمة‌الله (١٥٥٧ ـ ١٥٩٠) بطريرك السريان كان يومئذ قد جاهر بالايمان الكاثوليكي في رومة على يد البابا المشار اليه .

الفصل السابع عشر

اوقاف السريان فى لبنان

١ ـــ اوقاف السريان لاديارهم و كنائسهم اللبنانية

مثلما كان للسريان اديار و كنائس و كراسي اسقفية في لبنان كان لهم فيه ايضاً ارزاق جمة واوقاف غنية تابعة لها . وكانت تلك الاوقاف في اغلب المدن والدساكر التي سكنوها وتكاثروا فيها اجيالاً متعاقبة . ومن تلك الاوقاف ما

---

(١) السريان في القطر المصري : صفحة ٣٤ ـ ٤١ (٢) المقريزي : مجلد ٢ صفحة ٤٨٩ و٤٩١ و٥٠٥ و٥٠٧ و ٥٠٩ الخ الخ (٣) مخطوطة بكركي : رقم ١٥ صفحة ٢٥١ ـ والمجلة البطريركية السورية : مجلد ٥ صفحة ٦٥٥ سنة ١٩٣٠

اقتناه الرهبان بكدّهم وكدحهم . ومنها ما حبسه المحسنون واهل اليسار من ابناء عقيدتهم . ومنها ما حبسه غيرهم من ابناء الملل الاخرى .

٢ ـ اوقاف مقدمي السريان في لبنان

كان مقدمو لبنان ولاسيما المقدم رزق الله (+ ١٤٧٠) وابن اخيه المقدم عبد المنعم (+ ١٤٩٥) في طليعة المرحّبين بالرهبان السريان ومناصريهم . وقد انزلوهم بالقرب من دورهم وانعموا عليهم باراضٍ لسكناهم وعمروا لهم بعض الكنائس(١).

٣ ـ عناية الرهبان بتعزيز الاوقاف واستثمارها

وكان قوم من الرهبان يحرثون الحقول والكروم ويزرعونها ويستثمرونها ويكدّون في انماء غلاتها حولا بعد حول . وكانوا يعتنون ايضاً بغرس الغابات واستقطار الخمور واستخراج مياه الينابيع من بطون الارض . وكانوا يهتمون بتربية المواشي فيتغذّون بالبانها ويحيكون من صوفها وشعرها مسوحاً لكسوتهم .

٤ ـ اوقاف المسلمين والنصارى لبعض الاديار

بين يدينا صكوك قديمة باوقاف عديدة افلتت من بوائق الدهر قرأنا فيها اسماء واقفيها مسلمين(٢) ومسيحيين تبرعوا بها على ديورة الرهبان في انحاء لبنان . وهي تنطوي على بيوت للسكنى وعلى اراضي بور وعلى كروم تين وعنب وزيتون وعلى غابات سنديان وصنوبر وعلى طواحين وحظائر وبيادر وينابيع ماء الخ .

---

(١) رد التهم : للدويهي : فصل ١٤ صفحة ١٥ ؛ (٢) سجل اوقاف دير مار موسى الحبشي : مخطوط محفوظ في المكتبة البطريركية السريانية ببيروت

فاكبرنا تلك الحمية ودهشنا بما اتصف به الاسلاف على اختلاف اديانهم من وفور الغيرة على المشاريع المبرورة .

٥ ـ اوقاف في بعض قرى لبنانية لدير مار موسى الحبشي بالنبك

ومما لفت نظرنا من قبيل الاوقاف سجل ثمين حفظ بكل حرص منذ مئات الاعوام بين مخطوطات دير مار موسى الحبشي بضواحي النبك . ثم نقله البطريرك اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨ ـ ١٩٢٩) الى المكتبة البطريركية ببيروت . وهذا السجل النفيس حوى بياناً وافياً عن جميع الارزاق المحبّسة على دير مار موسى المشار اليه وعن مركزها وتاريخها ومساحتها وعددها واسماء واقفيها . ومما جاء مسطوراً فيه بكل وضوح بيان عقارات حبسها على الدير المذكور بعض محسنين في حردين وفي شدرا والرحبة وكفرزينا وكفرحورا وزبطرى الخ الخ . وحوى هذا السجل عينه اسماء عقارات عديدة وقفها اهل البرّ من السريان في شتى الانحاء . نذكر منها : اوقاف قرى نيحا والراس والفيكة وشعيَبة وبشوات وقرية العين وغيرها من القرى المجاورة لمدينة بعلبك(١) .

٦ ـ اوقاف السريان على اديار الموارنة

ونالت اديار الموارنة قسطاً من سخاء السريان الذين حبسوا عليها اموالاً كما حبسوا على اديارهم وكنائسهم نفسها . ويشهد على ذلك وقفية مهمة تبرعت بها زوجه المقدم قمر العنحلي على دير قنوبين كرسي البطريركية المارونية في عهد البطريرك بطرس بن حسّان الحدثي (١٤٥٨ ـ ١٤٩٢) . وهذه الوقفية ورد ذكرها في حاشية كرشونية علّقت على انجيل « ربولا » المصوّر قرأنا فيها ما

---

(١) سجل اوقاف دير مار موسى الحبشي

نصه : « في تاريخ سنة ١٧٧١ يونانية (١٤٦٠ م) اوقفت حرمة الحاج قمر المقدّم للست السيدة دّير قنوبين من مالها ومن رزقها مبلغ ثمانمائة درهم ذهب »(١) .

اما الحاج قمر المشار اليه فهو راس عترة المقدمين العناحلة السريان الذين انتقل اليهم الحكم في بشري سنة ١٥٤٧ بعد انقراض دولة المقدّمين ابناء سيفا(٢) .

٧ ـ وضع الموارنة يدهم على بقايا اراضي السريان واوقافهم

على ان السريان اللبنانيين بعدما حلّت بهم كوارث اهدن وتبعتها كوارث بقوفا اخذت تتوالى عليهم النكبات حتى اصبحت حياتهم محفوفة بالمخاطر(٣) . فاضطروا الى مغادرة بشري واستولى الموارنة على بيوتهم واراضيهم ومواشيهم ومعابدهم واوقافهم وجميع مقتنياتهم . لان الموارنة اتخذوا السريان خصوماً لهم في العقيدة « فتقوّوا عليهم ... بل هاجموهم وغنموا اراضيهم وخيراتهم »(٤) .

الفصل الثامن عشر

اوقاف كنائس طرابلس وكفرحورا وزبطرى

١ ـ اوقاف بيعة سيدة الحارة ولاسيما وقفها في محلة اليعقوبية

حبس السريان على هذه البيعة املاكاً جمة قديمة العهد منها ما تخرّب وامّحى

---

(١) مخطوطات المكتبة الماديشية بفلورنسا : المخطوط الاول (٢) راجع القسم الرابع من هذا الكتاب : فصل ٩ رقم ٣ وفصل ١٧ (٣) تاريخ اهدن : لسمعان خازن : جزء ٢ صفحة ٢٠ ـ ٢٥ (٤) المجلة السورية : للخوري بولس قراألي : مجلد ٥ سنة ١٩٣٠ صفحة ٥١٤

رسمه وبينها ما لا يزال قائماً حتى اليوم . فمن اوقاف تلك البيعة في سالف الزمان نذكر داراً كانت في محلة بطرابلس اشتهرت باسم « محلة اليعقوبية » لوفرة عدد السريان اليعاقبة في تلك البقعة . وهذه الدار ورد ذكرها في محفوظات دير الشرفة على هذه الصورة بالحرف الواحد(١) :

« يوسف رزق اشترى بمال كنيسة السيدة الكائنة بمحلة اليعقوبية ثمان قراريط . واشترى ستة عشر قيراط من النصرانية حبيبة بمالها لنفسها مدّة حياتها وبعد وفاتها للكنيسة المذكورة . وذلك جميع الدار الكائنة بمحلة اليعقوبية من محلات طرابلوس سنة ١١٤٧ هجرية (١٧٣٤ م) » .

٢ - بقايا اوقاف بيعة سيدة الحارة

لم يسلم من كنائس السريان واوقافهم في طرابلس حتى مطلع القرن التاسع عشر سوى بيعة سيدة الحارة او بيعة « حارة الحصارنة » مع بعض اوقافها . وقد وضع الموارنة يدهم على تلك الكنيسة وعلى وقفها كما نبيّنه في هذا الفصل وفي غيره .

٣ - رسالة ميخائيل بن نعمةالله شيحا من دير قزحيا الى المطران جرجس سيار

ظلّ السريان يطالبون بكنيسة « سيدة الحارة » ووقفها كلما سنحت لهم الفرصة . من ذلك ان ميخائيل ابن المقدّم نعمةالله شيحا الدمشقي السرياني كتب بتاريخ ٣ حزيران ١٨٠٤ من دير مار انطونيوس قزحيا الى المطران جرجس سيّار(٢) في صدَد يقول :

---

(١) محفوظات دير الشرفة : مجلد ٣ رقم ٣٦

(٢) تقلد البطريركية من السنة ١٨١٨ حتى ١٨٣٦

« ... والآن نحن اعتمد رأينا ان اراد الله تعالى نعمل كمال الصيفية في مار انطونيوس . والآن نكلفكم نحن والاب الرئيس للعزية لزيارة ديركم . وتجيبوا معكم قدس سيدنا المطران ابرهيم(١) مع الشيخ عساف الصددي والذي تريدوه. وتشوفوا فردوس سماوي ونعيم ارضي . يا سيدنا ما تعرف الانشراح الذي صاير لنا نفساً وجسماً . ربنا يقرّب خطواتكم لكي نقبّل اقدامكم ونعاينكم بخير وعافية .

« والكنيسة الذي في طرابلس متى حضرتوا ندّبرها . لان ربطناها مع الاب الرئيس والمدبرين ومع جناب سعادة الامارة . حالا نخلصها بلا مانع لا يكون لكم فكرة ويكون حضوركم عاجلاً ... ونحن ناطرين قدسكم ولا تنسونا من صالح دعاكم . والاب الرئيس والاب المدبر مع بقية الآباء والاخوة يقبلون ايديكم وعمركم يطول ... »(٢) .

وبعد السنة ١٨٠٤ تداولت الرسائل بين احبار الملتين المارونية والسريانية بشأن وقف كنيسة « سيدة الحارة » وسيأتي تفصيل ذلك في غير هذا المحل (٣) .

٤ ـ رسالة الامير بشير الكبير الى المطران انطون دياربكرلي

بين يدينا رسالة وجهها الامير بشير الثاني الكبير الى المطران انطون دياربكرلي النائب العام على السريان . يصرّح فيها بانه تلبية لطلبه كتب توا الى البطريرك يوحنا الحلو (١٨٠٩ ـ ١٨٢٣) بشأن وقف كنيسة سيدة الحارة بطرابلس . واليك نصها :

---

(١) هو السيد ابرهيم يازجي اسقف صدد في سلخ القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر.

(٢) محفوظات دير الشرفة : مجلد ١٢ رسائل آل شيحا

(٣) راجع هذا الكتاب : قسم ٦ فصل ٩ رقم ٥

٥ ـ نص رسالة الامير بشير الكبير الى البطريرك يوحنا الحلو

« حضرة عزيزنا البطرك حنا المكرم سلمه الله تعالى

« اولا مزيد الاشواق الى رؤياكم في كل خير وعافية . وبعده نخبر محبتكم اعرض لنا عزيزنا المطران انطون السرياني بان للكنيسة بارض طرابلس . . . زيتونات . وعزيزنا سالفكم البطرك يوسف مصرفهم وعاطيهم اوراق تصريف في الكنيسة والوقف . ووكيلهم ما ترك الكنيسة الا من وقت الحصار . والآن متعللين محبتكم عليهم ان اصحـــاب الوقف صاروا موارنة . والحال الوقف للكنسنية ومادة جزئيـة لم تذكر . مرادنا من محبتكم تعرّفوا الذي الزيتونات بيده يصرّفهم فيهم ويعطيهم غلالهم عن الثلاث سنين الماضية . واذا كان دعوى ارسلوا وكيلكم يوافقهم بالشرع عند عزيزنا القاصد ولا تقطعوا اخباركم عنا » .

بشير شهاب (١)

٦ ـ توجيه انطون زكار الى طرابلس لاجل وقف البيعة المذكورة

بعد هذا توجه انطون زكّار منـــدوب المطران انطون دياربكرلي الى طرابلس وواجه يوسف ابن الحاج فرنسيس بورزق وكيل كنيسة السريان واوقافها . واجتمع هناك ببعض ابناء ملّته فاطلع على حالة تلك الاوقاف وكتب فيها تقريراً قدمه للمطران انطون مؤرخاً في ٣ شباط ١٨١٢ هذه خلاصته :

٧ ـ نص تقرير انطون زكار عن املاك بيعة سيدة الحارة ومقتنياتها

اولا ـ نصف دار سكنى موسى السرياني .

---

(١) محفوظات بيعة حلب السريانية : رسالة الامير بشير الكبير .

ثانياً ـ دار كاملة يسكنها المعلم ابرهيم وكيل المطران وداخلها ثلاثة اقبية يعلوها ثلاث طبقات .

ثالثاً ـ قبو في دار ابن راحيم .

رابعاً ـ طبقة في دار جرجس رزق

خامساً ـ جنينة صغيرة فيها اشجار توت بجانب الكنيسة

سادساً ـ قلالي فوق الكنيسة لسكنى الكاهن والخادم

سابعاً ـ قبو بناحية الكنيسة تعلوه غرفتان

ثامناً ـ اثنتان وسبعون شجرة زيتون

وذيّل انطون زكّار تلك اللائحة بما ملكته كنيسة سيدة الحارة من كؤوس وصوانٍ للقداس ومن صلبان ومباخر وبدلات كهنوتية . واضاف اليها اسماء عشرين كتاباً مخطوطاً بينها انجيل سرياني قديم جداً ومعجم سرياني عربي معتبر وكامل . واشار انطون في تلك اللائحة الى صندوق اشتمل على اوانٍ وامتعة بيعية جعله وكيل الكنيسة وديعة في دير الروم الملكيين(١) .

٨ ـ وقف كنيسة كفرحورا و كنيسة زبطرى

من جملة القرى اللبنانية التي كانت تابعة في سياستها البيعية لكرسي ابرشية طرابلس نذكر قرية « كفرحورا » وقرية « زبطرى » . وكان للسريان في كل منهما كنيسة وبعض اوقاف سيأتي ذكرها . فنحيل القارىء الى مطالعة اخبارهما في فصلين لاحقين(٢) . وزبطرى هذه الواقعة في لبنان غير زبطرى المدينة التي ابتناها الخليفة هرون الرشيد قريباً من ملطية ببلاد ما بين النهرين (٣) وكانت كرسياً اسقفياً للسريان .

---

(١) محفوظات بيعة حلب السريانية : تقرير انطون زكار (٢) راجع هذا الكتاب : قسم ٦ فصل ٨ رقم ٨ وفصل ٩ رقم ٦ (٣) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ١٣١

القسم الخامس

المخطوطات السريانية اللبنانية في خزائن الشرق والغرب

الفصل الاول

نظرة عامة في مخطوطات السريان في لبنان

اثبتنا في الفصل السابع من القسم الرابع من هذا الكتاب ان الاب يوحنا اليانو باطشتا قاصد الحبر الاعظم قام بجولتَين في انحاء لبنان استغرقتا اكثر من سنة . فحشد من المخطوطات ما حشد ثم عرضها على البطريرك ميخائيل الرزي (١٥٦٧–١٥٨١) وعلى اساقفته فأجمعوا على اصلاح اغلاطها او اتلافها واحراقها. هكذا اتلفوا طائفة عظيمة من تلك الكنوز الكتابيّة سريانية و كرشونية على مرأى من ارباب الدين والدنيا . غير ان بعض الكتبة والمستشرقين انتقدوا الاب باطشتا ولاموه لانه احرق تآليف اشتملت على فوائد تتعلق بدرس الآثار القديمة في الكنائس السريانية .

ونوّهنا كذلك في الفصل الثامن من القسم ذاته بما قرّره الاب ايرونيمس دنديني سفير الحبر الروماني لدى الموارنة . وهو ان السريان قبل قدومه عام ١٥٩٦ الى لبنان نقلوا من بلادهم الى الكنائس والاديار والدساكر اللبنانية التي

يستوطنونها ، خمسين او ستين حملًا من المخطوطات السريانية على ظهور البغال[1] . فبعد هاتين الحجتين البليغتين يسوغ لنا ان نصرّح بان كتب السريان في تلك الحقبة فاقت في لبنان حدّ الكثرة .

على ان المخطوطات السريانية والكرشونية كانت وافرة بهذا المقدار في لبنان حتى ان البطريرك ميخائيل الرزي المومأ اليه كتب سنة ١٥٧٨ الى رئيس الرهبنة اليسوعية العام يصرّح قائلًا : « ان الاب يوحنا اليانو قرأ فرائض من كتبنا ووجد فيهم اشياء كثيرة غلط . وان كتبنا بغير عدد »[2] .

غير انه على رغم ما أتلفه الموارنة واحرقه الزوّار الرسوليون من المخطوطات اللبنانية فقد سلمت منها طائفة عظيمة بقيت الى عهد البطريرك اسطفان الدويهي (١٦٧٠ — ١٧٠٤) . يؤيد ذلك ما كتبه هذا البطريرك المدقق عن النسّاخ في القرن الخامس عشر فقال ما نصه : أحصينا اسماء مَن كانوا من النسّاخ في ذلك العصر ممن وقفنا على كتبهم فاذا هم ينيفون على مائة وعشرة نسّاخ »[3] .

وقد نُقل الشيء الكثير من بقايا المخطوطات اللبنانية الى مكتبات اوروبا . فنقل عدداً منها الى باريس جبرائيل الصهيوني (١٥٧٧ — ١٦٤٨) وابرهيم الحاقلاني (+ ١٦٦٤) . واسحق الشدراوي (+ ١٦٦٥) وميخائيل الحصروني (+ ١٦٦٩) . ونقل الاب يوحنا اليانو اليسوعي (+ ١٥٨٩) ومرهج نيرون الباني (+ ١٧١١) . والسماعنة واسطفان عوّاد (+ ١٧٨٢) طائفة غيرها الى المكتبة الواتكانية برومة . هذا سوى ما نقله المستشرقون وتجار الافرنج من المخطوطات القديمة الى لندن واوكسفرد وكمبردج وفينّا وليبسيك ودوبلين وليدن وميلانو وتورينو وفلورنسا وبرلين ولينغراد وغيرها من المدن .

وحسْبنا برهاناً على وفرة المخطوطات السريانيـة ان الاب شابو المستشرق

---

(١) رحلة الاب دنديني : فصل ١٩ (٢) المشرق : مجلد ١٨ سنة ١٩٢٠ صفحة ٦٨٢

(٣) تاريخ الطائفة المارونية : للدويهي : صفحة ١٣٩ – ١٤٠

الفرنسي وعضو المجمع العلمي في باريس احصى ثلاثة آلاف ومائة وخمسة وثمانين من المخطوطات السريانية محفوظة لهذا العهــــد في سبع خزائن فقط من مكتبات اوروبا(١) . ونعتقد ان بقية المكتبات الاوروبية تشتمل تقريباً على مثل العدد المذكور من المخطوطات المشار اليها . ذلك فضلاً عما حوته من تلك المخطوطات السريانية خزائن الكتب في سائر اقطار الدنيا .

واذا حصرنا الكلام عن السريان في لبنان قلنا ان مَن طالع تواريخهم ووقف على مصنّفات جماهير كتبتهم في سالف الاحقاب لا يستغرب البتة وفرة مخطوطاتهم التي اشار اليها الابوان اليانو ودنديني والبطريركان ميخائيل الرزي واسطفان الدويهي المومأ اليهم . وذكر فريق من كتبة الموارنة «ان رهبان السريان وعلماءهم غمروا الاديرة والكنائس بل البلاد اللبنانية كلها بمخطوطاتهم الطقسية وغيرها(٢) . وقد سلم من آثار السريان الخطيّة في لبنان مصنّفات جمة نُقلت كما نقلت بعض مخطوطات الموارنة الى مكتبات اوروبا . ذلك بقطع النظر عما حُفظ منها في مكتبات الشرق كمكتبات لبنان وسوريا وفلسطين وطورسينا وما بين النهرين والعراق وكردستان والملبار بالهند وغيرها .

والآن رأينا ان نقتصر من كل تلك المخطوطات على وصف ما شاهدناه منها في مكتبات لبنان وعلى ما قرأناه عنها وعن غيرها من مخطوطات مكتبات اخرى شرقاً وغرباً .

---

(١) الآداب السريانية : بقلم الاب شابو : صفحة ٩ ـ ١٣

(٢) راجع هذا الكتاب : قسم ٤ فصل ٩ رقم ٢

الفصل الثانى

المخطوطات السريانية اللبنانية فى خزائن السريان الكاثوليك

اولا : مكتبة البطريركية السريانية ببيروت

١ ـ فنقيث الصوم الاربعيني

هو مخطوط نفيس قديم العهد يرتقي عمره الى اواخر القرن الثاني عشر وقد اكمله ناسخه القس جبرائيل الحرديني في اوائل القرن الثالث عشر . فكتبه في حقلين بحروف سريانية ضخمة وجلّده بجلد وخشب سميك . واثبت في آخره بالسريانية ما تعريبه : « انتهت نساخة هذا كتاب صلوات الصوم الاربعيني في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٥٢٣ للاسكندر (١٢١٢ م) في قاسطرة (١) حردين المباركة بجبل لبنان . في عهد الابوين المغبوطين والراعيين الجليلين . . . البطريركين مار اثناسيوس (٢) بطريرك انطاكية وسوريا وابينا مار ايونّيس بطريرك الاسكندرية ومصر . على يد القس جبرائيل الخاطىء الحرديني من قرية حردين المذكورة » .

وجاء في الفنقيث عينه في آخر صلاة احد الشعانين بالحرف الكرشوني ما نصه : « نجز هذا الكتاب المبارك وهو برسم كنيسة قرية الحدث التي في وادي الذخائر . نسأل الرب الاله ان يهنيهم فيه ازماناً طويلة ومديدة ... » .

---

(١) اصطلح السريان منذ القديم على استعمال لفظ « قاسطرة » للدلالة على قرية كبيرة واسعة

(٢) كان اثناسيوس بطريركاً على السريان وقام في عهده بطريرك آخر باسم ميخائيل الثاني

الفرنسي وعضو المجمع العلمي في باريس احصى ثلاثة آلاف ومائة وخمسة وثمانين من المخطوطات السريانية محفوظة لهذا العهـــد في سبع خزائن فقط من مكتبات اوروبا(١) . ونعتقد ان بقية المكتبات الاوروبية تشتمل تقريباً على مثل العدد المذكور من المخطوطات المشار اليها . ذلك فضلاً عما حوته من تلك المخطوطات السريانية خزائن الكتب في سائر اقطار الدنيا .

واذا حصرنا الكلام عن السريان في لبنان قلنا ان مَن طالع تواريخهم ووقف على مصنّفات جماهير كتبتهم في سالف الاحقاب لا يستغرب البتة وفرة مخطوطاتهم التي اشار اليها الابوان اليانو ودنديني والبطريركان ميخائيل الرزي واسطفان الدويهي المومأ اليهم . وذكر فريق من كتبة الموارنة «ان رهبان السريان وعلماءهم غمروا الاديرة والكنائس بل البلاد اللبنانية كلها بمخطوطاتهم الطقسية وغيرها(٢) . وقد سلم من آثار السريان الخطيّة في لبنان مصنّفات جمة نُقلت كما نقلت بعض مخطوطات الموارنة الى مكتبات اوروبا . ذلك بقطع النظر عما حُفظ منها في مكتبات الشرق كمكتبات لبنان وسوريا وفلسطين وطورسينا وما بين النهرين والعراق وكردستان والملبار بالهند وغيرها .

والآن رأينا ان نقتصر من كل تلك المخطوطات على وصف ما شاهدناه منها في مكتبات لبنان وعلى ما قرأناه عنها وعن غيرها من مخطوطات مكتبات اخرى شرقاً وغرباً .

---

(١) الآداب السريانية : بقلم الاب شابو : صفحة ٩ ـ ١٣

(٢) راجع هذا الكتاب : قسم ٤ فصل ٩ رقم ٢

الفصل الثانى

المخطوطات السريانية اللبنانية فى خزائن السريان الكاثوليك

اولا : مكتبة البطريركية السريانية ببيروت

١ ـ فنقيث الصوم الاربعيني

هو مخطوط نفيس قديم العهد يرتقي عمره الى اواخر القرن الثاني عشر وقد اكمله ناسخه القس جبرائيل الحرديني في اوائل القرن الثالث عشر . فكتبه في حقلين بحروف سريانية ضخمة وجلده بجلد وخشب سميك . واثبت في آخره بالسريانية ما تعريبه : « انتهت نساخة هذا كتاب صلوات الصوم الاربعيني في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٥٢٣ للاسكندر (١٢١٢ م) في قاسطرة (١) حردين المباركة بجبل لبنان . في عهد الابوين المغبوطين والراعيين الجليلين . . . البطريركين مار اثناسيوس (٢) بطريرك انطاكية وسوريا وابينا مار ايونيس بطريرك الاسكندرية ومصر . على يد القس جبرائيل الخاطىء الحرديني من قرية حردين المذكورة » .

وجاء في الفنقيث عينه في آخر صلاة احد الشعانين بالحرف الكرشوني ما نصه : « نجز هذا الكتاب المبارك وهو برسم كنيسة قرية إلحدث التي في وادي الذخائر . نسأل الرب الاله ان يهنيهم فيه ازماناً طويلة ومديدة ... » .

---

(١) اصطلح السريان منذ القديم على استعمال لفظ « قاسطرة » للدلالة على قرية كبيرة واسعة

(٢) كان اثناسيوس بطريركاً على السريان وقام في عهده بطريرك آخر باسم ميخائيل الثاني

ثانياً : مكتبة دير الشرفة

١ ـ انجيل حرقلي سرياني

هذا المصحف الثمين المشتمل على الاناجيل الاربعة وفقاً للترجمة السريانية الحرقلية قد نسخه على الرق قرلس نوح مطران حمص وفونيقي سنة ١٧٩١ لليونان (١٤٨٠ م) . وهو كتاب يستحق غاية الاعتبار لما اشتمل عليه من الفوائد الكتابية التي علّقها الناسخ في خاتمة كل من الاناجيل الاربعة . فعدّد فصول كل انجيل وآياته وما انطوى عليه من القوانين والامثال والشهادات . واثبت في خاتمة انجيل يوحنا تاريخ نقل الاناجيل عن اليونانية الى السريانية عام ٨١٩ لليونان (٥٠٨ م) على يد فيلكسينوس مطران منبج (+ ٥٢٣ م) . ثم ذكر تصحيح النقل عام ٩٢٧ للاسكندر (٦١٦ م) بقلم الاسقف توما الحرقلي في « اناطون » بالاسكندرية فعرفت هذه الترجمة بالحرقلية نسبة اليه .

واورد الناسخ في اوّل المصحف فهرس فصول الاناجيل للآحاد والاعياد والاصوام وزيّنه باشكال الزخارف . فكتب لكل منها ثلاثة فصول طبقاً للطقس السرياني . وقد جلّد الكتاب بجلد وخشب وغُرزت في جبهتيه كلتيهما خمسة مسامير بشكل صليب . اما ناسخه فهو « قرلس نوح مطران فونيقي » الذي ارتقى بعد ذلك الى الرتبة المفريانية ثم الى الكرامة البطريركية كما ذكرنا(١) .

وهذا المخطوط النفيس المصون في خزائن مخطوطات دير الشرفة اقتناه البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث (جروة) يوم كان قسيساً في حلب سنة ١٧٤٧ ميلادية (٢) .

---

(١) راجع القسم الرابع من هذا الكتاب : فصل ١٥ رقم ٤

(٢) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ١/٢ صفحة ٢٠ ـ ٢٤

٢ ـ ميامر البطريرك نوح البقوفاوي

حوت المكتبة الفاتيكانية مخطوطة كاملة من ميامر البطريرك نوح البقوفاوي في اللغة السريانية نظنها الوحيدة من نوعها . وفي خزانة دير الشرفة مخطوطة جميلة سريانية وكرشونية اشتملت على نبذٍ من ميامر البطريرك المشار اليه . وقد انتهت نساختها سنة ١٩٦٤ للاسكندر (١٦٥٣ م)(١) .

٣ ـ فصول الاناجيل

هذا الكتاب نسخه في دير مار افرام الرغم بلبنان السيد ديونيسيوس بشارة جزرجي مطران حلب (١٧٣٦ ـ ١٧٥٩) الذي حضر المجمع اللبناني في دير لويزة عام ١٧٣٦ وامضى قراراته وقوانينه . وهو يحوي فصول الاناجيل في ٢٤٦ صفحة مرتبة على كرور السنة في السريانية والكرشونية . واثبت المطران بشارة في صفحاته الاولى فهرساً منقوشاً بنقوش ملوّنة مستظرفة كتب في قلبها اسماء الاعياد والآحاد والتذكارات والاصوام وذيّل الكتاب بما يلي :

« تم ونجز في ٢٥ كانون الاول سنة ١٧٣٧ عـلى يد احقر الرؤساء وأرذلهم ديونيسيوس بشارة برحمة الله تعالى مطران حلب . وقد كتبه له ولذاته ويرجو من كل اخ ينظر فيه ام يقرأ معانيه ان يطلب له الرحمة والغفران من الخالق الرحمان لانه يجد مثل ذلك . لان من يترّحم على الخاطىء يرحمه الله في يوم الدين والآخرة. وكان نجازه في قرية الشيبانية بجبل الدروز في بيت الشيخ ابو صلب . الله يجعله عامراً ويرحم امواته »(٢) .

وورد في المخطوط ذاته ما نـّصه : « وقف دير مار افرام في جبل لبنان

---

(١) فهرس مخطوطات دير الشرفة رقم ١١/٩ صفحة ٢٨٢

(٢) السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية : لمؤلف هذا الكتاب : صفحة ٢١١

لطائفة السريان . كل من يخرجه من الوقفيّة غضب الله وحبل يوضاس في رقبته . وكل من اختلس كتاباً من هذا الدير وما ردّه ... تكون اللعنة عليه مثلّثة مع حبل يوضاس ... حرّره الحقير الفقير ... الخوري عبد الاحد صباغ »(١) .

٤ ـ ليترجيات سريانية

تضمن هذا المخطوط الثمين اثنتين وعشرين ليترجية (نافورة) زيّن الناسخ عناوينها بمداد ذي الوان شتى وخطوط ظريفة . وجاء فيه بالسريانية ما تعريبه : « انتهى هذا كتاب القداس . نسخه الخوري يوحنا من قرية حدشيت المباركة في لبنان سنة ١٧٩٤ يونانية (١٤٨٣ م) . وهو خاصة الخوري سركيس وابنه الشماس يوسف المعروف بابن كردان »(٢) .

٥ ـ ليترجيات سريانية

أضيفت هذه المخطوطة في التجليد الى المخطوطة السابقة وهي انفس من تلك . ومن مميّزاتها ان عناوينها كلّها كتبت بحروف سطرنجيلية ذات ألوان زاهية مختلفة . وهي تتضمن : نافور يوحنا مطران ماردين وحرّان والخابور . ونافور فيلكسينس مطران منبج . ونافور لعازر بَرسبتا مطران بغداد وغيرهم من ائمة السريان . نسخها عام ١٨٣٤ للاسكندر (١٥٢٣ م) فيلكسينس الصغير في قرية حردين . وفيلكسينس هذا هو سادس الاساقفة الذين اوردنا اخبارهم في سلسلة اساقفة كرسي حردين .

ويُقرأ في آخر صفحة من هذه المخطوطة ما تعريبه : « انتهى هذا كتاب

---

(١) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ٢/٢١ صفحة ٣٧ ـ ٣٨

(٢) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ٣/١٧ صفحة ٥٨ ـ ٥٩

القداس سنة ١٨١١ يونانية (١٥٠٠ م) يوم الاربعاء ٢٣ تشرين الاول في دير مار فوقا بقرية حردين في جبل لبنان . كتبه القس ابرهيم ... »[١] .

٦ ـ ليترجيات سريانية

صدّر الناسخ هذه الليترجيات بليترجية مار يعقوب الرسول اخي الرب وهي اقدم الليترجيات البيعية شرقاً وغرباً . وافتتحها بهذه الملاحظة القانونية التاريخية فقال ما شرحه : « نافورة مار يعقوب الرسول والمبشّر واخي الرب . تلاهـا بحضور المسيح عزّ شأنه في غرفة الاسرار . نقّحها يعقوب الرهاوي وهي اقـدم جميع النوافير . وقد امر الرسل القدّيسون كل كاهن جديد ان يقدس بهذه النافورة قداسه الأول » .

وحوى هذا المخطوط من النوافير السريانية : نافور موسى بر كيفا . ونافور ابن الصليبي وحسّاي ابن الصليبي الابجدي الذي يُتلى في قداس خميس الاسرار . وكانت نساخته عام ١٨٠٤ للاسكندر (١٤٩٣م) وقد ملكه القس ابرهيم الذي كان يسكن في دير مار سركيس بارض حردين بجبل لبنان [٢] .

٧ ـ تحقيق امانة اليعاقبة

هذا مخطوط ذو شأن اشتمل على عقائد الملل المسيحية وبُترت منه الصحيفـة السادسة ونسخت عوضاً عنها صحيفة بخط حديث . وتمت نساخته « على يد ايليـا الحقير الغريب في قرية حردين سنة ١٨٦٤ للاسكندر (١٥٥٣ م) . ودخـل في ملك البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث (جروة) مؤسس دير الشرفة[٣] .

---

(١) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ٣/١٧ صفحة ٥٩ ـ ٦٠ (٢) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ٣/٢٥ صفحة ٦٢ ـ ٦٣ (٣) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ٩/١٦ صفحة ١٩:

الفصل الثالث

المخطوطات السريانية اللبنانية في دير مار افرام الرغم

ما كادت تنتهي عمارة دير مار افرام الرغم في الشبانيّة عام ١٧٠٥ حتى اخذ الرهبان يزيّنون خزائنه بمخطوطات سريانية وعربية قديمة العهد . منها ما نقلوه من بلاد سوريا وما بين النهرين ومنها ما التقطوه من انحاء لبنان او كتبوه هم في ذلك الدير . غير ان اثمن تلك الكتب واقدمها ذهب فريسة النار في فتنة السنتين ١٨٤٠ و١٨٤١ ميلادية . وفي محفوظات دير الشرفة لائحة رسمية رفعها الخوري ميخائيل ازرق رئيس دير مار افرام الرغم الى والي سوريا وعدّد فيها ما أتلف وأحرق من امتعة الدير ومخطوطاته . وذكر ان عدد المخطوطات بلغ اربعمائة وستة واربعين مخطوطاً وقدّر قيمتها اربعمائة ليرة عثمانية ذهبية(١) .

وقد سلمت من تلك المخطوطات بقية زهيدة اقتنى الآباء اليسوعيون شيئاً منها لمكتبتهم الشرقية في بيروت . اما بقيتها فقد نُقلت الى دير الشرفة فرأينا ان نوجز الكلام عن بعضها في هذا الفصل :

١ ـ مزامير داود النبي

هي نسخة من المزامير السُريانية مكتوبة بحروف دقيقة انيقة ومهمّشة بفوائد شتى . نسخها الشماس جرجس ابن الخوري نعمة ابن طنبورجي . كُتب نصفها في مدينة حلب والنصف الثاني في جبل الدروز بدير مار افرام ملفان الكنيسة

---

(١) السجل الصغير في دير الشرفة

السريانية . وهو دير مار افرام الرغم بقرية الشبانيّة . انتهى نسخها في تموز سنة ١٧٣٧(١) .

٢ ـ ليترجيات سريانية

نسخة متقنة ظريفة من الليترجيات بالسريانية والعربية عددها اثنتا عشرة ليترجية في جملتها ليترجية متى راعي الموصل . ويُقرأ في آخر المخطوط ما نصه : « تمّ الكتاب بيدجرجس ابن خوري نعمة السُرياني .. من مدينة حلب . انكتب برسم الاب القس بولس في ١٠ شباط سنة ١٧٣٧ مسيحية » . ثم ورد فيه ما تعريبه عن السريانية : « فلنذكر والدة الله مريم ... ومار افرام الذي في ديره كُتب هذا الكتاب بيد الشماس جرجس ... في ايام الاسقفَين المغبوطَين مار غريغوريوس نعمة ابن قدسي مطران دمشق ومار ديونيسيوس بشارة مطران حلب(٢) » .

٣ ـ بيتكاز

هذا المخطوط النفيس مكتوب بحروف ظريفة جميلة ومزدان باطار احمر ورد في صفحته الاولى : « هذا الكتاب وقف دير مار افرام السرياني في جبل كسروان » . وجاء في الصفحة ٢٧٤ ما نصه : « هذا كتاب بيتكاز وقف لدير مار افرام عين الرغم سنة ١٧٧٣(٣) .

٤ ـ بيتكاز

يقع هذا المخطوط في ٦٣٢ صفحة كبيرة . ورد في اول صفحة ما نصه :

---

(١) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ١٨/١ صفحة ١٦ ـ ١٧

(٢) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ١٦/٣ صفحة ٥٧ — ٥٨

(٣) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ١١/٥ صفحة ٩٩

« غريغوريوس جبرائيل مطران اورشليم وجميع السريان الكاثوليك اوقفه الى دير مار افرام عين الرغم في الشبانـيّة سنة ١٧٤٨ » . وجاء في آخره ما تعريبه : « انتهى الكتاب سنة ١٦٧٨ مسيحية ... نسخه الراهب رزق الله بالاسم قسيس... في عهد ابينا المكرم والبطريرك السامي مار اغناطيوس اندراوس . كل من يطالعه فليصلّ لاجل الحقير الذي نسخه في حلب وهو عبدالله بن عتريس »(١) .

٥ ـ بيتكاز

نسخة جميلة تقع في ٤١٦ صفحة ورد في الصفحة الاولى : « اوقفه المطران غريغوريوس نعمة قدسي على دير مار افرام عين الرغم سنة ١٧٣٠ » . ويُقرأ في آخر القاثسمات ما نصه : « وكان الفراغ من هذا الكتاب المبارك في ١٧ آب سنة ١٧٢٧ للسيد المسيح . كتب في مدينة دمشق بيد القس نعمة بن قدسي الحلبي»(٢) . وهو المطران غريغوريوس نعمة قدسي المشار اليه . وقد كتب الكتاب قبل ارتقائه الى الرتبة الاسقفية .

٦ ـ كتاب الاشحيم

اشتمل هذا المخطوط على رؤوس ابيات الصلوات الفرضية . وجاء في ورقته الاولى : « وقفه الخوري سليمان خور على دير مار افرام عين الرغم سنة ١٧٣٠»(٣) وهذا الخوري تولى رئاسة الدير المشار اليه مرّتين : الاولى من السنة ١٧٠٥ الى السنة ١٧١٥ والثانية من ١٧٢٥ حتى السنة ١٧٣٠ .

(١) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ٥/١٣ صفحة ٩٩ — ١٠٠

(٢) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ٥/١٧ صفحة ١٠٣

(٣) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ٥/٢١ صفحة ١٠٤

٧ ـ بيتكاز

يتضمن هذا المخطوط صلوات الاشحيم والانغام السريانية . وقد نسخ بحروف دقيقة ظريفة يليها حساب الاعياد السنوي وبعض المزامير . ويُقرأ في آخره : «هو برسم حضرة الاخ مبارك ربّاط السرياني الحلبي من ماله لنفسه »(١) . وقد تولى الاخ مبارك رئاسة دير مار افرام الرغم اربع عشرة سنة (١٨٢٧ - ١٨٤١) .

٨ ـ ١١ الصلوات الفرضية

ضمّت خزانة مخطوطات الشرفة اربعة مجلّدات حوت الصلوات الفرضية طبقاً لطقس الكنيسة السريانية . وقد نُسخت باجمعها في عهد البطريرك اغناطيوس اندراوس اخيجان (١٦٦٢ ـ ١٦٧٧) . انطوى المجلد الاول على ٢٥٠ صفحة والمجلد الثاني على ٣٠٠ صفحة والرابع على ٢٥٤ صفحة . اما المجلد الثالث فهو خال من ارقام الصفحات . وكان يستعملها الرهبان في دير مار افرام الرغم منذ نشأته حتى السنة ١٨٤٠(٢) .

١٢ ـ المعدعدان (احتفالات الاعياد)

احتوى هذا المخطوط على الطقوس المستعملة في الاعياد والمواسم طول السنة . نسخه القس بولس متّايا الموصلي في ٢٢ اذار ١٨٣٨ ووقفه لدير مار افرام الرغم . وتبلغ صفحاته ٢٩٤ صفحة(٣) .

---

(١) فهرس مخطوطات الشرفة : صفحة ١٠٥ (٢) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ١٠٩ — ١١٧ (٣) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ١٤٣ — ١٤٤

١٣ ـ جناز الرجال والنساء والاطفال

انطوى هذا المخطوط الانيق على ١٧٠ صفحة دبجها المطران غريغوريوس نعمة قدسي العلامة الشهير بخطّه النفيس . وانجز كتابتها في ١٠ ايلول ١٧٣١ في دير مار افرام عين الرغم(١) .

١٤ ـ الخدم الكهنوتية

نُسخ هذا الكتاب بحروف متقنة جميلة وانطوى على طقس تكليل العروسين وعلى بعض قوانين الزواج . وانتهت نساخته سنة ١٨٣٢ للاسكندر (١٥٢١ م) في دير الزعفران . ثم دخل في ملك دير مار افرام الرغم بلبنان . وبعد ذلك نقل الى دير الشرفة(٢) .

١٥ ـــ ١٩ صلوات لآلام السيد المسيح

هذه خمسة كتب اشتملت على صلوات خشوعية لآلام السيد المسيح . نسخها المطران غريغوريوس نعمة قدسي بخطه الظريف ثم اهداها الى دير مار افرام الرغم(٣)

٢٠ ـ البستان في اخبار الرهبان

مخطوط كرشوني في ٩٥٠ صفحة كبيرة مكتوبة بخط جميل « نسخه يوحنا سعيد خورفسقفوس مدينة مصر القاهرة ابن المرحوم خوري عبدالله الشهير

---

(١) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ١٥٢ (٢) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ١٦٧ (٣) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ٢٢٧

بالسعيد ... في سنة ١٧٦٩ واوقفه بوصيته قبل موته وقفاً مؤبداً لدير مار افرام السريان عين الرغم(١) . وتوفي هذا الخوري في رومة العظمى بتاريخ ٧ شباط ١٧٧٧ ودُفن في كنيسة مار ميخائيل تجاه كنيسة مار بطرس الكبرى . ووضعت صحيفة رخامية فوق ضريحه مكتوبة بالسريانية .

٢١ ـ مجموعة كرشونية في الاحلام والفلك الخ

تشتمل هذه المجموعة على ١١٤ صفحة . وقفها الخوري شكرالله فولـيّة رئيس دير مار افرام الرغم (١٧٨٦ ـ ١٨١٤) على مكتبة هذا الدير(٢) .

٢٢ ـ مجموعة نبذ وميامر

يتضمن هذا المخطوط السرياني والكرشوني مواضيع شتى نذكر منها : ميمراً ليوحنا فم الذهب وميمراً للمفريان اغناطيوس ابن قيقي وميمراً لكرلس الاورشليمي في عيد الصليب جاء فيه : « كمل بعون الله وكُتب في مغارة الفراديس سنة ١٨٢٦ للاسكندر (١٥١٥) » . وهذا المخطوط القديم العهد انتقل من رهبان دير الفراديس السريانيين الى اخوانهم رهبان دير مار افرام الرغم . ودخل في ملك الخوري سليمان خور رئيس هذا الدير . ثم اوقفه عليه سنة ١٧٣٠ (٣) .

٢٣ ـ معجم حسن بر بهلول

نسخة قديمة معتبرة في ٤٠٨ صفحات كبيرة كتبت بحروف دقيقة في السنة

---

(١) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ٢١١ ـ ٢١٢ (٢) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ٢٧٦ (٣) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ٢٧٨ ـ ٢٧٩

١٨٣٧ للاسكندر (١٥٢٦ م) . وهذا المعجم النفيس المحفوظ اليوم في خزائن دير الشرفة قد نقل اليها من دير مار افرام الرغم(١) . وقد نشره بالطبع المستشرق روبنس دوفال منذ السنة ١٨٨٨ حتى السنة ١٩٠١ في ستة مجلّدات اهدينا منه نسخة الى مكتبة دير الشرفة .

وهناك مخطوطات للسريان عربية وتركية سلمت من الحريق او نقلت الى دير الشرفة قبل السنة ١٨٤٠ نذكر منها : اولا فصول من التوراة وغيرها . ثانياً خمسة مجلّدات حوت اسفار العهد القديم . ثالثاً مزامير داود النبي . رابعاً الاناجيل الاربعة . خامساً الدرر المنضودة من الأصداف في علم النيّة وطريق الاعتراف . سادساً كتاب مدرك النجاة ومحجّة الفوز بالحياة في صدق الكنيسة المصطفاة . اخيراً انجيل باللغة التركية كتبه بحروف قاعديّة ظريفة المطران غريغوريوس نعمة قدسي ووقفه لدير مار افرام عين الرغم سنة ١٧٣٠ وقد انتهى من نساخته في شباط ١٧١١ في محروسة مصر(٢) .

الفصل الرابع

المخطوطات السريانية اللبنانية في حلب ودياربكر والموصل

اولا : مكتبة المطرانية السريانية بحلب

١ ـ السيامات الكهنوتية

خلّف السيد اغناطيوس اندراوس اخيجان بطريرك السريان الكاثوليك

(١) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ٤:٤ (٢) فهرس مخطوطات دير الشرفة العربية : صفحة ٢٩٩ و ٣٠٠ و٣٠٢ و ٣١٧ و ٣٣٣ و ٣:٥ و ٥٠١

(١٦٦٢ - ١٦٧٧) عدة مخطوطات سريانية محفوظة في مكتبات الفاتيكان ودير الشرفة والبطريركية السريانية وفي مكتبتَي السريان والموارنة بحلب . منها ما نسخه في عهد كهنوته . ونسخ بعضها في عهد اسقفيته وبعضها في عهد بطريركيته . ومن جملة ما نسخه في عهد اسقفيته بدير قنوبين كتاب « السيامات الكهنوتية » ضمّ اليها طقوس تدشين الكنائس والمذابح وطقوس العماد والميرون والمسحة والزيوت الخ الخ . وهذا الكتاب يقع في ٢٩٠ صفحة وهو محفوظ تحت الرقم ١/٧ في مكتبة المطرانية السريانية بحلب جاء فيه بالكرشونية ما نصه :

وكان الفراغ من هذا الكتاب المبارك اي الشرطونيّة بدير المعمور قنوبين في ايام ساداتنا ورؤسائنا المكرمين البابا الكسندرس السابع وماريوحنا البطريرك الانطاكي الصفراوي الجالس يومئذ على كرسي ... الانطاكي بدير قنوبين » . وبعدما ذكر الناسخ اسماء اساقفة الموارنة المعاصرين له في جبل لبنان اردف قائلاً: « وكان ذلك على يد احقر الناس وارذلهم كاتبها المطران اندراوس الحلبي الماروني. حرّر ذلك بسنة الف وستمائة وستة وخمسين مسيحية بنصف شهر حزيران...»(١).

ثانياً : مكتبة مطرانية السريان بدياربكر

١ - سنكسار الآباء القديسين

حوت مكتبة الكرسي الاسقفي بديار بكر عدّة مخطوطات سريانية وكرشونية وعربية تدور ابحاثها حول مسائل بيعية وطقسية وتاريخية وقانونية . صرف المساعي في اقتنائها مطارنة تلك الابرشية ولاسيما السيد مارونا بطرس طوبال (١٨٢٦ - ١٩١٥) مطران ميافرقين والنائب البطريركي بديار بكر . ومن جملة مخطوطات تلك المكتبة « سنكسار الآباء » نسخ سنة ١٧٢٦ لليونان (١٤١٥ م) في بلدة

---

(١) فهرس مخطوطات المطرانية السريانية بحلب : رقم ١/٧

العاقورا بلبنان . وقد اتصلت تلك المخطوطة بالمطران ماروثا بطرس المشار اليه اشتراها من الخوري يوسف شربيل الماروني ويقرأ فيها ما يلي :

« هذا الكتاب السنكسار الآباء القديسين ... وقفاً مؤبداً وحبساً مخلّداً على كنيسة مار بطرس في قاسطرة عين قورا قريبة من يانوح . كتبه الخاطي ... ربّان سركيس ولد شماس برصوم ولد الخوري شمعون من بيت زوين في يوم ٢٥ اذار سنة ١٧٢٦ لاسكندر المقدوني (١٤١٥ م) . في ايام ابهاتنا ابونا وتاج رؤوسنا المحترم موران ماري ايغناطيوس بهنام بطرك انطاكية السريان وماري ديوسقورس بهنام المفريان المشرق وماري فيلو كسينوس اسقف قاسطرة حردين المباركة ... اوقفه على روح امّه شموني مراة شماس برصوم زوين وليس لاحد ان ياخذه او يمتلكه ... صح صح »(١) .

ثالثاً : مكتبة الخوري ميخائيل صائح الموصلي

١ ـ سيامات كهنوتية

أولع الخوري ميخائيل صائح الموصلي بالمخطوطات القديمة سريانية وعربية . فاقتنى منها طائفة كبيرة يوم كان رئيساً على دير الشرفة (١٨١٢ ـ ١٨١٤) وفي اثناء قيامه بخدمة رعية دمشق ونيابته البطريركية في دير مار موسى الحبشي بالنبك . ثم نقلها معه الى الموصل مسقط راسه(٢) وحدّثنا المطران قرلس بولس دانيال (١٨٣١ ـ ١٩١٦) مراراً شتى عن تلك المكتبة العامرة ووصف لنا بعض مخطوطاتها . ومن جملتها كتاب « سيامات كهنوتية » قديم العهد منسوخ في القرن الثالث عشر وردت في آخره لائحة باسماء بعض شمامسة ورهبان رقّاهم

---

(١) فهرس مكتبة ديار بكر للسريان : مخطوط ٣٠

(٢) عناية الرحمان في هداية السريان : للمطران افرام نقاشة : صفحة ٤٨٩ و ٥٠٨

المفريان صليبا في بيعة مار بهنام بطرابلس الى الدرجة الكهنوتية . فقد ورد في تلك اللائحة ما تعريبه : « رقى الروح القدس بوضع يد مار اغناطيوس المفريان صليبا قاتوليق المشرق الشماس بهنام ابن الخوري نعمان قسيساً على بيعة مار ثئودورس الشهيد النبيل في قاسطرة بجديدات من عمل جبل لبنان . وقد تمّ ذلك في ٢٤ حزيران سنة ١٥٦٧ للاسكندر (١٢٥٦ م) جعله الله مباركاً » . وكان في مكتبة الخوري ميخائيل صائغ مخطوطات اخرى نفيسة كتب لنا عنها المطران بولس المشار اليه نضرب عن وصفها لانها لا دخل لها بموضوعنا .

الفصل الخامس

مخطوطات السريان في خزائن لبنان المارونية

١ - ليترجيات سريانية

انطوت مكتبة البطريركية الانطاكية المارونية في بكركي على مخطوطة نفيسة حوت عشر ليترجيات او نوافير سريانية نُسخت بخط جميل محكم . وقد صدّرها الناسخ بنافورة مار يعقوب اخي الرب وأردفها بتسع نوافير وهي : نافور يوحنا الانجيلي ونافور مار بطرس ونافور متى الراعي ونافور البطريرك يوحنا بر شوشان (١٠٥٨ - ١٠٧٣ م) ونافور يعقوب ابن الصليبي (+ ١١٧١ م) ونافور كسسطوس ونافور اوسطاثيوس بطريرك انطاكية (٣٢٥ - ٣٣١م) ونافور فرقلس اسقف قسطنطينية ونافور توما الحرقلي المتوفى في اوائل القرن السادس.

جاء في آخر هذا المخطوط ما ترجمته : « انتهى في السنة ١٨١٢ لليونان (١٥٠١ م) في ٤ اذار (في عهد) بطريرك جبل لبنان مار بطرس (شمعون بن داود الحدثي ١٤٩٢ - ١٥٢٤) وبطريرك المشرق بطريرك السريان مار نوح

(١٤٩٤ - ١٥٠٩ م) كتبه الحقير ... يوحنا ... ابن المرحوم حسن من قرية حدشيت المباركة في جبل لبنان المبارك . وهذا الكتاب يخص مار يوحنا بارض حدشيت . اهتم به الخوري دومط بن يوسف هو وابوه وابن عمته . اكمل الرب معهم كل عمل صالح » . وهذا المخطوط النفيس اتصل بخزانة بكركي من تركة البطريرك اسطفان الدويهي(١) .

وورد في المخطوط ايضاً ما ترجمته : « انتهى هذا كرّاس قداديس الآباء القديسين والملافنة الارثوذكسيين . في السنة ١٨١٢ لليونان (١٥٠١ م) في ٤ اذار (في عهد) بطريرك جبل لبنان مار بطرس وبطريرك المشرق بطريرك السريان مار نوح . كتبه الحقير . . . يوحنا الساكن في بـلاد الغربة وهو من مصاف الكهنة ... ابن المرحوم حسن من قرية حدشيت المباركة »(٢) .

وامتلك الدويهي في خزانته نسخة اخرى من النوافير كتبها سنة ١٨٤٣ للاسكندر (١٥٣٢م) الشدياق سمعان بن الخوري يوسف بن الخوري اهرون من حدشيت (٣) وكان سمعان حفيداً للخوري حنا ابن الحاج حسن .

٢ - ميامر لاباء السريان

هذه مخطوطة ثانية من مخطوطات الخزانة البطريركية في بكركي موسومة بالرقم ١٥ نقلت نحو السنة ١٥٨٢ عن مخطوطة اقدم منها عهداً . وقد انطوت على تصانيف شتى ألفها ائمة السريان كمار اسحق الكبير (٤٦٠ م) ومار يعقوب السروجي (+ ٥٢١ م) وموسى بر كيفا (٩٠٣ م) والبطريرك يوحنا ابن المعدني (١٢٥٣ - ١٢٦٣) . ومن المقرّر ان بر كيفا وابن المعدني كانا من مشاهير علماء السريان القائلين بالطبيعة الواحدة . وقد اطلق ناسخ هذه المخطوطة نعت «قدّيس»

---

(١) منارة الاقداس : مجلد ٢ صفحة ٣٠١ (٢) مخطوطة مكتبة بكركي البطريركية : رقم ١١٥ (٣) منارة الاقداس : للدويهي : مجلد ٢ صفحة ٣٠١

على كل منهما واستشفع بهما مما لا يدع مجالا للشك في ان جامع تلك المخطوطة كان منوفيزيتياً بحتاً .

اما ناسخ مخطوطة بكركي فهو يوحنا ابن الخوري ايوب الماروني . وقد سُلخت منها بتداول الايام سبع اوراق احتوت فيما يرّجح على مؤلفات صدرت من اقلام ايّمة السريان المنوفيزيتيين (١) .

٣ ـ صلوات القيامة

قام القس انطونيوس شبلي الراهب اللبناني بجولة في لبنان فأشرف بنفسه على مكتبات الاديار المارونية ونشر عنها مقالات مفيدة متتابعة في مجلة المشرق . ومن جملة ما وصفه من الكتب الخليقة بالذكر مخطوط عثر عليه في خزانة دير مار اليشع بشمال لبنان سنة ١٩٢٦ قال :

« صلوات القيامة . وجدنا في آخر ورقة منه بخط كرشوني ما يلي : لما كان بتاريخ شهر كانون الثاني سنة ١٧٧١ لاسكندر اليوناني ابن فيلبوس (١٤٦٠م) وقف هذا الكتاب المبارك لقيامة سيدنا يسوع المسيح المقدّمين عبد المنعم بن الدين والحاج بدر بن قمر للقديس الفاضل المبارك مار برصوما المعمور بقرية بشري. اوقفه عن انفسهم وانفس ابهاتهم وعن اولادهم وعن نفس المقدّم رزق الله وعن ابنه يعقوب . ويسأل كل من يقرأ فيه يطلبوا لهم الرحمة والمغفرة للخطايا من الرب سبحانه وتعالى . والكلام صفة المتكلّم وكتبه ابن العم بن الدين »(٢) .

وغير خافٍ ان بيعة مار برصوما المذكورة هي التي ابتناها المقدم عبد المنعم بجوار داره في بشري . وسنأتي على وصفها في القسم السادس من هذا الكتاب(٣)

(١) المشرق مجلد ٣١ سنة ١٩٣٣ صفحة ٥٨٤ والمجلة البطريركية السورية : مجلد ٥ سنة ١٩٣٠ صفحة ٢٥٦ فما بعد .

(٢) المشرق : مجلد ٢٤ سنة ١٩٢٦ صفحة ٧٤٨

(٣) القسم السادس : فصل ٨ رقم ٥

٤ ـ كتاب الاناجيل الاربعة

نُسخ هذا كتاب الاناجيل الاربعة سنة ١٨٦٠ يونانية (١٤٤٩ م) في قرية حردين من اعمال البترون . ووقع عليه البطريرك الدويهي اسمه وختمه . وقد جاء فيه ان هذا الكتاب هو « برسم الشماس دوميط بن جيورجيوس قرمان » . وظن المطران بطرس شبلي مؤلف ترجمة البطريرك اسطفانوس الدويهي « ان ابن قرمان هذا هو من انسباء المطران قورلس اليعقوبي مطران حماة وحردين »(١) .

غير اننا لدى مراجعة سلسلة اساقفة حردين لم نعثر على مطران سرياني باسم « قورلس » بل نشاهد في تلك السلسلة اسم « فيلكسينوس جرجس بن قرمان » الذي تولى اسقفيـة حردين مدة ثلاث وعشرين سنة (١٤٨٠ ـ ١٥٠٣ وهو ثالث اساقفة الكرسي المذكور(٢) .

٥ ـ كتاب انجيل

افادنا عن هذا المصحف الخوري بطرس غالب في مقاله عن « نوابغ المدرسة المارونية الاولى » فذكر ان هذا الانجيل « نُسخ سنة ١٨٠٣ يونانية (١٤٩٢ م » في قرية حدشيت في جبل لبنان من يد يوحنا بن المسيح حسن من حدشيت » .

فهذا الناسخ ليس هو الا الخوري يوحنا ابن الحـاج حسن من حدشيت الذي وصفه البطريرك الدويهي بقوله : « من بيت الحاج حسن فرج الخوري حنا وكان حسن الخط السرياني ... »(٣) .

اما هذا الانجيل السرياني فقد اشتراه ميخائيل بن الياس المعروف بابن الشدياق من بعلبك سنة ١٦٠٥ مسيحية بثمن ٧٢ غرشاً من القس ميخائيل البشرّاني كما افاد

(١) ترجمة البطريرك اسطفانوس بطرس الدويهي : صفحة ١٧٨ (٢) راجع هذا الكتاب قسم ٤ فصل ١٤ رقم ٣ (٣) تاريخ الازمنة للدويهي : مخطوطة مكتبتنا : اخبار السنة ١٤٧٢

المطران بطرس العاقوري (+ ١٦٠٦) الذي زار مدينة بعلبك وشاهد هـذا الانجيل فعلّق عليه بخطه ما نصه :

« انه لما كان تاريخ سنة ١٦٠٥ اشتوا هذا الانجيل المقدس الشدياق مخائيل بن الياس يُعرف بابن الشدياق من محروسة بعلبك بثمن ٧٢ غرشاً من القس مخائيـل البشرّاني . النصف منه والنصف الآخر من مال الجماعـة الموارنة الكاثوليكيين التابعين الكرسي البطرسي وتحت امر البابـيّة الاطهار . وهو وقف مخلد اوقفه المذكورون اعلاه الى كنيسة بعلبك المعروفة بستّنا السيدة بحارة الموارنة صدقة عنهم وعن والديهم وعن اولادهم . وكان كتيبة هؤلاء الحروف نهار الاربعـاء في ٢٥ من حزيران سنة ١٦٠٦ »[١] .

ذلك كله لا يدع مجالا للارتياب في ان هـذا الانجيل المقدس نسخه خـطّاط سرياني منوفيزيتي هو يوحنا ابن الحاج حسن الحدشيتي المشهور بالخط السرياني في عصره . ثم امتلكه الموارنة لكنيستهم في بعلبك .

٦ - شرح الاسرار وتفسير الذمة

حوت مكتبة مدرسة عين ورقة كتاباً صنّفه المفريان باسيليوس اسحق جبير (+ ١٧٢١) . وهو مخطوط كرشوني منسوخ بحروف كلدانية جاء في فاتحته : « كتاب علم الرياضي مما أسّسه ورتبه الاب البار والاناء المختار المفريان اسحق الموصلي فريد دهره ووحيد عصره ... »[٢] .

وذكر مؤلفه المفريان المشار اليه في مقـــدمة الكتاب ما نصه : « وسمّيت الكتاب شرح الاسرار من علم الرياضي وكنيته تفسير الذمة ... وقسمته جزئين . .

---

(١) المشرق مجلد ٢٢ سنة ١٩٢٠ صفحة ٩٨ . (٢) طالع ما كتبناه عن هذا المفريان العلامة في مؤلفنا « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » صفحة ١٢٠ - ١٣١

دعيتُ شرح الاسرار الجزء الاول وكنّيت تفسير الذمة الجزء الآخر » وهو يشتمل على ثماني مقالات .

ويُقرأ في آخر المخطوط : « كمل كتاب المعاني الذي هو خمس مقالات على يد الحقير شماس ميخائيل ابن المرحوم مطران باسيليوس الساكن قرية عين تنّور « قرب ديار بكر » الواقعة عن جانب باب الروم . في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٧٣٩ مسيحية » .

وجاء في آخر الفهرس : « اقتنى هذا الكتاب ... الحقير خوري سليمان من طائفة السريان من عيلة دار السعيدي بالقدس الشريف ... وكان ذلك سنة ١٧٥١ مسيحية » ويشتمل المخطوط على ٤٧٠ صفحة تحوي كل صفحة ٢٦ سطراً .

٧ ـ مختصر بعض العلوم ليعقوب الرهاوي

وضع هذا الكتاب باللغة السريانية يعقوب الرهاوي (+٧٠٨ م) المنوفيزيتي المشهور بلقب « المفسّر » وسماه « الايام الستة » حذا فيه المؤلف حذو القديس باسيليوس الكبير في تاليفه « الاكسيمرون » . فتكلم عن خلقة الملائكة والعالم والافلاك والنيّرات والمكوّنات جميعها الخ . ومنه نسخة ثمينة في مكتبة الكلدان بديار بكر يرتقي عهدها الى القرن التاسع .

وهذا الكتاب نُقل من السريانية الى العربية وحُفظت منه نسخ في الخزانة المرقسية بالقدس وفي خزانة دير الزعفران وفي دمشق وغيرها(١) . ومن هذه الترجمة العربية نسخة في خزانة دير طاميش تحت الرقم ١٢ نسخها سنة ١٨٢٦ عبدالله يزبك المكرزل(٢) .

---

(١) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية : تاليف الاب شيخو : صفحة ٢١٥

(٢) المشرق : مجلد ٢٧ سنة ١٩٢٩ صفحة ٦٠٧

٨ ـ كتاب طبيعيات ليعقوب الرهاوي

ليعقوب الرهاوي السابق الذكر ما عدا تآليفه الدينية والطقسية والقانونية تصانيف جمّة في الطبيعيات والجغرافية والفلك والنحو. ومن ذلك قصيدته في الحكمة والطبيعيات بالسريانية محفوظة في كتاب « البيتكاز » المعروف بالشيخ(١). وقد حوت مكتبة دير ميفوق تحت الرقم ٥٥ مخطوطة من هذا كتاب يعقوب الرهاوي عنوانها « كتاب طبيعيات ليعقوب الرهاوي »(٢) منقولة عن اصل سرياني.

٩ ـ كتاب علم الفلك ليعقوب الرهاوي

هذه مخطوطة ثالثة اشتملت على « علم الفلك » تأليف يعقوب الرهاوي المذكور آنفاً. وهي محفوظة تحت الرقم ٦ في مكتبة دير سيدة بصرما(٣).

١٠ ـ كتاب سرياني لابن العبري

حوت مكتبات الموارنة في لبنان عدة كتب لغوية ومنطقية وشعرية تأليف العلامة المشهور المفوريان غريغوريوس ابن العبري (+ ١٢٨٦ م). وقد ذكرها القس انطونيوس شبلي في جولتين له في اديار لبنان. منها هذا المخطوط المحفوظ تحت الرقم ٧٩ في خزانة مدرسة عين ورقة. ومنها ما نذكره في ما يلي :

---

(١) فهرس مخطوطات الشرفة : رقم ١١/٥ صفحة ٩١
(٢) المشرق : مجلد ٢٤ سنة ١٩٢٦ صفحة ٦٥٩
(٣) المشرق : مجلد ٢٤ سنة ١٩٢٦ صفحة ٧٥٦

١١ ـ ديوان ابن العبري

يشتمل الديوان على قصائد سريانية نظمها ابن العبري . وهي مخطوطة نفيسة حُفظت تحت الرقم ٢٨ في خزانة مدرسة مار بطرس ومار بولس في عشقوت .

١٢ ـ مشابهات ابن العبري

المشابهات عند السريان يقابلها الجناس اللفظي عند العرب . تصدّى المفريان ابن العبري لنظم قصيدة عامرة الابيات ضمّنها جميع الالفاظ السريانية المتشابهة . ولهذه القصيدة الفريدة نسخة مخطوطة تحت الرقم ٤٦ في مكتبة عشقوت الآنفة الذكر . وألحق بهذا المخطوط كتاب ثانٍ عنوانه « مدخل المنطق » .

١٣ ـ منطق ابن العبري

هذا المخطوط السرياني محفوظ تحت الرقم ١٣ في مكتبة دير مار ديمط بقرية فيطرون . نسخه سنة ١٥٧٩ ميلادية الشماس نصرالله نجل المرحوم الحاج الياس المعروف بابن المقطوع من مدينة بعلبك .

١٤ ـ ميامر ابن العبري

هو مخطوط سرياني حوى الميامر التي نظمها ابن العبري . وهو مصون تحت الرقم ٥ في مكتبة دير مار سركيس بقرية ريفون . وهذه الميامر نشرها القس اوغسطين شبابي الراهب الحلبي في رومة والحق بها معجماً سريانياً عربياً .

١٥ ـ غرماطيق ابن العبري

تحت هذا العنوان ذكر القس انطونيوس شبلي غرماطيق ابن العبري وهو

موسوم بالرقم ١٣ بين مخطوطات خزانة دير مار سركيس بريفون . ومن المعلوم ان لأبن العبري كتابين في هذا الموضوع : عنـوان احدهما « المدخل » وثانيهما عنوانه « اللمع » فلا ندري ايهما اراد القس انطونيوس .

١٦ - جامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوى الموارنة

مؤلف هذا الكتاب هو السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق عـلى السريان . صنّفه رداً على كتاب « روح الردود » تاليف المطران يوسف الدبس . وهو مخطوط في ٣٠٥ صفحات محفوظ في مكتبة عشقوت تحت الرقم ٥٣ وقـد نُشر هذا الكتاب سنة ١٩٠٨ في القاهرة .

١٧ - شرح الاجرومية للملة النصرانية

بين مخطوطات عشقوت التي ذكرها القس انطونيوس شبلي « شرح الاجرومية للملة النصرانية » تأليف غريغوريوس نعمة قدسي مطران دمشق السرياني . واضيف الى هذا المخطوط كتاب « خالد الازهري في شرح العلم العربي » خط البطريرك بولس مسعد عندما كان تلميذاً في مدرسة عين ورقة (١) .

١٨ - ميامر السروجي وموسى بر كيفا

هو المخطوط العاشر من مخطوطات دير مار شليطا مقبس بكسروان . نسخه البطريرك سركيس الرزي ١٥٨١-١٥٩٧) في السنة ١٨٩٠ للاسكندر (١٥٧٩م) يوم كان راهباً في دير مار بيشوي . وهو يشتمل على ميامر مار يعقوب السروجي

---

(١) المشرق : مجلد ٢٥ سنة ١٩٢٧ صفحة ٧٥٣

(+ ٥٢١ م) وعلى ميامر موسى بركيفا مطران بيت رمان والموصل (+٩٠٣م) مترجمة عن اللغة السريانية الى اللغة العربية . وقد كتبها البطريرك سركيس بحروف كرشونية . وفي آخر المخطوط زجلية في مديح مار بهنام الشهيد المشهور لدى السريان ورد في آخرها .

تمت في عـــدد السنين بكسورها   تسعين سنة لسكندر اليوناني
قال الحقير سركيس بثوب الرهبنة   خادم لمـــار بيشوى الطوباني
بايام المغبـوط بطـرك عزّنا   طايع لكرسي بطرس الروماني (١)

١٩ ـ انجيل سرياني يعقوبي

حدثنا عن هذا المصحف الخوري ابرهيم حرفوش البحّاثة الماروني الذي طالعه في مكتبة مدرسة عين ورقة . وقال انه مخطوط قبـــل السنة ١٧٠٠ يونانية (١٣٨٩ م) . ثم ذكر ان هذا المصحف ينطوي على فصـل من الانجيل يُقرأ في مساء اثنين صوم نينوى . واثبت ان الصوم المذكور كان مرعياً عند الموارنة مع باقي صيامات الكنيسة السريانية دون ادنى ريب . وظـل الموارنة حتى السنة ١٦١٠ متمسكين بهذا الصوم (٢) .

الفصل السادس

المخطوطات السريانية اللبنانية في مكتبة باريس الاهلية

حوت المكتبة الاهلية في باريس عـــدداً وافراً من المخطوطات السريانية

---

(١) المشرق : مجلد ٦ سنة ١٩٠٣ صفحة ٤٩ ؛ و٥٠٤
(٢) المشرق : مجلد ٩ سنة ١٩٠٦ صفحة ١٧٥ و١٧٦

والكرشونية التي نُقلت اليها من شتى الاصقاع الشرقية . وقد اطّلعنا على فهرسها المطبوع سنة ١٨٧٤ فانتقينا من تلك المخطوطات ما له علاقة بموضوعنا نسرده في ما يلي :

١ ـ اعمال الرسل والرسائل القاتوليقية والبولسية

اشتمل هذا المخطوط السرياني على كتاب الابركسيس وعلى رسائل يعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا القاتوليقية وعلى رسائل مار بولس الاربع عشرة . انتهى الكاتب من نساخته في ٩ كانون سنة ١٧٠٩ للاسكندر (١٣٩٨ م) في عهد اغناطيوس بطريرك انطاكية (اغناطيوس ابرهيم الثاني ١٣٨١ ـ ١٤١٢) وفي زمان فيلكسينوس اسقف حردين[1]. وهو اول اسقف اتصل بنا اسمه من اساقفة حردين . وقد تولى هذا الكرسي اثنتين وثلاثين سنة (١٣٨٤ ـ ١٤١٦) .

٢ ـ اعمال الرسل والرسائل القاتوليقية والبولسية

تضمّن هذا المخطوط ما تضمّنه المخطوط السابق وصفه . وقد نسخه المطران فيلكسينوس في مدينة حردين بلبنان . وهو المطران فيلكسينوس جرجس بن قرمان (١٤٨٠ ـ ١٥٠٣) . انتهى من نساخته في ٢١ تشرين الاول سنة ١٨١٣ للاسكندر اليوناني (١٥٠٢ م)[2] :

٣ ـ الاناجيل الاربعة

حوى هذا المخطوط نصّ الاناجيل الاربعة طبقاً للترجمة السريانية المعروفة بالحرقلية . وتمّت نساخته في مدينة حردين بجبل لبنان على عهد اغناطيوس بطريرك

---

(١) مكتبة باريس الاهلية : رقم ٤٧ (٢) مكتبة باريس الاهلية : رقم ٤٩

انطاكية وايونيس بطريرك الاسكندرية(١) . اما بطريرك انطاكية فهو اغناطيوس خلف (١٤٥٥ - ١٤٨٤) وكان مطران حردين في ايامه فيلكسينوس جرجس بن قرمان(٢) .

٤ - الاناجيل الاربعة

هذه نسخة ثانية من كتاب الاناجيل الاربعة وفقاً للترجمة السريانية الحرقلية . نجزت كتابتها في قاسطرة حردين بلبنان سنة ١٧٩١ للاسكندر (١٤٨٠ م) في عهد مار اغناطيوس (خلف) بطريرك انطاكية المذكور وفي زمان فيلكسينوس جرجس بن قرمان(٣) .

٥ - ليترجيات سريانية

انطوى هذا المخطوط على جملة نوافير سريانية كنافور مار يعقوب السروجي (+ ٥٢١ م) وفيلكسينوس المنبجي (+ ٥٢٣ م) ويعقوب الرهاوي (+٧٠٨م) وغريغوريوس ابن العبري (+ ١٢٨٦ م) . وتمّت نساختـه في ٥ كانون الاول سنة ١٧٦٥ للاسكندر (١٤٥٤ م) على يد جرجس من حدشيت . واشتراه هلال بن جرجس(٤) .

٦ - ليترجيات سريانية

صدّر الناسخ هذه الليترجيات بنافور ماروثا مفريان تكريت (+ ٧٦٩ م)

---

(١) مكتبة باريس الاهلية : رقم ٥٧
(٢) فهرس مخطوطات دير الشرفة صفحة ٢٣
(٣) مكتبة باريس الاهلية : رقم ٥٨
(٤) مكتبة باريس الاهلية : رقم ٧١

واردفها بغيرها من نوافير ائمّة المنوفيزيتيين . ثم الحق بها عدّة حسّايات تقال في مقدمة القداس . نسخها سنة ١٨٢٠ يونانية (١٥٠٩ م) باخوس ابن القس حنا من قرية بان المباركة لدير حوقا(١) . وجاء في آخر المخطوط بعض فوائد تتعلّق بالقداس .

٧ ـ ليترجيات سريانية

اشتمل هذا المخطوط السرياني على نوافير سويرا بطريرك انطاكية (+٥٣٨م) وطيمثاوس بطريرك الاسكندرية . . . وكلاهما من اركان الائمّة المنوفيزيتيين . نسخه سنة ١٨٣٥ للاسكندر (١٥٢٤ م) ابرهيم بن جرجس من قاسطرة حردين بجبل لبنان(٢) .

٨ ـ ليترجيات سريانية

هذه نسخة رابعة من الليترجيات السريانية المنوفيزيتية المكتوبة في لبنان والمحفوظة في المكتبة الاهلية بباريس . ومما اشتملت عليه نافور البطريرك يوحنا بن المعدني (١٢٥٣ ـ ١٢٦٣) ونافور البطريرك اغناطيوس يوسف بن وهيب (١٢٩٣-١٣٣٣) وكلاهما من مشاهير بطاركة السريان وعلمائهم . واثبت الناسخ اسمه في هذا المخطوط على هذه الصورة :

« نسخ هذه النوافير حنا بن حسن من قرية حدشيت لاستعماله واستعمال ولدَيه اهرون ومرقس . وحنا المذكور وهو المعروف بابن الصوفي أعطى هذا الكتاب لدير « الكرم » المكرّس لمار سمعان ولوالدة الله . شهد بذلك الخوري حنـا والخوري اسحق من حصرون والخوري حنا من بقرقاشا »(٣) .

---

(١) مكتبة باريس الاهلية : رقم ٧٣
(٢) مكتبة باريس الاهلية : رقم ٧٥
(٣) مكتبة باريس الاهلية : رقم ٧٧

٩ ـ قوانين ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي

تضمّن هذا المخطوط السرياني نصّ قوانين ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي مطران دياربكر (+ ١١٧١ م) المشهور بتآليفه الوافرة ولاسيما بشروحه للكتاب المقدس . وتشتمل تلك القوانين على ما يفرضه الكاهن من صوم وصلاة وزكاة على مَن يتقدم من منبر الاعتراف . وهـذا المخطوط منسوخ في طرابلس سنة ١٨٢١ للاسكندر (١٥١٠ م) . وكان يخص الشماس حنا بن منصور بن جبارة(١) .

١٠ ــ الصلوات القانونية

هذا الكتاب المشهور بعنوان « فنقيث » يشتمل على صلوات الآحاد التاليـة لاحد القيامة المجيدة . كتبه ناسخه في عهد نوح بطريرك انطاكية ... سنة ١٨١٧ للاسكندر (١٥٠٦ م)(٢) .

١١ ــ صلوات الصوم الاربعيني

هو مخطوط ضخم حـوى صلوات الصوم الاربعيني طبقاً للطقس السرياني . نسخه ابرهيم في حردين سنة ١٨١٦ للاسكندر (١٥٠٥ م) في عهـد البطريرك نوح وفيلكسينوس اسقف حردين . وهو برسم بطرس احد رهبان دير مار يوحنا بمدينة حردين(٣) . وفيلكسينوس المشار اليه هو فيلكسينوس جرجس بن قرمان الذي تولى كرسي حردين مدة ثلاث سنوات (١٥٠٣ ـ ١٥٠٦) . وسيرد ذكر دير مار يوحنا في كلامنا عن الاديار القديمة السريانية في لبنان(٤) .

---

(١) مكتبة باريس الاهلية : رقم ٢٢٤ — (٢) مكتبة باريس الاهلية : رقم ١٦٥

(٣) مكتبة باريس الاهلية : رقم ١٧١ — (٤) راجع هذا الكتاب : قسم ٦ فصل ١٨ رقم ٣

١٢ - قوانين ابن العسال وتوما الكفرطابي

انطوى هذا المخطوط على كتابَين متميزَين : اولهما حوى مجموعة قوانين الرسل للصفي ابي الفضائل ابن العسّال الذي عاش في اواسط القرن الثالث عشر . وحوى ثانيهما قوانين توما مطران كفرطاب في القرن الحادي عشر . وقد نسخ هذين الكتابين القس ابرهيم بن سركيس السرياني المنوفيزيتي سنة ١٤٧٦ ميلادية بحروف كرشونية في جبل لبنان . وهذا المخطوط طالعه الاب اليانو اليسوعي قاصد الحبر الاعظم لدى الموارنة وكتب عليه بخط يده هذه العبارة : « ان هذا الكتاب يحوي عدة اضاليل فيقتضي احراقه »(١) .

١٣ - كتابِ الايام الستة

تحت هذا العنوان عرفنا كتاباً لمار باسيليوس الكبير نقله عن اليونانيــــة الى العربية عَبدالله بن الفضل الانطاكي سنة ١٠٥٢ للميلاد(٢) . وعرفنا كتاباً ثانياً انشأه في السريانية يعقوب الرهاوي (+ ٧٠٨ م) . وكتاباً ثالثاً صنّفه موسى بركيفا (+٩٠٣م) مطران بيث رامان والموصل . وهذا الكتاب الثالث المحفوظ في المكتبة الاهلية بباريس نسخه في السريانية سنة ١٥٠٤ ميلادية الاخوان الخوري بطرس وابرهيم بن الشماس يوحنا بن شرف من قرية حاقل في جبل لبنان في عهد مار جبرائيل الاسقف(٣) . وهناك كتاب رابع بالعنوان نفسه صنّفه الربّان عمنوئيل مدير مدرسة الدير الاعلى بالموصل . تمت نساخته عام ١٧٠٧ م(٤) .

---

(١) مكتبة باريس الاهلية : رقم ٢٢٥
(٢) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية : للاب شيخو : صفحة ٥٢-٥٣
(٣) مخطوطات مكتبة باريس الاهلية : رقم ٢٤١
(٤) مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ١٨٢

١٤ و ١٥ _ ليترجيات سريانية

اشتملت المكتبة الاهلية بباريس على مخطوطين سريانيين نسخهما احد كتبة الموارنة في جبل لبنان . ومن محتوياتهما ليترجية فيلكسين مطران منبج وليترجية ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي مطران دياربكر . وكلاهما من مشاهير ائمّة السريان(١) .

الفصل السابع

المخطوطات السريانية اللبنانية في المتحف البريطاني بلندن

اغنى مكتبات العالم بمخطوطات اجدادنا السريان هي بلا مراء مكتبة المتحف البريطاني في لندن . فقد نقل اليها سيّاح الانكليز وتجارهم وعلماؤهم المستشرقون رجالاً ونساء الوف المجلدات القديمة العهد النادرة الوجود . وحوت مكتبة المتحف البريطاني في جملتها مجلّدات سريانية ضخمة ترتقي نساخة بعضها الى القرن الخامس والسادس فما بعد .

ومن كنوز المتحف البريطاني ما جمعه القس موسى النصيبيني رئيس « دير والدة الله » منذ السنة ٩٢٠ حتى السنة ٩٣٢ عندما قام برحلة الى بلاد فلسطين وسوريا ولبنان وما بين النهرين وآثور والعراق ولاسيما تكريت . فطاف مدناً وقرى واديارًا عديدة والتقط منها مخطوطات قديمة وافرة نقلها مع القوافل الى ذلك الدير العظيم . وانشأ منها مكتبة ثمينة منقطعة النظير في الاصقاع الشرقية . وتشرّب روحه في جمع المخطوطات خلفاؤه في رئاسة « دير والدة والله »

---

(١) مخطوطات مكتبة باريس الاهلية : رقم ٧٨ و ٧٩

فنقلوا اليه الشيء الكثير من مخطوطات لبنان[1] وسوريا وما بين النهرين.

ومع توالي الزمان اخذت تندثر مكتبة « دير والدة الله » الشهيرة فنُقلت منها مجلدات جمة الى المكتبة الواتكانية والى مكتبات باريس وبرلين واوكسفرد وكمبردج وميلانو والى ماردين وملطية وذير الشرفة[2].

وفي اواسط القرن التاسع عشر انطلق المستر تاتام الانكليزي الى وادي النطرون بمصر وتعهد مكتبة « دير والدة الله » المشار اليها. فاخذته الدهشة من قِدمها وعظمتها فلم يرَ الا ان يشتريها كلها مهما كلّفه الامر ومهما بلغ الثمن. وافادنا العلامة البطريرك اغناطيوس افرام رحماني (١٨٩٨ – ١٩٢٩) ان طائفة كبيرة من مخطوطات دير « والدة الله » ابتاعها الانكليز بما يوازي ثقلها ذهباً. فكان الرهبان يجعلون كل مخطوط منها في كفّة الميزان وكان المستر تاتام يضع الذهب في كفة الميزان الاخرى[3].

اما المخطوطات السريانية التي نُقلت من لبنان الى المتحف البريطاني وعثرنا عليها في فهرس مخطوطاته فهي كما يلي:

١ – مخطوطة دير الحدث في لبنان

اقدم مخطوطة سريانية سطرنجيلية عرفناها من المخطوطات التي نُسخت في قلب لبنان هي مخطوطة لندن الموسومة بالرقم ١٤،٥٤٢ والمنسوخة عام ٨٢٠ للاسكندر (٥٠٩ م). ففيها ذكر الناسخ ثلاثة رهبان لبنانيين وهم: مار ملكا ومار لاونطي الحدثي ومار حلفَي الزاهد. والى القارىء تعريب ما ورد في تلك المخطوطة النفيسة: « انا يعقوب الراهب الآمديّ كتبت هذا الكتاب راجياً من كل مَن يطالعه ان يصلي لاجلي ... اذكروا جميع اخوتنا الرهبان القاطنين في

---

(١) السريان في القطر المصري: للخوري اسحق ارملة: صفحة ٦٥ (٢) السريان في القطر المصري: صفحة ٥٦ (٣) خزائن الكتب العربية في الخافقين: لمؤلف هذا الكتاب: باب ٥ فصل ٦

الحضر والمضر ... اذكروا مار ملكا ليتحنن عليه المسيح مخلصنا في يوم الدين آمين ويمنحه المسيح حصّة مع القديسين الذين ارضوه . اذكروا لاونطي المولود في حدث لبنان لانه هو كان الداعي الى نساخة هذا الكتاب وقد نسخته بين يديه . اذكروا ايضاً مار حلفَي الزاهد العائش في لبنان ولتكن صلاته سوراً في يوم الدين للكاتب آمين نعم آمين »(١) .

قدَرت ادارة المتحف البريطاني قدر هذا المخطوط السطرنجيلي الفريد فنشرت صفحة منه في المجلد الثالث من فهرس مخطوطاته السريانية . ولا عجب في ذلك فان مخطوطة دير الحدث تُعد من اقدم المخطوطات الاثرية في العالم ومن اثمنها .

٢ ـ القوانين اليونانية السريانية والفنقيث الشتوي

تضمنت هذه المخطوطة الضخمة كتابَين متميزين : حوى اولهما القوانين اليونانية السريانية المستعملة في الطقس السرياني كقوانين مار يوحنا الدمشقي وقوانين سرجيوس ورومانس ويوسف وقزما واندراوس اسقف اقريطش وغيرها(٢) . واشتمل الثاني على الفنقيث الشتوي الذي يتضمن الصلوات الفرضية من احد تقديس البيعة حتى احد الشعانين . وجاء في تلك المخطوطة ما تعريبه : « اغناطيوس الحقير مطران اورشليم وساحل البحر سنة ١٥٠٧ للاسكندر (١١٩٦ م) كتبتُ هذا الفنقيث في كنيسة الشريف الشهير الحبر مار ... وس في مدينة طرابلس الجليلة »(٣) . واغناطيوس هذا كان الاسقف الثاني والخمسين في عداد الاساقفة الذين سامهم البطريرك ميخائيل الكبير (١١٦٧ ـ ١٢٠٠)(٤) .

---

(١) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني : رقم ١٤٥٤٢٫ (٢) الطقوس السريانية الملكية ومكتبة بكركي البطريركية : للخوري اسحق ارملة : صفحة ١٧ (٣) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني : ١٤٦٩٥٫ (٤) لائحة الاساقفة الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير

٣ ـ كتاب بيتكاز

لهذا المخطوط شأنه عند السريان وهم يسمّونه « بيث كاز » اعني الكنز ويضمّنونه جميع الترانيم التي تُتلى في الكنائس على مدار السنة . ويُقرأ في آخر هذا المخطوط ما تعريبه : « تمجيداً للثالوث الاقدس ... نُسخ هذا كتاب « البيتكاز » بمساعي رئيس الدير ومدبّر الرهبان جميعهم ابينا القديس المجيد المثلث الطوبى الجليل الراعي المتيقظ النشيط وحيد عصره وقريع دهره المطران الاثيل مار سويرس العفيف الوديع المنزّه عن كل خبث اعني المطران قرياقوس من جبل لبنان بولاية طرابلس ... انتهى الكتاب على يد الراهب القسّيس ابرهيم بن بهنام ... صلوا على عمي الربّان جبرائيل الذي حضر عندي الى بريّة الصعيد ... كتب ذلك في دير والدة الله مريم العذراء ديرنا نحن السريان المحسودين في بريّة الاسقيط . وقد كتب لكنيسة والدة الله المشار اليها سنة ١٨٠٣ للاسكندر (١٤٩٢ م) »(١) .

والمطران سويرس قرياقس المذكور اعلاه قد سبق لنا ايراد خبره في كلامنا عن الرهبان السريان اللبنانيين في مختلف الامصار(٢) .

٤ ـ كتاب بيتكاز

هذا مخطوط ثانٍ يحوي الحاناً سريانية كالمخطوط السابق ويستعملها السريان المنوفيزيتيون في طقوسهم البيعية . وقد دوّن احدهم فيه العبارة التالية معرّبة عن السريانية : « طالع هذا الكتاب وقرأ فيه في قرية « حجولا » . ثم طالعه ثانية في قرية « كنَيْسة » القس دانيال من « حجولا » سنة ١٥٥٨ للاسكندر (١٢٤٧ م)(٣) .

---

(١) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني: رقم ١٤،٧٣٦ (٢) راجع هذا الكتاب : قسم ، فصل ١٦ رقم ؛ (٣) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني : رقم ١٤،٧٠٣

الفصل الثامن

المخطوطات السريانية اللبنانية في المكتبة الواتكانية

١ ـ تفسير الاناجيل الاربعة

هذا مخطوط كرشوني عنوانه « تفسير الانجيل الطاهر على موجب تتابع بشارات متى ومرقس ولوقا ويوحنا » . وهو مقسوم الى فصول كل فصل منها مذكور في اي يوم يقرأ في الكنيسة بحسب طقس الموارنة الموافق لطقس اليعاقبة. وورد في آخره ما نصه : « كتبه ميخائيل في جبل لبنان سنة ٧٠٦٤ لآدم الموافقة لسنة ١٨٦٧ للاسكندر وهي سنة ١٥٥٦ للمسيح في ... ايام ... البطريرك مار بطرس (موسى العكاري) الذي في قنوبين والمطران داود الخ »(١) .

٢ ـ تآليف البطريرك نوح وغيرها

حوت المكتبة الواتكانية مخطوطة كرشونية اشتملت على مؤلفات اغلبها بقلم البطريرك اغناطيوس نوح البقوفاوي . وأخصها « شرح ايمان اليعاقبة وهجو الملكية والموارنة »(٢) .

٣ ـ كتاب الاشارة والتنبيه

هذا الكتاب ألفه الشيخ الرئيس ابن سينا ونقله الى السريانية المفريان

---

(١) مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ٥٠٤ (٢) مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ٢٤٤

غريغوريوس ابن العبري كما ذكر في تاريخه(1) . ومنه نسخة في المكتبة الواتكانية هذا عنوانها معرّباً : « كتاب الاشارات والتنبيهات للشيخ الرئيس ابي علي ابن سينا نُقل من اللغة العربية الى اللغة السريانية » . ثم جاء في آخر المخطوط ما شرحه عن السريانية : « انا بطرس القبرسيّ ابن جبرائيل افودياقون مار بطرس بطريرك الموارنة بجبل لبنان كتبت او بالحري خربشت هـذه الاوراق » . ثم جاء في المخطوطة عينها بحروف كرشونية : « سَنة ١٦٧٤ للاسكندر » الموافقة للسنة ١٣٦٣ ميلاديّة (2) .

٤ ـ خزانة الاسرار

اشتمل هذا المخطوط النفيس على شرح الكتاب المقدس كلّه اي العهدَين القديم والجديد شرحاً لغوياً بقلم المفريان ابن العبري . وهذه النسخة كُتبت في لبنان وجاء فيها بحروف كرشونية ما نصّه : « في بولس (اي كتاب رسالة مار بولس) سيّدة اهدن الذي كتبه اوهبه في ايام البطرك بطرس(3) والمطران ابراهيم سنة ١٨٠٨ للاسكندر (١٤٩٧ م)(4) » .

٥ ـ تراجم البطريرك يوحنا ابن المعدني

حوى هذا المخطوط تراجم اي مواعظ البطريرك يوحنا السابع عشر (١٢٥٣ ـ ١٢٦٣) المعروف بابن المعدني . وهو يشتمل على ثمانية عشر ترجاماً في اللغة العربية الفصحى . ومخطوط الفاتيكان هذا نسخه البطريرك نوح البقوفاوي وعلّق عليه ما

---

(1) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ٢٢٠ (2) فهرس مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ١٩١ (3) هو البطريرك شمعون بن داود الحدثي (١٤٩٢ - ١٥٢٤)

(4) فهرس مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ١٧٠

نصّه : « بطرك نوح في مدينة حلب بحارة الُجدَيدة من قرية باقوفة من جبل لبنان سنة ١٨١٦ (١٥٠٥ م) » (١) .

٦ - كتاب الخدم الكهنوتية

اشتمل هذا المخطوط على طقسَي العماذ والبرّاخ اي تكليل العروسين في السريانية . وقد جاء في آخره بحرف كرشوني : « كمل الكتاب بيد جبرائيل احقر الناس ابن اسطفان بن ستيتة من قرية اهدن سنة ١٨٤٨ لليونان (١٥٣٧ م) بوادي قيزحيا ... هذا الكتاب هو لمار جرجس اهدن ومار الجاي وستنا السيدة في اهدن »(٢) .

فجبرائيل ناسخ هذا المخطوط ارتقى كما ذكرنا في غير هذا الموضع الى الرتبة الاسقفية(٣) . اما بيعة مار جرجس ومار الجاي وستنا السيدة فسيأتي ذكرها في القسم السادس والفصل الثامن والرقم الاول من هذا الكتاب .

٧ - نوافير سريانية

انطوى هذا المخطوط على اربعة وعشرين نافوراً سريانياً لاستعمال الموارنة بينها نافور لعازر برسبتا مطران بغداد ونافور ماروثا مطران تكريت ونافور توما الحرقلي مطران مرعش وثلاثتهم من مطارنة السريان المنوفيزيتيين . يلي ذلك نافور « مار يوحنا بطريرك الموارنة المعروف بمار مارون القديس وملفان الكنيسة » ووردت فيه هذه الملاحظة : « هذا النافور : كل كاهن يقدّسه في يوم عيد تذكاره ٩ شباط » . ثم ورد فيه بحروف كرشونية : « اكتمل على يد قس يمين ابن سالم

---

(١) فهرس مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ٩٧ (٢) فهرس مخطوطات المكتبة الواتكانية: رقم ٥٢ (٣) راجع كتابنا هذا : قسم ١٢ فصل ٢٥

من قرية حقل من بلد سوريا . وكتبه في قرية جنبلين بجزيرة قوفرس (قبرس) في تشرين سنة ١٨٤٦ لليونان (١٥٣٥ م) (١) » .

٨ ــ كتاب الذي للقربان كمادة الموارنة

هكذا ورد عنوان هــذا المخطوط السرياني وهو يتضمن من الجملة نافور كسوسطس بابا رومية ونافور يوحنا فم الذهب ونافور يوحنا الانجيلي ونافور مار بطرس ونافور مار قرلّس ثم نافور مـاروثا مطران تكريت ويقرأ في آخره : « كملت نافورة القديس مار ماروثا الذي فيه غلط الموارنة » . وجاء في آخره : « كمل كتاب القربان الذي للموارنة سنة ١٥٩٧ مسيحية . كتبه ملكيزدق من حصن كيفا . في ايام البابا اقليميس الثامن »(٢) . وملكيصاداق المشار اليه هو الذي رافق البطريرك اغناطيوس نعمةالله (١٥٥٧ – ١٥٧٦) الى رومة وقضى فيها بقية حياته . وكان من علماء السريان في عصره وخلّف مخطوطات شتى . اما حصن كيفا وطنه فهي مدينة ببلاد ما بين النهرين واقعة على نهر دجلة وكانت حافلة بعدد وافر من السريان المشارقة والمغاربة .

٩ ـ شرح القداس تأليف ابن الصليبي

هذا الشرح صنّفه العلامة ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي مطران دياربكر (+ ١١٧١ م) . وقد نسخه يوسف ابن الشدياق خاطر احد اجداد آل عوّاد الذين انتزحوا عن صدد الى حصرون(٣) . واليك ما ورد في آخره بحروف كرشونية : « لا تعتب على الكاتب الذي يهديك الف حمل سلام . لانه كتبه في ايام البطـالة

---

(١) فهرس مخطوطات المكتبة الواتكانية : عدد ٢٩ (٢) فهرس مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ٧٢ (٣) راجع كتابنا هذا : قسم ١٢ فصل ٢٠

سنة ١٦٤٦ مسيحية . عبد عبيدك لا يعدمك يوسف الحصروني الماروني ابن شدياق خاطر الحصروني »(١) .

١٠ – ميامر مار يعقوب السروجي

اشتمل هذا المخطوط النفيس على سبعة وسبعين ميمراً من ميامر مار يعقوب السروجي (+ ٥٢١ م) . ورد فيه ما تعريبه عن السريانية : « انا الحقير الراهب شمعون الذي كتب هذه الاسطر في هذا الكتاب لابينا المغبوط بطريركنا مار بطرس الموارنة الساكن في دير ميفوق المقدّس بوادي ايليج بارض البترون ... وقد امرني ان اكون رئيساً ومتولياً على دير مار يوحنا بارض كوزبند بجزيرة قبرس ... سنة ١٤٣٢ للاسكندر (١١٢١ م) في ١٢ حزيران »(٢) .

١١ – ديوان البطريرك نوح البقوفاوي اللبناني وغيره

يتضمن هذا المخطوط اولا : ديوان البطريرك نوح (١٤٩٤ – ١٥٠٩) يشتمل على كل ما نظمه هذا البطريرك من الاشعار السريانية على اختلاف مواضيعها . ثانياً : ديوان المفريان غريغوريوس ابن العبري الذي نشره في رومة صديقنا القس اغوسطين الشبابي الراهب الحلبي الماروني . ثالثاً : عشرين قصيدة سريانية نظمها احد علماء السريان الحكماء بوزن مار يعقوب . رابعاً : نبذة احتوت على الغاز سريانية (٣) .

١٢ – الفرض القانوني

اشتمل هذا المخطوط على الصلوات القانونية التي تُتلى في الآحاد السابقة لعيد

---

(١) مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ١٠٢ (٢) مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ١١٨ (٣) مخطوطة المكتبة الواتكانية : رقم ١٧٤

الميلاد منذ احد تجديد البيعة طبقاً للطقس الماروني . وقد ضمّ الناسخ اليهـا صلاة لعيد مار بهنام الشهيد في ١٠ كانون الاول ثم صلاة قانونية ايضاً لعيد مار جبرائيل اسقف قرتمين مؤسس الدير الكبير المعروف باسم « دير العُـمر » في طور عبدين . اما ناسخ هذا المخطوط فقد دوّن اسمه في السريانية واليك تعريبه : « انتهى على يد الخاطىء عطاالله زندة القسيس الماروني »(١) .

الفصل التاسع

المخطوطات السريانية اللبنانية في مكتبة اوكسفرد

بين الخزائن الغنية بالمخطوطات السريانية في ديار الغرب نذكر مكتبة اوكسفرد في انكلترا . فهي تحوي زهاء ستين مخطوطاً تشتمل على طقوس السريان الملكيين . وتحوي كذلك عدداً وافراً من مخطوطات السريان الشرقيين اعني الكلدان والسريان الغربيين او المنوفيزيتيين مما لا شأن لنا فيه في هـذا المؤلف . اما المخطوطات اللبنانية المنوفيزيتية المحفوظة في تلك المكتبة فنذكر منها ما يلي :

١ ـ كتاب الانجيل

هذا المخطوط السطرنجيلي الجميل تضمّن فصول الاناجيل طبقاً للترجمة البسيطة لاستعمال السريان المنوفيزيتيين . وفيه يُقرأ ما تعريبه عن السريانية : « هذا كتاب الانجيل المقدس ... اشتراه المقدسي المشرقيّ مبارك من قرية عين ورد (بطور

(١) مخطوطة المكتبة الواتكانية : رقم ٢٤٨

عبدين) المباركة وهو غريب ومسكين . وقد اشتراه من الخوري شمعون من قرية عين تقد المباركة باثني عشر درهماً . وهو برسم ولده الشماس يوسف...»[1].

٢ ـ كتاب الانجيل واعمال الرسل والرسائل القاتوليقية والبولسية

اشتمل هذا المخطوط الضخم على الاناجيل الاربعة وعلى اعمال الرسل والرسائل القاتوليقية والبولسية . وكل ذلك بالحرف الكرشوني . وقد جاء في آخر المخطوط ما نصّه : « وكان الفراغ من نقله بقرية حردين المباركة في جبل لبنان نهار الجمعة تمام شهر تموز سنة ١٨٥٦ للاسكندر اليوناني ابن فيلبوس الماقدوني (١٥٤٥ م). والمهتم به من ماله لنفسه الكاهن المبارك خوري يوحنا ابن المرحوم قسّيس يوسف من قرية عين حليا في اعمال الزبداني ... واما اختلاف خط هذا الكتاب من اختلاف نسّاخه ... فالثلاث كراريس الاولية خط الخوري وهبة من قرية حردين . والذي بعد منهم خطّ الحقير اثناسيوس اي ابرهيم المعروف يغمور من قرية النبك من اعمال قارا . وكمال هذا الكتاب بيد الولد المبارك شماس يوليان بن ابراهيم يُعرَف بابن زلطة من قرية النبك المذكورة اعلاه . فالمراد من كل واقف عليه ان يدعي للنسّاخ المساكين بالمسامحة »[2] .

واثناسيوس ابرهيم يغمور المذكور في هذا المخطوط هو ثامن اساقفة السريان في كرسي حردين واستغرقت مدة رعايته زهاء ثلاثين سنة (١٥٤٢ ـ ١٥٧١) في ذلك الكرسي »[3] .

٣ ـ فنقيث الصيف

يشتمل هذا الفنقيث على الصلوات القانونية من احد القيامة حتى احد تقديس

---

(١) فهرس مخطوطات اوكسفرد السريانية : رقم ٢٢ (٢) فهرس مخطوطات اوكسفرد السريانية : رقم ٣٣ (٣) راجع هذا الكتاب : قسم ٤ فصل ١٤ رقم ٨

البيعة طبقاً لطقس السريان المنوفيزتيين . وجاء فيه ما نصّه : « نُسخ هذا الفنقيث في عهد البطريرك نوح (+ ١٥٠٩) . اصله من لبنان من قرية باقوفا وخرج منها وترّهب في دير مار موسى وصار قسّ . وبعد ذلك اختاروه الى المطرانية على حمص ثم صار مفريان على الشرق ثم صار بطرك ... »(١) .

٤ ـ فنقيث اسبوع الآلام

هذه مخطوطة رابعة من مخطوطات السريان المنوفيزيتيين في مكتبة اوكسفرد ورد فيها ما تعريبه عن السريانية : « انتهى هذا كتاب الألم الخلاصيّ ... سنة ١٧٩٩ يونانية (١٤٨٨ م) في ٢٢ كانون الثاني » . ثمّ جاء فيه مسطوراً في العربية : « وهو برسم دير القديس مار سركيس بجبل حردين . وكان المهتم بنقله القس يوحنان ابن القس موسى ابن السلا من حردين » .

ثم جاء في المخطوطة نفسها ما تعريبه عن السريانية : « انتهى هذا الكتاب على يد الحقير ... فيلكسينا ... »(٢) . وهذا فيلكسينا ليس الا فيلكسينوس جرجس بن قرمان ثالث اساقفة السريان في كرسي حردين . وقد استغرقت مدة اسقفيته ثلاثاً وعشرين سنة (١٤٨٠ ـ ١٥٠٣)(٣) .

الفصل العاشر

المخطوطات السريانية اللبنانية في مكتبة كمبردج

نهج علماء المشرقيات في كمبردج نهج زملائهم في اقطار المغرب فقاموا باسفار

---

(١) فهرس مخطوطات اوكسفرد : رقم ٥٥ (٢) فهرس مخطوطات اوكسفرد : رقم ٥٩
(٣) راجع هذا الكتاب : قسم ٤ فصل ١٤ رقم ٣

الى البلاد المشرقية وافرغوا الجهود في مشترى مخطوطات مختلفة اللغات زيّنوا بها خزائن كتبهم . ولم يغمّضوا عن طلب المخطوطات السريانية فجمعوا منها عدداً ليس بالقليل وانشأوا لها فهرساً مستوفىً نشروه منذ السنة ١٩٠١ في مجلّدين .

واغلب مخطوطات كمبردج السريانية تشتمل على مؤلفات السريان المشارقة اعني النساطرة وعلى طقوسهم وقوانينهم وتواريخهم . وهناك طائفة غير يسيرة من مؤلفات السريان الغربيين عثرنا بينها على ثلاث مخطوطات لها علاقة بموضوع كتابنا فرأينا ان نقول عنها كلمة وهي :

١ — كتاب الاحداق و كتاب الحمامة

هما كتابان صنّفهما المفريان غريغوريوس ابن العبري في السريانية . لخص في اولهما مضامين كتابه المسمّى « تجارة التجارات » . واختصر في ثانيهما كتابه المشهور بعنوان « ايثيقون » اي علم الاخلاق . وقد نسخهما غريغوريوس يوحنا الجرجري سادس اساقفة السريان في كرسي طرابلس (١٥٧٧ — ١٥٨٧)(١) والحق بهما فصلاً من كتاب الهدى عنوانه « الخطبة والزواج » للمؤلف ذاته . واليك ما جاء في آخر هذا المخطوط معرّباً :

« انتهى هذا الكتاب سنة ١٨٩٠ للاسكندر (١٥٧٩ م) في ١٤ آب الشهر الصيفي . على يد الخاطىء الحقير الضعيف غريغوريوس بالاسم مطران اورشليم ودمشق وطرابلس ابن القسّيس شمعون بن خضرشاه المرحوم ... واصله من مدينة جرجر ... انجز الكتاب كله في عليّة بيت الخوري يوسف بقرية عين حليا . غفر الله لهم الى الابد آمين »(٢) .

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٤ فصل ١٣ رقم ٦ .

(٢) فهرس مخطوطات كمبردج السريانية : رقم ٢٠٠٥

٢ ـ كتاب القصص

حوى هذا المخطوط مواضيع شتى نقتطف منها ذكر ما يلي : قصّة مار بهنام . اقوال لحنين بن اسحق المتطبّب . قصص بعض الرهبان . مواعظ وميامر . جواب السيد المسيح لأبجر ملك الرها . قصّة صالح بن عبد القدّوس مع راهب من رهبان الصين . قصّة نياح الطاهرة والدة الله . وجاء في آخرها ما تعريبه عن السريانية :

« اشترى هذا كتاب القصص الشماس داود ابن المقدسي موسى ابن قطيب في دمشق سنة ١٧٩٥ للاسكندر (١٤٨٤ م) » .

وكتب الناسخ في المخطوط نفسه : مسائل باسيليوس وغريغوريوس واردفها باخبار الآباء في بريّة الاسقيط وفي بريّة الفيّوم . وكتب في آخر الكتاب ما نصه : « لما كان بتاريخ سنة ١٨٣٠ يونانية (١٥١٩م) كان الاب المطران يوسف الكرجي مار غريغوريوس مطراناً على القدس والشام وعين حليا وعين حور ونصف صدَد وقرية الحدث . وكان الاب المطران عيسى ابن حوريّة مار ديوسقوروس مطراناً على النبك والصالحية ومار موسى ونصف صدَد . وكان الاب المطران يعقوب مطراناً على حمص والقريتَين ومار يوليان . فاجتمع المطران يوسف المقدّم ذكره والمطران عيسى في قرية صدَد » .

وجاء في المخطوط نفسه ما نذكره بالحرف الواحد وهو : « نظر في هذا الكتاب المبارك الذي هو كتاب القصص المبارك العبد الحقير شماس محمّد . يا قاري لا تتعجب ان اسمه شماس محمّد ... »(١) .

يتلخص مما سبق ان عين حليا كانت في جملة البلدان التي شملتها ولاية المطران غريغوريوس يوسف الكرجي ورعايته البيعية . وكانت تلك البلدة ذات شأن في

(١) فهرس مخطوطات كمبردج : رقم ٢٨٨١

القرون الخالية وبقيت زاهره عامرة حتى القرن الخامس عشر . وبعد هذا الحين اخذت تتقهقر احوالها ويهجرها اهلها تباعاً بسبب ما حلّ بها من النكبات . قال البطريرك الدويهي : ان « جمعة » جدّ آل الحلو هجر عين حليا عام ١٤٧٠ واقبل الى لبنان وسكن فيه »(١) .

ظلّ فريق من السريان مقيمين في عين حليا حتى القرن السادس عشر فتولى رعايتهم المطران غريغوريوس يوسف المشار اليه . ثم تفقدهم المطران غريغوريوس يوحنا الجرجري الذي ورد اسمه في مخطوط كمبردج السابق ذكره واقام عندهم ردحاً من الزمان . فنسخ بعض تآليف ابن العبري في علّية كاهنهم الخوري يوسف. يتضح من ذلك كله ان عين حليا لم تبرح مأهولة بالسريان حتى اواخر القرن السادس عشر . وبعد هذا التاريخ عفت آثارهم وانطوت اخبارهم .

٣ ـ اخبار وعجائب

هو مخطوط ثالث من مخطوطات خزانة كمبردج كُتب بالحرف الكرشوني . وتضمن اخبار عجائب سيدتنا مريم العذراء ومار دميط ويوسف الحسن وحيقار الحكيم ومار جرجس الشهيد ومار يوحنا صاحب انجيل الذهب الخ . وجاء في آخر هذا المخطوط ما نصه :

« تمّ وكمل هذا الكتاب المبارك بعون الله تعالى على يدِ احقر عباد الله ... راهب عبدالله ابن الشماس موسى ابن تليجان من بيت تابت . وهو احد رهبان دير مار موسى الحبشي بجبل المدّخن شرقي قرية النبك . في زمان ابّهاتنا . . . مار اغناطيوس كوركيس (١٧٦٨ ـ ١٧٨١) ... وابينا مار غريغوريوس مطران جرجس ضابط كرسي القدس الشريف . ومار غريغوريوس يوحنا ضابط كرسي الشام . ومار ديوسقورس ابينا المفخم الاسقف صروخان ضابط كرسي

---

(١) تاريخ الدويهي : صفحة ١٤٠

مار موسى والمرعيث . . . الذي كرزني (سامني) انا الحقير راهب ... وفي وجود اخوتنا رهبان دير مار موسى ... »(١) .

وهذا الراهب عبدالله ابن الشماس موسى ابن تليجان من بيت تابت ينتمي الى اسرة « تابت » الصددية . غادر صدد وطنه وقصد دير مار موسى الحبشي حيث اتشح بالاسكيم الرهباني ونسخ المخطوط المشار اليه في اواسط القرن الثامن عشر . ولنا في اسرة تابت فصل خاص نحيل القارىء الى مطالعته(٢) .

الفصل الحادى عشر

المخطوطات السريانية اللبنانية في مكتبة فلورنسا

تفتخر المكتبة الماديشية في فلورنسا بعدد غير قليل من المخطوطات السريانية النادرة المثال التي وصفها وصفاً دقيقاً عام ١٧٤٢ العلامة المطران اسطفان عواد (١٧٣٦ – ١٧٨٤) . نذكر منها كتاب « خزانة الاسرار » تأليف المفريان غريغوريوس ابن العبري وهو منسوخ بيد المؤلف عينه سنة ١٥٨٣ للاسكندر (١٢٧٢م)(٣) . ومنها مخطوطات اهداها الى تلك المكتبة اغناطيوس نعمة الله الاول بطريرك السريان (١٥٥٧ – ١٥٧٦) . ذلك انه بعد اعتزاله الكرسي البطريركي ارتحل الى رومة عن طريق البندقية . وفي اثناء سفره في البحر الادرياتيقي نسخ كتب اوقليدس سنة ١٨٨٨ للاسكندر (١٥٧٧ م)(٤) .

وبين محتويات المكتبة الماديشية مخطوطات سطرنجيلية نفيسة نادرة نقلت اليها من جبل لبنان واليك وصفها :

---

(١) فهرس مخطوطات كمبردج : رقم ٢٨٨٦ (٢) راجع هذا الكتاب : قسم ١٢ فصل ٢٧
(٣) المكتبة الماديشية بفلورنسا : رقم ٢٦ (٤) المكتبة الماديشية : رقم ٢٨٠

١ ـ انجيل ربولا الشهير

يُعدّ هذا الانجيل الفريد تحفة ثمينة بين التحف التي خلّفها السريان وهو يبرهن على مبلغ حضارتهم وعلى براعتهم في الفنون الجميلة. كتبه العلامة الكبير ربولا رئيس دير مار يوحنا في زغبة سنة ٨٩٧ لليونان (٥٨٦م). وزيّنه بست وعشرين صورة هي من اجمل ما نمّقته ريشة مصوّر على الاطلاق. واورد في الصفحة ٢٩٢ ما ترجمته عن السريانية :

« نُسخ وانتهى هذا الكتاب في الدير المقدّس المؤسّس على اسم مار يوحنا في زغبة ... وهو يخص رئيس دير مار يوحنا في زغبة. كل من اخذه او استعاره ليقرأ فيه او ينقل عنه او يقابله ثم يستحلّه او يقطع منه ورقة مكتوبة او غير مكتوبة يكون حظه مع سارقي القدسيّات ».

وهذا الانجيل الفريد نقله الرهبان السريان من دير زغبة الى احد اديارهم اللبنانية ولم يلبث ان دخل في حوزة بطاركة الموارنة. ويشاهد القارىء ضمن الصورة العاشرة التي تشتمل على رسم النبي ناحوم والنبي صفنيا كتابة سريانية اثبتها البطريرك ارميا الدملصاوي (١٢٨٢ ـ ١٢٩٧ ؟) بخط يده هذه تعريبها :

« في السنة ١٥٩٠ لليونان (١٢٧٩ م) في اليوم التاسع من شهر شباط جئتُ انا الحقير ارميا من قرية دملصا المباركة الى دير السيدة مريم المقدس بميفوق في وادي يليج من بلد البترون عند مار بطرس بطريرك الموارنة. فوضع عليّ اليد ونادى بي مطراناً على دير كفتون المقدس المبني على شاطىء النهر. ومكثت هناك اربع سنوات في ايام الرهبان الساكنين في الدير وهم : الراهب حزقيال ورفيقه اشعيا والراهب دانيال والراهب يشوع ورفيقه ايليا والراهب داود وسائر الرهبان البالغ عددهم اثنين وثلاثين راهباً. وبعد اربع سنوات طلبني ملك جبيل مع الاساقفة والخوارنة والقسّان وألقوا القرعة فوقعت عليّ وجعلوني بطريركاً في دير حالات المقدس. وبعد ذلك بعثوني الى رومة المدينة الكبرى وخلّفت اخانا الاسقف ثئودورس ليدبّر الرعية ويعتني بها ».

وحوى هذا المصحف خطوطاً سريانية وكرشونية كثيرة تشتمل على ذكر وقفيات لدير قنوبين حبَسها ذوو الاحسان من عام ١٤٦٥ حتى عام ١٨٣٢ للاسكندر (١١٥٤ - ١٥٢١ م)(١) .

٢ - كتاب الانجيل

هو ثاني المخطوطات السطرنجيلية التي ملكتها المكتبة الماديشية ووصفها المطران اسطفان عوّاد المذكور آنفاً . ورد فيه ما تعريبه عن السريانية : « بقوّة الله الحي القدوس . انا عبد المسيح البطريرك ارميا وهبت لديري الخصوصي هذا الكتاب وجميع ما يملكه داود ويوسف هبة ابدية . فمن اخذه او اخذ من تلك الاملاك فليكن ملعوناً من الله ومن كهنته » .

وجاء في هذا الانجيل ايضاً ما تعريبه : « في السنة ١٥٨٠ للاسكندر (١٢٦٩م) اقتسم بنو الخوري قليموس خدمة كنيسة القديسين باسيليوس ونوهرا بينهم مشاهرة . فاصاب برصوما كانون وكانون وحزيران وتموز . وأصاب اخويه سليمان وفيلبوس الثمانية الاشهر الباقية »(٢) .

٣ - انجيل يسوع المسيح المقدس

نُسخ هذا المخطوط السطرنجيلي النفيس في مدينة الرها في بيعة الرسل القديسين . ثم نقله الرهبان السريان الى الجبل اللبناني وبعد ذلك حصل في ملك الموارنة . وهو يشتمل على الاناجيل الاربعة طبقاً للترجمة الحرقلية التي تفرد باستعمالها السريان المنوفيزيتيون وحدهم كما ذكرنا في غير هذا المحل . وجاء في تلك الترجمة ما تعريبه عن السريانية : « تمت ترجمة هذا كتاب الانجيليين الاربعة اولا في مدينة منبج في

---

(١) فهرس مخطوطات المكتبة الماديشية : المخطوط الاول

(٢) المكتبة المادیشية : المخطوط الثاني

عهد المطران مار فيلكسينوس المعترف اسقف تلك المدينـة سنة ٨١٩ للاسكندر (٥٠٨ م) . ثم قابلتـه انا توما (الحرقلي) المسكين مقابلة دقيقة في الاسكندرية على ثلاث نسخ يونانية مصححة ومنقّحة . . . عام ٩٢٧ للاسكندر (٦١٦ م) » .

ثم ورد في آخر هذا المخطوط عينه ما تعريبه : « نجز هـذا كتاب الانجيل في مدينة الرها ببلاد ما بين النهرين في بيعة الرسل القديسين بالرها في شهر كانون الاول سنة ١٠٦٨ للاسكندر (٧٥٧ م) . وهذا الكتاب يخص العفيف ... مار ابرهيم الطوباوي . . . بكورة الرها » .

وعلى توالي الايام دخل كتاب الانجيل المشار اليه في ملك الموارنة . وقد ُعلق عليه في الصفحة ٣٠ ما نصه : « هذا الكتاب للست السيدة بدير قنوبين » . ثم ُنقل هذا الانجيل من دير قنوبين الى المكتبة الماديشية ووصفه العلامة المطران اسطفان عواد تحت الرقم الثالث من الفهرس (١) .

٤ ـ غرماطيق ابدوكس الملطي

عاش الربّان ابدكس القسيس الملطي في نحو القرن الثاني عشر . وخلف مؤلفاً في النحو السرياني نسخه جورجيس ُعمَيرا سنة ١٥٨٦ للميـلاد . وهو الذي ارتقى بعد ذلك الى كرسي البطريركية المارونيـة (١٦٣٣ – ١٦٤٤) (٢) . والربان ابدوكس مؤلفـات لغوية منها قاموس معروف باسمه نقل عنه ابن العبري فوائد لغوية في كتابه « خزانة الاسرار » . ولهذا القاموس نسخة حسنة في مكتبـة دير الشرفة (٣) .

(١) المكتبة الماديشية : المخطوط الثالث (٢) المكتبة الماديشية : رقم ٣٤

(٣) فهرس مخطوطات الشرفة : رقم ١٤/٣ صفحة ٢٠٦

الفصل الثاني عشر

مخطوطات السريان اللبنانية في المكتبة البرجيانية

حوت المكتبة البرجيانية في رومة بعض مخطوطات سريانية لها صلة بموضوعنا فرأينا ان نفرز لها هذا الفصل :

١ ـ شرح القداس لابن الصليبي

اشتمل هـــذا المخطوط السرياني على مجموعة مصنفات او شذرات بقلم مؤلف واحد هو ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي مطران دياربكر (+ ١١٧١ م) . وفي مقدمة تلك المصنفات « شرح القداس » للعلامة المشار اليه . اما ناسخ المجموعة فهو ماروني لبناني يؤيد ذلك انـه اورد فيها ذكر الاقباط والملكية والسريان النساطرة والسريان اليعاقبة والارمن والافرنج وهم باجمعهم ملل تختلف بعقائدهـا وطقوسها عن ملة الناسخ المارونية .

٢ ـ كتاب الطب الروحاني

جاء في نسخة هذا المخطوط المحفوظة في المكتبة البرجيانية ما نصه : « كُتب الكتاب على يد الشماس سمعـــان ابن الخوري يوسف ابن الخوري اهرون ابن الخوري حنا من قرية حدشيت محبة المسيح . من جبل لبنـــان حدّ بشري من معاملة طرابلوس سنة ١٨٨٦ للاسكندر (١٥٧٥ م) . . . بايام روستنا واسيادنا مار بطرس البطريرك الذي من قرية باقوفا ومطراننا مار داود الذي من قرية الحديد . بدير قنّوبين كرسي قنّوبين وانطاكية مار بطرس » .

وغير خاف : ان البطريرك بطرس المشار اليه هو البطريرك ميخائيل الرزّي

(١٥٦٧ - ١٥٨١) . اما الشماس سمعان فقد اثبتنا انه يتحدّر من الخوري يوحنا ابن الحاج حسن السرياني الصددي(١) .

٣ - كتاب القداس الماروني

هذا الكتاب ايضاً من جملة مخطوطات المكتبة البرجيانية في رومة . وقد نسخه المطران اثناسيوس سفر العطار السرياني المارديني (١٦٨٥ - ١٧٢٨) . وعاونه في النسخ كاتب ماروني لم يُذكر اسمه . وتمّت نساخته سنة ١٦٧٧ م عندما كان المطران المذكور قسيساً(٢) .

الفصل الثالث عشر

المخطوطات السريانية اللبنانية في شتى الانحاء

١ - حسايات تقديس البيعة

يشتمل هذا المخطوط على الحسّايات التي ترتّل في الكنيسة السريانية منذ احد تقديس البيعة حتى عيد القيامة . وقد نسخه ابرهيم الحرديني اللبناني في قاسطرة حردين مسقط رأسه سنة ١٨١٥ للاسكندر الموافقة للسنة ١٥٠٤ ميلادية . وهذا المخطوط يخص كنيسة مار موسى السريانية بدمشق(٣) .

٢ - السيامات والخدم الحبرية

هو مجلّد ضخم كامل نسخه يوسف الكرجي مطران حردين (١٥٣٠-١٥٣٧) في اثناء مطرانيته سنة ١٥٣٥ وهذا المخطوط محفوظ في خزانة دير الزعفران(٤) .

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٥ رقم ١

(٢) السلاسل التاريخية : صفحة ٣٨ (٣) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية : للبطريرك افرام برصوم : صفحة ١ ١ (٤) اللؤلؤ المنثور : صفحة ١٠٣

القسم السادس

كنائس السريان واديارهم القديمة في لبنان

الفصل الاول

الملكة هيلانة الرهاوية السريانية والدة قسطنطين الكبير

١ - مَن هي الملكة هيلانة ؟

بجوار الرهـــا عاصمة ملوك السريان الاباجرة(١) قرية يقال لها « فجي » او « كفر فجي » فيها وُلدت فتاة إسمها هيلانة زيّنتها الله تعالى بجمال النفس والجسد . واصطفاها ليُبدي على يدها اعمالا باهرة وصنائع خطيرة .

قال اغابيوس بن قسطنطين الرومي المنبجي من مؤرّخي القرن العاشر للميلاد في كلامه عن قسطنطين الكبير ما خلاصته : « ان قونسطا (قسطنس خلور) ابا قسطنطين بعد استيلائه على المانيا ذهب الى المشرق ونزل بمدينة الرها واعمالها . واشتاق هناك الى امرأة ذات حسَب ونسَب فأخبر عن امرأة مباركة عفيفة ذات ادب ومعرفة وحسَب ونسَب وهي على ملّة المسيحيين ... وكانت تعمدت

---

(١) استغرقت دولة الاباجرة ملوك الرها ٣٧٦ سنة بدؤها سنة ١٣٢ قبل الميلاد ونهايتها سنة ٢٤٤ للميلاد . وكان اولهم الملك اريو (١٣٢-١٢٧ ق.م) وآخرهم ابجر الحادي عشر (٢٤٢-٢٤٤ م) .

وآمنت على يدَي اسقف الرها ومنه تعلّمت قراءة الكتب المقدسة والسيرة الفاضلة . فخطبها قونسطا من والديها ... وكان مُغرماً بها جداً وذلك لامر يريده الله ... فولدت غلاماً وسمّته قسطنطين ... وبعد قليل صار الملك الى قونسطا قيصر زوجها ... الى ان ملك قسطنطين ابن هيلانة المباركة الرهاوية ... »(١).

وكتب جرجس ابن العميد التكريتي السرياني (+١٢٧٤) في تاريخه «المجموع المبارك» ما خلاصته : «في ايام ديقلديانس قيصر (٢٨٤ - ٣٠٥ م) خرج قسطن نائبه على بوزنطية واسيا ليتفقد البلاد . فعبر على قرية «فجي» من اعمال الرها فنظر بها امرأة جميلة تدعى هيلانة فخطبها من ابيها . ورجع قسطن الى بوزنطية وآسيا فحملت هيلانة وولدت قسطنطين الملك المؤمن وكانت جميلة ... ولما اراد ديقلديانس ان يقتل قسطنطين هرب الى الرها وتعلم حكمة اليونان . ولما مات ديقلديانس حضر قسطنطين الى ابيه فصيّره ملكاً ... »(٢) .

وروى الكاتب الملكي جامع «قوانين الرسل والمجامع المسكونية والاقليمية» في مقدمة كلامه عن المجمع النيقاوي المسكوني الاول المعقود عام ٣٢٥ ما نصه : «... لم يسكن ثوران اضطهاد النصارى وحزنهم الا بامرأة يقال لها هيلانة من اهل الجزيرة (ما بين النهرين) من قرية تدعى «فجي» . وهذه المرأة تنصّرت على يد بَرْسَميا مطران الرها وتعلمت منه قراءة الكتب المقدسة . فنزل في تلك الايام رجل من اهل بيت الملك من رومة يسمّى اوليطينوس بن قسطوس (قسطنس كلور) ليتعهد الكوَر والمدائن التي تلي المشرق من بلاد الروم فنزل بالرها وكُوَرها . ولما نظر هذه المرأة اعجب بجمالها وهيئتها وادبها وحسن مذهبها . فخطبها من ابيها فزوّجه اياها »(٣) .

---

(١) مخطوطة دير الشرفة المنسوخة سنة ١٦٦٢ م صفحة ٧٩ :

(٢) مخطوطة دير الشرفة : رقم ١٦ : صفحة ٢٦٣ (٣) مخطوطة دير الشرفة : رقم ١/٤ : صفحة ٣٣٧ ويرتقي عهد نساختها الى القرن الثالث عشر

٢ ـ ارتحال هيلانة مع عروسها من الرها الى عاصمة المملكة

ودّعت هيلانة ابوَيها واقاربها وغادرت الرها وطنها مع عروسها وما عتم ان ولدت له ابناً بكراً هو قسطنطين الكبير . قال الكاتب الملكي المشار اليه في كتاب الجامع : « وكانت هيلانة الرهاويّة تحمل ابنها (قسطنطين) على الايمان وان لا يعذّب النصارى كأسلافه . وكان بعلها يقاتل المؤمنين جداً . ولما مات لم تكن هيلانة تقول لابنها قسطنطين شيئاً لكونه صبياً ... وكانت تُدمن الصلوات والصوم والصدقة والرغبة في تعريف ولدها سبيل الحق والاقبال به الى الايمان والهدى ... حتى استجاب لها الله تعالى وانتصر قسطنطين بالاعجوبة المعلومة ... وكانت هيلانة قد نذرت إن تنصّر ابنها تنزل الى اورشليم وتعمّر كنائسها وتبني قبر المخلّص والجلجلة والعليّة الفصحية وبيت لحم وحيث ارتفع الى السماء ... وكان اسقف بيت المقدس معاوناً لها في تعميرها وتتميم امانيها ...»(١) .

٣ ـ مساعي الملكة هيلانة لعقد المجمع النيقاوي المسكوني

على اثر انتصار قسطنطين الكبير ذلك الانتصار الباهر العجيب افرغت امّه الملكة هيلانة كل الجهود في تعزيز الكنيسة واتفاق الاساقفة كافة على التمسك بعقيدة واحدة . فكتبت الى ابنها القيصر تستحثه على عقد مجمع عام يؤيد فيه اولئك الاحبار حقيقة المعتقد القويم . قال الكاتب الملكي المشار اليه :

« كتبت هيلانة الى ابنها تسأله ان ينظر الى كنيسة الله تعالى قائلة : كما انك انتصرت على اعدائك هكذا اسرع الى الانتصار على اعداء الدين القويم ... فقبل الملك رسالتها وعظم فرحه ... وكتب الى البطاركة والاساقفة بالحضور الى

(١) مخطوطة دير الشرفة : رقم ١/ صفحة ٣٢٧ فما بعد

نيقية »(١) عام ٣٢٥ للميلاد . وكان من امر ذلك المجمع المسكوني المعروف بمجمع الثلاثمائة والثمانية عشر اسقفاً ما كان مما هو مشهور لدى عامة المؤرخين وخاصتهم . وحسْب ذلك المجمع فخراً ان قسطنطين الكبير تصدّره مستوياً على عرش ذهبي ومتوشحاً بطيلسان ارجواني ومتوّجاً باكليل مرّصع باللؤلؤ والحجارة الكريمة .

٤ ـ غيرة الملكة هيلانة وابنها قسطنطين على ابتناء الكنائس

انتعشت النصرانية وتوطّدت اركانها بهمة قسطنطين الكبير وغيرة امّه هيلانة السريانية . فكتب المؤرخون الشيء الكثير في وصف هذين العاهلَين المجيدَين . ودوّنوا اخبار كنائس عديدة اسّساها او أمرا بتأسيسها في عواصم المملكة . اعني في قسطنطينية ورومة وانطاكية واورشليم وفي اماكن شتى كبيت لحم وحبرون والناصرة وقانا الجليل وطبرية وشكيم وبيت صيدا وجبل تابور وبيت عنيا وجبل الزيتون(٢) . وشيّدا كذلك كنائس في بعلبك ولبنان والرها وحلب الخ . فخلّدا بصنيعهما للاجيال التابعة ذكرى شريفة مقدسة ردّدها التاريخ وسيردّدها الى ما شاء الله تعالى .

٥ ـ كنيسة آجيا صوفيا الكبرى في الرها وكنوزها الثمينة

عُنيت الملكة هيلانة بتشييد الكنائس خصوصاً في الرها وطنها . فأرسلت لتلك الغاية اموالا طائلة ابتنى بها الرهاويون كنائس عديدة افخمها واعظمها « كنيسة آجيا صوفيا الكبرى » التي اهتمّ بها ملوك كثيرون وتنافسوا في تعزيزها(٣) . وقد اجزلت الملكة هيلانة لتلك الكنيسة تحفاً فاخرة ثمينة فدبّج

---

(١) مخطوطة دير الشرفة : رقم ١/٤ صفحة ٣٣٧ فما بعد

(٢) مجلة الحكمة في القدس : مجلد ٢ سنة ١٩٢٧ صفحة ٣٥ ؛

(٣) تاريخ الرهاوي : فصل ٣ ؛ صفحة ١٠٧ من طبعة البطريرك افرام رحماني

داخلها بالذهب والزجاج والرخام الابيض(١) . ورصّع بيت القربان واعمدة المذبح وسائر اعمدة الكنيسة ومنبرها بالفضة الخالصة التي بلغ وزنها مائة واثني عشر الف رطل (٢) . هكذا عُدّت تلك الكنيسة الملكية « احدى عجائب الدنيا »(٣) .

وما عدا ذلك فان الملكة هيلانة كما روى ابن العميد التكريتي : « وجّهت الى الرها مالاً كثيراً وبنت بها كنائس واديرة ... وفي آخر ايام قسطنطين ماتت امه هيلانة وعمرها ثمانون سنة »(٤) . وقد ضُمّ اسمها المبارك الى ذبتيخا القديسين والقديسات تخليداً لذكراها واقراراً بصنائعها .

٦ – كنيسة والدة الله الكبرى في حلب

من اشهر الكنائس التي شيدتها الملكة هيلانة الرهاوية نذكر كنيسة والدة الله الكبرى في حلب . وقد ذكرها المؤرخ ابن الشحنة بقوله : « كان موقع الكنيسة الكبرى تجاه الجامع الغربي المعروف بالجامع الكبير . وهي الكنيسة التي ابتنتها هيلانة ام قسطنطين وكانت معظمة عند النصارى حتى قيل انه كان يقف على بابها يوم الاحد كذا وكذا بغلة لرؤساء النصارى من الكتّاب والمتصرفين »(٥) . وهذه الكنيسة الكبرى اطلق عليها اسم « والدة الله » . وقد جددها آقاق اسقف حلب الشهير وابتنى قلاّية الى جانبها .

وظلت هذه الكنيسة التي ابتنتها الملكة هيلانة حتى السنة ١١٢٤ للميلاد ثم حولها المسلمون الى مسجد . قال ابن الشحنة : « لم يزل النصارى على الكنيسة

---

(١) المجلة البطريركية السريانية في القدس: مجلد ١ سنة ١٩٣٣ صفحة ١٨١

(٢) تاريخ الرهاوي : فصل ٩٦ صفحة ١٤٤

(٣) شرح المطرزي لمقامات الحريري: صفحة ٢٣ طبعة مصر

(٤) ابن العميد : مخطوطة دير الشرفة :١/٦ صفحة ٢٦

(٥) تاريخ ابن الشحنة : باب ١٠ صفحة ٨٢

الكبرى الى ان حاصرت الافرنج حلب سنة (٥١٨ ﻫ) فأخذ لهم القاضي ابو حسن بن يحيى بن الخشاب اربع كنائس وصيّرها مساجد من جملتها الكنيسة العظمى»(١).

٧ - تشييد قبة كنيسة القيامة بسخاء كاتب سرياني

وعلى مثال القديسة هيلانة السريانية وابنها قسطنطين المجيد قام رجال افاضل ونساء ورعات من الامة السريانية شيّدوا كنائس فخمة واديارا عظيمة في مختلف الاعصار والامصار . فمن ذلك نشير الى كنائس الرها وكنائس آمد ونصيبين وطورعبدين وتكريت وميافرقين وملطية الخ . ثم كنائس انطاكية وافاميا ولبنان ودمشق وحلب وحوران واطرافها فضلًا عن مئات الاديار في البراري والجبال . ولم يغمّض اولئك الابطال عن تجديد ما تقوّض منها كما صنع علي بن الخمار (+٩٧٧ م) الكاتب السرياني البغدادي في القرن العاشر . فانه ابتنى قبة كنيسة القيامة وجدد اكثر ما خرب من الكنائس على ما ذكر يحيى بن سعيد الانطاكي في تاريخه (٢) .

وناهيك ان السريان كان لهم في ملطية ست وخمسون كنيسة في اوائل القرن الحادي عشر . وقد اشار اليها الانبا ميخائيل اسقف تنس القبطي عندما اوفده البطريرك الاسكندري الى ملطية ليزور البطريرك يوحنا العاشر (١٠٠٤-١٠٣٠) المعروف بابن عبدون (٣) .

(١) تاريخ ابن الشحنة : باب ٩ صفحة ٧٧

(٢) يحيى بن سعيد الانطاكي : جزء ٢ صفحة ١٢٥ و ٢٤٠

(٣) المجلة البطريركية السريانية : مجلد ٢ سنة ١٩٣٤ صفحة ١٩٨ نقلًا عن المكتبة الشرقية للسمعاني : مجلد ٢ صفحة ١٤٥

الفصل الثاني

الملكة ثئودورا السريانية وزوجها يسطنيان ملك الروم

١ ـ مَن هي الملكة ثئودورا ؟

ولدت ثئودورا في منبج وهي مدينة اولية بين حلب والرها . وكان والدها كاهناً سريانياً في المدينة المذكورة . واتفق ان يسطنيان مرّ بمنبج حين ذهابه الى محاربة الفرس . فقيل له عن ابنة ذلك الكاهن السرياني فطلب ان يتزوجها . غير ان والدها لم يرض بذلك الزواج الا بعدما عاهده الملك عهداً وثيقاً بانه لن يجبرها على اتباع تعليم المجمع الخلقيدوني (١) . وقد وصفها المؤرخ الرهاوي بقوله : « كانت الفتاة ثئودورا جميلة الطلعة رائعة المنظر زين الله تعالى نفسها وجسمها بمحاسن الحشمة والبهاء ... ولما تبوأت عرش السلطنة انتعشت بها قلوب السريان الارثودكسيين » (٢) .

٢ ـ غيرة ثئودورا ويسطنيان على تشييد الكنائس والاديار

أجمع المؤرخون على ان اقدم كنائس لبنان وادياره الباقية آثارها حتى اليوم قد ابتناها يسطنيان الاول قيصر الروم (٥٢٧-٥٦٥ م) الذي اشتهر بغيرته على بناء الكنائس (٣) . وقد نافسته في ذلك زوجته الملكة ثئودورا فشيدت

---

(١) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ٧٨ (٢) تاريخ الرهاوي : فصل ٥٥ صفحة ١١٤ - ١١٥ (٣) تسريح الابصار : للاب لامنس : جزء ١ صفحة ١١٩

مئـات الاديار والكنائس في مختلف البلدان كما كتب مؤرخو السريان عمومـاً . قال ابن العبري : « اعتنى يسطنيان بالقاء الصلح بين الكنائس . واهتمت زوجته ثئودورا الملكة المؤمنة بعمارة الكنائس اكثر منه . واستقبلت في بلاطها الملكي جمهوراً غفيراً من الرهبان المضطهدين بلغ عددهم خمسمائة من سريان ويونان ... ولما انطلق الى قسطنطينية سويرا بطريرك انطاكية وثئودوسيوس بطريرك الاسكندرية وغيرهما من الأئمة رحبت بهم ثئودورا الملكة في قصرها ونهضت باوازم معيشتهم اعواماً » (١) .

٣ ـ احتذاء الملكة ثئودورا بمثال الملكة هيلانة

نسجت الملكة ثئودورا على منوال الملكة هيلانة والدة قسطنطين الكبير السريانية الرهاوية (٢) التي سلفتها في عرش السلطنة البوزنطيـة . فضارعتها في اعمال البرّ واقتفت اثرها في تشييد المعـــابد ولاسيما في مساعدة ابناء جنسها السريان الذين حفظوا لها اطيب الذكرى .

٤ ـ مكانة يسطنيان وثئودورا لدى مؤرخي السريان

قال معاصر هذين العاهلَين وهو المؤرخ السرياني يوحنا الآمدي مطران اسيا ما خلاصته : كانت الملكة ثئودورا المؤمنة تتعهد كل يومَـين او ثلاثة ايام جمهور الاحبار والرهبان اللاجئين اليها في بلاطها الملكي المسمّى « هرموزدا » وكان عددهم يُربي عـلى الخمسمائة . فكانت تطوف عليهم وتتبرّك منهم وتنحني امامهم باحترام وتقبّـل يد كل فرد منهم وتدرّ عليهم عوارفها بكل سخاء ... وقد شيّـدنا

---

(١) التاريخ البيعي السرياني : لابن العبري : جزء ١ اخبار البطريرك سويرا (٢) مخطوطة دير الشرفة : رقم ٤/١ من المخطوطات العربية : مقدمة الكلام عن المجمع النيقاوي الاول

نحن بامر هذين الملكين و كرمها ثماني وتسعين كنيسة واثني عشر ديراً . وحوّلنا سبع كنائس يهودية الى معابد نصرانية في اربع ابرشيات[1] بحدود مملكتهما .

وكتب المؤرخ الرهاوي ما ترجمته عن السريانية : « ابتنى الملك يسطنيان كنائس واديارا ومستشفيات لا تحصى . وشاد على يد يوحنا الآمدي مطران اسيا ستاً وتسعين كنيسة وسبعين ديراً وخمسة مستشفيات . وقوّض هذا المطران عينه سبع كنائس يهودية وحوّلها الى معابد مسيحية »[2] .

وقال ميخائيل الكبير ما تعريبه : « شيّد الملك يُسطنيان على يد يوحنا الآمدي ستاً وتسعين كنيسة واثني عشر ديراً »[3] . اما ابن العبري فقد ذكرنا آنفاً ما صرّح به عن الملكة ثئودورا وعن اهتمامها ببناء الكنائس وتفوّقها في ذلك على يسطنيان زوجها .

٥ ـ ولاء السريان للملكة ثئودورا

حفظ السريان لهذه الملكة السخية ذكرى جميلة طيبة في تآليفهم لانها رفعت شأن رؤسائهم ودافعت عن بني جنسها ومعتقدها قولاً وعملاً . فكتبوا الشيء الكثير عن فضائلها ومناقبها وذكروا : ١ً ـ المجامع التي عقدتها تلك الملكة لاجلهم في قاعدة السلطنة ٢ً ـ شدّة اهتمامها بيعقوب البرادعي الاسقف المسكوني (٥٤٥ ـ ٥٧٨ م) وبزميله ثئودور مطران حيرة النعمان[4] ٣ً ـ تكريمها للاحبار والرهبان المحتشدين في بلاطها وتوفير دواعي الراحة لهم .

وعلى اثر وفاة ثئودورا (+ ٥٤٨) احتفل السريان بالجنازات والصلوات لاجلها في الكنائس والاديار . واقاموا لذكراها المناحات في بيوت الخاصة

---

(١) اخبار يوحنا اسقف اسيا: خبر ٧ ؛ صفحة ٦٨١ مجلد ١٨ من Patrologia Orientalis

(٢) تاريخ الرهاوي : فصل ٦١ (٣) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٣٢٤

(٤) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٣٠٩

والعامة(١) . وادرجوا اسمها في « سفر الاحياء » المخصّص باولياء الله عزّ وجلّ وبمشاهير الملوك والملكات والمحسنين والمحسنات . وكان يُتلى هذا السفر عند باب المذبح في اثناء قداس الاحبار . وظلّت تلك العادة مرعية عند السريان قاطبة حتى القرن الحادي عشر(٢) . ثم بقيت مستعملة في بعض كنائسهم الى القرن الرابع عشر(٣) .

٦ ـ قسط السريان اللبنانيين من عوارف يسطنيان وثئودورا

بعد تلك الشهادات البليغة لا يبقى ادنى ريب في ان السريان اللبنانيين نالوا قسطهم من مكارم الملك يسطنيان والملكة ثئودورا زوجته . فابتنوا في انحاء الجبل كنائس واديارا وافرة العدد . ثم حوّلوا بنفوذ هذين العاهلين وسخائهما هياكل وثنية شتى الى معابد نصرانية واطلقوا عليها اسماء شهدائهم واوليائهم وقديسيهم الاولين الذين احرزوا اكليل الاستشهاد او قضوا حياتهم في بلاد خارجة عن لبنان . نذكر منهم : مار شربيل ومار إدنا ومار سابا ومار سرجيس ومار آحا ومار بهنام ومار تادرس ومار كوركيس ومار دينط ومار عبدا ومار ابجاي ومار شليطا ومار اسيا ومار ريشا الخ الخ .

يُستخلص مما تقدم ان كنائس لبنان وادياره التي سبقت القرن الثامن للتاريخ المسيحي انما انشأها السريان بسعيهم وجهودهم واموالهم او شيدوها بسخاء القياصرة والولاة المسيحيين . غير ان تلك الكنائس والاديار منها ما تقوّض رسمه وانقرض اسمه . ومنها ما صبرت آثاره او جدرانه على كوارث الدهر حتى اليوم . ومنها ما دخل في حوزة ملّة غير ملّتهم كالموارنة في جبل لبنان والروم

---

(١) مخطوطة المتحف البريطاني المنسوخة عام ٩٩٩ للاسكندر (٦٨٨) والموسومة بالرقم ١٤:٦٤٧

(٢) مخطوطة المكتبة الواتكانية : رقم ٣٩ (٣) الليترجيات الشرقية والغربية : للبطريرك اغناطيوس افرام رحماني : باب ٢ صفحة ٣٧١-٣٧٠

الملكيين في الساحل وفي عكار وانحاء اللاذقية . واستولى الفاتحون على بعضها كجاري العادة في عصور خلت .

ذلك ما حدانا الى تعداد بعض كنائس واديار شادها اجدادنا في لبنان بعد تنصّرهم او آنسنا انهم بنوها ايام مجدهم . ونضم اليها ما عثرنا عليه من اخبارها وآثارها متوخين الايجاز وملمعين كمألوف عادتنا الى المصادر التاريخية التي استندنا اليها في مطالعاتنا الوافرة . وقد اهملنا تدوين طائفة منها مع علمنا الاكيد انها من مباني السريان ومخلفاتهم القديمة .

الفصل الثالث

بيع السريان القديمة ومجمعهم في بيروت

حفظت لنا الآثار السريانية الثمينة اخبار ست كنائس انشأها المسيحيون في بيروت قبل القرن السادس للميلاد . ثم ضعضعتها الزلازل المتكرّرة ولاسيما زلزلتا السنتين ٥٥١ و٥٥٤ م التي قوّضتاها ودمّرتاها وادخلتاها في خبر كان(١) . اما تلك الكنائس الست القديمة فقد ورد ذكرها في سيرة سويرا البطريرك وقد كتبها زخريا السرياني المدرّس البليغ وهي :

١ - بيعة مار لبي الرسول

ذكرنا في ما سبق ان لبّي الرسول او يهوذا اخو يعقوب بشّر البيروتيين

---

(١) تاريخ بيروت : تأليف الاب لويس شيخو : بحث ١٣ صفحة ٤٠-٤١

بالانجيل ونصّرهم . فابتنى المؤمنون على اسمه كنيسة سمّوها « كنيسة لبيّ » وظلت تلك الكنيسة عامرة حتى اواسط القرن السادس . قال زخريا البليغ المدرّس الذي تلقى علم الحقوق في كلية بيروت في السنتين ٤٨٧ و٤٨٨ ما تعريبه : « مررنا الى بيعة الرسول الجزيل الوقار القديس يهوذا اخي يعقوب الصدّيق . . . وكان مديرها القسيس قوسما المشهور باعمال التقى والمزدان بجميع الفضائل . وكان يساعده في خدمتها القس يوحنا الفلسطيني المعروف باسم ادريان . وقد خصص نفسه لخدمة الله تعالى في الكنيسة المشار اليها »(١) .

٢ ــ بيعة انسطاسيا الكبرى

انشأ هذه الكنيسة اوسطات اسقف بيروت (٤٤٣ - ٤٦٠) الذي مرّ بنا ذكره . وكان بنيانها قائماً على قدم وساق عندما وصل الى بيروت طيمثاوس بطريرك الاسكندرية في طريقه الى منفاه في انقرة . وقد نُفي بامر الملك لانه كان من اركان القائلين بالطبيعة الواحدة في السيد المسيح . ولدى بلوغ البطريرك الى بيروت خرج اهاليها الى استقباله بالترانيم والتسابيح البيعية امتثالا لامر اوسطات اسقفهم . ثم التمس اوسطات من البطريرك ان يصلي لاجل المدينة فقام البطريرك في وسطها وصلى الى الله تعالى لاجلها وباركها(٢) .

ولما حان ارتحال البطريرك الى منفاه قال للاسقف اوسطات ولشقيقه اوكسون استاذ الشرع في مدرسة بيروت : « اتبعاني فنجاهد معاً لاجل ايماننا ... » . فاعتذر اوسطات بقوله انه مضطرّ ان يدشّن الكنيسة الكبرى التي شيدها هو وسماها « كنيسة انسطاسيا » .

يتضح من الاستقبال الحافل الذي قام به البيروتيون تكريماً للبطريرك

(١) Patrologia Orientalis 2,63

(٢) تاريخ زخريا البليغ : صفحة ١٤٤

الاسكندري انهم كانوا واياه على عقيدة واحدة . ويؤيد ذلك ما قاله طيمناوس لاوسطات ولأخيه اوكسون : « أن مكننا لتدشين الكنيسة الارضية حُرمنا الفوز باورشليم العلويّة . فاذا اطعمتاني فاننا نعيّد في اورشليم العلوية ... »

والى كنيسة انسطاسيا كان يقصد زخريا المدرّس البليغ وزميله سويرا عند فراغهما من الدرس في كلية الحقوق ببيروت . اما سويرا المشار اليه فهو الذي نُصب سنة ٥١٢ بطريركاً على انطاكية . وظلّت كنيسة انسطاسيا السريانية عامرة حتى السنة ٨٧٠ للاسكندر (٥٥٩ م) وفيها حدثت تلك الزلزلة الهائلة التي كتب تفاصيلها يوحنا اسقف اسيا السرياني(١) الذي عاش في ذلك العصر .

٣ — بيعة والدة الله

كان موقع هذه البيعة ضمن بيروت قريباً من المرفأ . وكان زخريا البليغ يقصدها عشية كل يوم ليصلي فيها . وخرج ذات يوم بعد الصلاة وجعل يتمشى في فنائها فلمح صديقه سويرا مقبلاً اليه ثم تقدم وسلّم عليه . فابتهج زخريا ومجّد الله عز شأنه ثم امسك بيد سويرا وقال هلمّ بنا ندخل الى بيعة والدة الله وهناك اقصّ عليك ما تلقنته من الكلام الالهي . ثم شرع زخريا يسرد على صديقه اخبار الكتاب المقدس بدءاً من اسفار موسى الكليم ويحدثه خصوصاً عن عناية الله سبحانه بالبشر . ثم اردف يخبره عن اعمال سيدنا يسوع المسيح وعن عجائبه وآياته وصنائعه بمياه المعموذية فقال له سويرا : « أعجبني جداً ما حدّثتني به . غير انه ينبغي لي في الوقت الحاضر ان اواصل الجهود في درس الشرائع والحقوق »(٢) .

ظل زخريا وسويرا يختلفان عشية كل يوم الى بيعة والدة الله المشار اليها . وذكر زخريا انه جادل بعض زملائه في المدرسة ممن كانوا يتعاطون السحر حتى

---

(١) تاريخ يوحنا اسقف اسيا : صفحة ٣٢٦

(٢) Patrologia Orientalis, 2,51

زيّف اعتقاداتهم الباطلة . فاحضروا كتبهم السحرية واحرقوها في ساحة بيعة والدة الله المجيدة(١) .

٤ ـ بيعة لاونطي الشهيد

في هذه البيعة التأم طلبة مدرسة الحقوق المسيحيون ليحضروا عماذ لاونطي احد زملائهم وحضر معهم زخريا المدرّس البليغ السرياني وسويرا صديقه . فعمّده الكاهن ووشّحه بثياب بيضاء كمألوف العادة . وقرّر لاونطي انه يحافظ على عهود المعموذية ويسير سيرة مسيحية حقة(٢) . اما مركز هذه البيعة في مدينة بيروت فلم يلمع اليه زخريا المؤرخ .

٥ ــ بيعة القيامة

كانت هذه البيعة من اكبر كنائس بيروت وافخمها . وتعود زخريا وفريق من الطلبة ان يقصدوها كل يوم لاستماع القداس . اما سويرا فكان يختلف الى المسارح الخلاعية والملاهي وسباق الخيل وحديقة الحيوانات . وكان زخريا يحثه ويحرّضه ليعدل عن ذلك فيمضيا معاً وقت العشا ويحضرا القداس في احدى الكنائس . وبعد الالحاح وعده سويرا بالاجابة الى طلبه على شرط ان لا يلح عليه في مسئلة الترهب في احد الاديار . هكذا واصلا دروسهما كل يوم ماعدا يوم الاحد فانهما وسائر الطلبة كانوا ينقطعون عن الدرس طبقاً لقانون المدرسة من منتصف نهار السبت حتى صباح الاثنين . وكانا في اثناء الفراغ يطالعان تآليف باسيليوس وغريغوريوس وفم الذهب وقرلس وغيرها من تآليف الآباء(٣) .

---

(١) Potrologia Orientalis, 2,69 (٢) Patrologia Orientalis, 2,73
(٣) Patrologia Orientalis, 2,54

وتعوّد زخريا وسويرا ان ينطلقا كل مساء الى بيعة القيـــامة (١) ليحضرا القداس والصلاة . وكان يتقدمهما في الذهاب اوغريس السميساطي النجيب واشعيا وانسطاس الرهاوي وفيلبس واناطول الاسكندري واسطفان الفلسطيني . وكان المتقدم بين هؤلاء الدارسين اوغريس المشار اليه وكان فيلسوفاً محباً لربنا يسوع المسيح ممتازاً باصوامه المتواترة وتقشّفاته واسهاره المتواصلة . ولم يكن يتحمم الا مرة في السنة في اليوم السابق لعيد الفصح (٢) .

اما موقع كنيسة القيامة فكان ضمن سور المدينة قريباً من مدرسة الفقـه . ونرّجح انها لم تكن بعيدة عن كنيسة مار جرجس (٣) .

٦ ـ بيعة مار اسطفانس اول الشهداء

هذه بيعة سادسة تأسست في بيروت تيمناً باسم القديس اسطفـانس رئيس الشمامسة واول الشهداء . فهذه الكنائس الست القديمة العهد قد اضمحل رسمها منذ اواسط القرن السادس للميلاد بسبب الزلازل الهائلة التي حدثت في السواحـل الفونيقية اللبنانية . فانها لم تبقِ شيئاً من ابنيتها القديمه ولم تذَر .

٧ ـ مجمع بيروت عام ٤٤٨

نضم الى اخبار الكنائس الست المذكورة خبر مجمع عقد سنة ٤٤٨ في بيروت للنظر في قضية يهيبا مطران الرها (٤٣٥ ـ ٤٥٧) . وكان يهيبا من مشاهير ائمة السريان وجهابذة كتبتهم في عصره خلّف مداريش ورسائل عديدة تشهد بطول باعه في العلوم (٤) .

---

(١) Patrologia Orientalis, 2,56 صفحة ٧٢٦

(٢) المشرق : مجلد ٢٣ سنة ١٩٢٥

(٣) تاريخ الرها : تأليف روبنس دوفال : فصل ١٠ صفحة ١٧٤

اما الداعي الى عقد ذلك المجمع في بيروت فان قسوس الرها السريانيين رفعوا دعوى على يهيبا مطرانهم المشار اليه . فقرر فوط مطران صور واوسطات اسقف بيروت وسائر الاساقفة الملتئمين في المجمع تبرئة ساحة يهيبا مما عُزي اليه ثم ارجعوه الى كرسيه معززاً مكرّماً .

٨ - بيعة السريان ببيروت في عهد الصليبيين

على اثر نكبة بيروت بالزلزال الهائل عام ٥٥٤ اخذ جماعات من الناس يؤمونها ويسكنون فيها . ومن تلك الجماعات جمهور لا يستهان به من السريان قدموا اليها من السواحل اللبنانية خصوصاً كاللاذقية وسلوقيا وجبلة وطرابلس وجونية وصيدا وصور وعكا الخ . وكان بعض بطاركتهم عند قيامهم برحلات من انطاكية الى القدس يمرّون ببيروت ويتفقدون فيها ابنـــاء رعيتهم . نذكر منهم ميخائيل الكبير (١١٦٧ — ١٢٠٠) واغناطيوس الثالث (١٢٢٢ — ١٢٥٢) وغيرهما . وكان الامراء الصليبيون يرحبون بهم ويبدون لهم عواطف الاجلال والاحترام .

ولما احتل الفرنج مدينة بيروت عام ١١١٠ كان النصارى فيها فئتين : فئـة سريانية وفئة ملكية . ولكل منهما كنيسة او كنائس يقيمون فيهـا فروضهم الدينية . اما كنيسة السريان فنرجّح انهـــا كانت في سوق البازركان حيث اكتشفت آثار كنيسة قديمة في مدة الحرب العظمى (١٩١٤ — ١٩١٨) .

وقد انضم السريان دون الملكيين الى الفرنج وامـتزجوا بهم . وكان منهم اكثر الاطباء والصيادلة في الجيوش والمعسكرات . وكذلك في الدوائر الادارية كانت اعمال الترجمة جميعها بيدهم حتى ألفوا تلك الفئة الفرنجية من الموظفـين التي اعجبت ابن جبير بترتيبها وحسن معاملتها(١) .

---

(١) مقال الاب لامنس (المشرق : مجلد ٣١ سنة ١٩٣٣ صفحة ٧٢٥).

الفصل الرابع

بيع السريان في صور وصيدا وعكا ومعاهدهم

١ - بيع صور وصيدا وعكا القديمة

ذكرنا في الفصل الثالث من القسم الثاني انتشار النصرانية في صور وصيدا وعكا. وألمعنا الى اخبار بعض الاساقفة الذين تولوا رعاية تلك الابرشيات. وعلى رغم ذيوع اللغة الرومانية فاليونانية من بعدها على السنة الحكام وبعض الخاصة في تلك المدن فان ارباب الكهنوت والشعب عامة ظلوا محافظين على لغة اجدادهم السريانية في الطقوس البيعية واللهجة الوطنية. ولبث الحال على هذا المنوال الى ما بعد القرن التاسع للميلاد. فان توما مطران صور الذي حضر المجمع الثامن المسكوني (٨٦٩ - ٨٧٠) ممثلاً البطريرك الانطاكي لم يكن قادراً ان يعبّر عن افكاره في ذلك المجمع باللغة اليونانية(١) فكانت لغته سريانية بلا ادنى ريب.

ومن المقرر ايضاً ان سكان تلك المدن كان لهم كنائس عديدة يتممون فيها فروضهم الدينية كسائر الابرشيات النصرانية. غير ان المؤرخين الاقدمين وعلى رأسهم اوسابيوس القيصري قلما تعرضوا لذكر الاولياء والرسل والشهداء الذين بُنيت تلك البيع تيمناً باسمائهم. فاكتفينا بالالماع اليها خدمة للتاريخ.

٢ - بيعة مريم المجدلية وسمعان الفريسي في صور

ذكرت التواريخ ثلاث كنائس او اديار سريانية عُرفت باسم « مريم المجدلية

---

(١) معجم التاريخ والجغرافية البيعي : مقال المستشرق كرلفسكي (كيرلس شارون) عن الملكيين

وسمعان الفريسي » : الاولى كنيسة دير المجدلية مركز مطارنة السريان في القدس بعد الفتح العربي . والثانية كنيسة المجدلية ايضاً كانت جنوبي قبة الصعود وفيها كما روى الراهب سرجيس الطورعبديني في منتصف القرن الخامس عشر كان قبر مريم المجدلية وبيت سمعان الفريسي .

اما الكنيسة الثالثة فقد ابتناها السريان في صور واطلقوا عليها اسم « مريم المجدلية وسمعان الفريسي » . يؤيد ذلك انجيل سطرنجيلي منسوخ على رق الغزال سنة ١١٤٩ وصفحاته موشاة بصور اثرية رائعة . وهذا الانجيل محفوظ في الخزانة المرقسية تحت الرقم ٢٧ في القدس الشريف(١) . وقد جاء فيه ما تعريبه عن السريانية : « نُسخ هذا الانجيل المقدس ... في دير مار سمعان الفريسي والقديسة مريم المجدلية باورشليم سنة ١٤٦٠ للاسكندر (١١٤٩ م) في ايام البطريرك اثناسيوس الثامن (١١٣٩ - ١١٦٦) وفي ايام مار ايونيس بطريرك مصر ومار اغناطيوس مطران الدير واورشليم وساحل البحر . كُتب بهمة ابينا القديس مار اغناطيوس وبعنايته العظيمة ومحبته الزائدة لكنيسة مريم المجدلية التي في مدينة صور . كتبه الراهب سهدو الرهاوي » .

وألحقت بهذا الانجيل الجميل فوائد تاريخية : منها نبذة في جلاء الصليبيين عن الرها . وفي السريان الرهاويين المنتزحين عن وطنهم الى القدس واهتمام المطران اغناطيوس المشار اليه باعالتهم واسترداد قرية (دير دكره) وتعميرها لسكناهم . وجرى ذلك بمساعدة الملك المظفر بغدوين الثاني بن فولك والملكة مالينده امه . وبغدوين هذا تولى عرش اورشليم سنة ١١١٨(٢) .

وظلت كنيسة صور المشار اليها عامرة الى ما بعد القرن الثاني عشر . وكان يتولى رئاستها الراهب يوحنا الذي نصبه البطريرك يوحنا الثالث عشر (١٠٧٥ - ١٠٩٥) المعروف بابن عبدون اسقفاً لابرشية بيثونيا في حوران(٣) .

---

(١) مجلة الحكمة في القدس : مجلد ٢ سنة ١٩٢٧ صفحة ٣٥: - ٣٨:

(٢) مخطوطات الخزانة المرقسية : رقم ٢٧   (٣) لائحة الاساقفة الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير

٣ - بيعة السريان في صيدا وانتقالها الى ملة الروم الكاثوليك

شيّد السريان في غابر الازمنة كنيسة في صيدا ظلّت في حوزتهم حتى القرن الثامن عشر . ولما تناقص عددهم في المدينة المشار اليها وهبوا كنيستهم لملّة الروم الكاثوليك الذين جعلوا يقضون فيها فروضهم الدينية .

وفي نواحي السنة ١٨١٨ نهض الروم الارثذكس يدعون ان تلك الكنيسة كنيستهم ورفعوا الامر الى سليمان باشا والي عكا . فعقد هذا مجلساً في ديوانه حضره السيد زخريا مطران عكار على الروم الارثذكس نيابة عن البطريرك سيرافيم (١٨١٣ - ١٨٢٣) . وحضره ايضاً ثمانية من وجوه صيدا الكاثوليك وهم : ابرهيم الزهار وابرهيم سركيس ويعقوب الزهار وقسطنطين عكاوي والياس كركجي وحنا دبانة وجبران بولاد وحنا زكار الخ . وبعد اخذ وردّ بين الفريقين المتخاصمين قرّر سليمان باشا ان تسلّم تلك الكنيسة السريانية الى الروم الكاثوليك وابرز في ذلك مرسوماً تاريخه غرة صفر سنة ١٢٣٤ للهجرة (١٨١٨م).

قال المؤرخ المعلم ابرهيم العورة ما نصه : « ... وأمروا الصيادنة حينئذ بان يكملوا تقريرهم فكمّلوه . ومن جملة ذلك ان الكنيسة المرقومة اصلها للسريان الكاثوليك ملكاً . والطائفة المرقومة مع تداول الزمان انقرضت وتكاثر عدد وجود الروم الكاثوليك . والروم الكاثوليك استوهبوها من اصحابها السريان هبة شرعية حينئذ طلب منهم القاضي بيّنة تشهد على صدق دعواهم فتعهدوا باحضارها وانحل المجلس . والصيادنة حالا حرّروا الى صيدا وطلبوا الشهود من اسلام محملين الشهادة من نصارى . وبحضور المطران استنطقهم القاضي عن شهادتهم فابدوها وقبلت شرعاً »(١).

(١) تاريخ ولاية سليمان باشا : تاليف المعلم ابرهيم العورة : صفحة ٤٥٠ - ٤٥٣

٤ ــ بيعة مار بطرس في عكا

بخل مؤرخو السريان في ايراد اخبار ملّتهم بعكا وضواحيها . وقد أشرنا الى مطرانها اثناسيوس يشوع الذي انطلق من عكا الى انطاكية وزار بطريركه يوحنا السابع عشر (١٢٥٣- ١٢٦٣) المعروف بابن المعدني . اما كنيسة عكا فقد ابتناها السريان تيمناً باسم مار بطرس زعيم الرسل . يؤيّد ذلك مخطوطة سريانية يرتقي تاريخها الى القرن الثالث عشر وفيها ان يوحنا السجستاني السرياني تعهد تلك الكنيسة واقام فيها ردحاً من الزمان . ونسخ هناك كتاباً ضمّنه سبعين خبراً من اخبار العذراء والدة الله واخبار القديسين . وهذا تعريب ما اورده الناسخ في آخر المخطوط قال :

« نقلنا هذه الاخبار عن كتاب كنيسة مار بطرس في عكا وارسلنا نسخة الكتاب مع الراهب عزيز ... كتبه يوحنا السجستاني ... طالع هذا المخطوط الاسقف بولس تلميذ مار فيلكسينوس اسقف حماة وطرابلس وحردين بجبل لبنان سنة ١٨٢١ يونانية (١٥١٠ م) »(١) .

٥ ـ مجامع السريان في صيدا وصور

انتشر المعتقد المنوفيزيتي في بلاد السريان واستحكمت عراه في صيدا وصور واللاذقية وسواحل لبنان . ونادى به بطاركة الاسكندرية وقسطنطينية واورشليم وانطاكية . واتفق فريق من اساقفة السريان الخاضعين للكرسي الانطاكي على خلع بطريركهم فلبيانس الثاني (٤٩٨ ـ ٥١٢) وساعدهم في البلوغ الى رغبتهم الملك انسطاس الاول (٤٩١ ـ ٥١٨) الذي سار مسير سلفه الملك زينون في المدافعة عن العقيدة المنوفيزيتية والمحاماة عن القائلين بها . وقد اثبتت الصحف

---

(١) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني : رقم ١٤،٧٣٢

السريانية ذلك كله في مجمعَين عقدهما اساقفة السريان : اولهما عام ٥١٢ في صيدا وثانيهما عام ٥١٥ في صور المعدودة في مقدمة مطروبوليتيات الكرسي الانطاكي. واليك تفصيل ذلك :

اولا ــ مجمع صيدا سنة ٥١٢

اصدر الملك انسطاس امراً مستعجلاً الى اساقفة المشرق فعقدوا مجمعاً في مدينة صيدا برئاسة فيلكسينوس مطران منبج صاحب التآليف السريانية البليغة . وهناك طرحوا على بساط البحث قضية البطريرك فلبيانس وانحيازه الى عقيدة المجمع الخلقيدوني الذي أيّد عام ٤٥١ التقرير بالطبيعتين . وبعد اخذ ورد حطّوا ذلك البطريرك عن كرسيه وعزلوه . ثم اجمع اولئك الاساقفة والرهبان الشرقيون ومسيحيّو صيدا وصور وانطاكية على انتخاب الراهب سويرا للكرسي الانطاكي معتقدين انه كفوء لَالغاء عقيدة الطبيعتين من بلاد المشرق باسرها .

ولما تم الانتخاب بعثوا وفداً الى سويرا الذي كان في دير البلّور وهو دير ميوما او دير ثئودورا بجوار غزة بفلسطين(١) حاملين اليه رسالة القيصر انسطاس بشأن انتخابه بطريركاً . فلم يرَ سويرا الا الخضوع لرغبة الملك ورغبتهم فقدم مع الوفد الى صيدا . وصرّح سويرا للاساقفة بقوله : « اني لست كفوءاً انا الحقير ان اجلس على كرسي اغناطيوس المعظم ! » . غير ان الاساقفة والرهبان والمؤمنين الحّوا عليه متوسلين ان يلبّي طلبتهم . فتوجه معهم الى انطاكية وخرج الانطاكيون قاطبة الى لقائه ورحّبوا به بالاناشيد والاهازيج .

هكذا دخل سويرا الى انطاكية ونودي به بطريركاً بحضور اثني عشر اسقفاً وهم : ديونيسيوس اسقف طرسوس ونيقولا اسقف اللاذقية وفيلكسينوس مطران

---

(١) تاريخ زخريا البليغ : صفحة ٩٧ وتاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٧٥٢

منبج وبطرس(١) اسقف حلب وشمعون اسقف قنّسرين ومريون اسقف شورا ويوسف اسقف جبولا وساوان اسقف اورم وسرجيس اسقف قورس ويوحنا اسقف اغرفوس وفيلبس اسقف دلوك ويوليان اسقف سلاميا(٢) .

على تلك الصورة اسفر مجمع صيدا عن القول بالطبيعة الواحدة وعن عزل البطريرك فلبيانس واقامة سويرا خلفاً له .

ثانياً ـ مجمع صور سنة ٥١٥

ما مرّت ثلاثة اعوام على بطريركية سويرا في انطاكية حتى كتب اليه انسطاس قيصر ان يعقد مجمعاً في صور وينظر مع لفيف الاساقفة في كتاب سلَفه الملك زينون المعروف بعنوان « هنطيقون » . وفيه التصريح بالقول بالطبيعة الواحدة والغاء عقيدة المجمع الخلقيدوني الرابع بالطبيعتين .

ارتحل البطريرك سويرا من انطاكية في فريق من الاساقفة الى صور والتأم هناك جميع الاساقفة الشرقيين واساقفة كورة انطاكية وافاميا والفرات وما بين النهرين وبلاد العرب وفونيقي لبنان(٣) . وترأس المجمع سويرا المشار اليه ونواب طيمثاوس بطريرك قسطنطينية وايليا بطريرك اورشليم ويوحنا بطريرك الاسكندرية وحضر معهم فيلكسينوس مطران منبج ويوحنا اسقف تلّ موزل وفولا مطران الرها ويوحنا بَرْافتونيا رئيس دير قنّسرين وقزما رئيس دير عقيبا بقنّسرين . وتولى البطريرك الانطاكي شرح كتاب الملك زينون المذكور آنفاً . ونادوا

---

(١) ذكر ميخائيل الكبير ان « ابرهيم » اسقف حلب هو الذي وضع اليد على سويرا ورقاه الى الرتبة البطريركية : صفحة ٧٥٢

(٢) Patrologia Orientalis, 2,238, 241 نقلاً عن مخطوطة لندن : رقم ١٢،١٥٥ صفحة ١٦١ المنسوخة في القرن الثامن . راجع كذلك تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٢٦١ و٢٦٢ ومخطوطة دير الشرفة : رقم ٤/٧ صفحة ٨٣

(٣) تاريخ زكريا البليغ : مجلد ٢ راس ١٢ صفحة ٥٥

بالاعتقاد بالطبيعة الواحدة في السيد المسيح . ثم كتبوا رسائل الاتفاق والاتحاد وبعثوا بها الى بطاركة الاسكندرية وقسطنطينية واورشليم فوافقوا عليها[1] .

اما البابا سوماخس (٤٩٨ - ٥١٤) وخلفه البابا هرمزدا (٥١٤ - ٥٢٢) فلم يوافقا على ذلك[2] .

الفصل الخامس

بيع السريان في قضاء كسروان

١ - بيعة مار شربيل في معاد

شيّد الوثنيون في قرية معاد هيكلاً للمشتري معبودهم ونقشوا تاريخ بنائه على اسطوانتين نقل احداهما الجوّالة رينان عام ١٨٦١ الى متحف اللوفر في باريس. وفي القرون الاولى للتاريخ المسيحي دفعت الحمية احد اغنياء السريان الرهاويين[3] المقيم في لبنان فحوّل ذلك الهيكل الوثني الى بيعة مسيحية . واطلق عليها اسم مار شربيل الذي استشهد في الرها وطنه عام ١٠٥ للميلاد .وجرى ذلك في عهد مرشده برسميا رابع اساقفة الرها[4] .

اما كنيسة مار شربيل فتُعد طرفة من طُرَف الايام بما رُسم على جدرانها

---

(١) مخطوطة الفاتيكان السريانية : رقم ١٦٢ صفحة ٩١ — ومخطوطة مكتبة باريس : رقم ٢٨٤ صفحة ١٥١ ومجلد ٢ صفحة ٢٧٠ و٢٧٣ من Patrologia Orientalis

(٢) تاريخ زكريا البليغ : مجلد ٢ راس ١٢ صفحة ٥٥

(٣) لبنان : لمحات في تاريخه وآثاره وأسره : صفحة ١٣٠

(٤) اخبار الشهداء والقديسين : طبعة الاب بيجان : مجلد ١ صفحة ٩٥

من الصور البديعة . وهي أقدم كنائس لبنان واحكمها هندسة واجملها زخرفة وبنياناً . وكانت تشتمل على ثلاثة اسواق مرتكزة على اعمدة تعلوها اكـلّة من الطرزَين اليوني والدوري . غير ان مرمّميها الجهلة في الآونة الاخيرة لم يُحسنوا اصلاحها بل عبثوا بآثارها القديمة وشوّهوا رونق هندستها وطمثوا كثيراً من محاسنها . فازالوا حنيّتها ومحقوا نقوشها النفيسة(١) .

٢ ـ بيعة شامات

شامات جمع شامة لفظة سريانية بحتة معناها بثرة في البدن لونها الى السواد . وشامات قرية في كسروان قائمة فوق رابية شيّد فيها الوثنيون هيكلاً لأصنامهم . ولما ذاعت النصرانية في الجبل حوّل السريان ذلك الهيكل الى كنيسة مسيحية . لان بقعة شامات وما جاورها من القرى لم تكن مأهولة الا بهم دون سواهم حتى القرن الثامن وبعده .

قال الخوري يوسف العمشيتي(٢) : « اما امر تحويله (اي هيكل شامات) الى معبد مسيحي فلا يمكننا البت في تعيين زمنه . انما نقول على سبيل الاستدلال ببعض مستندات تاريخية ان تحويله يرتقي الى عهد انتشار صناعة البناء البيزنطية وطريقة الفسيفساء » .

ولما كان البحّاثة الاب هنري لامنس قد تجنّد لمثل هذه الدروس الدقيقة اكثر من كل الذين سبقوه ولحقوه من علماء الآثار اللبنانية رأينا ان نستفتيه في ذلك ونعوّل على علمه الراسخ وحكمه السديد قال : « اشتهر الملك يوسطنيان بغيرته على بناء الكنائس . وليس بمستبعد ان اقدم كنائس لبنان المعروفة اليوم تشيّدت في عهده او على يد المهندسين الذين جروا على طريقة بنائه . مثال ذلك كنيستا

---

(١) تسريح الابصار : جزء ١ صفحة ٨٥ — ٨٧

(٢) المشرق : مجلد ٢٩ سنة ١٩٣١ صفحة ٧٥٣

اهدن و كفرسلمان اللتان تشبهان كل الشبه الكنائس البيزنطية المنسوبة الى هذا الملك . ولعل كنيسة حدتون ... هي ايضاً من هذا القبيل فيكون بناؤها سبق دخول الموارنة الى لبنان . لنا في تأييد قولنا بعض الحجج : منها وجود كتابتين يونانيتين وفي كلتيهما ما يشير الى قدم هذه الكنيسة . ومنها الطراز الهندسي والنقوش وضروب الفسيفساء فان كل ذلك يلمع الى عهد يوسطنيان »(١) .

نستخلص مما سبق ان كنيسة شامات المشيدة على طريقة البناء البوزنطي والمشتملة على بعض الفسيفساء بُنيت في عهد يسطنيان (٥٢٧ – ٥٦٥) وزوجته الملكة ثئودورا السريانية . او ابتناها مهندسون وطنيون اتبعوا الطريقة اليوسطنيانية في عمارة الكنائس في تلك الحقبة . وعليه فكنيسة شامات ليست في اصلها كما تؤيده القرائن المذكورة الا كنيسة سريانية انشأها السريان او انشأها لهم قياصرة الروم . وبتعاقب الايام دخلت تلك الكنيسة في حوزة الملة المارونية .

٣ – بيعة مار ثئودورس في بحديدات

تُعد بيعة مار ثئودورس في بحديدات من اقدم الكنائس السريانية وابدعها في لبنان . وهي مزدانة برسوم جميلة و كتابات سطرنجيلية قديمة . منها صوَر الكاروبيين يحملون بين ايديهم تسبيحة التقاديس الثلاثة مكتوبة بحروف سطرنجيلية . ومنها صوَر غيرها تزيّنها كتابات سطرنجيلية تعرّف اسماء الاشخاص المصوّرين فيها(٢) . اما مذبحها الحالي فهو المذبح القديم نفسه الذي كان الوثنيون يقرّبون عليه ضحاياهم .

ومن المعلوم ان للشهيد ثئودورس او تادرس ذكرى مستفاضة في الكنيسة تكرّمه مع مار افرام الملفان في اول سبت من الصوم . وتصفه في « الحسّاية »

(١) تسريح الابصار : جزء ١ صفحة ١١٩ (٢) تسريح الابصار : جزء ١ صفحة ٨٧ – ٨٨

بعبارات محكمة بليغة ومعانٍ سامية بديعة . وقد ابتنى السريان على اسمه كنائس واديارًا عديدة في شتى المدن والدساكر لم يزل بعضها قائمًا حتى اليوم .

وظلّت بيعة مار تئودورس في بحديدات بحوزة السريان حتى القرن الثالث عشر او بعد هذا التاريخ ايضاً . يؤيد ذلك كتاب « سيامات كهنوتية » قديم العهد اقتناه الخوري ميخائيل صائح رئيس دير الشرفة (+ ١٨٢٨) الذي أغرم بالكتب القديمة وانشأ مكتبة عامرة بمخطوطات(١) اشتراها من لبنان ودمشق والنبك وغيرها . ففي ذلك المخطوط الثمين ورد اسماء شمامسة ورهبان نُصبوا كهنة وأرسلوا الى مختلف الابرشيات وقد ورد فيه ما تعريبه : « رقى الروح القدس بوضع يد مار اغناطيوس المفريان صليبا قاتوليق المشرق الشماس يهنام ابن الخوري نعمان قسّيساً على بيعة مار تئودورس الشهيد النبيل في قاسطرة بحديدات من عمل جبل لبنان . وتم ذلك في ٢٤ حزيران سنة ١٥٦٧ للاسكندر (١٢٥٦م) جعله الله مباركاً » .

ويغلب على الظن ان راسمي الصور في بيعة بحديدات وفي غيرها من بيَع لبنان القديمة كانوا من اهل الشام اي السريان الوافدين من سوريا والبارعين في فنّ التصوير . كفى على ذلك دليلًا الخطوط السريانية المحدقة بتلك الصور(٢) .

٤ ـ ٦ ـ بيعة مار آحا وبيعة والدة الله وبيعة مار ميخائيل في لحفد

كانت لحفد معقلًا حصيناً للسريان ومركزاً لاحد مقدّميهم في ابان عزهم وسطوتهم . وهي موطن المطران جبرائيل القلاعي « اول مؤرخ للطائفة المارونية »(٣) . وقد اشار هذا المطران الى استفحال امر السريان في مسقط رأسه فقال :

---

(١) عناية الرحمان في هداية السريان : للمطران افرام نقاشة : صفحة ٨٩ ؛
(٢) تسريح الابصار : جزء ١ صفحة ٨٩ (٣) راجع كتابنا هذا : قسم ٤ فصل ٢

من اولادك يا امي لحفـد السيف في قلبي منفـد
وانا كنت باسمك امجـد وحوّلت وجهي للحيطان ...

وكان للسريان في لحفد عدة كنائس عثرنا على اسماء ثلاث منها وهي : بيعة مار آحا وبيعة والدة الله وبيعة مار ميخائيل . ولسنا ندري ما حل بها بعد انتزاحهم عن القرية المذكورة .

٧ - بيعة السريان في جونية

اثبتنا في فصل سابق ان السريان كان لهم كرسي اسقفي في ثغر جونيـة بكسروان . وذكرنا اسم « روبيل » احـد اساقفتها في القرن التاسع . وظل السريان مقيمين في جونية الى ما بعد القرن الثالث عشر استناداً الى ما رواه ثقات المؤرخين مسلمين ونصارى كالشريف الادريسي وغيره(١) . اما كنائسهم في ذلك الثغر وفي ضواحيه فلم نتوفق الى الوقوف على اسمائها واخبارهـا . ولعل الزلازل خربتها كما خربت كنائس عديدة غيرها في السواحل اللبنانية .

الفصل السادس

بيع السريان في الحدود اللبنانية وفي جبة المنيطرة

١ - بيعة مريم العذراء في افقا

ابتنى الوثنيون في افقا هيكلاً للزهرة معبودتهم كانوا يحجوّنه في مواسم معلومة

(١) فلسطين وسوريا : للادريسي : وجه ١٧ من النص العربي : طبعة غلدمستر

١٥

وأصبح بتمادي الايام ماخوراً للعواهر (١) . ولما تولى قسطنطين الكبير عرش بوزنطيا (٣٠٦-٣٣٧) انتعشت النصرانية في عهده وعلا شأنها . ويعود الفضل في ذلك الى امه هيلانة الرهاوية السريانية التي صرفت المساعي نظيره في عمران الكنائس . فابتنت منها عدداً وافراً في الرها وطنها (٢) وشيدت كنائس عديدة على قبر المخلّص والجلجلة وفي العلية الفصحية وجبل الزيتون وبيت لحم وغيرها . وشاركت قسطنطين ابنها في بنيان الكنائس في بلاد شتى كانطاكية وبعلبك وحلب وأفقا ولاسيما في عاصمة السلطنة .

ولما تولى يوليانس الجاحد (٣٦١-٣٦٣) اعاد عبادة الوثن الى أفقا (٣) . غير ان ارقاديوس قيصر (٣٩٥-٤٠٨) أصدر الاوامر بمحق الاصنام وجدد كنيسة أفقا كما كانت في عهد قسطنطين سالفه واطلق عليها اسم « العذراء مريم » .

قال مؤلف تاريخ العاقورا : « ويبان انه في آخر الجيل الرابع كان كثر عدد المسيحيين في هذه المنطقة والا ما كان نُقض هيكل أفقا وتحول لكنيسة . لان الكنيسة يلزم لها نصارى كما لا يغرب » (٤) . اما اولئك النصارى فلم يكونوا الا سرياناً لان السريان كانوا دون سواهم سكان لبنان الاصليين منذ أبعد العصور .

٢ ـ بيعة مار فوقا الشهيد

اشتهر امر فوقا وتلامذته الشهداء في الكنيسة السريانية فخصصت في كلندارها اليوم ٢٢ من ايلول بذكر جهادهم . وتمّ استشهاده مع رفقائه في مطلع القرن الثاني للمسيح . اما بيعة هذا الشهيد في لبنان فقد ابتناها يسطنيان الملك في القرن السادس على مشارق الجبل اللبناني كما اثبت المؤرخ بروكوب في تاريخ الابنية

---

(١) تاريخ سوريا : للدبس : عدد ٥٦٠ صفحة ٩٤ (٢) تاريخ ابن العميد : مخطوطة دير الشرفة : رقم ١٦/٤ صفحة ٦٣ في الكلام عن قسطنطين الكبير (٣) تاريخ سوريا : عدد ٥٦٢ صفحة ٩٨ - ٩٩ (٤) تاريخ العاقورا : للخوري لويس الهاشم : صفحة ١٦٨ - ١٦٩

(كتاب ٥ عدد ٩) (١) . ونعتقد ان زوجته الملكة ثئودورا التي امتازت بعطفها على السريان ابناء جنسها شاركته في ذلك المشروع .

ومن اجلى الادلة التي تدعونا الى الاعتقاد ان بيعة مار فوقا شُيدت للسريان ان مشارف لبنان وأعاليه لم يكن فيهـا من النصارى حتى القرن الثـامن للميلاد سوى السريان فقط .

٣ ـ بيعة مار بطرس في العاقورا

العاقورا اصلها « عين قورا » من السريانية معناهـا « عين البرد » كما قلنا، تعلو عن البحر ١٤٥٠ متراً . وتعتبر مناظرها الخلابة من أجمل مناظر الدنيا وابدعها . اما بيعتها المنحوتة في الصخر والمشيدة على اسم مار بطرس فهي من جملة كنائس السريان الاثرية في الجبل اللبناني . ونرجّح ان الرهبان الاقدمين تولوا نقرهـا كما نقروا غيرها من الكنائس والمحابس في اثناء فراغهم من الفروض النسكيّة .

ويبلغ طول كنيسة مار بطرس نحـواً من خمس عشرة ذراعاً بعرض خمس عشرة ذراعاً ايضاً . وارتفاعها اربع اذرع . وفيها احد عشر لحداً منحوتة بطول قامة الانسان . وقد تعهدها قديماً وحديثاً فريق من السيّاح والمستشرقين وعلماء الآثار(٢) .

وورد ذكر هذه الكنيسة في سنكسار مخطوط بحروف كرشونية . ويستفاد من تاريخ هذا المخطوط ان كنيسة مار بطرس في العاقورا كانت في السنة ١٧٢٦ للاسكندر (١٤١٥ م) بملك السريان . وقد فصّلنا تاريخ هـــذا المخطوط ووصفنا مزاياه في فصل سابق(٣) .

---

(١) تسريح الابصار : جزء ١ صفحة ١١٩

(٢) تاريخ العاقورا : صفحة ٢٨ ـ ٢٩

(٣) راجع هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٤

وعلى تمادي الايام اصبحت كنيسة مار بطرس في حوزة الملّة المارونية وفيها دُفن البطريرك يوسف العاقوري (١٦٤٤ - ١٦٤٨) رحمه الله تعالى (١) .

٤ - بيعة حصرائيل

تقع حصرائيل في بلاد جبيل العليا واليها انتزح فرع آل الحاو المتحدّر من يوسف ثاني ابناء « جمعة » الجدّ الأعلى . فاستقرّوا هناك منذ القرن السادس عشر وتكاثر نسلهم . وعلى اثر قدومهم الى حصرائيل شيّدوا كنيسة نرجّح انها احترقت عام ١٦٧٥ عندما أغار بنو حمادة المتاولة على حصرائيل واوقدوا النار في سكانها (٢) . ومن ذاك التاريخ تبدّد اغلب اهالي هذه القرية . فارتحل بعضهم الى عكار وسكن البعض الآخر في محلة المزرعة بضواحي بيروت . واقام فريق في شتى قرى لبنان كما سيأتي تفصيله (٣) .

٥ - بيعة مار أسيا في أسيا (البترون)

يكرّم السريان مار أسيا الطبيب منذ ابعد القرون تكريماً خاصاً . وعلى اسمه ابتنوا كنائس في حلب وماردين والمنصورية وطور عبدين وفي لبنان ايضاً . وتكاد لا تخلو كنيسة من كنائسهم من صورته العجائبية . اما كنيسة مار أسيا في قرية أسيا فكانت من ابنية السريان القديمة وقد غلب اسم شفيعها على تلك القرية فدُعيت كذلك تيمناً به .

٦ - بيعة مار موسى في قرية موسى

اشتهرت قرية موسى بصلابة اهاليها في العقيدة المنوفيزيتية . وأثبت البطريرك

---

(١) تاريخ الدويهي : صفحة ٢١٩ (٢) تاريخ الازمنة : للدويهي : مخطوطة مكتبتنا : اخبار السنة ١٦٧٥ (٣) طالع هذا الكتاب : قسم ١٢ فصل ١٨

الدويهي ذلك بقوله : « كَبُرتْ شوكة اليعاقبة وصاروا يتباينوا (يتظاهرون) جهراً في جبّة بشري . وتبعوهم كثيرين من بقوفا وقرية موسى ... » [1] . وابتنى السريان في هذه القرية بيعة على اسم مار موسى الحبشي . وتولى خدمتها القس موسى الذي رقّاه الى الدرجة الكهنوتية ديوسقورس عيسى بن ضو النبكي مطران اورشليم وطرابلس . ومِمّن عُرف من كهنة « قرية موسى » الخوري فرح معلم الحبيس اليشع المنوفيزيتي في عهد البطريرك داود يوحنا (١٣٩٣ - ١٤٠٤) [2] .

٧ - بيعة اهمج

اهمج بلدة عامرة في بلاد جبيل توطّنها اولاد « خليفة » ثالث ابناء « جمعة » الذين قدموا من عين حليا كما سبق الكلام . وممن ينتمي الى هذا الفرع بيت لطفي. اما آل الخوري في اهمج فيتحدّرون من الاسرة الدويهية الوافدة من صدد [3] . وقد ابتنى السريان اجدادهم في اهمج بعض كنائس اخنى الدهر على اكثرها ودخلت في خبر كان .

٨ - بيعة جاج

كثيرة هي الأسر السريانية التي انتزحت من بلاد السريان وقدمت الى لبنان وسكنت قرية جاج كآل الخازن وابناء عمهم آل وهيبه الذين وفدوا اليها من غسّان وآل الجميّل من بلاد ما بين النهرين وغيرهم . ولبثوا مدة غير قصيرة محافظين على عقيدتهم المنوفيزيتية يقيمون فرائضهم الدينية في بيعة خاصة بهم على اسم مار آحا . ونرجّح ان انضمامهم الى الطقس الماروني قد حدث خلال انتقالهم عام ١٥٤٥ من جاج الى كسروان او بعد ذلك .

---

(١) تاريخ الازمنة : مخطوطة مكتبتنا : اخبار السنة ١٤٧٢ (٢) تاريخ الدويهي: صفحة ٣٨٤

(٣) طالع هذا الكتاب : قسم ١٢ فصل ٢٤

٩ ـ بيعة بيت قصاص

بيت قصاص مزرعة قديمة لجأ اليها سنة ١٦١٣ خاطر المشروقي ابن الشدياق شاهين قادماً من قاسطرة صدد السريانية هرباً من الظلم والشَغب . قال المطران اغوسطين البستاني ما نصه : « ... وسنة ١٦١٣ انتقل من صدد خاطر ابن الشدياق شاهين وبعض اقاربه الى مزرعة بيت قصاص في جبة المنيطرة »(١) . ثم اسّسوا فيها كنيسة يقضون فيها فروضهم الدينية . الا انها بادت بتوالي الايام ولم يزل الاهالي كما بلغنا يشيرون حتى الآن الى بقاياها .

١٠ ـ بيعة يانوح

يانوح قرية في جبّة المنيطرة شاد فيها بطاركة الموارنة ديراً باسم السيدة العذراء واتخذه بعضهم كرسياً لهم منذ القرن الحادي عشر . وأشهر مَن اقام فيه البطريرك ارميا العمشيتي (١٢٠٩ ـ ١٢٣٠) والبطريرك شمعون خليفته(٢) .

ووُجد في يانوح جماعة من السريان القائلين بالطبيعة الواحدة كما اشار ابن القلاعي في زجليته قال :

ابليس اب كل الطغيان   نظر شعب مارون فرحان
حسده وارماه في احزان   لاجل اثنين كانوا رهبان

...

كان الواحد من يانوح   والآخر من دير نبُوح
اكرزوا بسراً موضوح   تكلم بهم روح الشيطان

...

---

(١) المشرق : مجلد ٢٨ سنة ١٩٣٠ صفحة ٧٢١ - ٧٢٢

(٢) تاريخ سوريا : للدبس : عدد ٨٥٩

قالوا المسيح ليس له نفس ولا طبع يستحمل ويحسّ
ولا منطيع كرسي بطرس لاجل انه على ذا الايمان(١)

. . .

والى يانوح هاجر من عين غسّان موسى غانم الغسّاني واولاده غـانم ومطر وسعادة وضو . وكانوا بلا ادنى ريب من القائلـين بالطبيعة الواحدة . وظلوا مقيمين في يانوح مدة من الزمان حتى انتزحوا الى لحفد في مبادىء القرن الثالث عشر(٢) . ونعتقد ان هذه الأسرة الغسانية المحتد المنوفيزيتية المذهب(٣) كان لها ولغيرها من الأسر السريانية كنيسة او اكثر في يانوح يقيمون فيهـا شعائرهم الدينية .

١١ ـ سائر بيع جبة المنيطرة

كانت حدود « جبة المنيطرة » في لبنـان تمتد من شاطىء البحر المتوسط حتى سطح الجرد . ومن نهر الفيدار حتى نهر ابرهيم . وانتشر السريان في انحائها انتشاراً كبيراً برهنت عليه كنائسهم واديارهم وابرشياتهم التي عددنا طائفة منها في فصول سابقة وسنعدد غيرها في فصول لاحقة . ولمـا احتل الصليبيون هـذه البلاد ولّـوا على « جبـة المنيطرة » اميراً منهـم (٤) . وأطلقوا الحرية للنصارى على اختلاف عقائدهم في ابتناء معابد دينية .

قال ميخائيل الكبير في تاريخه : « ان الفرنج بعـد خروجهم من البـحر الى الساحل عقدوا مجمعاً وعاهدوا الله تعالى انه اذا اتاح لهم فتح اورشليم عاملوا بالحسنى جميـع النصارى من اي مذهب كانوا . ووهبـوا كل ملة تؤمن بالمسيح كنـائس

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٤ فصل ٤
(٢) جامعة بني ضوء : صفحة ٥
(٣) طالع هذا الكتاب : قسم ١٢ فصل ٥
(٤) تاريخ العاقورا : صفحة ٦٤

وادياراً » (١) . هكذا انشأ السريان وغيرهم من نصارى لبنان عدة معابد إما باموالهم او بمساعدة اولئك الصليبيين وسخاء امرائهم .

وظل للسريان شأنهم الديني ونفوذهم المدني في جبة المنيطرة اجيالا عديدة . واشار ابن القلاعي في زجليته التاريخيـة الى استقلالهم بمقدّمهم ومطرانهم في تلك الناحية قال :

جبة المنيطرة افترقت   مع الملك ليس التزقت
ومع اهل لحفد هرطقت   وعملت مقدّم مع مطران

اما كنائس السريان في جبة المنيطرة فلم نقف على عددها واخبارها وقد خرب منها ما خرب . ولما زحف المتاولة الى تلك الاطراف وتوطنوها احتلوا ما شاهدوه فيها من الاديار والكنائس وانتهبوا ذخائرها ونذروها .

الفصل السابع

بيع السريان في قضاء البترون

١ ـ بيعة مار الياس في حدتون

حدتون من السريانية تصغير « حدتا » ومعناها « جُديدة » ويلفظهـا الاهالي في يومنا « حدّون » بادغام الدال بالتـاء المشددة . ابتنى السريان فيهـا منذ قديم الازمان كنيسة على اسم مار اليـاس جديرة بالاعتبار ولفت الانظـار . وكانت تشتمل على ثلاثة اسواق وسبعة ابواب : ثلاثـة ابواب لجهـة الغرب وباب لجهـة

(١) الحروب الصليبية في الآثار السريانية : للخوري اسحق ارملة : فصل ٢ صفحة ١٦

الجنوب وباب لجهة الشمال وبابان على جانبي الحنيّة . فهذه الكنيسة البديعة القديمة العهد وصفهـــا الاب لامنس وصفاً ضافيـــاً ورأى ان هندستها تشابه كل الشبه الكنائس المنسوبة الى يسطنيان ورجّح ان عهد بنائهـــا سبق دخول الموارنة الى لبنان (١) .

وكانت كنيسة مار الياس في حدتون مرتكزة على عدة اعمدة ومزدانة بالنقوش وضروب الفسيفساء . ومع الزمان تقوّضت ابنيتها ثم تجددت منذ عهـد قريب . ففقدت جمالها السابق وزالت هندستها الرائعة ولم يبق من ابوابها السبعة سوى باب واحد (٢) .

٢ ـ بيعة مار كوركيس في رشكيدا

رشكيدا من السريانية « ريش كَيدا » اي « راس الحظ » مزرعة في شمال لبنان بقضاء البترون تقع على مسافة عشر دقائق من قرية عبرين . كانت في الزمان الماضي عامرة بالسريان فأسسوا فيها كنيسة جميلة تيمناً باسم مار كوركيس الشهيد . واشتملت هذه الكنيسة عـلى ثلاثة اسواق بثلاث حنايا يدهش مرآها الناظرين(٣) . وقد نُقشت على جدرانها صوَر تحاكي صوَر بيعة مار شربيل في معاد ومار جرجس في اهدن وبيعة مار تئودورس في بحديدات(٤) . وهـــذه الكنائس الثلاث مع كنيسة مار كوركيس في رشكيدا هي من الكنائس التي شيدها السريان في سالف الاجيال .

وبيعة مار كوركيس في رشكيدا هي مثال حي لطراز البيع السريانيـة

---

(١) تسريح الابصار : جزء ١ صفحة ٨٦ و٨٩ و١١٩
(٢) المشرق : مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ١٠٢٢
(٣) تسريح الابصار : جزء ١ صفحة ٨٥ ـ ٨٦
(٤) لبنان : لمحات في تاريخه وآثاره وأسره : صفحة ١٣٠ راجع ايضاً هذا الكتاب : قسم ٦ فصل ٥ رقم ١ و٣ وفصل ٨ رقم ١

المؤسسة في القرن السادس وما بعده في طور عبدين . وأخصها بيع صلَح وقلّث وجَسناسَ وحباب وانحل وحاح ودير العمر ودير مار اوجين الخ الخ(١) .

٣ - بيعة مار نوهرا ومار باسيليوس في سمار جبيل او اسمر جبيل

للقديس نوهرا شهرة واسعة في لبنان شيّدت في انحائه كنائس شتى على اسم هذا الشهيد . ويعتبره اللبنانيون شفيعاً للمصابين بوجع العيون واسمه سرياني معناه الضياء والنور(٢) . وجاء في الآثار السريانية ان دفينوس الوالي استحضر مار نوهرا الى البترون وحاكمه وامره ان يكف عن التبشير بالانجيل . فجاهر ولي الله بثباته على ايمانه فامر الوالي ان يُنشر بالمنشار . فقتل شهيداً وقتل معه قانون اخوه وتقلا اخته وجرى ذلك في اواخر القرن الثالث للميلاد(٣) .

وعلى اسم مار نوهرا انشأ السريان منذ امد مديد في سمار جبيل بيعة معتبرة اطلقوا عليها اسمه واسم مار باسيليوس معه . يؤيد ذلك انجيل سطرنجيلي قديم نُسخ في القرن التاسع(٤) جاء فيه ما تعريبه عن السريانية : « اقتسم بنو الخوري اقليمس خدمة كنيسة القديسين باسيليوس ونوهرا بينهم مشاهرة . فاصاب برصوما كانون وكانون وحزيران وتموز . واصاب اخويه سليمان وفيلبس الثمانية الاشهر الباقية » .

فهذا الانجيل السطرنجيلي البديع لم يكن يخص الا السريان المنوفيزيتيين كالانجيل السطرنجيلي المصوّر المنسوخ في دير زغبة(٥) . يؤيد ذلك : اولا ترتيب فصوله طبقاً للطقس السرياني . ثانياً ورود اسم « برصوما » فيه بين خدام هذه الكنيسة . وغير خاف ان هذا الاسم هو علَم لأحد ايمة السريان المنوفيزيتيين .

---

(١) سياحة في طور عبدين : صفحة ٥ و٢٧ الخ (٢) المشرق مجلد ١٣ صفحة ٦١٢
(٣) مخطوطة البطريركية السريانية ببيروت : فنقيث الصلوات القانونية .
(٤) الجامع المفصل : عدد ٣٣ صفحة ٢٠٤ (٥) راجع هذا الكتاب : قسم ١٢ فصل ١٣ رقم ٢

ثالثاً اثبات وقف حقلتَي زيتون في هذا الانجيل حبسهما سنـة ١٧٦٥ للاسكندر (١٤٥٤ م) سليمان بن توما الحرديني للكنيسة المشار اليها(١) . ومعلوم ان حردو او حردين كانت من اشهر مراكز السريان في لبنان وكرسياً لأساقفتهم . رابعاً احتواء هذا الانجيل على اسم دير مار سرجيس او سركيس الذي شيده الرهبان السريان في حردين(٢) .

يستخلص من هذه البراهين الجلية ان بيعة مار نوهرا ومار باسيليوس في سمار جبيل لم تكن الا للسريان . وعلى جدارها الخارجي كتابة سطرنجيلية ذهب الدهر بقسم منها مفادها ان كاهناً قُبر هناك . اما اسم الدفين وتاريخ وفاته فقد طمسا . وكان ارنست رينان الرحّالة الفرنسي نقل هذه الكتابة في كتاب رحلته(٣) .

٤ ـ بيعة السيدة في سمار جبيل او اسمر جبيل

ما عدا بيعة مار نوهرا ومار باسيليوس المذكورة آنفاً ففي سمار جبيل بيعـة ثانية مجاورة لها وهي اقدم منها عهداً . وقد بُنيت تيمناً باسم العـــذراء السيدة وآثارها باقية الى اليوم . ومن مميزاتها ان حنيتها مجوّفة في الداخل نائتة في الخارج بشكل مستدير على طرز كنائس لبنان العتيقـة ككنائس اهدن وتولا واده وبجديدات(٤) . ويظن ان بيعة مار نوهرا السابقة الذكر شيّدت منذ القرن الثالث للمسيح واقدم منها عهداً بيعة السيدة التي نحن بصددها(٥) . ذلك اجلى برهان على ان السريان استعصموا بهاتين الكنيستين لان النصرانية كانت محصورة فيهم حين ذاك في تلك البقعة من الجبل .

---

(١) الجامع المفصل : عدد ٣٣ صفحة ٢٠٥ و ٢٠٦ (٢) راجع هذا الكتاب : قسم ٦ فصل ١١ رقم ١ (٣) بعثة فينيقيا : تأليف ارنست رينان : صفحة ٢٤ (٤) المشرق : مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ١٠٢٠ (٥) لبنان لمحات في تاريخه وآثاره وأسره : صفحة ١٣٣-١٣٤

٥ - بيعة مار ماما في اده البترون

تعلو اده البترون زهاء اربعمائة متر فوق سطح البحر . وُتعد كنيستها المؤسسة على اسم مار ماما من اقدم كنائس لبنان الاثرية . ومن أجلى الادلة على قدامة عهد هذه البيعة ما يشاهد في جوانبها من نقوش الفسيفساء التي يرجع عهدها الى ايام يسطنيان قيصر الروم .

٦ - بيعة مار سابا في اده البترون

سابا لفظ سرياني معناه الشيخ . وبهذا الاسم ُعرف قديس عظيم استشهد في بلاد ما بين النهرين بامر جده شابور ملك فارس (٣١٠ - ٣٨٠ م) لانه دان بالنصرانية (١) . وابتنى السريان على اسمه عده كنائس واديار اعظمها دير مار سابا في « حاح » بطور عبدين يرتقي عهد بنائه الى القرن السادس .

ومثلما كرّم السريان سابا الشهيد في بلاد ما بين النهرين كرّموه ايضاً في لبنان فابتنوا على اسمه كنيسة في اده البترون صبرت على كوارث الدهر حتى اليوم . وهي ذات ثلاثة اسواق في صدرها ثلاث حنايا . وجدارها مدبّج بكتابة سطرنجيلية تعريبها « مريم والدة الله » . وهذه التسمية المجيده اعني « والدة الله » شاعت وذاعت عند السريان منذ عهد المجمع الافسوسي بحيث انهم كلما ذكروا اسم العذراء المجيدة صدّروه بنعت « والده الله » . ذلك تفنيداً لزعم نسطور الملحد اسقف قسطنطينية لانه انكر على العذراء مريم تلك الصفة الشريفة . ومن ذلك الحين اصبحت تلك التسمية ملازمة للسريان خصوصاً في كتاباتهم وصلواتهم وطقوسهم واحاديثهم وفي جميع آثارهم وابنيتهم وسائر شؤونهم . وهم يتباهون بها ويتبركون باستعمالها ويقدّمونها على سائر اوصاف العذراء المجيدة .

---

(١) سير الشهداء والقديسين : طبعة بيجان : مجلد ٤ صفحة ٢٢٢ - ٢٤٩

وابتنى السريان على اسم « والدة الله » كنائس عظيمة واديارا شهيرة نذكر منها : ثلاث كنائس وثلاثة اديار في الرها(١) منها كنيسة كبرى ذكرها المؤرخ الرهاوي(٢) . وكنيسة في انطاكية(٣) وفي الجبل الاسود بجوار انطاكية . وكنيسة في دمشق(٤) وكنيسة في بيروت(٥) وكنائس ثلاث في حاح وعرناس ومذيات بطورعبدين(٦) وكنيسة والده الله داخل القيامة في القدس الشريف(٧) . ومنها كنائس في طرابلس وصدَد وكفرحورا وتنورين وسلوقيا والاسكندرونة وقبرس(٨) . ومنها كنيسة كبرى في سيس عاصمة ارمينيا وكنيسة كاتدرائية في « قلعة الروم »(٩) . وكنيسة والدة الله ومار ادي رسول المشرق في البصرة(١٠) وكنائس في حلب ودياربكر وماردين والموصل وبغداد . وكنائس واديارا في طور عبدين وفي تكريت قاعدة المفارنة .

اما الاديار التي شادها السريان تيمناً باسم « والدة الله » فنذكر منها دير والدة الله المعروف اليوم بدير مار مرقس في اورشليم ودير « ضريح والدة الله » بوادي يهوشافاط(١١) . ودير والدة الله ومار زكّى في جرجر(١٢) . ودير السيدة والدة الله ومار قرياقوس في خربوط(١٣) . ودير والدة الله امّ الحياة المؤسس في شمال دير الزعفران (١٤) . ودير والدة الله المعروف بدير « الكرم » في لبنان . ودير « زناروالدة الله » في حمص .

---

(١) تاريخ الرهاوي : فصل ٤٣ صفحة ١٠٦ - ١٠٨ وتاريخ ميخائيل الكبير صفحة ٧٣٠

(٢) تاريخ الرهاوي : مجلد ٢ صحفة ٢٩٥ طبعة باريس سنة ١٩١٦

(٣) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صقحة ٣٣٩ (٤) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ١١٥ (٥) راجع هذا الكتاب : قسم ٦ فصل ٣ رقم ٣

(٦) سياحة في طورعبدين (المشرق : مجلد ١٦سنة ٣ ١٩ صفحة ٦٦٧ و ٦٧٤ و ٧٤٦)

(٧) مخطوطة الخزانة المرقسية : رقم ٢٩ و صفحة ١٣٧ من مجلة الحكمة في القدس .

(٨) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ٥٥ (٩) المجلة البطريركية السريانية : مجلد ٢ سنة ١٩٣٤ صفحة ٢٩٧ (١٠) المجلة البطريركية السريانية : مجلد ٦ سنة١٩٣٩ صفحة ٢٢٥

(١١) المشرق: مجلد٣٠ سنة ٩٣٢ صفحة ٤٠٦ (١٢) فنقيث الصوم الاربعيني : مخطوطة البطريركية السريانية ببيروت (١٣) المجلة البطريركية السريانية : مجلد ٢ صفحة ٢٦٦

(١٤) فهرس مخطوطات برلين : مجلد ٨ صفحة ١٧

ولسنا ننسى « دير والدة الله » الكبير في وادي النطرون بمصر . فقد أسّسه السريان قبل القرن السادس(١) وزيّنوه بمكتبة نفيسة نادرة المثال وصفها غير واحد من ارباب الرحلات بينهم سيكارد الفرنسي قال : « ان العلامة يوسف السمعاني اشترى جملة من مخطوطات تلك المكتبة واستنسخ كتباً تعذّر عليه اشتراؤها لان الرهبان لم يكونوا ليستغنوا عنها ولو بوزنها ذهباً »(٢) .

وجارى السريان المليباريون في الهند اخوانهم السريان في الشرقين الاوسط والادنى ونافسوهم في ابتناء كنائس كثيرة تيمناً باسم والدة الله المجيدة . يتضح ذلك جلياً من لوائح اسماء كنائسهم في ثلاث من ابرشياتهم الوافرة العدد . ففي تلك اللوائح قرأنا اسماء ثلاثين كنيسة تحمل بافتخار ذلك الاسم المبارك . منها خمس عشرة كنيسة في ابرشية كندناط . واثنتا عشرة كنيسة في ابرشية انكمالي . وثلاث كنائس في ابرشية كوجين : بينها كنائس كبرى قديمة جداً يربي عمرها على الف سنة(٣) . ولو تيسّر لنا الوقوف على اسماء الكنائس السريانية في سائر ابرشيات المليبار نظير كوطيم وطومبون والكناعنة وابرشية كولمبو في جزيرة سيلان وغيرها لشاهدنا ضعف العدد المذكور من الكنائس التي تحمل في بلاد المليبار اسم « والدة الله » عليها السلام .

وانشأ سريان المليبار عام ١٩٢٧ رهبنة للنساء باسم « رهبنة والدة الله » ووافق على قوانينها البطريرك اغناطيوس الياس الثالث (١٩١٧- ١٩٣٢) فاطلقنَ اسم « بيت لحم » على المكان الذي شيّدنَ فيه باكورة اديارهن .

واعتاد السريان كلّما ذكروا اسم العذراء ان يضيفوا اليه هذه التسمية المجيدة كقولهم : عيد ميلاد والدة الله . عيد بشارة والدة الله . عيد والدة الله على الزرع .

---

(١) مخطوط المتحف البريطاني : رقم المنسوخ سنة ٩١٤ : ٦٧٢ يونانية (٦٠٣ م)
(٢) رحلة الاب سيكارد : جزء ٣ صفحة ٢٧٩
(٣) المجلة البطريركية السريانية : مجلد ٧ سنة ١٩٤٠ : صفحة ٢٥ - ٢٠٩

عيد والدة الله على السنبل . عيد نياح والدة الله . عيد بيعة والدة الله في يثرب . عيد تهنئة والدة الله الخ . ويقولون مثلًا : شُفي العليل بشفاعة والدة الله . وانتهى نسَخ الكتاب بمعونة والدة الله الخ الخ .

كل ذلك يسوّغ لنا الاعتقاد ان كنيسة مار سابا في اده البترون شيدها السريان ودبجوا جدارها باسم « والدة الله » . وهو تعبير شريف توّجوا به اوصاف العذراء الجليلة وألِفوه منذ عهد نبيّهم مار افرام الملفان الذي انشد قائلًا : « فلتصرخنّ عظامي من القبر ان مريم العذراء والدة الله » !

٧ - بيعة الصليب في رام

اقدم اثر تاريخي لاستخراج عود الصليب الكريم من دفائن الارض انما يُنسب الى اديّ رسول الرها في القرن الاول للميلاد(١) . وقد تمّ ذلك على يد الملكة فرطونيقي زوجة قلوديوس قيصر (٤١-٥٤م) كما جاء مدوّناً في اقدم المخطوطات السريانية المحفوظة في مكتبتَي لندن وبرلين(٢) فضلاً عن مكتبات الشرق .

واقدم صورة في الكنيسة المسيحية شرقاً وغرباً تمثّل المخلص مصلوباً فوق الصليب هي بلا جدال صورة فريدة في انجيل سطرنجيلي محفوظ في خزانة مخطوطات فلورنسا(٣) . وقد رسمتها عام ٥٨٦ للميلاد ريشة الرّبان ربولا السرياني رئيس دير مار يوحنا في زغبة بالديار الشامية . ولا نعرف صورة للمصلوب الكريم اثبتها التاريخ قبل السنة المذكورة . وهي اجمل ما حققه فن التصوير بل اخلقه بالاعجاب والاعتبار .

---

(١) اخبار الشهداء والقديسين : طبع الاب بيجان : مجلد ٣ صفحة ١٧٥

(٢) مخطوطات المتحف البريطاني : رقم ١٤٦٥٤ و ١٢١٧٤ و ١٤٦٤٤ ومخطوطة مكتبة برلين : رقم ٢٢٢

(٣) فهرس مخطوطات المكتبة الماديشية : المخطوط الاول

ومن مزايا تلك الصورة السريانية الاثرية ان الربّان ربولا صوّر يسوع المصلوب تصويراً دقيقاً محكماً . فزيّن هامته بدائرة شعاعية تعلوها كتابة سطرنجيلية الى يمينها صورة شمس والى يسارها صورة هلال . اما جسم المخلّص فقد وشّحه ذلك المصوّر البارع بحلة ارجوانية مذهبة الاطراف . ثم رسم حول المصلوب صور العذراء الجليلة ويوحنا الحبيب والمجدلية ولنجين القائد واللصين . وجعل تحت صورة المصلوب صوره القبر المقدس والملاك والحرّاس وظهور المخلص للمجدليـــة والمريمات الخ (١) .

من هذين الاثرين النفيسين يتضح جلياً ان السريان اشتهروا بتكريم الصليب والمصلوب اشتهاراً خاصاً منذ ابعد الاجيال النصرانيـة . وابتنوا تيمناً بالصليب جملة كنائس واديار في بلادهم نذكر منهـا : كنيسة الصليب الكبرى في قلب مدينة الرها(٢) . وكنيسة كبرى في افاميـا عُرفت بكنيسة « عود الصليب » الحيّ تنافس في اقتنائه ملوك بوزنطيـا . وابتنى السريان ديراً باسم الصليب في ضواحي انطاكية(٣) وديراً في جوار اللاذقية ظل اسمه محفـوظاً الى اليوم في احدى قراها(٤) وثلاثة اديار في طور عبدين(٥) وعدة كنائس واديار في بلاد آثور والعراق .

ولا تخلو بلاد الهند من كنائس سريانية بُنيت تيمناً باسم الصليب . منهـا كنيسة جميلة جداً ابتناها السريان على اسم « الصليب المقدس » في مدينة كوجين شمالي الملبار . وموقعها قريب من قصر « راجاه » كوجين في شارع فسيح اطلق عليه اسم اثناسيوس مطران ملبار السرياني (٦) . وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة طريغونيطورا

---

(١) انظر الصورة ٢٣ من صور انجيل ربولا السرياني خاصة المكتبة المالديشية : رقم ١

(٢) تاريخ الرهاوي : طبعة البطريرك رحماني صفحة ١٠٧ (٣) الملكيون : صفحه ٩٣

(٤) تقويم البشير : سنة ١٩٤٣ صفحة ٧٩ (٥) سياحة في طورعبدين : صفحة ٣٦ - ٤٣

(٦) المجلة البطريركية السريانية في القدس : مجلد ٦ سنة ١٩٣٩ صفحة ٢٧٣

ولم يغفل السريان اللبنانيون عن تكريم الصليب في محيطهم بل ابتنوا تبركاً به كنيسة في « رام » تُعدّ من اقدم الكنائس عهداً . واكتشفوا تحت انقاضها آثار فسيفساء تؤيد قِدمها وخطورتها وتدعو الى الاعتقاد ان بنيانها يرتقي الى عهد يسطنيان او ما يقرب منه .

وكان اجداد آل « الرامي » يقيمون في هذه البيعة شعائرهم الدينية قبل انتزاحهم عام ١٦٠٧ الى كسروان والمتن . وسبق سليلهم القس جرجس الرامي المشهور في القرن الخامس عشر فتجنّد للعقيدة المنوفيزيتية تحت لواء عبد المنعم (+ ١٤٩٥) مقدّم بشري(١) . وعلى توالي الازمنة خربت كنيسة الصليب في رام في اثناء حملة حافظ باشا على سوريا ولبنان في اوائل القرن السابع عشر . ولم يبقَ منها سوى قسم من الفسيفساء غطاها العَمَلة بالتراب ليبقى من هذه الكنيسة بقية تشهد باعمال الاقدمين(٢) .

٨ ـ بيعة الصليب او دير الصليب في بقوفا

على قمّة قرية بقوفا التي استوطنها السريان في غابر الازمنة مغارة فسيحة قديمة العهد نقروها في الصخر واطلقوا عليها اسم « بيعة الصليب » او دير الصليب وجعلوا لها مذبحاً في صدرها . واعتاد اهالي القرى المجاورة ان يحجّوها في عيد الصليب حاملين اليها تقادمهم ونذورهم . اما الناظر الى هذه البيعة فلا يرتاب قط في انها من اقدم الكنائس التي اوى اليها النسّاك في جبل لبنان . ويشاهد الزائر تجاه الكنيسة صخراً كبيراً بشكل صليب يذكّرنا بالصلبان التي اشار مار سمعان العمودي الى زائريه اللبنانيين السريان ان ينصبوها في حدود كل قرية من قراهم ليزيل الله القدير عنهم الحيوانات الضواري التي تفشّت في جبلهم(٣) . وقد

---

(١) لبنان : لمحات في تاريخه وآثاره وأسره : صفحة ٤٠٨

(٢) لبنان : لمحات في تاريخه وآثاره وأسره : صفحة ١٤٤

(٣) اخبار الشهداء والقديسين : طبعة بيجان : جزء ٤ صفحة ٥٩١ ـ ٥٩٢

يكون صليب بقوفا من بقايا تلك الصلبان التي صانت اللبنانيين من آفات عديدة.

وغير خاف ان فريقاً من النسّاك السريان أَلِفوا نقر الصخور لينقطعوا فيها الى الخلوة والعبادة . وامثال تلك المغاور او المناسك الصخرية عديدة عندهم تفوق حد الكثرة . فما عدا بيعة مار بطرس في العاقورا ودير سيدة القـطّين وغيرهما حسْبنا ان نُلمع الى مناسكهم في اطراف انطاكية وسميساط وفي جبال الرها وجبل الازل وطورعبدين وجبل ماردين ونواحي الموصل وملطية الخ . نذكر منها مغارة مار يوليان الشيخ ومغارة مار افرام الملفان الكبير بجبل الرها . ومغاور دير مار اوجين بجبل الازل . ومغاور دير السيدة والدة الله ودير مار يعقوب بجوار دير الزعفران . وحبيس مار اسيا في المنصورية ودير السلالم في جرجر . ودير المعلّق بقرب ديار بكر ومناسك دير مار موسى الحبشي بالنبك وغيرها وغيرها .

٩ ـ ١٠ بيع السريان في بقوفا

بقوفا قرية كبيرة في جبّة بشري اتينا على ذكرها في غير هذا المحل . وكانت حافلة بالسكان يعيشون فيها بالأمن والطمأنينة . وفي تموز السنة ١٢٨٣ زحف عساكر الشام الى جبة بشري واستولوا على بقوفا . وقبض الفاتحون اذ ذاك على اكابرها واحرقوهم في البيوت واسرفوا في السلب والنهب(١) .

وبعد هذا التاريخ عادت بقوفا الى حالتها السابقة وازداد عدد اهاليها فانصرفوا الى الحراثة والزراعة كسالف عادتهم . وكان للسريان في هذه القرية ثلاث كنائس عرفنا منها كنيسة مار يعقوب الملفان (+ ٥٢١ م) وكنيسة دير الصليب السابقة الذكر . وكان لهم فيها دير يُعرف بدير الغوبة سيأتي ذكره .

---

(١) تاريخ الدويهي : مخطوطة مكتبتنا : اخبار السنة ١٢٨٣

١١ - ٤٠ بيع السريان في حردين واعظمها بيعة مار ريشا

ابتنى السريان منذ الاجيال الغابرة في حردين بيعاً شتى تتناسب وجمهورهم الوافر العدد وحاجتهم الدينية فضلاً عن بسطة نفوذهم فيها وفي اطرافها . وقد ذكر المؤرخون ان « في حردين بقايا ثلاثين كنيسة قديمة »(١) وصفها لنا غير واحد ممن تفقدوا اطلالها .

وكانت حردين مركزاً خطيراً للسريان جعلوها منذ القرن الرابع عشر كرسياً اسقفياً دام اكثر من مائتي سنة (١٣٨٤ - ١٥٩٨) . وتسلسل فيه اساقفة أتينا على ذكر اغلبهم(٢) . وبعد هذا التاريخ تضاءل عدد السريان في حردين فتولى رعايتهم منذ اوائل القرن السابع عشر رئيس ديني كان ينصبه البطريرك الانطاكي. ونوّهت الصحف القديمة « ان البطريرك اغناطيوس عبد الغني المنصوري نصب القس موسى وفوّض اليه سنة ١٩١٣ للاسكندر (١٦٠٢ م) ادارة كنائس السريان في حردين(٣) .

اما بيعة مار ريشا اي رجل الله المختار فكانت البيعة الرئيسية في حردين شيدها السريان على انقاض هيكل كان معبداً للوثن . وابتنى الاساقفة بجوارها قلاية لسكناهم وداراً للغرباء ضيوفهم . وجاء ذكر تلك البيعة في كتاب « فنقيث » سرياني منسوخ في السنة ١٤٨٢ للاسكندر (١١٧١ م) . وهذا الفنقيث الثمين محفوظ حتى اليوم في بيعة « الحفر » القرية المجاورة لقاسطرة صدَد .

واشتهر مار ريشا (+ ٤٠٥ م) صاحب بيعة حردين في مدينة الرها منذ اواسط القرن الرابع للميلاد . واذاع السريان اخبار نسكه في الاقطار اللبنانية

---

(١) لبنان : لمحات في تاريخه وآثاره وأسره : صفحة ١٢٢

(٢) راجع هذا الكتاب قسم ٤ فصل ١٤

(٣) رسالة البطريرك مار اغناطيوس افرام الاول برصوم الى المؤلف : تاريخها ٢٧ حزيران ١٩٤٢

وحفظوا ترجمة حياته القشفية في مخطوطات سريانية قديمة منها خمس نسخ خُطّت قبل القرن التاسع(١) .

ولم يكتفِ السريان بتلك الكنائس بل نشط رهبانهم الى ابتناء عدة اديار في جوار حردين . منها ثلاثة اديار سنأتي على ذكرها في فصل لاحق .

٤١ ـ ٤٦ بيع السريان في بشعلي

بشعلي لفظ سرياني معناه « بيت الكفوف » وهو اسم لبلدة في قضاء البترون سكنها السريان في اوائل عهد النصرانية وتكاثروا فيها وفي ضواحيها . وشيّد رهبانهم هناك منذ القرن الثامن للميلاد ديراً على اسم مار ديمط(٢) الآمدي السرياني لم تزل آثاره باقية حتى الزمان الحاضر .

وفي بشعلي كنائس قديمة وافرة العدد تدعونا الى الاعتقاد ان مؤسسيها هم السريان دون غيرهم من الملل المسيحية اللبنانية . ويدعم اعتقادنا انها تحمل أسماء قديسين سريانيين ليسوا من لبنان بل اشتهروا او عاشوا في بلاد ما بين النهرين : فمار توما ومار ريشا في الرها . ومار سرجيس في بالس والرصافة عند نهر الفرات . ومار ماما ومار ديمط في آمد . ومار سابا في طور عبدين قريباً من ماردين . وذاع تكريم هولاء القديسين وغيرهم بين اللبنانيين على يد السريان الذين شادوا لهم كنائس واديارا عديدة في صرود الجبل وسواحله .

وفي بشعلي نشأت اسرة « بشعلاني » التي انجبت رهطاً من ارباب الفضل والمروءة كالمطران بطرس البشعلاني في القرن السابع عشر والشهيد ابي رزق البشعلاني الذي قُتل شهيداً سنة ١٦٥٤ في قونية . ويغلب على الظن ان الأسرة المشار اليها كانت

---

(١) المشرق : مجلد ٨ سنة ١٩٠٥ صفحة ٦٥١

(٢) لبنان : لمحات في تاريخه وآثاره وأسره : صفحة ١٣٧

من الاسر السريانية المحتد التي اهملت طقسها الاصلي وانضمت بتوالي الازمنة الى الطقس الماروني .

ويتفرع من سلالة البشعلاني او من انسبائه في بشعلي كثير من الأسر اللبنانية المشهورة : منها مشايخ آل الخوري في رشميا ومنهم الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية سنة ١٩٤٣ ثم آل السعد في عين تراز اشتهر منهم الشيخ سعد الخوري وحفيده حبيب باشا السعد رئيس الجمهورية اللبنانية (١٩٣٤-١٩٣٦)(١) .

٤٧ - ٤٨ - بيعة والدة الله وبيعة مار بهنام في تنورين

تنّورين لفظ سرياني معناه « تنـانير » جمع تنور كانت هذه القاسطرة حصناً منيعاً للسريان في لبنان الشمالي قبل القرن الرابع عشر وبعده . وكانت كحردين ولحفد وبشري وبقوفا وحدشيت وكفرحورا الخ الخ يقطنها عدد عظيم من الأسر السريانية المشهورة بصلابة العقيدة المنوفيزيتية . ومن البيع التي شادها السريان في تنّورين بيعة مار بهنام الشهيد وبيعة والدة الله عليها السلام .

الفصل الثامن

بيع السريان في قضاء زغرتا (جبة بشرى والزاوية)

١ ــ بيعة مار جرجس ومار الجاي وستنا السيدة في اهدن

اجمع المؤرخون على ان بيعة مار جرجس في اهدن هي من اقدم بيع لبنان

---

(١) لبنان ويوسف بك كرم : تألف الخوري اسطفان البشعلاني : صفحة ٧٧

ومن أشهرها وأفخمها . اما عهد بنائها فيرتقي الى اوائل ظهور النصرانية في هذا الجبل يوم لم يكن مأهولا الا بالسريان دون غيرهم . ويؤيد قدامة عهدها وفخامتها انها بُنيت ببقايا هياكل اهدن الوثنية .

قال الاستاذ سمعان خازن الاهدني ما نصه : « فكان الاهدنيون اول من اعتنقوا الدين المسيحي القويم وحطموا الاصنام ودكّوا الهياكل الوثنية ورفعوا على انقاضها الكنائس والمعابد . واوّل كنيسة شادها المواطنون كنيسة مار ماما ثم كنيسة مار جرجس القديمة . وقد أخذت أحجارها من أحجار جدران الهياكل الوثنية . وعندما اعتنق الاهدنيون الدين القويم كانت اهدن مأهولة بالسريان »(١) .

اما اطلاق عنوان واحد متعدد الأسماء على بيعة أهدن فلا غرابة فيه . وقد أثبته جبرائيل بن اسطفان بن ستيتة الماروني الاهدني في كتاب « الخدم الكهنوتية » الذي نسخه في وادي قزحيا عام ١٥٣٧ اعني سبع سنوات قبل ارتقائه الى الرتبة الاسقفية . فقال ما نصه : « هذا الكتاب هو لمار جرجس اهدن ومار ابجاي وستنا السيدة في أهدن (٢) .

وغير خاف ان اطلاق اسماء متعددة على كنيسة واحدة او على دير واحد عادة ألفها السريان منذ أقدم الازمنة . ففي لبنان مثلاً سموا بيعة سمار جبيل باسم مار نوهرا ومار باسيليوس (٣) . وسمّوا ايضاً دير الكرم في حدشيت باسم والدة الله ومار سمعان كما سترى . واطلقوا على كنيسة كفرحورا اسم العذراء والدة الله والشهيدَين سرجيس وبهنام . وعلى كنيسة صور اسم مريم المجدليّة وسمعان الفرّيسي كما سلف الكلام .

وقس على تلك الكنائس السريانية المتعددة الاسماء في لبنان اديارًا وكنائس عديدة اسّسها السريان خارج لبنان نذكر منها : دير الزعفران كرسي بطاركتهم

---

(١) تاريخ اهدن القديم والحديث : تأليف سمعان خازن : جزء ٢ صفحة ١٢

(٢) فهرس المخطوطات الفاتيكانية : رقم ٥٢ (٣) راجع الفصل السابق : رقم ٣

فهو مؤسس على اسم مار حنانيا ومار اوجين ومار شليمون والقديسين الاثني عشر الفاً(١) . وكنيسة السيدة ومار توما ومار ديمط في راشيا(٢) . وكنيسة مار ديمط ومار برصوما في عين حليا(٣) . ودير العذراء ومار ديمط في وادي بيت عرقا(٤) . ودير مار ابرهوم ومار هابيل في مذيات . ودير مار يعقوب ومار شابا في صلح . ودير مار جبرائيل ومار شمعون ومار شموئيل في قرتمين وهو المعروف بدير العمر . وفي بيعة دير العمر صفيحة حجرية الى شمال المذبح نقش عليها في السريانية ما تعريبه : « جدّد البطريرك يعقوب (١٨٤٧ - ١٨٧١) سنة ١٨٦٧ ضريح الاربعين شهيداً وضريح مار سرجيس ومار باخس ومار اشعيا الحلبي » .

ونضيف الى ذلك كنيسة مار دودو ومار اسيا ومار اشعيا ومار آحا ومار فلدّ في باسبرينا . وكنيسة والدة الله ومار بسّوس ومار قرياقس ويوليطي امه في عرناس(٥) وكنيسة دير مار متى ومار زكى ومار ابرهيم بجبل القاف(٦) .

ومن البيع القديمة المتعددة الاسماء نذكر ايضاً بيعة في تكريت عمّرها الشماس تاودورس عام ١٠٤٦ م على اسم العذراء مريم والرسل ومار احودامه (٧)

ومن الاديار التي اطلق عليها اسماء متعددة في طور عبدين وجبل الازل واطراف الموصل ايضاً نورد ما يلي : دير والدة الله ومار يعقوب ومار ديمط المعروف بدير القرن بجبل الازل . وقد ورد ذكره على هذه الصورة في مخطوطة بيعة عرناس وهي منسوخة على الرق في السنة ١٥٦٦ للاسكندر (١٢٥٥ م). ثم دير الصليب ومار آحا ومار حوارا وهو « دير ديل » ومعناه « دير الاله ». وهذا الدير الكبير مشيّد

---

(١) نزهة الاذهان في تاريخ دير الزعفران : للبطريرك اغناطيوس افرام برصوم : ٤٠

(٢) المجلة البطريركية السريانية في القدس : مجلد ٧ سنة ١٩٤٠ صفحة ١٨٩

(٣) مخطوطة المكتبة الاهلية في باريس : رقم ١٧٤

(٤) نزهة الاذهان : صفحة ٦٤

(٥) سياحة في طورعبدين : (المشرق : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٦٦٧

(٦) نقلاً عن اخر انجيل قرقوش المصور في المكتبة الواتكانية

(٧) انجيل رقم ١٣ في خزانة دير الزعفران (اللؤلؤ المنثور : صفحة ١٣٥)

فوق قرية باقسيان بطورعبدين . ثم دير مار ملكا القلزمي (المصري) ومار ساسين النصيبيني ومار اليشع القلزمي ومار اوثل الموصلي ومار شمعون الاركجي بطور عبدين ايضاً . وقد ورد ذكر هذا الدير في مخطوطين مختلفين : احدهما فنقيث دير مار ملكا المنسوخ سنة ١٤٧٠ للاسكندر (١١٥٩ م) . وثانيهما فنقيث بيعة مار يعقوب بنصيبين وهو منسوخ سنة ١٨٥٤ للاسكندر (١٥٤٣ م) (١) ونضيف الى ما تقدم ذكره دير الشهيدَين مار يوحنا بر نجّارا واخته سارا في برطلي بجوار الموصل. تولى بناءه المطران جبرائيل البرطلي (+ ١٣٠٠ م) سنة ١٢٨٤ (٢) ودير الصليب ومار آحا على نهر دجلة بجوار حصن كيفا وقرية عطافية بطور عبدين (٣) . ودير العذراء والشهداء الاربعين المعروف بدير ماذيق (٤) .

ومن اشهر الاديار المتعددة الاسماء عند السريان ديرهم المعروف بدير مار مرقس والسيدة مريم العذراء باورشليم . ترقى عمارته الى القرن الخامس او السادس (٥) . ويقال ان هذا الدير هو بيت مريم ام يوحنا الملقب مرقس (اعمال الرسل ١٢ : ١٢) . والى هذا البيت انهزم مار بطرس بعدما انقذه الملاك من السجن .

زد على ذلك ان تسمية بيعة اهدن باسم ماو « ابجاي » علاوة على اسم العذراء مريم واسم مار جرجس لا يدع مجالا للارتياب في انها بيعة سريانية بحتة . لان مار ابجاي لا اثر لذكره الا في كلندار السريان دون سائر الكلندارات البيعية شرقاً وغرباً . وقد ُولد ابجاي في ماردين وعاش في عهد ثئودوسيوس الكبير (٣٧٩ - ٣٩٥ م) وابتنى رهبانه ديراً بجوار سويرك اشتهر باسمه وُعرف ايضاً باسم « دير السلالم » . ولمار ابجاي ترجمة وافية كتبها ميخائيل الكبير (+ ١٢٠٠) (٦) .

---

(١) راجع اخبار هذه الاديار الثلاثة في « سياحة بطورعبدين » (المشرق : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٦٧٥ و ٧٠٩ و ٨٤٤ - ٨٤٥ و ٨٥٠) .
(٢) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٤٣٤
(٣) سياحة في طورعبدين (المشرق : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٧٤٢ - ٧٤٣
(٤) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٥١٤
(٥) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٥١٤
(٦) اخبار الشهداء والقديسين : مجلد ٦ صفحة ٥٥٧ - ٦١٦ طبعة الاب بيجان

وفي السنة ١٨٩٩ تعهّد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني رحماني مكتبة دير مار شلّيطا مقبس بكسروان . وعثر فيها على مخطوطة كرشونية حوت اخبار الشهداء والقديسين بينها خبر مار ابجاي فاستنسخها لما فيها من الفوائد .

وأيدّ الاب هنري لامنس فدامة كنيسة اهدن قال : ليس بمستبعد ان اقدم كنائس لبنان المعروفة اليوم وفي جملتها كنيسة اهدن تشيّدت في عهد بوستنيان او على يد المهندسين الذين جروا على طريقة بنائه ... فيكون بناؤها سبق دخول الموارنة في لبنان (١) .

ذلك كله يتيح لنا القول ان كنيسة مار جرجس ومار ابجاي وستنا السيدة في اهدن هي من جملة الكنائس القديمة التي انشأها السريان في لبنان او أسسها لهم يسطنيان قيصر بمساعي زوجته الملكة ثئودورا السريانية . وقد اشتهرت هذه الملكة كما قلنا اكثر من زوجها في عمارة الكنائس (٢) .

٢ - بيعة مار لبي في حصرون

من أجلّ البيع السريانية التي حفظت آثارها حتى اليوم بيعة مار لبيّ الرسول في حصرون . فأن عهد بنائها يرجع الى السنة ٦٧٧ للميلاد اعني الى اواخر القرن السابع (٣) . ونحن نرى ان السريان ابتنوا هذه البيعة قبل قدوم الموارنــــة الى لبنان وقبل استقلالهم عام ٦٨٥ ببطريركيتهم . لان الموارنة « لم يجتمع معظمهم في لبنان الا في مبادىء الجيل الثامن هرباً من اشتداد عبد الملك عليهم » (٤) .

وبكرور الزمان حصلت بيعة مار لبيّ في حوزة الملة المارونية . وقرأنا ان البطريرك اسطفان الدويهي نصب في ٢٨ تموز ١٦٩٠ الخوري اليـاس الحصروني

---

(١) تسريح الابصار : جزء ١ صفحة ١١٩ (٢) التاريخ البيعي : لابن العبري : جزء ١ في كلامه عن البطريرك سويرا (+ ٥٣٨ م) . (٣) جريدة البشير : عد ٣٠٧٢ سنة ١٩٢٣

(٤) تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية : للخوري ميخائيل غبريل مجلد ٢ صفحة ٣٠٥

كاهناً لهذه الكنيسة ثم رقاه في السنة التابعة الى رتبة بريذوط (١) . وفي هذه الكنيسة ايضاً احتفل الخوري يوحنا عوّاد بعماذ اسطفان عوّاد الذي نُصب سنة ١٨٧٨ مطراناً لكرسيّ ابرشية طرابلس (٢) .

٣ ـ بيعة مرتمريم في حصرون

استدللنا على هذه الكنيسة في مخطوطة ثمينة حوت ليترجيات فيلكسين مطران منبج ويعقوب الرهاوي ولعازر برسبتا اسقف بغداد وديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي مطران آمد وغيرهم من ايمة السريان . وفي تلك المخطوطة قرأنا ما نصه : « اوقف هذا الكتاب ... الخوري سركيس بن كردان من قرية حصرون لبيعة ستنا السيدة مرتمريم » . وكان للخوري سركيس الحصروني المشار اليه صلةٌ مع الخوري يوحنا الحدشيتي المنوفيزيتي ناسخ هذه الليترجيات . وقد انجز نساختها عام ١٧٩٤ للاسكندر (١٤٨٣ م) (٣) .

استنتجنا من هذا المخطوط ان السريان كان لهم في حصرون ماعدا بيعة مار لبيّ الرسول بيعة ثانية على اسم السيدة مريم العذراء المغبوطة .

٤ ـ بيع بشري

عدّد الخوري اغناطيوس جعجع اسماء ثلاثين كنيسة وديراً في بشري مسقط راسه وفي ضواحيها (٤) . وروى البطريرك الدويهي ومؤرخو حقبة المقدمين في لبنان انه كان في كنائس بشري مذابح على عدد ايام السنة (٥)

---

(١) المشرق : مجلد ٢١ سنة ١٩٢٣ صفحة ٢٧٩ (٢) برنامج اخوية القديس مارون : صفحة ١٠٤ (٣) فهرس مخطوطات الشرفة : رقم ٣/١٧ صفحة ٥٩ - وكتاب تاريخ الازمنة للدويهي : مخطوطة مكتبتنا : اخبار السنة ١٤٧٣ (٤) المشرق : مجلد ٣٠ سنة ١٩٣٢ صفحة ٤٠٥ (٥) تاريخ الدويهي : صفحة ١٣٩ -وجريدة البشير : مجلد ١٣ عدد ٦٩٠٦ بتاريخ ١٨ تموز ١٩٤٣

لا جدال في ان السريان كان لهم قسطهم في تلك الكنائس والاديار منذ العصور الغابرة ولاسيما في عهد المقدّمين العناحلة الذين حكموا جبة بشري ردحاً من الدهر. وقد نشروا تعاليم معتقدهم بالطبيعة الواحدة في لبنان بواسطة المواعظ (١) والكتب (٢) ومدارس البنين والبنات (٣). ولنا اقوى شهادة على رسوخ اقدام السريان في بشري ماصرح به ابن القلاعي مطران قبرس (١٥٠٧ — ١٥١٦) في زجليته التاريخية قال : (٤)

بشري خـافي وارتعي بشري ابكي وانتحبي

. . .

ثمرة يعقوب حلت فيك ويعقوب عاجز ليس يحميك
اطردي يعقوب الساكن فيك (٥) واقتبلي البركات من هذا الآن

٥ ـ بيعة مار برصوما في بشري

لعبت هذه البيعة دوراً مهماً في بشري عاصمة المقدّمين. أسسها المقدّم عبد المنعم (+ ١٤٩٥) بجوار داره تعزيزاً لابناء عقيدته القائلين بالطبيعة الواحدة. وقد ذكرها البطريرك اسطفان الدويهي بقوله : ان عبد المنعم مقدّم بشري « اكرم على الرهبان بمواضع لسكنهم وبنى لهم كنيسة باسم برصوما بالقرب من داره. وكان ذلك بعد الالف والأربعمائة والسبعين من سني المسيح »(٦).

روى القس انطونيوس شبلي في « رحلة الى شمالي لبنان » عن كنيسة برصوما

---

(١) المجلة السورية البطريركية : مجلد ٥ صفحة ٦٠٧ (٢) رحلة دنديني : فصل ١٩

(٣) تاريخ الازمنة للدويهي : مخطوطة مكتبتنا : اخبار السنة ١٧٤٢ والمشرق مجلد ٣٣ سنة ١٩٣٥ صفحة ٨٣؛ (٤) طالع هذا الكتاب : قسم ٦ فصل ١٧ رقم ٤

(٥) اراد ابن القلاعي بيعقوب المكرر في هذه الايات الزجلية المطران المكوني يعقوب البرادعي احد زعماء القائلين بطبيعة واحدة في المسيح

(٦) تاريخ الطائفة المارونية : للدويهي : صفحة ١٠١

ما يدل على انها كانت مبنية قبل السنة ١٤٧٠ استناداً الى مخطوط عنوانه «صلوات القيامة» محفوظ في دير مار اليشع . ففي هذا المخطوط ورد ما نصه : «لما كان تاريخ شهر كانون الثاني سنة ١٧٧١ لاسكندر اليوناني بن فيلبوس (١٤٦٠ م) اوقف هذا الكتاب المبارك لقيامة سيدنا يسوع المسيح المقدّمين عبد المنعم بن الدين والحاج بدر بن قمر للقديس الفاضل المبارك مار برصوما المعمور بقرية بشري. اوقفه عن انفسهم وانفس ابهاتهم وعن اولادهم وعن نفس المقدّم رزق الله وعن ابنه يعقوب . ويسأل كل من يقرأ فيه يطلب لهم الرحمة والمغفرة للخطايا من الرب سبحانه وتعالى . والكلام صفة المتكلم وكتبه ابن العم ابن الدين»(١) .

٦ ـ بيعة الحدث

جاء ذكر هذه البيعة في فنقيث الصوم الاربعيني المحفوظ في خزانة البطريركية السريانية ببيروت . واليك ما كتبه الناسخ في آخر صلاة احد الشعانين بالحرف الكرشوني : «نجز هذا الكتاب المبارك وهو برسم كنيسة الحدث التي في وادي الذخائر . نسأل الرب الاله ان يهنّيهم فيه ازماناً طويلة ومديدة ...» .

ونأسف ان الناسخ اهمل اسم هذه البيعة التي كانت زاهرة في عهد البطريرك اثناسيوس السابع (١٢٠٠ ـ ١٢٠٧) . ولا شك ان «الحدث» التي عُدّت من اقدم الكراسي الاسقفية السريانية في لبنان حوت في قلبها وفي ضواحيها لا كنيسة فقط بل كنائس عديدة واديارا عامرة . اما فنقيث الصوم المومأ اليه فقد نسخه في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٥٢٣ للاسكندر (١٢١٢ م) القس جبرائيل الحرديني السرياني . وقد اتينا على تفصيل ذلك في كلامنا عن «مخطوطات السريان في لبنان» (٢) .

---

(١) المشرق : مجلد ٢٤ سنة ١٩٢٦ صفحة ٧٤٨

(٢) راجع هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٢

٧ ـ بيعة مار ادنا في حدشيت

تُعدّ بيعة حدشيت من اقدم البيع السريانية في لبنان . أسسها السريان على اسم مار « ادنا » احد الشهداء الاولين . وما زال المصابون بوجع الآذان يحجّونها من شتى الاطراف طلباً لشفاعة هـذا القديس ويقيمون له تذكاراً في ١٢ تشرين الاول من كل سنة . وكانت حدشيت مركزاً خطيراً للقائلين بالطبيعـة الواحدة واشتهر منها فريق من الكهنة والمشايخ ناضلوا كثيراً في سبيل المعتقد المنوفيزيتي . وقام من تلك القرية اسقف سرياني يقال له « ايليا » جاء ذكره في غير هذا المحل .

ومن جملة الكتب الخـّطية التي حفظت في بيعة السريان بحدشيت وسلمت من التلف كتاب ليترجيات ... نسخه الخوري يوحنا الحدشيتي المنوفيزيتي . وفيـه ورد ما تعريبه : « انتهى هذا كتاب الليترجيات . كتبه الخوري يوحنا من قرية حدشيت المباركة في لبنان وطنه سنة ١٧٩٤ للاسكندر (١٤٨٣ م) . وهـذا الكتاب يخص الخوري سرجيس وابنه الشماس يوسف المعروف بابن كردان(١) . وكلاهما من عمدة القائلين بالطبيعة الواحدة .

٨ ـ بيعة مار يوحنا في حدشيت

نضيف الى بيعة مار ادنا في حدشيت بيعة ثانية انشأها السريان في تلك البلدة تيمناً باسم مار يوحنا وظـّلت عامرة الى ما بعد القرن السادس عشر . وهذه البيعة جاء ذكرها في مخطوط المكتبة البطريركية المارونية في بكركي . واليك تعريب ما اثبته ناسخه عن السريانية(٢) « انتهى هذا الكتاب سنة ١٨١٢ للاسكندر (١٥٠١ م) في ٤ اذار . نسخه الحقير ... يوحنا ... ابن المرحوم حسن من قرية حدشيت المباركة في جبل لبنان المبارك . وهذا الكتاب يخص مار يوحنا بارض

---

(١) مخطوطة دير الشرفة : رقم ٣/١٧ صفحة ٥٩ — (٢) مخطوطة بكركي : رقم ١١٥

حدشيت اهتم به الخوري دومط بن يوسف هو وابوه وابن عمته . اكمل الرب معهم كل عمل صالح » . وقد تقدم لنا القول ان هذا المخطوط كان يخص السريان المنوفيزيتيين(١) .

واشتهر بين الكتّاب السريان في حدشيت شمعون ابن القس اهرون الحدشيتي اللبناني الذي نسخ كتباً شتى نورد منها كتاب « حديث الحكمة » تأليف المفريان ابن العبري في السريانية . وقد نسخه ليطالعه هو واخوه الهفوذياقون يعقوب وابنه اهرون(٢) .

٩ - بيعة العذراء والشهيدين سرجيس وبهنام في كفرحورا

كفرحورا قرية قديمة في شمالي لبنان بقضاء زغرتا ضمّت في سالف الازمنة عدداً غير يسير من السريان . واليها التجأ آل الرزّي وآل ضاهر فاستوطنوها بعد ارتحالهم عن بقوفا على اثر خرابها في اواخر القرن الخامس عشر . وما لبثوا ان تولوا الحكم على بلاد الزاوية يتوارثه اعقابهم(٣) مدة ثلاثة قرون .

ففي تلك القرية ابتنى السريان بيعة على اسم العذراء المجيدة والشهيدَين سرجيس وبهنام . وحبسوا لها اوقافاً سلم منها كرم زيتون بقي في يد السريان حتى مطلع القرن التاسع عشر . وقد صرّح بذلك وكيل الوقف يوسف ابن الحاج فرنسيس بو رزق بتاريخ ٣ شباط ١٨٢١(٤) .

وجاء ذكر بيعة كفرحورا في كتابَي « سيامات كهنوتية » محفوظَين في الخزانة المرقسية بالقدس الشريف . والى القارىء ما جاء فيها معرّباً عن الاصل السرياني : « رقى الروح القدس بيد غريغوريوس بهنام مطران اورشليم وطرابلس

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٥ رقم ١ (٢) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ١٠/١ صفحة ٢٠٦ (٣) رد التهم : للدويهي : فصل ١٦
(٤) مخطوطات بيعة حلب السريانية : تقرير انطون زكار

الشماس كوركيس قسيساً لطرابلس في بيعة مار سرجيس والعذراء ومار بهنام بقرية كفرحورا سنة ١٩٢١ للاسكندر (١٦١٠ م) »(١) .

نضيف الى ما سبق بيانه ان اطلاق اسم مار بهنام الشهيد على بيعة كفرحورا المشار اليها لا يدع مجالا للريب في انها بيعة سريانية بحتة . لان هذا الشهيد الجليل لا يعرفه الا السريان وقد ابتنوا على اسمه بيعاً واديارا شتى . نذكر منها بيعة في اللاذقية وبيعة في طرابلس وبيعة في دمشق وبيعة في ماردين وبيعة في القاهرة . وديراً عظيماً في جوار الموصل يُعد في طليعة الاديار القديمة في الامصار الشرقية . وتُعتبر كتاباته ونقوشه التي صبرت على كوارث الدهر من انفس الآثار وأبدعها. وللبطريرك اغناطيوس افرام الثاني رحماني مقالة ضافية عن مار بهنام وعن ديره المشار اليه نشرها تباعاً في مجلته « الآثار الشرقية »(٢) .

١٠ ــ بيعة كفرياشيت

كفرياشيت او « كفرْيه شيت » لفظ سرياني معناه « بلدة إلاه شيت » وهي قرية قديمة تابعة اليوم لقضاء زغرتا في محافظة الشمال . وكان أهلوها على مثال الخوري حنا ابن الحاج حسن في حدشيت (٣) من القائلين بالطبيعة الواحدة . وقد صرّح الدويهي بذلك مستنداً الى نص ابن القلاعي في زجليته التاريخية وهو : «ابن حسن كان من حدشيت وأطغى لأهل كفرياشيت . كتب وغيّر البواعيت بدستور حاكم علماني » (٤) .

ظل اهل كفرياشيت السريان متشبثين بالعقيدة المنوفيزيتية يقضون في بيعتهم الشعائر الدينية والفروض الطقسية . الا اننا لم نعثر في مطالعاتنا على اسم تلك البيعة . وبتوالي الازمنة انضم اهل كفرياشيت السريانيون الى الملة المارونية .

---

(١) مخطوطات الخزانة المرقسية في القدس : رقم ١١١ و ١١٢

(٢) مجلة الآثار الشرقية في بيروت : مجلد ٣ سنة ١٩٢٨ صفحة ١١ و٣٥ و ١٨٩ و ٢٢٥

(٣) طالع هذا الكتاب : قسم ١٢ فصل ٢٦

(٤) تاريخ الازمنة : للدويهي : مخطوطة مكتبتنا : اخبار السنة ١٤٧٢

الفصل التاسع

بيع السريان في طرابلس وضواحيها

١ - بيعة لاونطي الشهيد

في هـذه البيعة الكبرى جرى الاحتفال عام ٤٨٧ بعماذ سويرا صديق زكريا البليغ السرياني . ذلك ان اوغريس الفيلسوف النبيل احـد اساتذة مدرسة الشرع ببيروت وزكريا المومأ اليه ظلا ينصحان لسويرا ويحرّضانه على قبول سر العماذ ولا سيما لانه كان مناهزاً الثلاثين من سنه . وكان سويرا يؤجل ذلك ريثما ينجز دروسه في الفقه . وكان متشبثا بعادة اهل بيسيديا وطنه الذين لم يكونوا يعتادون العماذ الا حين دنوّ أجلهم او حين وقوعهم في خطر . وما عدا ذلك فان الواحد منهم لم يكن يعتمذ الا بعد ما ينبت شعر لحيته (١) .

ظل اوغريس وزكريا يواصلان نصحهما لسويرا لاجل العماد حتى لبىّ اخيرا طلبهما . وقرر ان يعتمد في بيعة الشهيد لاونطي بطرابلس وان يكون اوغريس عرّاباً له . هكذا اعدوّا الزاد والدواب وتهيأوا للسفر . وسافر معهم اصدقاؤهم اليشع العجيب واناطول وزنودور وغيرهم حتى وصلوا الى طرابلس . فزاروا القسيس لاونطي رئيس بيعة لاونطي الشهيد وسألوه ان يعمّد سويرا. فاجاب القسيس الى طلبهم وتولى رتبة العماد ووشح سويرا بثياب بيضاء كمألوف العادة . ثم ناوله القربان الاقدس وكان عرّابه اوغريس مرشده وابوه الروحاني . ولبث سويرا متوشحاً بثياب العماد سبعة ايام ثم نزعها عنه وتوشح بثيابه العادية وقفلوا

---

(١) Patrologia Orientalis, 2,17

راجعين الى بيروت مسرورين ليواصلوا دروسهم . وتعوّد سويرا منذ ذلك الحين ان يقوم بصلوات المساء والليل في احدى كنائس بيروت (١) .

تلك وثيقة تاريخية ثمينة نقلت الينا خبر هذه البيعة التي تولاها السريان في طرابلس حتى اواخر القرن الخامس . ولا ندري مصيرها بعد هذا التاريخ . اما سويرا المشار اليه فليس الا سويرا الاول بطريرك السريان الانطاكي (٥١٢ — ٥٣٨) الذي جرى في ايامه ذلك الانفصال العظيم في البيعة الانطاكية بين انصار المجمع الخلقيدوني واصحاب الطبيعة الواحدة .

٢ ــ بيعة مار بهنام الشهيد

انشئت هذه البيعة الفخمة عام ٩٦١ للميلاد كما اثبت المفريان غرغوريوس ابن العبري في تاريخه (٢) . وقد اتينا على شيء من اخبارها في غير هذا الموضع . الا انه ما مرّت على تشييدها ثلاثة قرون او اكثر حتى تقوّضت مع ما تقوض من ابنية طرابلس ومعابدها في حرب وقعت في منتصف شهر نيسان ١٢٨٩ فعفت آثارها . وقتل في تلك المعمعة من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات ما بلغ حد الكثرة(٣) . وكان ابن العبري المشار اليه يتردد على تلك الكنيسة مع زميله صليبا بن يعقوب الرهاوي يوم كانا يحصّلان المعارف في مدينة طرابلس .

٣ ــ بيعة مار . . . وس

للسريان في طرابلس كنيسة ثالثة لم نتوفق الى الوقوف على اسم القديس الذي بنيت تيمناً به . وقد دلتنا عليها مخطوطة لندن(٤) المنسوخة عام ١٥٠٧ للاسكندر

---

(١) Patrologia Orientalis, 2, 77-81

(٢) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ١٨٤ (٣) ملحق تاريخ الدول السرياني : صفحة ٥٦٦ (٤) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني : رقم ٣٤١

(١١٩٦ م) بخط يد اغناطيوس مطران اورشليم وساحل البحر (١١٩٣ - ١١٩٦) . فانه دوّن فيها ما تعريبه : « كتبت هذا الفنقيث في كنيسة الشريف الشهير مار ... وس بمدينة طرابلس » . فاستخلصنا من الحرفين « وس » ان هذه الكنيسة شيّدت تكريماً لقديس ينتهي اسمه بالحرفين المذكورين كقولك : اثناسيوس او غريغوريوس او اغناطيوس او ثيودوروس او باسيليوس الخ .

٤ - بيعة والدة الله

هي بيعة رابعة للسريان شيدوها في طرابلس تبرّكاً باسم والدة الله المجيدة . وقد ذُكرت تلك الكنيسة في كتاب « سيامات كهنوتية » يخص الخزانة المرقسية في القدس الشريف على هذه الصورة : « رقّى مار غريغوريوس بهنام مطران اورشليم الشماس منصور لبيعة والدة الله في طرابلس والقس جرجس لبيعة والدة الله ومار سرجيس ومار بهنام في كفر حورا سنة ١٩٢١ للاسكندر (١٦١٠م)(١)

ولما تولى المطران غريغوريوس جبرائيل فيزون كرسي اورشليم وطرابلس (١٧٤٠ - ١٧٦٠) رقى في هذه الكنيسة عام ١٧٤٩ الشماس موسى بن ميخائيل ابن القس ملكا الاورشليمي الى درجة هفوذياقون(٢) .

٥ - بيعة سيدة الحارة

هذه البيعة التي تُسمّى ايضاً « بيعة سيدة حارة الحصارنة » نسبة الى اهالي حصرون هي بيعة خامسة اسّسها السريان الحصارنة ظاهر طرابلس ولم تزل باقية حتى الآن . وقد تفقدها وتفقد الرعية السريانية في طرابلس وفي ضواحيها غير

---

(١) مخطوطات الخزانة المرقسية في القدس : رقم ١١٢

(٢) فهرس مخطوطات الشرفة : رقم ٧/٧ صفحة ١٣٩

واحد من الاحبار الانطاكيين . نذكر منهم البطريرك اغناطيوس اندراوس اخيجان (١٦٦٢ – ١٦٧٧) وخليفته البطريرك اغناطيوس بطرس السادس (١٦٧٨ – ١٧٠٢) الذي تعهدها مرّتين : الاولى حين ارتحاله الى قنوبين عام ١٦٩٢ والثانية يوم عودته من قسطنطينية عام ١٧٠١ ولبث فيها خمسة وعشرين يوماً . وزرناها نحن ايضاً مرتين في السنة ١٨٩٠ و١٩٠٤ وقرّبنا لها بعض النذور .

وكنا طالعنا في بعض الكتب والمخطوطات ان هذه الكنيسة ضمّت ضمن جدرانها « يد » الشيخ كنعان بن شديد ابن الشدياق بطرس الضاهر الذي قُتل في ٢ شباط ١٧٤١ عند باب التبّانة بطرابلس(١) . وهذا الشيخ الشجاع يتحدّر من آل الرزّ الذين قام منهم بعض احبار سيأتي ذكرهم في غير هذا الفصل .

وكان لبيعة سيدة الحارة اوقاف تشتمل على بيوت وبستان وعلى كرم زيتون فاعتدى بعض ابناء الملّة المارونية عليها وحاولوا ان يضموها الى اوقاف بيعتهم . وما ان شعر بهذا الامر المطران يوليوس انطون ديار بكرليّ (١٧٩٠ – ١٨١٦) النائب الرسولي على السريان حتى اقام الحجة على المعتدين في ديوان السيد يوسف تيّان بطريرك الموارنة (١٧٩٦ – ١٨٠٩) . وكان هذا البطريرك قد اعتزل المنصب البطريركي وانقطع الى بيعة مار افرام في وادي المسيلح بجوار دير الشرفة . فاصدر هذا الحبر الفاضل اعلاماً محفوظاً في سجلات الدير المومأ اليه هذا نصه :

« اعلام بالرب لكل واقف على اسطرنا هذه .

« انه من خصوص الزيتون الذي يخص وقف سيدة الحارة التي للسريان ناحية طرابلس وقع سابقاً عليه تعدٍ من ابناء طائفتنا وراموا يتبعوه لوقف كنيستنا وارتفع الامر لدينا . ونحن بعد وقوفنا على صحة وقف الزيتون المذكور لسيدة

---

(١) اخبار الاعيان في جبل لبنان : للشيخ طنوس الشدياق : صفحة ١٠٢ – ومستندات تاريخية في شأن بعض الشهداء الموارنة : صفحة ٤٤ – ٤٥

الحارة المرفوعة رفعنا يد ابناء طائفتنـــا عنه وصرّفنا به اخوتنـا السريان الكاثوليكيين كما يقتضي العدل . وكما اننا بقوة اعلامنا هذا نوضح في ان هـذا الزيتون يخصّ السريان لا الموارنة . ولأجل خلاص الذمة حرّرنا هذا الاعلام بيد من يخصه تحريراً في ١ شباط سنة ١٨١٢

الحقير

البطريرك يوسف تيّان »

وسبق لنا ذكر رسالة كتبها في هذا الشأن الامير بشير الثـاني الكبير امير جبل لبنان الى البطريرك يوحنا الحلو(١) .

ولما قلّ عدد السريان في طرابلس رخّص البطريرك اغنـاطيوس بطرس السابع جروة (١٨٢٠ - ١٨٥١) لرؤساء الطائفـة المارونية في طرابلس ان يستعملوا كنيسة سيدة الحارة ويستغـلّوا ارزاقها ، ولم تزل تحت تصرّفهم حتى الآن (٢) .

٦ ــ بيعة مار جرجس في زبطرى

زبطرى قرية لبنانية قديمة كانت تابعة في سياستها البيعية لاسقفية طرابلس . وابتنى السريان فيها كنيسة عـلى اسم مار جرجس ورد ذكر بعض اوقافها في سجل دير مار موسى الحبشي . وبقي من تلك الاوقاف كرم زيتون حـتي القرن التاسع عشر . وقد اشرف عليه انطون زكار واثبته في تقرير قدّمه للمطران انطون دياربكرلي النائب العام على السريان (٣) .

وزبطرى اللبنانية التي نتحدث عنها هي غير زبطرى الواقعة في سوريا الشمالية بجوار سميساط وخربوط وكانت في سالف الزمان كرسياً اسقفيـاً خاضعـاً لبطريركية السريان .

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٤ فصل ١٧ (٢) السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية: لمؤلف هذا الكتاب : صفحة ٣٦٥ - ٣٦٦ (٣) محفوظات بيعة حلب السريانية : تقرير انطون زكار

الفصل العاشر

بيع السريان في بعلبك وضواحيها

١ ـــ البيعة القديمة

كان للسريان في بعلبك كنيسة كبرى ابتناها قسطنطين الكبير (٣٠٦ – ٣٣٧) وامه الملكة هيلانة الرهاوية السريانية على انقاض الهيكل الوثني العظيم (١). وقد ذكرنا في غير هذا الفصل اهتمام ذينك العاهلَين المجيدين بتشييد الكنائس في مختلف امصار سلطنتهما (٢) .

وهذه بيعة بعلبك القديمة تعهدها مار ربولا مطران الرهـــا (٤١٣ – ٤٣٥) العلامة الكبير . فانه عندما كان راهباً في صومعة ابرهيم الحبيس بجوار قنّسرين مسقط راسه ارتحل مع الراهب اوسيب الى بعلبك في اواخر القرن الرابع وارشدا اهـاليها ثم عادا الى صومعتهما (٣) . والى هـــذه بيعة بعلبك ايضاً شخص نونا مطران الرهـــا (٤٥٧ – ٤٧١) مع سبعـة اساقفة سريانيين اجابةً الى اوامر بطريركهم الانطاكي مكسيم الاول (٤٤٩ – ٤٥٥ + ٤٦٠). فنجح المطران نونا في مهمته الخطيرة وانضوى على يـده الى حظيرة البيعة المسيحية جماهير غفيرة في بعلبك وفي ضواحيها كما سبقنا فنوّهنا (٤) .

---

(١) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ٦٠ (٢) راجع هذا الكتاب : قسم٦ فصل١

(٣) تاريخ الكنيسة السريانية : قسم ٥ فصل ٢ صفحة ٧٣ من مخطوطة المؤلف .

(٤) راجع هذا الكتاب : قسم ٢ فصل ٥ رقم ٣

٢ ـ بيعة مار ايليا النبي

ابتنى السريان في بعلبك كنيسة على اسم ايليا النبي وتمّ ذلـك بعد استقلالهم لبطريركيتهم الانطاكية في القرن السادس. وتولّى رعاية تلك الكنيسة الاسقف انتيما في عهد يوسف بطريرك السريان (٧٩٠--٧٩٢) . وتسلسل اساقفتهم واحـداً بعد الآخر في كرسي بعلبك حتى القرن الحادي عشر . وبقيت كنيسة مار ايليـا وجماعتها السريانية في بعلبك حتى القرن الثامن عشر . يؤيد ذلك سجل دير مـار موسى الحبشي ففيه ذكر افرادٍ من جماعة بعلبك وقراها زاروا الدير المومأ اليه وقرّبوا له نذورهم وعشورهم (١) .

٣ ـ ٨ سائر بيع السريان في ضواحي بعلبك

ما عدا كنيستيَ بعلبك المار ذكرهما كان للسريان ايضـاً بِيع او معابد في ضواحي بعلبك ولا سيما في قرى نيحـا والراس والفيكة (فـاكية) وبشوات وشُعَيْبِة وقرية العين وغيرها كما سبق الكلام . وكان لكل بيعة في تلك القرى كاهن يمارس الفروض الدينية ويقوم بخدمة الشعب التابع لها . على ان السريان في بعلبك ونواحيها اخـذوا منذ القرن الثامن عشر يرتحلون عنها . وانحازت البقية الباقية منهم الى مللٍ اخرى ولا سيما الى الروم الملكيين .

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٣ فصل ٨

الفصل الحادى عشر

بيع السريان فى قضاء عكار

١ ـ بيعة مار نوهرا في عرقا

انشأ السريان كنائس عديدة في عرقا انطمس ذكرها وخبرها بتمادي الزمان . ولم يتصل بنا منها الا اسم احداها وكانت مشيّدة على اسم مار نوهرا المعروف عند الغربيين باسم « لوقيان » او لوقيوس » احد التلامذة السبعين (روم ١٦ : ٢١) او على اسم سميّه الذي تمّ استشهاده في اواخر القرن الثالث . وباسم هذا الشهيد تيمّن احد اساقفة عرقا الاقدمين الذي عاش في القرن الرابع للميلاد .

صبرت بيعة مار نوهرا السريانية اجيالا على صروف الدهر . وفيها حلّ ضيفاً البطريرك اثناسيوس السادس (١٠٥٨ – ١٠٦٤) يوم كان مسافراً الى قسطنطينية تلبيةً لطلب قسطنطين الحادي عشر ملك الروم (١٠٥٩ – ١٠٦٧). غير ان المنيّة عاجلت البطريرك فقضى نحبه في عرقا وأقيم له في تلك البيعة مأتم حافل ثم نُقل جثمانه الى دير مار اهرون في ضواحي سنجار (١) .

٢ ـ بيعة الكنيسي

ذكرنا بعض اساقفة السريان الذين تولوّا رعاية ابرشية الكنيسي الواقعة في قضاء عكار . وقد جاء ذكر تلك الابرشية في القرن التاسع للميلاد (٢) . وكان

---

(١) الزهرة الزكية في البطريركية الانطاكية : صفحة ٥١و٥٤ (٢) راجع هذا الكتاب : قسم ٣ فصل ٧

فيها لأولئك الاساقفة ولشعبهم السرياني بيعة او اكثر . الا اننا لم نعثر في ما طالعناه من التواريخ القديمة والحديثة على خبرها فاكتفينا بالاشارة اليها .

٣ - بيعة سيدة القلعة

شُيدت هذه البيعة فوق هضبةٍ واقعة في منتصف الطريق التي تصل طرابلس بحمص . وكانت تابعةً في سياستها البيعية لكرسي ابرشية عرقـا . ولا يبعد ان تكون بيعة سيدة القلعة قد شُيد ت قبل عهد الانفصال الذي مُني بـه الكرسيّ الانطاكيّ في القرن الخامس .

ومن المقرر ان الدين المسيحي قبل ان يغزو العرب بـلاد عكار كان منتشراً بين اهاليها حتى ان جميعهم كانوا مسيحيين . ولكنه لما استفحل امر العرب هنالك وقويت شوكتهم تصدّع شمـل النصارى ودان بعضهم بالاسلام (١) . اما اولئك النصارى فلم يكونوا الا مـن السريان لانهم كانوا سكان البلاد الاصليين وعـلى يدهم انتشرت فيهـا البشارة الانجلية . وقد شرحنا ذلـك شرحاً وافياً في ما سبق من الفصول .

وبتوالي الاعـوام اصاب بيعة « سيدة القلعة » ما اصاب غـيرها من الابنية المسيحية القديمة التي أخنى عليها الدهر وتلاعبت بها ايدي الحدثان .

وظهرت في هذه البيعة من سنة الى اخرى آيات عظام ومعجزات باهرة يتحدث بها اهالي تلك الانحاء ويتناقلها الحفداء عن الاجداد . ذلك ما دعـا الآباء اليسوعيين ان يشيّـدوا على اطلال تلك البيعة القديمة كنيسة جديدة جاءت تحفة نفيسة من تحف الفن الهندسية . وقد تمّ تدشينها باحتفال رائع صباح الاحد في ٢٩ نيسان سنه ١٩٠٠

٤ - بيعة مار تدى في مجدلا

مجدلا قرية قديمة العهد في عكار واسمها سرياني معناه « الـبرج » . اما بيعتـها

---

(١) المشرق : مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٦٠٣

فقد شيّدها السريان باسم الرسول تدّي اوليّ مؤسس كرسي بيروت . ولما توّلى ابرشية عرقا اسحق اسقفها السرياني في اوائل القرن الحادي عشر انفصل عام١٠٢٦ للميلاد عن السريان المنوفيزيتيين وانضم في قسطنطينية الى الملكيين . وانضم معه زميلاهُ اغناطيوس اسقف ملطية وموسى اسقف خربوط و كتب ثلاثتهم صورة ايمانهم ورفعوها الى رومانس ملك الروم (١) .

ومن ذلك الحين وضع الروم الملكيّون يدهم على بيعة مار تدّى الرسول في مجدلا وعلى غيرها من الكنائس السريانيـة التابعة لكرسي ابرشية عرقا . ولم يتمكن السريان بعد ذلك من استرجاعها لانهم اضطروا ان يتبعوا طقس الروم الملكيين وعقيدتهم .

٥ ـ بيعة مار كوركيس في خربة الرمان

خربة الرمّان قرية في قضاء عكار كانت آهلة بالسريان لهم فيها كنيسة شيّدوها على اسم مار كوركيس الشهيد . وافادنا صاحب الغبطـة مار اغناطيوس افرام الاول برصوم ان اسم هذه البيعة ورد في مخطوط سرياني يخص الخزانة المرقسية في القدس الشريف . وهو يتضمّـن طقوس السيامات الكهنوتية جاء فيه : ان البطريرك اغناطيوس عبد الغني رسم القس يعقوب لبيعة مار كوركيس في خربة الرمّان سنة ١٩١٤ للاسكندر الموافقة للسنة ١٦٠٣ ميلادية(٢) .

٦ ـ بيعة مار شليطا في عنتقد

عنتقد ويقال عندقت قرية في بلاد عكار تابعة لابرشية عرقا السريانية . وكان

(١) تاريخ الرهاوي البيعي : صفحة ٦٣ – ٦٤ – والملكيون : صفحة ٤٩ – ٥٠
(٢) مخطوطات الخزانة المرقسية في القدس : رقم ١٠٩

فيها شعب وافر له كنيسته وكهنته واوقافه . وكنيسة عنتقد ورد ذكرها في مخطوطة دير الشرفة المشتملة على عدة ليترجيات سريانية ألفها ائمة المنوفيزيتيين كتوما الحرقلي ويوحنا بَرْشوشن وابن الصليبي الخ . وفي تلك المخطوطة ورد ما نصّه بحروف عربية : « نظر هذا الكتاب المبارك الحقير باسم شماس من قرية حصرون . وهو برسم الخوري الياس بن سمعان من قرية عنتقد »(١) . وكان الخوري الياس متولياً خدمة بيعة مار شليطا في عنتقد مسقط رأسه .

وكان من عادة السريان في بلاد ما بين النهرين عند حجّهم اورشليم يمرّون بلبنان ذهاباً واياباً . نذكر منهم المقدسي مبارك الذي قدم من عين وَرْد بطور عبدين الى عين تقد واشترى من كاهنها الخوري شمعون السرياني انجيلاً سطرنجيلياً بديعاً(٢) .

٧ – بيعة الشهيدة شموني في شدرا

شدرا بلدة قديمة في لبنان كانت خاضعة في سياستها البيعية لكرسي عرقا واسمها سرياني بحت معناه (ارسل) . وكان فيها للسريان بيَعٌ عرفنا منها بيعتهم المشيدة على اسم الشهيدة « مُرت شموني » واولادها السبعة . وظلّت في شدرا بقية من السريان حتى الازمنة الاخيرة . يؤيد ذلك سجل دير مار موسى الحبشي بالنبك فقد احتوى بياناً وافياً لعقارات وقفها عليه اهالي شدرا السريانيون في القرن الثامن عشر(٣) . والى شدرا انتسب آل شدراوي المتحدّرون من اسرة طربيه السريانية النحلة . وقد صرّحنا ان جدها الاول نشأ في بلاد ما بين النهرين. وقام من آل شدراوي ثلاثة اساقفة تحدثنا عنهم في هذا الكتاب(٤) .

---

(١) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ١٧/٣ صفحة ٥٩

(٢) راجع هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٩ رقم ١

(٣) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ١ سنة ١٩٢٧ صفحة ٣٥١

(٤) راجع هذا الكتاب : قسم ١٢ فصل ٣٤

٨ - ١٧ سائر بيع السريان في قضاء عكار

ما عدا السبع الكنائس المذكورة آنفاً فقد كان للسريان في قضاء عكار بشمال لبنان كنائس عديدة تابعة لكرسي مطرانية عرقا وكرسي اسقفية كنيسي(١) . ومن تلك الكنائس نذكر عشراً ابتناها السريان في القرى العشر التالية : الرحبة وبزبينا وحوشب وشربيلا وقرقف وقعبرين و كفرنون و كفرملكا ومشيحا و كوبخات الخ الخ . وهناك قرى اخرى عديدة اندثر خبرها وغاب عنا اسمها .

الفصل الثاني عشر

بيع السريان في سلوقيا واللاذقية وجبلة

استعمر السريان منذ العصور الخوالي سواحل فونيقي ومن جملتها سلوقيا واللاذقية وجبلة . وجعلوا كلّاً منها كرسياً اسقفياً مرتبطاً بالكرسي الانطاكي كما فصّلنا(٢) . وانشئت حول تلك المدن دساكر ومزارع كثيرة سكنها جمهور وافر من اولئك السريان . وكان في كل منها بيعة او معبد لممارسة الفروض الدينية . ولم تزل تلك القرى على رغم الفتوحات المتوالية وتقلبات الدول تحمل اسماءها السريانية القديمة حتى اليوم . ولو شئنا سردها قرية فقرية لاستولى على القارىء الدهش والذهول والملل لوفرة عددها . وحسبنا ان نلمع الى بعضها في ما يلي :

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٣ فصل ٦ وفصل ٧

(٢) راجع اخبار هذه الكراسي الثلاثة في القسمين الثاني والثالث من هذا الكتاب.

ارزونة . اشتبغو . ام ميراثو . برمايا . باروحة . باريشة . بريخية . بِستا . بشيطا . بشلاما . بشمشة . تل عفر . تل كمثرى . جبلايا . جليـلا . حوحو . حيلاثا . دبشو . زمرين . سنيا . سيفاثا . شبلو . طيرو . عرزيلات . عيناثا . عين قيطا . عَينو . فرزلا . قدمو . قرقفتي . قشبا . قمصو . كفردلبا . مرمريثا . معرين . ناحوت . نيحا . الخ الخ الخ . واليك بعـد هذا التصريح اسماء بعض كنائس السريان في المدن الثلاث المذكورة .

١ - بيعة والدة الله في سلوقيا

شيّد السريان في سلوقيا كنيسة كبرى الحقوها بكرسي اساقفتهم واطلقوا عليها اسم « والدة الله » . وفيها اقاموا الاسرار البيعية والحفلات الطقسية حتى اواخر القرن التاسع او اوائل القرن العاشر . وبعد هذا التاريخ امّحى ذكر تلك الكنيسة من الصحف السريانية وانفرطت سلسلة اساقفتها . ولعل الفاتحين استولوا عليها فانطمس اثرها كما انطمست قبل ذلك آثار دير تالا الذي ابتناه السريان في ضواحي سلوقيا واديار اخرى سنأتي على ذكرها .

٢ - ٣ بيعة اللاذقية وبيعة جبلة

ذكر المفريان غريغوريوس ابن العبري خبر زلزلة هائلة حدثت في شهر حزيران سنة ١١٧٠ ميلادية . وتتابعت هزّاتها مدة خمسة وعشرين يوماً في سوريا ولبنان فقوّضت عدة كنائس واديار في انطاكية وحلب وغيرهما . ثم قال : « اننا نحمد الله تعالى الذي حفظ كنيستنا في حلب وكنائسنا الثلاث في انطاكية وكنيستنا في جبلة وكنيستنا في اللاذقية فلم يحدث لها ضرر » (١) .

---

(١) تاريخ الدول السرياني : صفحة ٣٣٩

نستنتج من تصريح هذا المؤرخ المدقق ان بيعتي اللاذقية وجبلة افلتتا من تلك الزلزلة الفظيعة . وقد ظلتا قائمتين الى ايام ابن العبري نفسه اعني الى اواخر القرن الثالث عشر . ولعلهما بقيتا زماناً غير قصير بعد ذلك التاريخ والله اعلم !

٤ ـ بيعة مار بهنام بجوار اللاذقية

عديدة هي الكنائس السريانية التي قوّضتها الزلازل او توالت عليها النكبات في السواحل الفونيقية . غير انه ما خلا كنيسة اللاذقية التي اشار الى بقائها المفريان ابن العبري فقد سلمت كنيسة ثانية ظلّت عامرة حتى اوائل القرن التاسع عشر . وهي كنيسة مار بهنام الشهيد في ضواحي مدينة اللاذقية . ويستفاد من مخطوطات دير الشرفة انهم وجدوا في تلك الكنيسة قبل اندثارها صورة قديمة لمار بهنام وكتابة سطرنجيلية نُقشت على الحنيّة الشرقية وراء المذبح (١) .

الفصل الثالث عشر

نظرة في اديار السريان عموما وفي اديارهم اللبنانية خصوصا

الدير لفظة سريانية بحتة يُراد بها مقام الرهبان او الراهبات ينقطعون فيه الى العيشة النسكية . وقد استأثر بها جمهور غفير من السريان الاقدمين فشيّدوا منذ القرن الثالث مئات الاديار في بلاد فارس وآثور والعراق وطورعبدين وجبل الازل وجبال الرها وما بين النهرين وبراري سوريا وضواحي انطاكية

(١) مخطوطات دير الشرفة : رسالة للخوري ميخائيل ازرق (+ ١٨٨٦)

واطراف فلسطين وصحارى العرب حتى وادي النيل . واصبحت اديارهم اشبه شيء بمستعمرات رهبانية انشئت حواليها دساكر عديدة ومزارع خصيبة وغابات نضيرة . وكان اغلبها قبل ذلك صخوراً صماء واراضي جرداء لا يأوى اليها الا الطيور الكواسر او الوحوش الضواري .

تصدّى غير واحد من الكتبة السريانيين لذكر تلك الاديار ورؤسائها ديراً فديراً ورئيساً فرئيساً . نقتصر منها على الاشارة الى ١٣٧ ديراً في اطراف انطاكية والشام(١) و١٤٠ ديراً في بلاد فارس والعرب (٢) ومئات الاديار في طور عبدين وجبل الازل (٣) وثلاثمائة دير في جبل الرها (٤) . واشتملت تلك الاديار الرهاوية في يوم عزها اعني في القرن الخامس على تسعين الف راهب (٥) . وقد انقطع اغلبهم الى العلم والتأليف ونساخة الكتب وصناعة الرقوق وتنميق المخطوطات وتجليدها (٦) . واورد ميخائيل الكبير في لائحة الاساقفة التي ألحقها بتاريخه عدداً وافراً من الاديار التي ارتقى رؤساؤها او رهبانها الى الكراسي البطريركية او الاسقفية .

وأحصى الخوري اسحق ارملة طائفة مهمة من تلك الاديار السريانية التي يرتقي انشاء بعضها الى القرن الرابع . فنقل اسماءها ديراً فديراً عن اوثق المصادر وأقدمها . وقد فاته الكثير مما لم يتسنّ له الوقوف عليه من اسماء سائر الاديار التي طوى عليها الدهر وانطمست آثارها حتى أحصيت بالمئات بل بالآلاف (٧) . وبلغ

---

(١) مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١٢٥٤ (٢) كتاب العفة : ليشوع دناح اسقف البصرة : طبعة الاب بيجان سنة ١٩٠١ (٣) سياحة في طور عبدين

(٤) صبح الاعشى : للقلقشندي : مجلد ٤ صفحة ١٣٩

(٥) تاريخ الرهاوي : فصل ٣٤ (٦) خزائن الكتب العربية في الخافقين : لمؤلف هذا الكتاب : باب ٥ فصل ٤ مكتبات الرها .

(٧) الكنيسة السريانية : قسم ٢ فصل ٦ صفحة ٣٤

مجموع ما اثبته منها المؤلف المذكور ثلاثمائة وخمسة وخمسين ديراً [1] حتى القرن الرابع عشر .

اما اديار السريان المشارقة او النساطرة التي بلغت حدّ الكثرة ايضاً في القرون الوسطى . فقد تناول البحث عنها بعض المؤرخين واشهرهم مطران البصرة يشوع دناح مؤلف كتاب « العفة » السرياني وتوما اسقف مرجا وغيرهما وغيرهما .

ويطيب لنا ان نخصص بالذكر ديراً عظيماً شيدته الملكة تئودورا السريانية في مدينة قلّنيقوس (الرقة) على ساحل الفرات واطلقت عليه اسم «دير الاكراح» اي دير « بيوت الرهبان ». وبعد زمان رمّمه السريان وسموه « دير العمود » . وقد جرت في كنيسته الكبرى حفلات بيعية وسيامات عديدة لبعض البطاركة والاساقفة والرهبان [2] . وفي هذا الدير تثقّف علماء اعلام خلفوا آثاراً مجيدة تزّين اليوم خزائن الكتب في اقطار المشرق والمغرب .

ولم يقتصر السريان على تأسيس الاديار في البلاد المشار اليها بل تفرغوا لتشييد اديار ومحابس ومناسك جمة في سهول الجبل اللبناني وفي أوديته وقلله . « ولو تقصينا آثار الكتب التاريخية لوجدنا ذكر بعض هذه الاديرة القديمة ترتقي الى اواخر القرن الرابع واوائل الخامس » [3] .

وقد تعهّد فريق من سياح العرب والافرنج اديار لبنان ومناسكه في القرون الغابرة فوصفوها وصفاً دقيقاً وكتبوا عنها الشيء الكثير . واليك ما اثبته ابن بطوطة في اخبار رحلته قال : « ثم سافرت الى لبنان وهو أخصب جبال الدنيا . وكثر فيه المنقطعون الى الله والزّهاد والصالحون » [4] . اما سيّاح

(١) الكنيسة السريانية : قسم ١٤ فصل ٣ وفصل ٥ (٢) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٤١٤ (٣) تسريح الابصار جزء ١ صفحة ١٠٩ والنسك والنساك في لبنان : بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني : المشرق مجلد ٣١ سنة ١٩٣٣ صفحة ١٦٨) .
(٤) تحفة النظار لابن بطوطة : مجلد ١

الافرنج الذين طرقوا الموضوع المذكور فكثير عددهم نكتفي بالالماع اليهم .

وليس من ينكر ما كان لرهبان السريان من اليد الطولى في محق الآثار الوثنية من هذا الجبل وفي تنصير سكانه ونشر الحضارة في ربوعه . وكانوا في اثناء فراغهم من فروض العبادة او الدروس او نساخة الكتب او حراثة الاراضي او تربية المواشي ينصرف فريق منهم الى تعليم البنين والبنات في مدارس تابعة لاديارهم (١).

اما رؤساء تلك الاديار وشيوخ الرهبان فكانوا يتفقدون الاهالي في منازلهم ويؤيدونهم في معتقدهم ويعزونهم في مصائبهم . ويعالجون مرضاهم ويتعطفون على المحتاجين منهم . وقد دوّن التاريخ ما اصطنعه الرهبان من الفوائد الجلّى التي عادت على هذا الجبل بالعمران وعلى سكانه بالخير والفلاح .

وها نحن نعدّد بعض اديار انشأها السريان في لبنان وفي اطرافه مما توفقنا الى العثور عليه من اسمائها واخبارها . وقد نقلناها عن اوثق المصادر وسردناها ديراً فديراً في فصول متتابعة :

الفصل الرابع عشر

اديار السريان في بيروت وضواحيها

١ - دير الراهب الرهاوي

الرها عاصمة ابجر اول ملك مسيحي في العالم (٢) تُعَدّ كنيستها ام جميع

---

(١) تاريخ الازمنة للدويهي : مخطوطة مكتبتنا : اخبار سنة ١٤٧٢

(٢) ميمر مار يعقوب السروجي : عدد ١٨٠ مجلد ٥ صفحة ٧٣٨

الكنائس في بلاد ما بين النهرين . فيها نشأت المعيشة النسكية وأصبح جبلها حافلاً باديار وصوامع بلغ عدد رهبانها تسعين الف راهب (١) . ومن الرها امتدت العيشة الرهبانية الى البلاد التي كان سكانها يتكلمون باللسان السرياني وفي جملتها مدينة بيروت . فقد ذكر المؤرخون انه مع تغلب اللغة اليونانية بين الخاصة في هذه المدينة فان السريانية ظلت دارجة لا في هذه المدينة فقط بل في جميع المدن والقرى اللبنانية كما هو مشهور (٢) .

ولم يُحرَم جبل لبنان عبّاداً ونساكاً قدموا اليه من الرها تلك العاصمة السريانية فنفخوا فيه روح الزهد والعبادة . وشيّدوا في سواحله وقممه صوامع واديار انضوى اليها قوم من رجال الله عزّ وجلّ قضوا حياتهم في الصلوات والاصوام والاسهار .

فاول من نهج الطريقة النسكية في لبنان كان راهباً رهاوياً ذكرهُ البولنديون في مجموعة « اعمال القديسين » في اليوم ١٤ من شباط . وقالوا : ان ناسكاً سريانياً قدم في فجر القرن الخامس من مدينة الرها الى لبنان وتوطنه ثم جعل ديدنه السعي لهداية سكانه الوثنيين وبثّ المبادىء المسيحية بينهم . ويُعَدّ دير هذا الراهب الرهاويّ السرياني باكورة جميع الاديار على الاطلاق في جبل لبنان .

٢ – دير بيروت

ورد اسم هذا الدير في سيرة سويرا البطريرك الانطاكي التي كتبها معاصره ومناصرهُ يوحنا رئيس دير افتونيا السرياني بقنّسرين . ذلك اجابةً الى طلب ديمط رئيسهِ الذي ارتقى فيما بعد الى اسقفية اللاذقية بوضع يد المطران يعقوب

---

(١) تاريخ الرهاوي : فصل ٣ ؛ صفحة ١٠٨

(٢) تاريخ الامة الآرامية السريانية : كتاب ١ قسم ٦ فصل ١٥

البرادعي(١) . فقد جاء في تلك السيرة ما تعريبه عن السريانية : « اخبر احد الرهبان النسّاك الذي كان ساكناً في ديرٍ مجاورٍ لبيروت وكان مشهوراً بأعمال الزهد انه رأى سويرا في الحُلم . وقيـل له انه سيكون ملفاناً كبيراً ورئيس اساقفة مشهوراً » (٢) .

٣ - دير القديسة مطرونا

مطرونا لفظة سريانية بحتة معناها « محروسة » . وبهذا الاسم عُرفت احدى القديسات التي اتفقت مع ابنتها تئودوطا على الانقطاع الى الله تعالى . واسستا للراهبات ديرَين : احدهما في حمص وثانيهما في بيروت . وانضم الى هذين الديرين عدد غفير من العذارى الصالحات مارسنَ اعمال النسك والتقشف من صوم وصلاة حتى اصبحن في عداد القدّيسات (٣) . ويقيم السريان تذكاراً للقديسة مطرونا في ٢٨ اذار(٤) .

٤ - دير الراهب الاسطوني (العمودي)

نهج فريق من النسّاك السريان نهج سمعان العمودي الشهير في زهده وسيرته . فنصبوا ضمن الاديار او في جوارها اعمدة نظير عموده قضوا عليها حياتهم القشفية . ومن هذا القبيل دير في بـيروت انضوى اليه راهب عمودي في القرن الخامس للميلاد . وقد دلّـنا ميخائيل الكبير على ذلك الراهب فأورد ما جرى له في بيروت مع بعض الزوّار القائلين بالطبيعة الواحدة(٥) .

---

(١) تاريخ يوحنا الافسوسي : جزء ٢ صفحة ٣٧٠

(٢) Patrologia Orientalis, 2,214

(٣) المشرق : مجلد ٢٣ سنة١٩٢٥ صفحة ٥٢٠ – ٥٢١

(٤) كلندار الربان صليبا في ٢٨ اذار

(٥) تاريخ ميخائيل الكبير : خبر ٦٢ صفحة ٢١٤

وغير خافٍ ان خبر الراهب العمودي المشار اليه قد ضمّنه البطريرك ميخائيل الكبير الى جملة الاخبار(١) التي ألمع فيها الى تشبث اصحابها بعقيدة الطبيعة الواحدة في اول نشأتها . وبلغ عدد تلك الاخبار السريانية اثنين وسبعين خبراً .

الفصل الخامس عشر

اديار السريان في طرابلس وعرقا وسلوقيا واللاذقية

١ - دير الفلسفة الحقيقية في طرابلس

ذكر زخريا البليغ السرياني انه لما سار الى طرابلس عام ٤٨٧ برفقة أصدقائه طلبة مدرسة الفقه في بيروت لاجل عماد زميلهم سويرا انطلقوا الى زيارة يوحنا الفيلسوف الكبير . وكان يوحنا هذا قد انقطع الى خدمة السيد المسيح منذ نعومة أظفاره . وظلّ مقيماً بجوار كنيسة مار لاونطي يثابر على الصلاة ومطالعة الكتب المقدسة . قال زخريا : « ابتنى يوحنا هذا الفيلسوف ديراً أطلق عليه اسم « دير الفلسفة الحقيقية » بجانب كنيسة لاونطي الشهيد . وكان يحضّ الكثيرين ويحرّضهم لكي يزهدوا في حطام الدنيا وينقطعوا الى عبادة الله سبحانه ويترهّبوا في ذلك الدير » (٢) .

٢ - دير البلمند بجوار طرابلس

يقع دير البلمند فوق رابية جميلة تُطلّ على البحر قريباً من طرابلس . وهذا

---

(١) تاريخ ميخائيل الكبير : من صفحة ٢٠٣ الى صفحة ٢١٥

(٢) Patrologia Orientalis, 2, 80

الدير انشأه في ٣٠ ايار ١١٥٧ رهبـــان مار برنردس وجعلوه تحت حماية سيدة «بل مونت» اي الجبل الجميل . وبتوالي الايام صار يُعرف بدير «البلمند» محرّفاً عن «بل مونت» اسمه الاصلي .

وعلى اثر عودة الصليبيين الى بلاد المغرب عام ١٢٨٦ وضع السريان يدهم على دير البلمند واستوطنه رهبانهم حتى السنة ١٦٠٣ للميلاد . ذلك برهان جليّ على ما كان للسريان من البسطة والنفوذ في تلك الناحية اللبنانية فضلاً عن وفرة عددهم ولا سيما في طرابلس حيث كان لهم اسقف يرعاهم (١) .

وخلف السريان في دير البلمند مكتبة عامرة استوفينا وصفها في مؤلفنا «خزائن الكتب العربية في الخافقين» (٢) . وكانت تشتمل على مخطوطات نفيسة غالية الثمن لعبت بها الايدي كما لعبت بمخطوطات صيدنايا (٣) وغيرها من المكتبات القديمة في دير طور سينا ودير مار سابا بجوار اورشليم (٤) .

ظلّ الرهبان السريان واضعين يدهم على دير البلمند مدة اربت على ثلاثة قرون (١٢٩١ - ١٦٠٣) . ثم استولى عليه الرهبان الملكيون في اوائل القرن الثامن عشر (٥) . ودخل بعد ذلك في حوزة رهبان الروم الارثذكس نحو السنة ١٧٢٥ وما برح في يدهم الى هذا اليوم . قال صاحب مجلة «المنار» (٦) : «البلمند من اعظم اديرة الشرق فخراً واضخمها بناء واظرفها موقعاً وابعدها شهرة» .

٣ - دير كفتون

انشأ السريان هذا الدير بجوار طرابلس وهو من اديارهم القديمة العهد (٧).

---

(١) تسريح الابصار : جزء ١ صفحة ١٥٥ (٢) خزائن الكتب العربية في الخافقين : باب ٥ فصل ١ صفحة ٤٤٧ (٣) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها : لحبيب زيات : صفحة ١١٧ (٤) المشرق : مجلد ٥ سنة ١٩٠٢ صفحة ١١٣ - ١١٤ (٥) مقال الاب اثناسيوس حاج (المشرق : مجلد ٢٨ سنة ١٩٣٠ صفحة ٧٤٤) . (٦) مجلة المنار الارثوذكسية في بيروت : ٢٩ كانون الاول ١٩٠١ (٧) تاريخ الكنيسة السريانية : صفحة ٢٣٠ من مخطوطة المؤلف .

وانتقل دير كفتون بعد ذلك الى الطائفة المارونية كما دلّت عليه مخطوطة الفاتيكان(١) . ثم استولى عليه الروم الارثذكس في القرون الاخيرة وحوّلوه الى مدرسة تابعة لكرسي مطرانيتهم بطرابلس تُعرف الآن بمدرسة كفتين . وقد زرناها نحن عام ١٨٩٠ مع صديقينا اسعد باسيلي باشا وانطون بك شحيبر .

٤ - دير البنات

يُعَدّ هذا الدير من اديار السريان القديمة أسّسوه فوق رابية تُشرف على مدينة طرابلس (٢) وخصّصوه براهبات ناسكات . وكان مطران طرابلس السرياني يتعهدهن ويقوم بحاجاتهنّ الروحية والزمنية .

٥ - دير مار لعازر في عرقا

كان دير لعازر في عرقا من اشهر اديار السريان تأسس قبل القرن العاشر للميلاد . يؤيّد ذلك ان يوحنا الحادي عشر بطريرك السريان (١٠٤٢ – ١٠٥٧) وضع اليد على ابونيس اسقف الحدث الذي تمرّن في دير مار لعازر بعرقا على العيشة الرهبانية والدروس الكهنوتية . ثم ان البطريرك يوحنا الثاني عشر (١٠٦٣ – ١٠٧٣) رقّى الى اسقفية لقبين المجاورة لملطية الراهب باسيل تلميذ دير مار لعازر المشار اليه .

ومن نوابغ رهبان هذا الدير: اغناطيوس الاول اسقف عرقا في القرن الحادي عشر . ثم اغناطيوس الثاني خليفته في القرن الثاني عشر . وكلا الاسقفين مارسا الاعمال الرهبانية وتلقنا العلوم الكهنوتية في دير مار لعازر عينه (٣) .

---

(١) مخطوطة المكتبة الواتيكانية : رقم ١١٨ وراجع هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٨ رقم ١٠

(٢) تاريخ الكنيسة السريانية : قسم ١٤ فصل ٣ صفحة ٢٣٠ من مخطوطة المؤلف .

(٣) ملحق تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٧٥٢ – ٧٦٨

٦ - دير تالا في سلوقيا

تشيّد دير تالا في سلوقيا على اسم مار توما الرسول وانضوى اليه الرهبان من جميع الاطراف . وفي عهد رئيسهم يوحنا بَرْ افتونيا (+ ٥٣٨ م) حدث نزاع ديني شديد بينهم وبين الملكيين اتباع المجمع الخلقيدوني . فتغلب الملكيون واضطر الرهبان السريان ان يرتحلوا عن ديرهم في تالا وينتقلوا الى مدينة قنّسرين بجوار حلب. وهناك أسّسوا ديراً بلغ رهبانه في القرون الوسطى شأواً بعيداً في العلوم العقلية. فقام منهم جهابذة اعلام درسوا او درّسوا في معهده الطائر الصيت (١) . وفي جملتهم بطاركة ومطارنة وكتّاب ومؤرخون نذكر منهم : سويرا سا بُخْتْ الذي نقل الارقام الهندية الى العرب في اواسط القرن السابع للميلاد (٢) .

ومن اساطين العلم الذين تثقفوا في مدرسة دير قنّسرين نذكر: توما الحرقلي صاحب ترجمة « العهد الجديد » المعروفة باسمه . ويعقوب الرهاوي (+ ٧٠٨ م) المشهور بتآليفه وترجماته . ومنهم البطاركة : اثناسيوس الجمّال (٥٩٥ - ٦٣١م) واثناسيوس البلدي (٦٨٤ - ٦٨٨) تلميذ سويرا سابخت المشار اليه وصاحب التصانيف المهمة . ويوليان الثالث (٦٨٨ - ٧٠٩) . وجورجي الاول (٧٥٨ - ٧٩٠) وديونيسيوس الاول التلمحري (٨١٨ - ٨٤٥) الخ الخ .

وحوت المكتبة الواتيكانية مخطوطاً سطرنجيلياً نُقل اليها من مكتبة دير والدة الله بوادي النطرون في مصر . وهو يتضمّن رسائل سويرا البطريرك ويوليان وغيرها من الرسائل الجدلية . وجاء في ذلك المخطوط الثمين ما تعريبه : « نُسخ هذا الكتاب عام ٨٣٩ لليونان (٥٢٨ م) في الرها في عهد مار يوحنا بَرْ افتونيا رئيس دير مار توما الرسول بسلوقيا »(٣) .

---

(١) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٢٦٦ (٢) المشرق : مجلد ١٤ سنة ١٩١١ صفحة ٢٣٩
(٣) مخطوطة المكتبة الواتيكانية : رقم ١٤٠

٧ - دير مار طاجون في سلوقيا

جاء ذكر دير طاجون السرياني في الخبر الثالث والعشرين الذي أورده ميخائيل الكبير نقلاً عن يوحنا تلميذ الاسقف فطرا (بطرس) الكرجي . واشتملت تلك الاخبار على تزييف مقالتَي نسطور واوطاخي ولاسيا على مناهضة عقيدة المجمع الخلقيدوني . فصرّح في الخبر المذكور ان اسطفان رئيس دير طاجون قاوم باسيل اسقف سلوقيا الذي كان يعتقد بالطبيعتَين . واستمرّ الرئيس اسطفان ورهبان ديره متشبثين بالقول بالطبيعة الواحدة(١) :

٨ - دير بوزي في سلوقيا

عُدّ دير مار بوزي من اديار السريان القديمة في سلوقيا اللبنانية . وعُرف رهبانه بثقافتهم ومناصرتهم ليعقوب البرادعي (+ ٥٧٨ م) المطران المسكوني . فزارهم هذا المطران في ديرهم ورقّى رئيسهم يوحنا الى الدرجة الاسقفية .

قال يوحنا اسقف اسيا السرياني ما تعريبه : « نصب يعقوب البرادعي بطريركَين لانطاكية هما سرجيس وفولا . ووضع اليد على تسعة وثمانين اسقفاً لكراسي سوريا واسيا اعني لسوريا ولبنان وما بين النهرين واسيا الصغرى . ونصب في جملتهم يوحنا من دير مار بوزي لابرشية سلوقيا . وقد امتلأت تلك الانحاء من القسّان والشامسة والاساقفة الذين رقّاهم يعقوب البرادعي الى الدرجات المذكورة »(٢) .

---

(١) تاريخ ميخائيل الكبير : خبر ٢٣ صفحة ٢٠٧

(٢) تاريخ يوحنا اسقف اسيا : صفحة ٣٧٠ - ٣٧١ و٣٧٦

٩ - دير القاروص في اللاذقية

أسّس السريان هذا الدير الكبير بجانب اللاذقية وكان عامراً باوقافه زاهراً برهبانه العلماء في القرون الوسطى . وقد اثبت الرّحالة العربي ابن بطوطة ان دير القاروص كان اعظم دير في بلاد الشام(١) .

الفصل السادس عشر

اديار السريان القديمة في الجبل اللبناني

١ - دير ربولا السميساطي في وسط الجبل

كانت سميساط او شميشاط عاصمة الدولة الكماجينية الآرامية(٢) حتى ايام زينون ملك الروم (٤٧٤ - ٤٩١) . استنار اهلها بالايمان المسيحي منذ اوائل النصرانية فاصبحت كرسياً مطرانياً تسلسل فيه مطارنة السريان واحداً بعد الآخر وعدّدهم ميخائيل الكبير في لائحة الاساقفة التي ألحقها بتاريخه المشهور . وقد وضع اليد هذا البطريرك على ايونّيس ثئودور مطران سميساط وهو السابع بين اساقفته .

ومن مدينة سميساط قدم الى جبل لبنان في القرن الخامس راهب اسمه ربولا وانشأ في وسط الجبل ديراً كبيراً ساعده في بنيانه زينون ملك الروم ويوحنا اسقف بيروت . وعاش ربولا منشىء هذا الدير مع رهبانه بين اللبنانيين المتسكّعين في دياجير الوثنية فاجتذبوا معظمهم الى الدين المسيحي(٣) . ويحسب دير ربولا

---

(١) رحلة ابن بطوطة ١ : ٤٧ (٢) المشرق : مجلد ٦ سنة ١٩٠٣ صفحة ٢٤٢ - ٢٤٤

(٣) اعمال القديسين : للبولنديين : ١٥ شباط صفحة ١٢٦

من اقدم الاديار التي انشأها السريان لرهبانهم في الجبل اللبناني ففاح من ارجائه عبير الفضيلة والعلم .

٢ - دير لاونطي في الحدث

يرتقي عهد دير الحدث الى اواخر القرن الخامس الميلاد وجرى انشاؤه في قرية الحدث اي « حدث الجبة » بعد دير ربولا السميساطي السابق الذكر . فكان دعامة متينة في تقويض اركان الوثنية وتوطيد البشارة الانجيلية .

اما مؤسس دير الحدث فهو الراهب لاونطي الحدثي على ما جاء في مخطوطة المتحف البريطاني السريانية وهذا تعريبه : « انا يعقوب الراهب الآمدي كتبت هذا الكتاب ... اذكروا مار ملكا ليتحنن عليه المسيح مخلصنا في يوم الدين آمين ويمنحه المسيح حصة مع القديسين الذين ارضوه . اذكروا لاونطي المولود في حدث لبنان لانه هو كان الداعي الى نساخة هذا الكتاب وقد نسخته بين يديه . اذكروا مار حلفي الزاهد العائش في لبنان . ولتكن صلاته سوراً في يوم الدين للكاتب آمين نعم آمين »(١) .

يتحصل من قوله « بين يديه » ان يعقوب الراهب الآمدي كتب هذا المخطوط في دير الراهب لاونطي الحدثي . ولا ريب في ان يعقوب المذكور انضم الى رهبان دير الحدث الذي نحن بصدده . اما لاونطي فكان من اوفر النساك فضيلة وعلماً في عصره . ونرجح انه هو الذي انشأ له المؤرخ العلامة يوحنا الآمدي اسقف اسيا ترجمة عنوانها « سيرة الطوباوي لاونطي الفاضل ولي الله » ضمنها ما تفرد به من المناقب السامية(٢) .

---

(١) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني : رقم ١٤،٥٤٢ (٢) اخبار يوحنا اسقف اسيا : خبر ٣٩ صفحة : ٦٤ - راجع ايضا هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٧ رقم ١

٣ - دير مار ادنا في العاقورا

هو دير عريق في القدم اسّسه السريان في عين قورا (العاقورا) تيمناً باسم مار إدنا شفيع المصابين بوجع الآذان . وطالعنا في تاريخ العاقورا : ان الخوري يوسف الدحداح (+ ١٦٧٧) نقل عن الاسقف تادرس في حاشيته ان هذا الدير ُبني سنة ٨٢٠ يونانية اي سنة ٥٠٩ ميلادية . واتخذه بعض اساقفة العاقورا المارونيين كرسياً لاقامتهم(١) .

يتضح من تاريخ سنة بناء هـذا الدير القديم ان السريان هم الذين شيّدوه وسكنوه لانه لم يكن نصارى غيرهم حين ذاك في جبل لبنان . وقد صرّحنا مراراً بذلك مستندين في تصريحنا الى ثقات المؤرخين لبنانيين وغير لبنانيين .

الفصل السابع عشر

اديار السريان في اهدن وفي بشرى

١ - دير مار ماما في اهدن

شاع ذكر مار ماما الشهيد (+ ٢٧٤ م) وذاع في بلاد المشرق منذ اقدم العصور المسيحية . وشيّد السريان على اسمه عدة اديار وكنائس نذكر منها ديراً فسيحاً بناه رهبانهم في آمد (ديار بكر) منذ القرن الخامس . وبسبب تشبّث اولئك الرهبان بعقيدة الطبيعة الواحدة اضطروا ان يتفرّقوا في شتى البلاد(٢) .

---

(١) تاريخ العاقورا : للخوري لويس الهاشم : صفحة ١٧٢

(٢) اخبار يوحنا اسقف اسيا : خبر ٣٦ صفحة ٦٠٨

ولعلّ فريقاً منهم قدموا الى لبنان وسموا فيه على اسم شفيعهم مار ماما كنائس واديارا اقدمها دير مار ماما في اهدن .

قال الاستاذ سمعان خازن ما نصّه : « وهذا الدير التاريخي هو اول معبد بناه الاهدنيون في بلدتهم بعد ان اعتنقوا الدين المسيحي . ويقال انه اول معبد بُني في الجبة . ويعود بناه الى عهد السريان الذين كانوا ساكنين اهدن بعد اعتناق اهاليها الدين المسيحي »(١) .

وخلّف الرهبان السريان في دير مار ماما كتابات سطرنجيلية ويونانية نقشوها على بعض جدرانه لم يزل بعضها قائماً الى جانب المذبح حتى اليوم . وروى الاب هنري لامنس (٢) ان الرحّالة ارنست رنان الفرنسي ذكر كتابة سريانية بحرف سطرنجيلي وجدها في اهدن وهذا تعريب ما بقي منها: باسم الله محيي الموتى.. رقد ومات مرقس ... »

ومن الاديار المشيّدة على اسم مار ماما ديرٌ بناه السريان في اللاذقية وديران في ضواحي سلوقيا . ومنها دير كبير ذكره ميخائيل الكبير . وفيه تثقّف ديوسقورس مطران حمص وهو الثامن والثلاثون في عداد الاساقفة الذين وضع اليد عليهم البطريرك اثناسيوس الخامس (٩٨٧ – ١٠٠٣) (٣) .

وأدمج السريان اسم مار ماما في اقدم كلنداراتهم التي جمعها الربّان صليبا في كلندار مستوفى نشره سنة ١٩٠٨ الاب بترس البولندي (٤) وعلّق عليه . وهم يكرّمون هذا الشهيد في ٣ ايار من كل سنة . وتولى الاب بولس بيجان نشر اخبار مار ماما نقلاً عن مخطوط لندن وعن اعمال القديسين للبولنديين (٥) .

---

(١) تاريخ اهدن : جزء ٢ صفحة ٢٥٥ (٢) المشرق مجلد ٤ سنة ١٩٠١ صفحة ٩٠٦
(٣) لائحة الاساقفة الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير (٤) BHO, P., 174-195
(٥) اخبار الشهداء والقديسين : مجلد ٦ صفحة ٣١ ؛ ومخطوطة المتحف البريطاني السريانية : رقم ١٧٤ ، ١٢

٢ ـ دير مار سركيس في اهدن

سمّاه الاقدمون « دير مار سركيس راس النهر » لانه قريب من نبع مـار سركيس بأهدن وتمييزاً له عن سائر الاديار المؤسّسة على اسم هذا الشهيد المجيد . وقد تمّ استشهاده في الرصافة على شاطىء الفرات . وابتنى السريان هناك كنيسة عظيمة تيمّناً باسمه (١) . وأجمعت التقاليد المكانية على ان دير مار سركيس في اهدن هو من أقدم الاديار اللبنانية .

قال الاستاذ سمعان خازن : « ينبئنا التاريخ بان هذا الدير هو قديم جداً ومن تلك الاديرة القليلة التي اول ما بنـاها المسيحيون في لبنـان الشمالي . واذا كانت الآثار الخطية تقول بان دير مار ماما اهدن ودير مـار جرجس القديم هما اقدم منه عهداً فلا نظن انهما اقدم منه بكثير » (٢) .

نستنتج من تصريح الاستاذ المدقق المشار اليه ان دير مـار سركيس اهدن الذي شيّد زماناً قليلاً بعد دير مار مامـا ودير مار جرجس لم يشيّده الا مسيحيو اهدن الاقدمون وهم السريان لا غيرهم (٣) .

٣ ـ دير مار يعقوب في اهدن

في ناحية اهدن الشرقية الجنوبية دير على اسم مار يعقوب المقطّع احد مشاهير السريان الذي تكلل باكليل الشهادة سنة ٤٢١ على يد بهرام ملك الفرس . شيّده الرهبـان فوق صخر يدلّ ظاهره عـلى قدامة عهده . وابتنوا فيه كنيسة ذات هندسة شرقية طولها زهاء اربعة عشر ذراعاً في عرض سبعة اذرع في ارتفاع تسعة

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ١٢ فصل ٢ (٢) تاريخ اهدن : جزء ٢ صفحة ٢٤٩ - ٢٥٠ (٣) تاريخ اهدن : جزء ٢ صفحة ١٢ و ٢٥٥

اذرع. وثخانة جدرانها تناهز ذراعين . وفي شرقي الكنيسة ثلاثة مذابح وبالقرب منها جرن المعمودية .

ظلّ دير مار يعقوب المقطّع في حوزة السريان حتى السنة ١٤٨٨ وفيها انتقل رهبانه الى ديرهم المؤسس في حدشيت على اسم مار كوركيس . وعلى اثر ارتحال اولئك الرهبان عن دير مار يعقوب استولى عليه الموارنة وترأسه الخوري يعقوب الدويهي . وسكنه بعد ذلك المطران جرجس عميرة الذي ارتقى الى السدة البطريركية (١٦٣٣ – ١٦٤٤) (١) . وفي هذا الدير سكن الحبيس الفرنسي فرنسوا دي شسطويل مدة ستة اعوام (٢) (١٦٣٢ – ١٦٣٨) . وسكنه كذلك الخوري اسطفان الدويهي (١٦٥٧ – ١٦٦٢) قبل ارتقائه الى الكرامة الاسقفية والرتبة البطريركية (٣) .

فهذه الاديار الثلاثة مار ماما ومار سركيس ومار يعقوب في اهدن انتقلت بتوالي الايام من السريان الى الموارنة .

٤ ـ دير مار ماما في بشري

كانت جبّة بشري معقلاً من معاقل السريان في جبل لبنان ولا سيما منذ القرن الثالث عشر حتى القرن السابع عشر . واشتهر مقدّموها وسكانها بتصلّبهم في عقيدة الطبيعة الواحدة وتشبثهم بتعاليمها المخالفة لتعليم المجمع الخلقيدوني . وللمطران جبرائيل ابن القلاعي اللحفدي ابيات مؤثرة في زجليته التاريخية اعرب فيها عن تفجّعه الشديد على بشري المنوفيزيتية قال :

« بشري خافي وارتعي   بشري ابكي وانتحبي
بشري توبي وانتصبي   ضد الخايب عن الايمان

. . .

(١) تاريخ الطائفة المارونية : للدويهي : صفحة ٨ . (٢) المشرق : مجلد ٢٠ سنة ١٩٢٢ صفحة ٦٥٢ (٣) المشرق : مجلد ٢١ سنة ١٩٢٣ صفحة ٢١٣

بشري بيوتك احترقت — بشري كتبك اختنقت
كانت محصنة تشتتت — لانها مملوة طغيان

...

ثمرة يعقوب حلت فيك — ويعقوب عاجز ليس يحميك
اطردي يعقوب(١) الساكن فيك — واقتبلي البركات من هذا الآن»

اما دير مار ماما في بشري فقد اتخذه السريان مسكناً لرهبانهم ردحاً من الزمان . وفيه اقام الاسقف موسى بن ايوب بن قمر العنحلي السرياني في القرن السادس عشر . ولم يكن الاسقف موسى الا سريانياً وسريانياً منوفيزيتياً لتحدّره من المقدّمين العناحلة المعروفين بغلوهم في معتقد الطبيعة الواحدة (٢) .

كل ذلك يجيز لنا القول ان السريان استولوا على دير ما ماما اقله في عهد المقدّمين الموما اليهم . وظل رهبانه يتصرفون فيه وفي ارزاقه حتى عفا اثرهم من بشري عاصمة المقدمين .

الفصل الثامن عشر

اديار السريان في حردين وحرشيت وبقوفا

١ - دير مار سرجيس القرن في حردين

كان مركز هذا الدير في قاسطرة حردين الحافلة بالسريان. شيّده رهبانهم في

---

(١) عنى ابن القلاعي بيعقوب جماعة السريان في بشري لانهم تابعون في المعتقد ليعقوب البرادعي مطران الرها

(٢) راجع هذا الكتاب : قسم ١٢ فصل ١٧

القرن الثاني عشر وبقي عامراً بهم مدة اجيال عديدة . واليه انقطـع البطريرك داود يوحنا (١٣٩٣ – ١٤٠٤) على اثر عزله عن الكرسي البطريركي وفيـه حلت وفاته .

قرأنا في مخطوطة دير الشرفة ما تعريبه : « انتهى هذا الكتاب سنة ١٨٠٤ لليونان (١٤٩٣م) في ١٩ آب . وهو خاصة ابينا القس ابرهيم الساكن في دير القديس مار سرجيس بجبل لبنان المقدس بارض حردين » (١)

ويُقرأ في مخطوطة فلورنسا السريانيـة ان برصومـا وسليمان وفيلبس اولاد اقليميس رئيس الكهنة وقفوها على دير مار سرجيس المذكور (٢) . وجـاء في مخطوطة اوكسفرد ان ناسخها هو فيلكسين وانها هي برسم دير القديس ما سرجيس بجبل حردين (٣) .

فورود اسماء ايمة المنوفيزيتيين في مخطوطة دير الشرفة وورود اسم برصومـا في مخطوطة فلورنسا واسم فيلكسين في مخطوطة اوكسفرد اكبر برهان على ان دير ما سرجيس القرن في حردين كان ديراً سريانياً وانتقل بعد ذلك الى يـد الطائفة المارونية .

٢ ـ دير مار فوقا في حردين

ورد ذكر هذا الدير في مخطوطة سريانية نفيسة تخص دير الشرفة . واليك تعريب ما يُقرأ فيها : « انتهى هذا كتاب القداس سنة ١٨١١ يونانية (١٥٠٠ م) في دير مار فوقا بقرية حردين في جبل لبنان. كتبه القس ابرهيم » (٤) الذي عاش

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٢ رقم ٦
(٢) فهرس المكتبة الماديشية : رقم ٢
(٣) راجع هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٩ رقم ٤
(٤) راجع هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٢ رقم ٥

في ايام البطريرك نوح البقوفاوي . واتخـذ السريان مار فوقا شفيعاً للمسافرين في البحار (١) .

٣ ـ دير مار يوحنا في حردين

هو ثالث دير عرفناه للسريان في قاسطرة حردين . يُثبت ذلك مخطوط محفوظ في مكتبة باريس الاهلية ورد فيه : نسخ هذا الكتاب ابرهيم في حردين سنة ١٨١٦ لليونان (١٥٠٥ م) في عهد البطريرك نوح واسقف حردين فيلكسين . وقد نسخه لبطرس الراهب في دير مار يوحنا بحردين (٢) .

ولعل دير مار يوحنا المشار اليه هو نفس دير مـار يوحنا (الشقف) بحردين . وقد ورد ذكره بهذا الاسم في سجل اوقاف دير مار موسى الحبشي في النبك . ويؤخذ من هذا السجل ان بعض المحسنين من اهالي حردين حبسوا عقارات عـلى دير مار موسى الحبشي في البنك كانت مجاورة لدير مار يوحنا الشقف (٣) .

٤ ـ دير مار جرجس في حدشيت

أثبت البطريرك اسطفان الدويهي اسم هـذا الدير في اخبار السنة ١٤٨٨ عند كلامه عن القس يعقوب السرياني احد الرهبان المنضوين الى قـانون مـار موسى الحبشي قال ما نصه : «كان القس يعقوب في الاعتقاد يعقوبي طردوه اهل اهدن وطردوا لرفقائه . فمضى الى دير مار جرجس حدشيت الذي بوادي قنّوبين . وتكنى ايضاً ذلك الدير بالاحباش . وبعد زمان طرده اهل حدشيت فارتحل الى البرّية » (٤).

---

(١) كلندار الربان صليبا : في ١٠ حزيران (٢) راجع هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٦ رقم ١١ (٣) مجلة الآثار الشرقية في بيروت : مجلد ٢ سنة ١٩٢٧ صفحة ٣٥١

(٤) تاريخ الازمنة : للدويهي : مخطوطة مكتبتنا : اخبار السنة ١٤٨٨

فقول البطريرك الدويهي « انّ القس يعقوب مضى الى دير مـار جرجس حدشيت » لا يدع مجالا للارتياب في ان ذلك الدير لم يكن الا ديراً سريانياً. وقول البطريرك « فارتحل الى البريّة » اراد بذلك دير مار موسى الحبشي الذي يُشرف على بريّة تدمر الفسيحة الارجاء.

٥ - دير الكرم في حدشيت

تأسس هذا الدير على اسم والدة الله ومار سمعان ونرجّح ان مركزه كان في قرية حدشيت . يؤيد ترجيحنا مخطوط باريس المنسوخ في القرن السادس عشر وفيه ان ناسخه حنا بن حسن المعروف بابن الصوفي من قرية حدشيت اعطاه لدير الكرم المكرّس لمار سمعان ولوالدة الله (١) . وهذا المخطوط لا يخصّ الا السريان لانـه اشتمل على نوافير ايمتهم كيوحنا ابن المعدني ويوسف بن وُهَيب البطريركين وغيرهما .

٦ - دير الغوبة في بقوفا

دير الغوبة او الجوبة كان مركزه في قرية بقوفا الغاصّة بالسريان المنوفيزيتيين ولا سيما القاطنين في حارتها السفلى . وهذا الدير اختاره المفريان نوح البقوفاوي في اواخر القرن الخامس عشر وجعله كرسيا له خلال اقامته في لبنان . لانه كان من اهم اديار السريان واعظمها واغناها . ثم ان اهالي اهدن حسبوا لشأن هـذا الدير الف حساب فثاروا على السريان في بقوفا وقوّضوا ابنيتهم وطردوا رهبانهم ودكوا هذا الدير واخربوه .

قال الدويهي : « واهل قرية بقوفا القاطنون في الجارة السفلى مالوا ... الى

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٦ رقم ٨

اليعقوبية لسبب تعاليم ديوسقورس بن ضوّ . فوثب عليهم اهـالي اهدن ودكّوا منازلهم مع دير الغوبة كرسي مفريانهم الى الارض واوجبوا الحرم عـلى كل من يرجع فيبنيها » (١) . ولا يزال اسم دير الجوبة يُطلق الى يومنا هذا على بقعة مـن بقع بقوفا القديمة (٢) .

الفصل التاسع عشر

سائر اديار السريان في لبنان

١ – دير سيدة القطين

هو دير صغير منقور في الصخر كان في عداد الكهوف والمغاور التي اتخذهـا اللبنانيون الاقدمون مساكن لهم . وبعد انتشار النصرانية في لبنان على يـد السريان لجأ قوم من نسّاكهم الى تلك الكهوف والمغاور لينقطعوا فيها الى العبادة . ونرّجح ان دير سيدة القطين كان من جملة تلك الكهوف . وقطين لفظ سرياني معناه « الضّيق ».

يشتمل دير قطين على طبقات متعددة ملتصقة كلها في الجبل . وله سورٌ حصين فيه منافذ ضّيقة كان النساك القدماء يرصدون منها حركات العـدو فيطردونه اذا فاجأهم . اما موقع هذا الدير فهو في وادٍ مقفر قريب من قرية « صفار » ويُعرف عند الموارنة اوليائه في ايامنا بدير سيدة البزاز » (٣) .

---

(١) رد التهم : للدويهي : فصل ١٦ صفحة ٤٤٠ – ٤٤١ (٢) تاريخ اهدن : جزء ٢ صفحة ٢٤ (٣) تسريح الابصار : جزء ١ صفحة ٩١ – ٩٢

٢ - دير الفراديس في وادي قديشا

كثيراً ما تكرّر ذكر هذا الدير الذي ابتناه الرهبان السريان في وادي قديشا بارض بان على اسم مار انطونيوس ابي الرهبان. وقرأنا اخبار رهبانه في التوارخ المارونية الواردة في السنة ١٢٤٢ ميلادية . واشتهر امر هـذا الدير شهرة واسعة حملت ابن القلاعي على ان يخصصه بالذكر في زجليته التاريخية . فصرّح انه اصبح مدعاةً الى عمارة ذلك الوادي المقدس وازدهاره بالرهبان السريان الذين بلغ عددهم الاربعين قال :

« في ذا السبب تعمّر الوادي وعملوا صلح مع الاعادي
وطلبوا السكنى والزادي أخذوا الفراديس في ارض بان

. . .

صار عددهم اربعين رجال والبلاد معهم في اطمئنان »

بناء عليه نقول ان هؤلاء الرهبان الاربعين الذين نسكوا في دير الفراديس عاشوا مع الموارنة جيرانهم بالمحبة والوفاق والاطمئنان . وقد ابقت لنا يد الزمان مخطوطاً سريانياً نسخه احد الحبساء السريانيين في مغارة دير الفراديس سبق لنا وصفه (١) .

٣ - دير مار ديمط في بشعلي

بشعلي قرية لبنانية قديمة العهد غير بعيدة عن قلعة الحصن واسمها سرياني بحت معناه « راحة الكف » . وكنائسها العديدة مبنية على اسماء قديسين سريانيين لم يكونوا من لبنان ولا عاشوا فيه ولا في ضواحيه . بل اشتهر امرهم في بلاد

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٣ رقم ٢٢

ما بين النهرين كمار ديمط ومار ماما في آمد (دياربكر) ومار توما ومار ريشا في الرها ومار سابا في طور عبدين ومار سرجيس في الرصافة على شاطىء الفرات الخ. فوجود ذلك العدد الوافر من الكنائس على اسم اولئك القديسين في بشعلي هو اعظم دليل على انها كانت بلدة كبيرة حافلة بشعب سرياني غفير .

اما دير مار ديمط في بشعلي فقد شاده رهبان سريان يعاقبة وسكنوه في القرن الثامن للميلاد(١) . وعلى احد اعمدة بيعة هذا الدير كتابة يونانية لم تزل بارزة حتى الآن . ولعلّ هذه الكتابة ترتقي الى عهد يسطنيان وزوجته ثئودورا السريانيّة او الى ما يقرب من العهد المذكور .

٤ ـ دير مار كوركيس في كور

كور بلدة في قضاء البترون عُرفت فيها النصرانية منذ الاجيال الخالية . وقد حوت جملة اديار وكنائس نُقشت ارضها بالفسيفساء على طراز الكنائس التي ابتناها الملك يسطنيان وزوجته ثئودورا في القرن السادس . ذلك يسوّغ لنا ان نضم دير مار كوركيس في كور الى جملة الاديار السريانية القديمة في لبنان والمنسوبة الى ذينك العاهلَين او الراقية الى عهد قريب من عهدهما .

٥ ـ دير عينطورين في ارض بان

تأسّس هذا الدير تيمناً باسم السيدة والدة الله . وذكره البطريرك اسطفان الدويهي بقوله : « وعندما شاع خبر المقدّم عبد المنعم قدم اليه موسى بن عطشة بجملة رهبان واخذ البعض منهم يسكنون في الفراديس في ارض بان والبعض في ارض عين طورين »(٢) .

---

(١) لبنان : لمحات في تاريخه وآثاره واسره : صفحة ١٣٧ (٢) رد التهم : للدويهي : فصل ١٤ صفحة ٤١٥ .

فاراد البطريرك بقوله « الفراديس » دير مـار انطونيوس المذكور آنفاً . وعنى بقوله « ارض عين طورين » دير السيدة في عينطورين . لان الرهبان لا يجمعهم الا دير ينقطعون فيه الى العبادة والعمل . وهذان الديران كلاهما من جملة الاديار العديدة التي شيّدها السريان في قلب الجبـل اللبناني وسكنها رهبانهم في سالف الزمان .

٦ - دير حوقا

حوقا لفظ سرياني معناه « سطر » يُعرَف به دير عظيم قائم على اسم والدة الله في وادي قديشا . وهو منقور في صخر يدلّ ظاهره على انه كان منسكاً للعبّاد والزّهاد في القرون الخوالي . وقد ورد اسم هذا الدير في الصحف السريانية نذكر منها مخطوطاً حوى نوافير بعض الائمّة انصار الطبيعـة الواحدة كنافور ماروثا مطران تكريت وغيره . وهذا المخطوط كتبه باخوس ابن القس حنا من قرية بان سنة ١٨٢٠ يونانية (١٥٠٩ م) لدير حوقا(١) .

ذلك يدعونا الى الترجيح ان دير حوقا سكنه رهبان سريانيون حقبـة من الزمان . ثم انتقل هذا الدير الى الرهبان الموارنة .

٧ - دير بعلبك

اورد ميخائيل الكبير في ملحق تاريخه اسم دير بعلبـك عندما سرد لائحة الاساقفة الذين نصبهم البطريرك ديونيسيوس الرابع (١٠٣٢ - ١٠٤٢) قال : « ايونّيس احد رهبان دير السريان في بعلبك نـَصبه البطريرك ديونيسيوس اسقفاً لتلك المدينة » . ولسنا نعرف اكثر من ذلك عن هذا الدير الذي نجهـل اسمه واخبار رؤسائه ورهبانه وما آل اليه امره بعد الحقبة المذكورة .

---

(١) مكتبة باريس الاهلية : رقم ٧٣ - وراجع هذا الكتاب : قسم ٥ فصل ٦ رقم ٦

٨ – دير مار موسى الحبشي في المتن

يُعرف هذا الدير في يومنا بدير مار « موسى الدوّار » ويقطنه فريق من الرهبان الموارنة . ويرتأي بعضهم انه من جملة الأديار التي اسسها الرهبان السريان في غابر الازمنة . قال الخوري بولس قرألي : « وكان في لبنان عهد تغلغل اليعاقبة فيه بضعة ديورة للرهبان الاحباش ما زال اغلبها حافظاً لاسمهم كدير مار يعقوب الاحباش في اهدن شرقيها . وقد يكون لانشاء دير مار موسى الحبشي في المتن علاقة بهم » (١) . اما نحن فلا نجزم ان للسريان علاقة بانشاء هذا الدير لانه ليس لدينا ما نستند اليه اثباتاً لذلك . ولا حاجة الى تكرار القول ان اولئك الرهبان السريان لم يكونوا في الأصل احباشاً بل كانوا منتمين في قانونهم الى دير مار موسى الحبشي المجاور للنبك كما سلف الكلام (٢) .

الفصل العشرون

سائر اديار السريان في السواحل الفونيقية اللبنانية

١ – بعض اديار السريان في لبنان الجنوبي

تعزيزاً لبحثنا عن اديار السريان في لبنان رأينا ان نسرد في هذا الفصل ما اتصّل بنا من اسماء الاديار السريانية التي شيّدها الرهبان في اطراف لبنان . ففي لبنان الجنوبي مثلاً عرفنا اديارأ كثيرة اندثرت بتوالي الاجيال وظلّت

---

(١) المجلة البطريركية السورية : مجلد ٥ سنة ١٩٣٠ صفحة ٦٠٧ (٢) راجع هذا الكتاب : قسم ٦ فصل ٢١

اسماؤها تُطلق على قرى خاصة بها او مجاورة لها . فاكتفينا بذكر بعض الاديار الحاملة اسماء سريانية بحتة وكانت تابعة في سياستها البيعية ابرشية صور وهي : دير كيفا ودير نطار ودير قانون ودير سريان ودير فانوس ودير عامص ودير النهر الخ .

بعض اديار السريان في لبنان الشمالي

اما في لبنان الشمالي فقد ابتنى السريان اديارًا جمّة في ابرشيات اللاذقية وسلوقيا وجبلة وطرطوس . وكانت تلك الابرشيات تنطوي على قرى ومزارع شتى مأهولة بالسريان[1] .

وضمّت تلك الابرشيات الاربع السريانية عددًا وافرًا من الاديار سردنا بعضها في الفصل الخامس عشر من هذا القسم . والآن نسرد اسماء سبعة وعشرين ديرًا غيرها اندثرت بكرور الزمان ولم يبقَ منها الا اسماؤها فقط[2] وهي :

اولا ـ اديار ابرشية اللاذقية

١ — دير البشل ٢ — دير توما ٣ — دير الجرد ٤ — دير حنا ٥ — دير ماما ٦ — دير مريم ٧ — ديروتان ٨ — ١٠ — ديرونة .

ثانياً ـ اديار ابرشية سلوقيا

١ — دير تالين ٢ — دير شميل (شموئيل) ٣ — دير الصليب ٤ — دير ماما ٥ — دير ماما ٦ — دير ديرون .

ثالثاً ـ اديار ابرشية جبلة

١ — دير ابرهيم ٢ — دير حنا ٣ — دير صوما ٤ — ديروتان ٥ — ديروتان ٦ — ديرونة ٧ — ديرونة .

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٦ فصل ١٢ (٢) تقويم البشير : سنة ١٩٤٣ صفحة ٦٥-٩٧

رابعاً ـ اديار طرطوس

١ — دير الحجر ٢ — دير حباش ٣ — دير مار جرجس ٤ — دير ديرونة .

هذه سبعة وعشرون ديراً من اديار صغرى وكبرى حوى كل منها في عهد مضى طائفة من الرهبان او الراهبات . ثم اخنى عليها الدهر بسبب الزلازل او الحروب او الاختلافات المذهبيّة وغير ذلك . واطلال تلك الاديار القديمة فضلاً عن اسمائها تفصح بكل وضوح عن اصلها السرياني ومعناها السرياني .

الفصل الحادي والعشرون

اديار الاحباش في لبنان

١ ـ رهبنة مار موسى الحبشي وديرها الرئاسي بجوار النبك

شاعت رهبنة مار موسى الحبشي وذاعت في الملّة السريانية منذ القرن السادس للميلاد(١) . وظلّت عائشة حتى مطلع القرن التاسع عشر . وكان مركزها الرئاسي دير هذا القديس المشيّد شرقي مدينة النبك . وهو دير قديم شاهق مبني بحجارة ضخمة يشبه قلعة منيعة فوق جبل عالٍ يقال له الجبل المدّخن » (٢) . ويحيط بهذا الدير مغاور أو مناسك للرهبان الحبساء .

واصبح هذا الدير قبلة للسريان الوافدين من بلاد ما بين النهرين والمتوجّهين الى حجّ الاراضي المقدّسة . فكانوا يحطّون رحالهم ذهاباً واياباً ويقضون فيه

(١) فهرس مخطوطات الشرفة : رقم ٩/٦ صفحة ٣٧١

(٢) طرائف الامس غرائب اليوم: بقلم يوسف خنشت : صفحة ٣ ـ ٤

بضعة ايام على الرحب والسعة . وكانوا يتبرّعون بالتقادم السخيّة على بيعته ورهبانه . يؤيّد ذلك خطوط جمّة نُقشت بالكرشونية والعربية على جدران الكنيسة لم تزل باقية حتى اليوم .

٢ ـ ذكر احبار تخرجوا في دير مار موسى او تولوا رئاسته

في هذا الدير تثقّف رهط من البطاركة والمفارنة والاساقفة والعلماء ونسّاخ الكتب يطول بنا الشرح لو تصدّينا لسرد اخبارهم . وحسْبنا ان نذكر منهم جورجي اسقف تدمر تلميذ هذا الدير في القرن العاشر . ويُقرأ اسمه في مخطوطة المتحف البريطاني المشتملة على « شرح يوحنا فم الذهب لانجيل متى » هكذا معرّباً عن السريانية : « اجتهد في وضع هذا المجلّد مار جورجي اسقف تدمر تلميذ دير مار موسى الواقع في جبل النبك بولاية دمشق سنة ١٢٤٣ للاسكندر (٩٣٢م) »(١)

وازداد رهبان هذا الدير العظيم بمرور الايام ازدياداً مطّرداً حتى اصبح كرسياً مطرانياً ثم صار في القرن السادس عشر كرسياً لاحد المفارنة وهو المفريان ميخائيل بن ابرهيم الذي جدّد بعض ابنيته . تؤيّد ذلك كتابة سريانية نُقشت على جدار الدير الى يسار الداخل اليه وهذا تعريبها : « جُدّد هذا البرج في زمان ... المفريان ميخائيل بن ابرهيم في شهر نيسان سنة ١٨٦٢ للاسكندر » (١٥٥١ م)(٢) .

ومن مشاهير مطارنة دير مار موسى المطران ديوسقورس الذي عاش في القرن الخامس عشر . ويُشاهد اسمه محفوراً على حجر في برج الدير باللغة السريانية وهذا تعريبه : « بسم الرب الضابط الكل ومدبّر الكل بُني وشيد هذا البرج في ايام ابينا مار ديوسقورس سنة ١٨٠٩ للاسكندر (١٤٩٨ م) .

---

(١) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني : رقم ١٤،٥٥٩

(٢) جثالقة المشرق ومفارنة السريان : عدد ٨٢ صفحة ٤٧

ومن تلامذة دير مارموسى الحبشي البطريرك يعقوب الاول (١٥١٠-١٥١٩م) المعروف بالمَزْوَق (١). ومنهم عبد النور الذي نُصب مطراناً على دير مار موسى بوضع يد البطريرك اغناطيوس شكرالله الثاني (١٧٢٢–١٧٤٥) (٢).

وممن سكن في دير مار موسى وجدد بعض ابنيته وانعش في رهبانه روح الزهد والعبادة كثير من الاساقفة الذين تولوا رعاية بعض الابرشيات السريانية في مختلف البلدان.

٣ ـ انشاء رهبان مار موسى الحبشي ادياراً في لبنان اطلق عليها بسببهم اسم « احباش »

انتشر رهبان مارموسى الحبشي في شتى الاطراف السورية وبلغوا جبل لبنان قبل القرن الثالث عشر. فأنشأوا فيه عدة اديار ومناسك اطلق عليها مؤرخو الموارنة ومَن نقلَ عنهم اسم « احباش » كدير مار يعقوب الاحباش في اهدن ودير مار جرجس الاحباش في حدشيت ودير الفراديس بارض بان ودير عين طورين وغيرها.

٤ ـ عطف المقدم عبد المنعم على الرهبان السريان

لمّا تولّى عبد المنعم مقدّمية بشري (١٤٧٠– ١٤٩٥) شمل رهبان مار موسى الحبشي او الرهبان الاحباش بعطفه وتبرّع عليهم باراضٍ يحرثونها ويستغلونها وينشئون فيها مواضع لسكناهم. هكذا رسخت اقدام اولئك الرهبان وتعزز شأنهم في الجبال والاودية اللبنانية.

---

(١) سياحة في طور عبدين: صفحة ١٧ (٢) فهرس مخطوطات الشرفة: رقم ١/٩ صفحة ١٨٤

٥ ـ ترهب شبان لبنانيين في دير مار موسى الحبشي بالنبك

انتقى احبار السريان ورؤساء اديارهم شبّاناً من ابناء ملّتهم اللبنانيين وبعثوهم الى دير مار موسى الحبشي المشار اليه. وهناك انخرطوا في سلك الرهبان ونذروا النذور وتدرّبوا في الرتب الكهنوتية. هكذا غلب لقب «الاحباش» على الرهبان الذين وفدوا الى لبنان من ذلك الدير الرئاسي او على الرهبان اللبنانيين الذين تثقفوا في الدير ذاته واتشحوا باسكيم مار موسى الحبشي.

٦ ـ تفنيد زعم القائلين ان رهبان السريان قدموا الى لبنان من بلاد الحبشة

توهّم اذاً مَن قال ان اولئك الرهبان قدموا من بلاد الحبشة ونشروا معتقدهم في الجبل اللبناني. واخطأ اكثر المؤرخين الذين كتبوا في هذا الموضوع لان واحدهم نقل عن الآخر تلك الرواية المغلوطة دون تثبّت ولا تدقيق.

اما الحقيقة الواضحة فهي ان اولئك الرهبان لم يكونوا في الاصل احباشاً قط ولم يأتوا بتّةً من بلاد الحبشة ولا عرفوها ولا شاهدوها ولا تثقفوا بلغة سكّانها. بل كانوا سرياناً في جنسهم ولغتهم وطقسهم ووطنهم وعقيدتهم وعاداتهم وتقاليدهم. ولنا على ذلك حجّتان قاطعتان لا تقبلان تأويلاً: الاولى تصريح العلّامة البطريرك الدويهي بان لغة اولئك الرهبان ولغة الموارنة واحدة (١). والثانية مجاهرة البطريرك عينه بان الموارنة لما طردوا الرهبان الاحباش المشار اليهم فرّ اولئك الرهبان مع رئيسهم القس يعقوب الى دير مارموسى في البرّية (٢). وهذا الدير ليس الا دير رهبنتهم الرئاسي المؤسّس على اسم ابيهم مار موسى الحبشي بجوار النبك والمُشرف على برّية الشام وتدمر كما سبق الكلام.

---

(١) رد التهم: للدويهي: فصل ١٤ صفحة ٤١٥ (٢) رد التهم: للدويهي: فصل ١٤ صفحة ٤١٧

الفصل الثاني والعشرون

اعظم الاديار السريانية في جوار لبنان

١ ـ دير مار بسوس وكان عدد رهبانه ستة الآف وثلاثمائة

اتحفنا المستشرق الفرنسي الاب شابو عام ١٨٩٣ بكتاب عن دير مار بسّوس(١) الذي كان مركزاً مهماً للسريان وحصناً قوياً لتعاليمهم . فوصفه وصفاً دقيقاً واتى على ذكر رهبانه الذين بلغ عددهم ايام عزّه ستة آلاف وثلاثمائة راهب(٢). ودلالة على شهرة هذا الدير وفخامته فقد التأم فيه سنة ٥٧٠ للميلاد مائة واربعة وعشرون رئيساً من رؤساء اديار السريان وقرّروا القول بالطبيعة الواحدة . وكان اجتماع اولئك الرؤساء في عهد القسّيس « ماري » رئيس دير القديس المغبوط مار بسّوس المشار اليه(٣) . فامضى مائة وستة من اولئك الرؤساء المتئمين تواقيعهم بالسريانية . وامضى الرؤساء الباقون وهم ثمانية عشر رئيساً تواقيعهم باليونانية(٤) . ولم يروِ التاريخ قبل اليوم خبر دير اعظم من دير مار بسّوس في امصار المشرق والمغرب .

وجرت لرهبان مار بسّوس صلاتٌ مع رهبان دير مار مارون الذائع الصيت . وكان كلا الديرَين واقعَين بين انطاكية وافاميا . وقد حدثت بين رهبانهما مناقشات دينية لا نرى حاجة الى وصفها . وتمّ ذلك خصوصاً في القرن السادس على عهد البطريرك بطرس القلّنيقي (٥٧١-٥٩١) صاحب التآليف المهمة .

---

(١) اخبار الشهداء والقديسين : طبع الاب بيجان : جزء ٤ صفحة ٥٠٣

(٢) J. B, Chabot : La Légende de mar Bassus et son couvent à Apamée, page 55 etc.

(٣) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني السريانية : رقم ١٢٥٤ (٤) القصارى : للمطران يوسف داود : صفحة ٣٩

٢ - دير كفربرتا بجوار آفاميا

هو دير عظيم وقديم معاً شـيّده الرهبان السريان على اسم مار اوسيب (يوسف) في « كفر برتا » بجوار آفاميا . جاء ذكره في مخطوطة لندن السطرنجيلية المنسوخة في القرن السادس . غير ان تأسيس دير مار اوسيب سابق لهذا التاريخ . واليك تعريب ما يُقرأ في آخر تلك المخطوطة : « انتهى هذا الكتاب عام ٨٤٦ للاسكندر (٥٣٥ م) في دير مار اوسيب المشـيّد في كفربرتا . في عهد رئيسه القـسّيس مار يوحنا ... والقـسّيس مار ابرهيم الكفرطابي وكيل ارزاقه ... نسخه يوحنا المولود في كورة انطاكية والقاطن في دير مار اوسيب الكبير بكفر برتا »(١) .

الفصل الثالث والعشرون

نظرة في ما اندثر من بيع السريان واديارهم وابرشياتهم في الانحاء اللبنانية

سردنا في مطاوي الفصول السابقة اخبار عشرات الكنائس وعشرات الاديار وسلاسل اساقفة الابرشيات التي شادها السريان في الانحاء اللبنانية وفاتنا منها ما فاتنا . ونحن على اعتقاد راسخ من ان اجدادنا انشأوا في هذا الجبل وفي ضواحيه قبل القرنَـين الثامن والتاسع وبعدهما كنائس واديارا غـير التي تقدّم ذكرها . ومنها ما ابتنوه على انقاض هياكل وثنـيّة لم تزل بقايا بعضها ظاهرة حتى اليوم . غير اننا اضربنا عن سردها برّمتها لوفرة عددها وحذراً من ملل القارىء .

---

(١) مخطوطة المتحف البريطاني السريانية : رقم ١٤،٥٣٠

والآن نجتزىء بذكر بعض القرى التي استقرّ فيها اجدادنا وفيها تناسلوا وعاشوا قبل اندماجهم في ملل اخرى غير ملّتهم السريانية . ومن ذلك يستدلّ القارىء على كثرتهم وبسطتهم ايّام سؤددهم . واليك اهمّ تلك القرى :

اولا : بشرّي . اهدن . حصرون . بقرقاشا . حدث الجبّة . فقاع كفرا . كفرياشيت .

ثانياً : لحفد . بقوفا . الغوبة . بان . حوقا . بشناتا . الفراديس . عينطورين . الضنّية . بلوزا . اردة . بسبعل . كفرحاتا . كفرحورا . كفرزينا . البلمند .

ثالثاً : حدتون . بشعلي . ادّة جبيل . ادّة البترون . سمار جبيل . آسيا . تنّورين . كفرشع . صفار . رام . بنهران . رشكيدا . كور . شامات . داعل . نيحا . البترون .

رابعاً : عاقورا . يانوح . المنيطرة . بيت قصاص . قرية موسى . حصرائيل . راس كيفا . جاج . اهمج . دير نبوح .

خامساً : معاد . هابيل . بجديدات . مسرح .

سادساً : شدرا . عين تقد . الرحبة . خربة الرمّان . شربيلا . حوشب . قرقف . قعبرين . كفرنون . كفرملكة . كويخات . مجدلا . مِشحا .

سابعاً : قرى عديدة في ضواحي سلوقيا واللاذقية وجبلة اكتفينا بذكر سبع وثلاثين قرية منها فقط (١) .

ثامناً : الشبانية . حاصبيا . كفرقوق . كوكبا .

تاسعاً : نيحا بعلبك . بشوات . الفيكة . الراس . شُعيبة . قرية العين . القُصَير .

اما المدن الفونيقية اللبنانية التي توطّنها السريان وجعلوا فيها مراكز لاساقفتهم بعد استقلالهم البيعي منذ القرن السادس فهي :

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٦ فصل ١٢

اللاذقية . عرقا . سلوقيا . بعلبك . كَنَيسي . طرابلس . عكا . يضاف اليها حردين . حدشيت . جبّة المنيطرة . الحدث . جونية . بيروت . راشيا .

تلك خمس عشرة ابرشية فونيقية لبنانية اتخذها السريان في الأجيال الخالية مراكز لاساقفتهم . وقد ساس اولئك الاساقفة ابناء ملّتهم فيها ونصبوا كهنة وشمامسةً للكنائس ورهباناً للاديار . فأربى عدد الكنائس والاديار على عددٍ اوفر واكثر من عدد المدن والقرى السابق ذكرها . ولعلّ هناك اماكن غير عدّدناها قد أهملنا تدوينها لجهلنا اسماءها . وفي ما ادرجناه منها مؤونة كافية للدلالة على انتشار السريان وكثرتهم ورسوخ قدمهم في جميع الانحاء اللبنانية .

مَن أمعن في تاريخ السريان البيعي بلبنان اخذته الدهشة من وفرة عددهم وعدد كراسيهم الاسقفية التى اتينا على سرد اخبارها وسلسلنا اساقفتها في هذا الكتاب . فمنها كراسي اتصلت بالسريان عن الكرسي الانطاكي كعرقا واللاذقية وسلوقيا وطرابلس وعكا وبعلبك . ومنها ما احدثوه هم ككراسي الحدث وكنيسي وجونية وحردين . ومنها ما أنشأوه في احوالٍ استثنائية ككرسي جبّة المنيطرة وكرسي حدشيت . وكرسي راشيا . ومنها ما جدّده او انشأه السريان الكاثوليك والسريان الارثوذكس ككرسي بيروت .

واختلفت حدود الابرشيات المشار اليها واعمارها ومكانتها باختلاف العصور وتعاقب الدول . زد على ذلك تبدّل احوال السريان بين رفعٍ وخفضٍ ويُسرٍ وعُسرٍ بسبب الحروب والعوامل السياسية والمنازعات الدينية وغيرها . فلم يبقَ من اغلب تلك الكراسي الآ اسماؤها وذكرياتها التاريخية .

وعلى كرور الزمان انحصرت سياسة تلك الكراسي عند السريان الكاثوليك في شخص البطريرك الانطاكي الذي يقيم في بيروت عاصمة الجمهورية اللبنانية . فسلطته البيعية تشمل بقايا تلك الابرشيات برمّتها . اما السريان الارثوذكس فلهم مطران شرعي كرسيّه في بيروت وهو يُشرف على ابناء ملّته في الاصقاع اللبنانية . ويخضع في الشؤون البيعية لبطريرك السريان الانطاكي المقيم الآن في حمص احدى حواضر الجمهوريّة السوريّة .

القسم السابع

اخبار السريان الكاثوليك في لبنان

الفصل الاول

حنين السريان الى لبنان وطن اجدادهم

كان لبنان ولم يزل صقعاً من اصقاع الامّة الآراميّة السريانيّة كما صرّحنا مراراً على صفحات هذا الكتاب. ففيه عاشت وتوطّدت اركانها. وفيه سادت لغتُها وَعلَت كلمتُها . وفي ارجائه شُيّدت معالم حضارتها . وبأرزه الخالد تغنّى بعض شعرائها . وفي معاقله المنيعة اقام ايمتّها ومقدّموها .

اذا تقصّينا اخبار السريان قديماً في لبنان رأيناهم منتشرين في مدنه ودساكره يتعاطون الحراثة والملاحة والصناعة والتجارة والطب . وألفيناهم ينشئون في انحائه المزارع والمعامل والمناسك والمقادس ومعاهد الثقافة . وشاهدناهم يحذون حذو الفونيقيين اجدادهم فيجوبون البحار ويقتحمون الاهوال والاخطار حتى يبلغوا اقاصي البلدان ويؤسّسوا فيها المتاجر والمصانع . ورأينا فريقاً منهم يطأ

ارض العالم الجديد (اميركا) قبل جميع الشرقيين على اختلاف الملل والنحل (١) . وعرفنا احدهم الدكتور لويس صابونجي يسابق جميع آل سام بن نوح فيطوف من سنة ١٨٧٠ الى ١٨٧٢ حول الكرة الارضيّة ويتفاخر بذلك منشداً(٢) :

وقد طفتُ حول الارض شرقاً ومغرباً   وصيتي جرى قبلي يردّد رحلتي
وما طاف قبلي من بني سام طائفٌ   ولا جال منهم في البسيطة جولتي

بعد تلك البسطة وذلك الاقبال كاد يأفلُ نجم هذه الامّة من لبنان وكاد يبيد بنيان عزّها ويتشتّت ابناؤها تحت كل كوكب . وظلّت على تلك الحال حتى قيّضت لها العناية الربّانية ايمّة اجلاء ايقظوها من سباتها ونفخوا فيها روح النهضة والتجدّد . وأعادوا الى ذهنها ذكرى الاسلاف وما خلّفوه في جبلهم هذا الاشمّ من طيب السمعة وحسن الاحدوثة . فهاج حنين اولادهم الى لبنان العزيز الذي ضمّ تُرَب آبائهم ورقدت في جوفهِ عظام أَجدادهم . هكذا شرعوا يعودون اليه منذ القرن السابع عشر افراداً وازواجاً ليجدّدوا ما اندثر من آثار السلف ويجمعوا ما تبدّد من شمل الخلف .

لذا أثبتنا في هذا القسم من الكتاب ما توخّينا تلخيصه من اخبار السريان منذ القرن السابع عشر حتى اواخر القرن الثامن عشر . فأتينا على ذكر أَحبارهم وأديارهم وسائر مشاريعهم في هذا الجبل المبارك .

---

(١) اول من وطىء العالم الجديد من السريان هو الخوري الياس عموده الموصلي (١٦٦٨-١٦٨٣) وقد استغرقت رحلته خمس عشرة سنة (المشرق : مجلد ٨ سنة ١٩٠٥ صفحة ٨٢١ فما بعد) . واول اسقف شرقي دخل بلاد كولمبوس هو اثناسيوس سفر العطار السرياني مطران ماردين في سالخ القرن السابع عشر (عناية الرحمان : للمطران افرام نقاشة : صفحة ٩٧)

(٢) تاريخ الصحافة العربية : لمؤلف هذا الكتاب : جزء ٢ صفحة ٧٢-٧٣

الفصل الثاني

البطريرك اغناطيوس اندراوس الاول اخيجان

(١٦٦٢ - ١٦٧٧)

١ - سفر اندراوس اخيجان الى قنوبين فرومة وعودته الى حلب

فرغنا من الكلام عن احبار السريان الكاثوليك في الانحاء اللبنانية حتى القرن السابع عشر . والآن ننتقل الى الكلام عن السريان الكاثوليك في الانحاء المذكورة منذ أعلنوا اتحادهم مع البيعة الرومانيّة . وفي طليعتهم مار اغناطيوس اندراوس اخيجان بن عبد الفال مربيّ الماردينيّ الذي أعلن الكثلكة عام ١٦٤٥ في حلب(١) . وفي السنة ١٦٤٦ سافر اندراوس الى دير قنّوبين بلبنان فرحّب به البطريرك يوسف العاقوري (١٦٤٤ — ١٦٤٨) واقام عنده اياماً ريثما تهيّأ له السفر الى رومة . ثم غادر قنّوبين يصحبه اربعة فتيان موارنة في مقدّمتهم انطونيوس بن سركيس الرزيّ(٢) ليتلقّنوا العلوم في المدرسة المارونية . ولما قفل راجعاً الى لبنان سنة ١٦٥١ رقّاه البطريرك يوحنا الصفراوي (١٦٤٨ — ١٦٥٦) الى الدرجة الكهنوتية(٣) . وعلى اثر ذلك توجه القس اندراوس الى حلب وجعل يخدم النفوس بغيرة رسولية

٢ - سيامة القس اندراوس في قنوبين مطراناً على حلب

وفي السنة ١٦٥٦ كتب القنصل الفرنسي النبيل فرنسوا بيكيت الى بطريرك

---

(١) الآثار الخطية : للاب انطون رباط : مجلد ١ صفحة ٥٣ ؛

(٢) ترجمة البطريرك اسطفانوس بطرس الدويهي : المطران بطرس شبلي : صفحة ٥٠

(٣) اثر للبطريرك الدويهي (المشرق: مجلد ٢١ سنة ١٩٢٣ صفحة ٢١٤)

الموارنة المشار اليه عشر رسائل احداها تلو الاخرى يلحّ عليه ان يرقي القس اندراوس الى الرتبة الاسقفيّة . فكان البطريرك يماطل القنصل ريثما تمكّن الاب اسطفان الدويهي المشهور من ان يُقنع البطريرك ويزيح عن فكره ما كان يتوهّمه من المصاعب . وصباح ٢٩ حزيران ١٦٥٦ رقاه البطريرك الى كرسي مطرانية حلب وسمّاه ديونيسيوس اندراوس . ثم شرط عليه ألا يتعاطى شؤون الملّة المارونية بحلب مطلقاً ولا يدخل كنيستهم(١) . هكذا عاد المطران اندراوس اخيجان الى حلب يصحبه الاب اسطفان الدويهي المشار اليه(٢) .

وصل المطران اندراوس الى حلب واستولى على كنيستها في شهر آب ١٦٥٦ لكنه اُضطرّ لدواعٍ قاهرة ان يعود في ١٥ ايار ١٦٥٧ الى لبنان . فافرغ القنصل بيكيت جميع المساعي لدى ابرهيم باشا والي حلب كي يردّ المطران الى كرسيّه . فما كان من الوالي الا ان وجّه ثلاثة قسوس سريانيّين الى لبنان مصحوبين برسائل من ذلك القنصل النبيل فعادوا بمطرانهم الى حلب في ١٤ ايار ١٦٥٨ .

٣ ـ بطريركية السيد اندراوس

بعد وفاة البطريرك شكرالله (١٦٤٠ – ١٦٦٢) انتهز السريان الكاثوليك في حلب فرصة فراغ الكرسي البطريركي وأجمعوا على اصطفاء مطرانهم ديونيسيوس اندراوس للسدّة الانطاكية . فتم لهم ما ارادوا صباح ٢٠ آب ١٦٦٢ وترأس السيد ديونيسيوس يهنام روحيجان رتبة الاحتفال بتسليم العكاز البطريركي . ونادى بالسيد اندراوس حبراً انطاكياً باسم اغناطيوس اندراوس الاول .

---

(١) تاريخ سوريا : للمطران يوسف الدبس : عدد ١٠٢٣ صفحة ٣١٠ – والمشرق : مجلد ٢١ سنة ١٩٢٣ صفحة ٢١٤ (٢) ارتقى الاب اسطفان الدويهي الى مطرانية قبرس عام ١٦٦٨ ثم جاس على السدة الانطاكية المارونية عام ١٦٧٠ وفاضت روحه عام ١٧٠٤ بيد خالقها مخلفاً من الآثار الدينية والتاريخية ما خلد له اطيب تذكار .

وحضر ذلك الاحتفال مقاريوس الثالث بطريرك الملكيين (١٦٤٧ – ١٦٧٢) وخاجادور بطريرك الارمن ورهط من الاساقفة والكهنة وجماهير الملل المسيحية. وعند انتهاء الاحتفال حُمل البطاركة الثلاثة وهم مستوون على كراسيهم بحللهم الحبرّية فوق اكتاف الاقليرس والشعب. وطيف بهم في الكنيسة وهم يباركون المؤمنين في وقت واحد. وكان المسيحيون قاطبة يهتفون متهلّلين ويقولون: « اليوم حلّ الروح القدس على بيعة السريان »(١). ويُعدّ هذا الاحتفال حدَثاً نادراً لم يتفق له نظير قبل ذلك العهد في جميع الكنائس الشرقية.

٤ ــ لويس الرابع عشر والبطريرك اندراوس

أخصّ الذين ساعدوا البطريرك اندراوس في تعزيز مشاريعه الرسولية هو ملك فرنسا لويس الرابع عشر (١٦٤٣ - ١٧١٥). فان هذا العاهل أمدّه مراراً بالمال وأوصى به السلطان العثماني ليشمله ويشمل ملّته السريانية بعطفه الشاهاني. وقد حفظت لنا سجّلات الكرسي البطريركي وسجّلات الوزارات في اوروبا عدة رسائل بليغة وجهها هذا البطريرك الى الملك لويس المشار اليه يشكر له عنايته وسخاءه. نذكر منها رسالة مؤرّخة في ١١ شباط ١٦٦٣ افتتحها بقوله:

« البركة الالهية والنعمة السماوية التي حلّت على الرسل الاطهار في العلّية الصهيونية وجبل الزيتون وملاءت قلوبهم فرحاً تحلّ الآن على نفس وجسد ملك الملوك بل بكر ابناء الكنيسة الجامعة الرسولية لويس الرابع عشر. ايّد الرب الاله سريره مرفوع الشأن وأخضع اعداءه تحت قدَميه.

« بركة الرب تحلّ ثانياً وثالثاً عليك وعلى والدتك الجليلة المكرّمة وعلى ابنك

---

(١) سجل المكتبة الاهلية بباريس: مجلد ٩٣٢ صفحة ٤

المفخّم وعلى الملكة زوجتك العزيزة وعلى وطنك وسلطنتك وحقولك ومزروعاتك واثمارك بشفاعة سيدتنا والدة النور ... » (١) .

٥ ـ وفاة البطريرك اندراوس وثناء البطريرك أسطفان الدويهي على مناقبه

اقام البطريرك اندراوس خمس عشرة سنة يرعى رعيته بنشاط وحزم وغيرة. ورقد بالرب في ٢٤ تموز ١٦٧٧ ودُفن في كنيسة والدة الله بحلب. قال عنه البطريرك اسطفان الدويهي في مسودة تاريخ الازمنة ما نصه : « كان البطريرك اندراوس مستقيم الايمان وذا غيرة جزيلة . فربح نفوساً كثيرة للملكوت ووفى الديون التي كانت على الكنيسة من عهد البطريرك شمعون . واستفكّ جميع آنية الكنيسة وكتبها التي كانت مرهونة وجدّد غيرها . وترك في الكنيسة اثنين وخمسين قنديلاً من الفضّة وصندوقاً مملوءاً من الصلبان . وفي مدّة بطريركيّته لا يَلمَص جماعته ولا كلّفهم نوريّة كعادة الذين سلفوه . ولا جمع صينيّة ولا رسم شيئاً على توزيع الاسرار ... وعندما سلّم الروح حزنت عليه سائر الطوائف واقاموا له جنازة حافلة» (٢) .

٦ ـ تركة البطريرك اندراوس العلمية

خلّف البطريرك اندراوس مخطوطات جمّة نفيسة ألفها او ترجمها او نسخها بخطّه الأنيق حُفظت في مكتبات حلب ودير الشرفة والفاتيكان والمكتبة البطريركيّة ودير المخلّص . نذكر منها كتاب « الخدم الكهنوتيّة » طبقاً

(١) سجل الوزارة الخارجية في باريس : مجلد ٧ صفحة ٨٦و٨٧

(٢) تاريخ الازمنة للدويهي : مخطوطة البطريركية المارونية في بكركي

للطقس الماروني وهو محفوظ في خزانة مخطوطات الموارنة بحلب . وكتاب « السيامات » طبقاً للطقس السرياني وقد نسخ كلا الكتابَين عام ١٦٥٦ في اثناء اقامته بدير قنّوبين .

ومن شاء الوقوف على تفاصيل اخبار هذا الحبر الانطاكي وآثاره العلمية فليطالع كتابنا « السلاسل التاريخيّة في اساقفة الابرشيّات السريانيّة » (١) .

الفصل الثالث

البطريرك اغناطيوس بطرس السادس شهباديه

(١٦٧٨ — ١٧٠٢)

١ — انهزام البطريرك بطرس من حلب الى قنوبين وتفقده رعية طرابلس

تتابعت على هذا البطريرك الانطاكي المغبوط صنوف الكوارث والاهوال . فاضطر ان ينهزم من حلب سنة ١٦٩٠ الى دير قنّوبين وحل ضيفاً مدة سنتَين على البطريرك اسطفان الدويهي الذي بالغ في تكريمه (٢) . وانتهز البطريرك السرياني فرصة اقامته في لبنان فانحدر الى طرابلس حيث تفقّد ابناء جماعته وزوّدهم نصائحه الابوية .

---

(١) السلاسل التاريخية : صفحة ١٧٨ — ١٩٩

(٢) تاريخ سوريا : عدد ١٠٢٣

٢ ـ عودة البطريرك الى حلب

من لبنان كتب البطريرك بطرس الى المفريان باسيليوس اسحق ُجبير في الذهاب الى قسطنطينية ليعالج لدى سفارة فرنسا قضية كنيسة حلب التي كان يتنازعها السريان الكاثوليك والسريان غير الكاثوليك. وبعدما فاز المفريان من من السلطان احمد الثاني بفرمان تقررت فيه اعادة الكنيسة الى السريان الكاثوليك رجع الى حلب ورجع اليها ايضاً البطريرك بطرس من لبنان.

٣ ــ سفر البطريرك الى رومة وترحيب البابا به واشتراكه معه في القداس

لكنه ما عتم ان رُفعت الدعاوى على البطريرك فتوجه الى رومة في ١٩ اذار ١٧٩٦ مستصحباً غريغوريوس يشوع مصرشاه مطران اورشليم وطرابلس. وما ان وصل الى ليفورنو حتى خرج الى استقباله الغرندوق قزما امير توسكانا بابهة عظيمة. ثم استأنف البطريرك مسيره الى عاصمة الكثلكة فرحّب به الحبر الروماني البابا انوكنتيوس الثاني عشر (١٦٩١ ــ ١٧٠٠) وعانقه معانقة اخويّة. ثم اوعز اليه ان يعاونه في القدّاس الحبري الذي احتفل به الاب الاقدس صباح عيد الرسولَين بطرس وبولس. وأمر ان تؤدّى لغبطته كل التكريمات المنوطة بصاحب الكرسي الانطاكي.

٤ ـ نقل البطريرك بطرس عظام سالفه الى رومة ودفنها في البيعة اللاترانية

سبق البطريرك بطرس فنقـــل معه من كنيسة حلب الى رومة عظام سلفه

البطريرك اندراوس . وفي ٢٨ تشرين الثاني ١٦٩٦ جرى الاحتفال بدفنها بحفاوة كبيرة في كنيسة مار يوحنا اللاترانيّة .

٥ ـ رسالة البابا الى امبراطور النمسا بشأن البطريرك بطرس

في السنة ١٦٩٩ كتب البابا الى ليوبلد الاوّل امبراطور النمسا ان يضيف الى شروط الصلح بينه وبين السلطان مصطفى الثاني اعادة البطريرك بطرس الى كرسيّه . فلبّى الامبراطور طلب الحبر الاعظم وكتب الى البطريرك السرياني يستدعيه الى فينّا عاصمة سلطنته . وبشّره انه اشترط في معاهدة كرلوفتس المعقودة في ٢٦ كانون الثاني من السنة المذكورة ان يعود الى حلب كرسي ابرشيته ليستأنف رعاية ابناء ملّته .

٦ ـ احتفاء الامبراطور ليوبولد الاول بالبطريرك بطرس

في ٥ حزيران ١٦٩٩ غادر البطريرك عاصمة الكثلكة الى فينّا فاستقبله الامبراطور ليوبلد في بلاطه بمجالي التوقير والتعظيم وطيّب قلبه ببلوغ أمنيّته . وبعدما اقام البطريرك ايّاماً في ضيافة الامبراطور أوفده هذا العاهل الرسوليّ الى قسطنطينية وأوفد معه سفيره لدى الباب العالي . وعلى اثر وصول البطريرك الى عاصمة بني عثمان اصدر السلطان مصطفى فرمانين شاهانيّين أيّد فيهما البطريرك بطرس في الكرسيّ الانطاكي .

٧ ـ رجوع البطريرك الى حلب والقاؤه في السجن مع المطران والكهنة

ما كاد يصل البطريرك وحاشيته الى حلب حتى اعاد خصومه الكرّة فوثبوا

عليه في الكنيسة واهانوه . وجدّدوا الشكاوى عليه الى القاضي مدّعين انه عدوّ الدولة بدليل ذهابه الى دار الخلافة مع سفير النمسا . فعزله القاضي وأحضره الى ديوانه وألقاه في سجن ضيّق مظلم عند باب قنّسرين . والقى معه ديونيسيوس رزق‌الله اميرخان مطران حلب وسبعة من قسوسه وهم : القس نعمة ابن الشماس ابرهيم قدسي . والقس عبد الاحد بن سفر شهبادين شقيق البطريرك . والقس سليمان والقس ارسان ابنَي الخوري توما المارديني . والربّان سفر بن عبدالله . والربّان عبد النور بن شكر الآمديّ . والقس موسى عبيد الصدديّ . وحُبس معهم شقيق المطران رزق‌الله المشار اليه .

٨ ـ التنكيل بالبطريرك ورفاقه ونفيهم الى قلعة آطنة

بعد ما مكث البطريرك ورفاقه في السجن ثلاثة ايّام استدعاهم القاضي وأمر ان يُضرَب كل منهم بالعصيّ ثمانين ضربة . وكان الجلّاد يصيح عند كل ضربة ويقول : « كذا يكون عقاب كل راهب افرنجيّ » اي تابع المعتقد الكاثوليكي . ولم يشفق القاضي والجلّادون على نحافة المطران رزق‌الله ولا على شيخوخة البطريرك الجليلة وكرامة منصبه !

ظلّ البطريرك والمطران وسائر الأسرى ثمانين يوماً في ظلمات ذلك السجن وصباح ١٢ تشرين الثاني وصلت الأوامر من العاصمة بنفيهم الى قلعة آطنة . فخرجوا من السجن موثقين بحبل واحد ضخم ألقي في ايديهم وأعناقهم معاً . وسيقوا من حلب الى الاسكندرونة سَوْقاً عنيفاً مدّة ثلاثة ايام . ولما خارت قوى البطريرك اركبوه بغلاً واوثقوه ممدوداً على بطنه وجعلوا راسه فوق ذيل البهيم .

٩ ـ وصول البطريرك ورفاقه الى الاسكندرونة وترحيب القنصل الفرنسي بهم

بوصول الأسرى الى الاسكندرونة على تلك الحال من الضنك والعذاب خرج

فوغاس Fougasse قنصل دولة فرنسا مع فريق من المسيحيين واستقبلهم ورثى لحالتهم وقدّم لهم المرطبات والاطعمة . فتوسّل اليه البطريرك بدموع سخينة ان يؤدّي لرئيس القافلة مائتَي غرش كي يحلّ قيودهم ويأذن لهم في الركوب . فأدّى القنصل ذلك المبلغ واستأجر دواب لركوب الكهنة وهودجاً لركوب البطريرك والمطران الذي امسى بين حيّ وميت .

١٠ — بلوغ المنفيين الى قلعة آطنة ووفاة مطران حلب

بلغ الأسرى في ٢١ تشرين الثاني الى قلعة آطنة على آخر رمق فقضى المطران رزق‌الله ساعتَين بعد وصولهم الى القلعة . اما البطريرك والقسّان فأودعوا في سجن مدلهمّ وقد رُبطت اعناقهم بحبل واحد كأنهم من اعظم المجرمين . فذاقوا من مرائر العذاب ما يعجز القلم عن وصفه . وقضوا ايّامهم بالصلاة والتقشّف والصبر على محن الدهر .

١١ — تفجع لويس الرابع عشر على البطريرك

وصلت تلك الاخبار المفجعة الى أذني لويس الرابع عشر ملك فرنسا فتألّم لها غاية التألّم . وكتب بخطّ يده الى سفيره دي فيريول في قسطنطينية بتاريخ ٢٠ اذار ١٧٠٢ يقول(١) : «ارى ان الكاثوليكيين يتعذّبون في تركيا . وانت تعلم اني اريد المدافعة عنهم قبل كل شيء ...» . ثم كتب مراراً بواسطة رئيس وزرائه الى السفير الموما اليه ليقوم بنفقات الاسرى . وطلب منه ان يسعى لتلطيف شدائدهم اذا تعذّر اطلاق سبيلهم ويفرغ الجهود خصوصاً في انقاذ البطريرك وارساله الى فرنسا .

(١) سجل الوزارة الخارجية في باريس : مجلد ٣٨ صفحة ١٨٠

١٢ ــ استشهاد البطريرك بطرس في القلعة

وكانت قوى البطريرك المغبوط تهزل وجسمه ينحل شيئاً فشيئاً حتى مساء ٤ اذار ١٧٠٢ فقدّم له حارس القلعة فنجان قهوة داف فيها السمّ سرّا . وما كاد يتناولها البطريرك حتى شعر بدنوّ الاجل . فاستدعى ابناءه الكهنة المسجونين واستودعهم وصيّته الاخيرة محرّضاً ايّاهم على الصبر والثبات . ثم فاضت روحه الطاهرة بيد خالقها . وعند ظهيرة الغد شيع جثمانه الى كنيسة القدّيس اسطفانوس وهناك صلّى عليه السيّد بطرس جاثليق الارمن مع مطارنته وكهنته . ودُفن في ضريح مجاور لضريح المطران رزق الله في ساحة الكنيسة المذكورة (١) .

١٣ ـ ظهور معجزات على ضريح البطريرك بطرس

أخذ المسيحيّون على اثر وفاة هذا الحبر الانطاكي المغبوط يتيمّنون بذكراه المقدّسة ويتناقلون اخبار فضائله وشدائده . وقد اطّلعنا في « محفوظات دير الشرفة » (٢) على رسالة كتبها كهنة حلب بتاريخ ٢١ حزيران ١٧٩٥ الى البطريرك اغناطيوس متّيوس (١٧٨٢ — ١٨١٧) يقولون ما نصّه : « ... بعد نياح سالفكم السعيد الذكر مار اغناطيوس بطرس البطريرك الانطاكي السرياني الذي سركلته اليعاقبة من حلب الى قلعة آطنة . تنيح هناك بالربّ وحصل على غايته السعيدة . وربّنا منح قبره الراقد فيه جسده الموقّر تلك العجائب المثبوتة والمشهورة الى يومنا هذا يشهد بها كلّ وارد الى قلعة آطنة ويزور قبره الموقر ... »

تلك خلاصة اخبار هذا الحبر الانطاكي الشهيد. وقد نشرنا له ترجمةً مفصّلة في كتابنا « السلاسل التاريخيّة » فنكتفي بالالماع اليها .

---

(١) السلاسل التاريخية : صفحة ٥٩ — ٧٩ (٢) محفوظات دير الشرفة : مجلد ٨

الفصل الرابع

المفريان باسيليوس اسحق جبير

(١٦٢٩ - ١٧٢١)

١ - تحصيل المفريان علومه في بروبغندا وسيامته كاهناً في قنوبين

هذا المفريان الجليل أرسله مار اغناطيوس اندراوس البطريرك الانطاكي الى رومة فتلقى العلوم العالية في مدرسة بروبغندا . وأحرز منها نصيباً وافراً برهنت عليه مؤلفاته ونقوله الفلسفية واللاهوتية والجدلية واللغوية . وعلى اثر انتهاء دروسه وافى الى لبنان ومكث سنتين في قنوبين . وهناك رقاه البطريرك اسطفان الدويهي عام ١٦٧٢ الى الرتبة الكهنوتية . وذكر هذا البطريرك في رسالة تاريخية كتبها في اول ايار ١٧٠١ الى القس بطرس مبارك في رومة يقول : « وكذلك حضر لعندنا القس اسحق وانا بطرك مسكته عندنا سنتين ورتبته ورسمته » (١) .

٢ - عودة المفريان الى حلب وسيامته اسقفاً ثم مفرياناً وانتخابه بطريركاً ورفضه الرتبة البطريركية

بعد هذا عاد القس اسحق جبير الى حلب حيث رقاه البطريرك اغناطيوس

---

(١) تاريخ سوريا : عدد ١٠٢٣

بطرس السادس سنة ١٦٨٢ الى الرتبة الاسقفية . وسنة ١٦٩٣ رقاه الى الرتبة المفريانية . وعلى اثر وفاة البطريرك المشار اليه عقد الكهنة السبعة المنفيّون في قلعة آطنة مجمعاً سرّياً انتخبوا فيه المفريان باسيليوس اسحق بطريركاً . وبعثوا بصكّ الانتخاب الى البابا انوكنتيوس الثالث عشر (١٧٠٠ — ١٧٢١) . فأيّد الحبر الاعظم انتخابهم في ١٦ آب ١٧٠٤ وأرسل البراءة الرسوليّة الى السفير الفرنسي دي فريول في قسطنطينية . واوعز اليه ان يسلّمها الى المفريان اسحق الذي كان مقيماً عنده في قصر السفارة . ثم ان البابا حرّض السفير دي فيريول ليستخرج فرماناً سلطانياً بتأييد المفريان المنتخَب للبطريركية . لكن المفريان ابى قبول هذه الرتبة الرفيعة لدواعٍ سياسية لا حاجة الى تفصيلها . ففوّض اليه البابا ان يقوم بسياسة الملّة وتدبير شؤونها .

٣ ــ طلب المفريان شباناً حلبيين ليتلمذوا العلوم في مدرسة « لويس الكبير » بباريس

وفي تلك الاثناء أسّس لويس الرابع عشر مدرسة في باريس سمّاها « مدرسة لويس الكبير » وخصّصها بالملل الشرقية . فكتب المفريان اسحق سنة ١٧٠٠ الى السيد ديونيسيوس رزق‌الله امين خان مطران حلب ان ينتقي ثلاثة شبان اذكياء ويرسلهم الى المدرسة المذكورة . فاختار عبدالله ابن اخيه وجرجس ابن اخي المطران برتلماوس والياس بن قدسي ووجّههم الى باريس(١) وفي السنة ١٧٠٦ ارسل المفريان الى تلك المدرسة شاباً رابعاً يسمّى انطون ابن الخوري ارسان(٢) . وتولى في تلك المدرسة تعليم اللغتين السريانية والعربيّة الاستاذ بطرس دبّ (+١٧١٥) السرياني الحلبي ترجمان البلاط الملكي في عهد الملك لويس المشار اليه(٣)

---

(١) الآثار الخطية ٥٢٩ (٢) الآثار الخطية : صفحة ٥٠٤

(٣) H. de Castries : Histoire du Maroc (Archives de France T. I.) page 570, N° 2

٤ ـ سفر المفريان من اسطنبول الى رومة واكبابه على التأليف والترجمة حتى وفاته

في ٢٦ نيسان ١٧٠٦ برح المفريان اسحق قصر السفارة الفرنسية وتوجّه الى دير السريان في رومة . وهناك عاش مكباً على التأليف والترجمة والكتابة حتى توفّاه الله تعالى في ١٨ ايار ١٧٢١ بالغاً الثانية والتسعين من سنّه . واوصى بتوزيع مقتنياته على دير السريان وعلى المدرسة المارونية في رومة وعلى دير الآباء الفرنسيسيّين في اورشليم (١) .

٥ ـ ترجمة المفريان كتاب « الخلاصة اللاهوتية والفلسفية » تأليف مار توما الاكويني

سبقنا فعدّدنا مؤلفات هذا المفريان العلّامة وترجماته الوافرة في كتابنا « السلاسل التاريخية » . الا اننا لا نجد بدّاً من التلميح ههنا الى تعريبه كتاب « الخلاصة اللاهوتيّة والفلسفيّة » تأليف القديس توما الاكويني . ومن هذه الترجمة الجبيريّة نسخٌ مخطوطة مصونة في مكتبة دير المخلّص ومدرسة عين تراز بلبنان . ومنها نسخة في المكتبة المارونية بحلب ومكتبة الكلدان بديار بكر . ومنها جزء مخطوط بحروف كلدانيّة محفوظ في مكتبة مدرسة عين ورقة . وفي مكتبة دير الشير نسخة كاملة من هذه الترجمة مكتوبة بخط انيق في ستة مجلدات ضخام .

---

(١) السلاسل التاريخية : صفحة ١٢٠ — ١٣١

٦ ـ ثناء العلامة يوسف السمعاني على مناقب المفريان

كان للمفريان اسحق جبير صلات حبيّة وعلميّة مع كثير من علماء الشرق والغرب ولاسيما مع علماء الموارنة في عصره . فكتب عنه العلّامة يوسف شمعون السمعاني ما تعريبه : « صديقنا الحميم اسحق رئيس اساقفة نينوى لجأ الى رومة لسبب اضطهاد اليعاقبة له ولتمسّكه بالايمان الارثوذكسي . وهو الآن (سنة ١٧٢١) مكبّ على نقل المؤلفات الفلسفية واللاهوتيّة عن اللاتينية الى العربية »(١) .

الفصل الخامس

دير مار افرام الرغم في لبنان

١ ـ مؤسسو الدير

ما كاد يتسلم السيد اندراوس اخيجان مطرانية حلب عام ١٦٥٦ حتى اخذ يبثّ في قلوب فتيانها وفتياتها روح العيشة النسكيّة . وفي السنة ١٦٦١ تهيّأ له ان ينتقي فئة من اولئك الشبان ويوجههم الى مدرسة بروبغندا في رومة . ثم وشّح بالاسكيم الرهباني في كنيسة حلب بعض عذارى سريانيات تبعنَ قانوناً واحداً بالاشتراك مع غيرهنّ من فتيات الملّتين المارونية والارمنية(٢) . ولبث هذا الروح يختمر وينمو في شبان حلب حتى كاد يعمّ جميع الأسر الكاثوليكية .

وفي مطلع القرن الثامن عشر غادر الشهباء زمرة من الشبان السريانيين

(١) المكتبة الشرقية : مجلد ٢ صفحة ١٠ (٢) الآثار الخطية : مجلد ١ صفحة ٢٣٤

ووفدوا الى لبنان نذكر منهم : عبد المولى بن اسحق . وزكري (زكريا) ابن الخوري ابرهيم . واندراوس بن عبد الاحد . ونعمة حوبة . والقس سليمان خور . وبوصولهم الى الكرسي البطريركي الماروني قابلوا البطريرك يعقوب عوّاد (١٧٠٥ – ١٧٣٣) وطلبوا منه محلاً في جبّة بشري ليبتنوا ديراً ليسكنون فيه. فقال لهم البطريرك : « ان الاقامة في جبة بشرّي صعبة عليكم لانها قريبة من حاكم طرابلس . فالأجدر ان تقصدوا قرية الشبانية الخاضعة لحكم الامير عبدالله ابي اللمع . وقد بلغني ان رجلاً سريانياً من راشيا اسمه سركيس بو رزق يريد ان يعمّر هناك ديراً للسريان » . وانما اوعز البطريرك يعقوب الى اولئك الشبان بالذهاب الى قرية الشبانية حذراً من ان يتزجوا بالسريان المنوفيزيتيين الذين كانوا يقيمون حتى ذلك العهد بجواره في قرى لبنان ولاسيما في حردين(١) .

انطلق اولئك الشبان الى قرية الشبانية وزاروا سركيس بو رزق المذكور آنفاً وأجمعوا معاً على ابتناء الدير واطلقوا عليه اسم « دير مار افرام الرغم » . وبعد الفراغ من بنيانه كتبوا الى احبار الملّة في رومة وهم : المفريان باسيليوس اسحق جبير النائب الرسولي والمطران غريغوريوس يشوع مصرشاه (+ ١٧١٥) والاسقف اثناسيوس سفر (+١٧٢٨) وبشّروهم بانتهاء عمارة الدير وطلبوا حضور احدهم ليرقي الرهبان الى الدرجات الكهنوتية .

٢ – رؤساء الدير

اما رئاسة دير مار افرام الرغم فقد تولّاها خمسة عشر رئيساً من السنة ١٧٠٥ حتى السنة ١٩٠٠ واليك اسماءهم :

١ – الخوري سليمان خور الحلبي (١٧٠٥ – ١٧١٥)

---

(١) تاريخ الازمنة : للدويهي : مخطوطة مكتبتنا اخبار السنة ١٦٧٦ – وراجع هذا الكتاب : قسم ٤ فصل ٢ رقم ٤

٢ – القس نعمة حوبة الحلبي (١٧١٥ – ١٧٢٥)
٣ – الخوري سليمان خور للمرّة الثانية (١٧٢٥ – ١٧٣٠)
٤ – القس جبرائيل فيزون الدمشقي (١٧٣٠ – ١٧٣٩)
٥ – المطران غريغوريوس نعمة قدسي الحلبي (١٧٣٩ – ١٧٤٥)
٦ – المطران ميخائيل المارديني (١٧٤٥ – ١٧٦٤)
٧ – المطران باسيليوس جرجس الحلبي (١٧٦٤ – ١٧٧٨)
٨ – الخوري الياس اميرخان الآمدي (١٧٧٨ – ١٧٨٦)
٩ – الخوري شكرالله فولـيّة الحلبي (١٧٨٦ – ١٨١٤)
١٠ – المطران يوليوس انطون دياربكرلي (١٨١٤ – ١٨١٦)
١١ – القس روفائيل (١٨١٦ – ١٨٢٧)
١٢ – الاخ مبارك ربّاط الحلبي (١٨٢٧ – ١٨٤١)
١٣ – الخوري الياس شهوان (١٨٤٧ – ١٨٥١)
١٤ – المطران قورطس يوسف حائك (١٨٥١ – ١٨٥٤)
١٥ – المطران غريغوريوس يعقوب حلياني (١٨٥٤ – ١٨٥٦)
١٦ – الخوري الياس شهوان للمرة الثانية (١٨٥٦ – ١٨٦٠)
١٧ – الخوري ميخائيل ازرق الحلبي (١٨٦٠ – ١٨٧٩)
١٨ – الخوري الياس شهوان للمرّة الثالثة (١٨٧٩ – ١٩٠٠)

ومن شاء الوقوف بالتفصيل على حوادث دير مار افرام الرغم وعلى اخبار رؤسائه ورهبانه وارزاقه فعليه ان يطالع القسم الخامس عشر من هذا الكتاب .

الفصل السادس

سياسة السريان في لبنان اثناء فراغ الكرسي البطريركي

(١٧٠٢ - ١٧٨٢)

١ - المفريان باسيليوس اسحق جبير النائب الرسولي

(١٧٠٢ - ١٧٢١)

لم يتيسر للملّة السريانية ان تُقيم خلفاً للبطريرك اغناطيوس بطرس السادس الذي قضى شهيد الايمان في قلعة آطنة كما قلنا . ونظراً الى اضطراب الاحوال في تلك الآونة أنيطت سياسة الملّة بالمفريان باسيليوس اسحق جُبير الذي لخّصنا اخباره في فصلٍ سابق. فنهض المفريان بتلك المهمّة مدّة تسع عشرة سنة (١٧٠٢ - ١٧٢١) قضى معظمها في عاصمة الكثلكة .

٢ - الاسقف اثناسيوس سفر العطار النائب الرسولي

(١٧٢١ - ١٧٢٨)

تولّى هذا الاسقف سياسة الملّة السريانية سبع سنوات (١٧٢١ - ١٨٢٨). ومن مآثره المبرورة أنه أسّس ديراً على اسم مار يعقوب ومار افرام السرياني فوق أكمة اسكولينو برومة . ذلك باموالٍ جمعها في رحلاته المتعدّدة الى بلاد ارمينيا وفارس وفرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتوغال واميركا والهند . واستحضر شبّاناً من ابرشيات الملّة فثقّفهم في الدير المذكور ثم رقّاهم الى الرتبة الكهنوتية

وأعادهم الى الشرق . وأصبح ذلك الدير محطّ رحال القاصي والداني للبطاركة والاساقفة والكهنة من سريان وموارنة وكلدان وملكيين (١) . وساعد هذا الاسقف الجليل سنة ١٧٠٩ رهبان دير مار افرام الرغم على انجاز عمارة ديرهم في الشبانية بلبنان (٢) .

وانتقل الاسقف اثناسيوس سفر العطّار الى جوار ربّه في ٤ نيسان ١٧٢٨ ودُفن في كنيسة ديره . وفي السنة ١٩٠٧ نُقلت هامتهُ الى دير الشرفة بهمّة الخورفسقفوس يوسف هبرا الدمشقي . وعُنينا نحن بوضعها في صوان من زجاج وضمناها الى ذخائر هذا الدير (٣) .

٣ ـ المطران غريغوريوس نعمة قدسي النائب الرسولي

(١٧٣٠ ـ ١٧٤٥)

على اثر وفاة الاسقف اثناسيوس سفر كتب الكردينال بونفيلي الى القس نعمة قدسي يستقدمه الى عاصمة الكثلكة . غير انه تعذّر عليه السفر فجاء الى لبنان ونُصب مطراناً على دمشق في اوّل كانون الثاني ١٧٣٠ بوضع يد كيرلّس السادس بطريرك الروم الملكيين (١٧٢٤ — ١٧٦٠) في كنيسة دير المخلّص .

وبعد سيامته الاسقفية أيّده الحبر الروماني وفوّض اليه رعاية السريان في لبنان ومصر وحلب ودمشق وما بين النهرين وسائر بلاد المشرق . ثم بعث اليه بحلّة حبريّة وعين له راتباً سنوياً من الاموال التي خلّفها سالفه الاسقف اثناسيوس سفر العطّار . وجعل المطران غريغوريوس نعمة قدسي إقامته في دير مار افرام الرغم . ومن هناك أخذ يراسل ابرشيات الملّة وينصب لها كهنةً . وكان يُنادى باسمه في الكنائس بعد الحبر الاعظم في اثناء القداس والصلوات

---

(١) عتائق تاريخية للسريان: مخطوطة دير الشرفة: رقم ٧/١٦ وعناية الرحمان: صفحة ١٠٦-١٠٨

(٢) المشرق : مجلد ١٢ سنة ١٩٠٩ صفحة ٧٦٥ (٣) السلاسل التاريخية : صفحة ٣٢-٣٨

الفرضية (١) . واستغرقت نيـابته الرسولية خمس عشرة سنة . وكان صاحب الترجمة في عداد الاحبـار الذين حضروا سنة ١٧٣٦ المجمع اللبناني المعقود في دير لويزة (٢) .

ويُعدّ المطران غريغوريوس نعمة قدسي من افضل اساقفة الملّة السريانية ومن اكبر جهابذة عصره بما تفرّد به من الغيرة والعلم والحصـافة . ولقي الامرّين هو والبطريرك اغناطيوس بطرس السادس والمطران رزق‌الله امين خان وسبعة قسّان في سجن حلب وفي قلعة آطنة . وفي تلك القلعة ألّف كتابه « شرح الاجرومية للملة النصرانية » عام ١٧٠١ وجعل شواهد الكلام آيات من الانجيل والنبوءات والرسائل البولسية . وهو اوّل من طرق هذا الباب من أيمة المسيحيين . وحذا حذوه المطران جرمانوس فرحـات الذي ألّف كتابه « بحث المطالب » ستة اعوام بعد ظهور تأليف المطران غريغوريوس نعمة قدسي المشار اليه .

وحوت مكتبة دير الشرفة النسخة الاصليـــة من « شرح الاجرومية للملّة النصرانية » مكتوبة بيد المؤلف نفسه في قلعة اطنة وعليها اسمه كما يلي : « تأليف السيد غريغوريوس نعمة قدسي مطران دمشق الشام والرئيس على دير مار يعقوب ومار افرام الكائن في مدينة رومية العظمى لطائفة السريان . . . »(٣) . وقـد اضاف المطران نعمة قدسي الى اسمه رئاسة دير السريان في رومة اقتداء بسالفه الاسقف اثناسيوس سفر مؤسّس ذلك الدير ورئيسه .

وللمطران نعمة قدسي آثار قلمية عدّدناها في كتابنا « السلاسل التاريخية »(٤) . وشاهدنا له في خزانة مخطوطات دير الشرفة اثني عشر مجلداً كتبها سريانياً وعربياً بخطه الانيق النفيس(٥) . هذا سوى ما احترق من مخطوطاته في دير مار افرام

---

(١) عناية الرحمان : صفحة ١٦٧و١٦٨ (٢) المجمع اللبناني : صفحة ٢٨–٢٩و٥٠٧ طبعة جونية سنة ١٩٠٠ (٣) فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ١/١١ صفحة ٣٦؛ (٤) السلاسل التاريخية : صفحة ٢٧١ ـ ٢٧٥ (٥) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ١٥٢و١٦٩و٢٢٧ و٢٠٢و٣٠٨و٣٢٨ و٣٤٤و٣٤٥ و٣٦٦و٥٠١

الرغم او حفظ في غير مكتبة الشرفة كالمكتبة الواتكانية ومكتبة دير المخلص قرب صيدا الخ الخ .

٤ ـ المطران غريغوريوس جبرائيل فيزون النائب الرسولي

(١٧٤٥ - ١٧٦٠)

تلقى العلوم الابتدائية في دمشق وطنه على العلامة نعمة قدسي . ثم سافر الى دير مار يعقوب ومار افرام برومة واكمل علومه في مدرسة بروبغندا وبعد سيامته كاهناً عاد سنة ١٧٢٩ الى الشرق . وفي السنة التالية نصب رئيساً على دير مار افرام الرغم وظلّ حتى السنة ١٧٣٩ في منصب الرئاسة . وفي السنة التابعة ارتقى الى مطرانية اورشليم وطرابلس بوضع يد البطريرك كيرلس تاناس في كنيسة دير المخلص .

وفي السنة ١٧٤٥ عيّن المطران جبرائيل نائباً رسولياً على السريان بعد وفاة المطران غريغوريوس نعمة قدسي . فنهض بتلك المهمّة نهوضاً مشكوراً . ومن اخباره انه سافر سنة ١٧٥٥ وسنة ١٧٥٧ الى حلب وتفقّد شؤون ابناء الملّة ونصب بعض الكهنة والشمامسة . ورقى الى رتبة خورفسقفوس كلّا من القس بهنام ياقين والقس جرجس جوزيّة . واختتم جولته الرعوية في دمشق وطنه وفي طرابلس ومنها عاد الى دير مار افرام الرغم وفيه قضى اجله عام ١٧٦٠(١) .

٥ ـ المطران غريغوريوس شكرالله جروة النائب الرسولي

(١٧٦٠ ـ ١٧٧٣)

ارتقى السيد غريغوريوس شكرالله جروة الى الكرسي الاورشليمي عام

---

(١) عناية الرحمان : صفحة ١٨٧-١٨٨

١٧٦٠ وُعيّن نائباً رسولياً على جميع السريان . فاقام ردحاً من الزمان في دير مار افرام الرغم ثم انتقل الى قرية « زوق مصبح » فانشأ هناك ديراً سمّاه « دير الام المحزونة » ونُقل جثمانه بموجب وصيته الى كنيسة دير بكركي وفيها دفن(٢) .

٦ ـ المطران غريغوريوس يوسف قدسي النائب الرسولي

(١٧٧٣ - ١٧٨٢)

وُلد هذا المطران عام ١٧٤٠ في حلب ولبس الاسكيم الرهباني في دير مار افرام الرغم . وعلى اثر وفاة المطران غريغوريوس شكرالله جروة نُصب خلفاً له عام ١٧٧٣ في الكرسي الاورشليمي وفي النيابة الرسولية . فجعل اقامته تارةً في دير الرغم وطوراً في دير الامّ المحزونة وحيناً في بيروت . وفيها توفاه الله تعالى بتاريخ ٢١ آب ١٧٩٧ ونُقل جثمانه الى دير مار افرام الرغم ولُحد في ضريح الاساقفة . اما مدّة نيابته الرسولية فقد انتهت عام ١٧٨٢ بجلوس البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث (١٧٨٢ - ١٨٠٠) على السدّة الانطاكية .

(٢) محفوظات دير الشرفة : مجلد ٥

القسم الثامن

بطريركية السريان الانطاكية وابرشياتها في لبنان

الفصل الاول

مراكز بطاركة السريان في القرون الغابرة

١ ـ تعدد مراكز البطاركة

تعذّر على بطاركة السريان بعد استقلالهم البيعي في القرن السادس ان يواصلوا اقامتهم في انطاكية كرسي اسلافهم . فكانوا يتردّدون اليها حيناً بعد حين ، يقيمون فيها او في احد اديارهم المجاورة لها كدير تل‌عدا ودير الجبّ الخارجي وغيرهما . ولم يقتصروا على الاقامة في مدينة واحدة او في دير واحد لكنهم تنقلوا من مدينة الى مدينة ومن دير الى دير ببلاد سوريا وما بين النهرين (١) . ولسنا نرى قانوناً من القوانين التي سنّها البطاركة او المفارنة او الاساقفة في مجامعهم حتى اوائل القرن الحادي عشر يحتم على البطريرك ان يلزم مدينة من المدن او ديراً من الاديار . لان السياسة البيعية كانت منوطة بسلطة البطريرك توّاً .

ولما توّلى البطريركية ديونيسيوس الرابع (١٠٣٢ - ١٠٤٢ م) قرّر ان

---

(١) المشرق : مجلد ٢١ سنة ١٩٢٣ صفحة ٥٨٩ نقلاً عن ابن العبري

تكون ديار بكر وماردين مركزاً لكرسيه (١) . ثم رأى البطريرك ميخائيل الكبير (١١٦٧ — ١٢٠٠) ان يكون دير الزعفران كرسيا للبطريرك . لكنه لم يُقم فيه الابرهةً من الزمان . اما خلفاؤه فلم يحافظوا على هذا القانون بل ظلّوا يسكنون غالباً في دير برصوما المجاور لملطية وكان من اهم اديارهم واعظمها . وقد ابتنى السريان في تلك المدينة نظراً الى كثرة عددهم فيها ستاً وخمسين كنيسة كانت زاهرة في القرن الحادي عشر (٢) .

ولما افضت البطريركية الى اغناطيوس الخامس (١٢٩٣ — ١٣٣٣) المشهور بابن وُهَيب جدّد حَتم ميخائيل الكبير سالفه وقرّر تقريراً باتاً ان يكون دير الزعفران كرسياً له ولخلفائه . بيد ان خلفه البطريرك نوحاً (١٤٩٤ — ١٥٠٩) شذّ عن تلك القاعدة فجعل دير زنار والدة الله بحمص مركزاً لاقامته .

وعند ما تولّى الكرسي البطريركي اغناطيوس بيلاطس (١٥٩١ — ١٥٩٧) جعل كرسيه في حلب . وبعد هذا ظل البطاركة يقيمون تارة في حلب وطوراً في ديار بكر وحيناً في ماردين حتى تولى البطريركية غبطة السيد اغناطيوس افرام الاول برصوم فاتخذ مدينة حمص كرسياً له في زماننا الحاضر .

٢ ـ اقامة اغلب بطاركة السريان الكاثوليك ونوابهم في لبنان

وما قلناه عن بطاركة السريان الارثوذكس نقوله عن بطاركة السريان الكاثوليك وعن نوابهم من بعدهم . فانهم اتخذوا حلب فلبنان فماردين فالموصل مراكز لهم . واذا حسبنا السنين الممتدة بين بطريركية مار اغناطيوس اندراوس اخيجان حتى بطريركية الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل الاول تبّوني في الزمان الحاضر (١٦٦٢—١٩٤٧ وهي ٢٨٥ سنة وجدنا ان بطاركتنا الانطاكيين

---

(١) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٥٦٦ (٢) المكتبة الشرقية : للسمعاني : مجلد ٢ صفحة ٦٤٥

وَمن قام مقامهم في ادارة الملة قد استقرّوا في لبنان زهاء ٢٣٥ سنة ولم يمكثوا في حلب وماردين والموصل الا نحو ٥٠ سنة فقط .

على ان بطاركتنا الانطاكيين ما كادوا ينضمّون الى الكنيسة الكاثوليكية في اواسط القرن السابع عشر حتي رسخ في اذهانهم واذهان مَن ناب منابهم ان يجعلوا اقامتهم في لبنان . فأسّسوا دير مار افرام الرغم عام ١٧٠٥ في الشبانية . ثم انشأوا عام ١٧٦٣ دير الام المحزونة في « زوق مصبح » . هكذا تسلسل اولئك الاحبار ونوّابهم الاساقفة في لبنان وجعلوا يشرفون منه على سائر السريان الكاثوليك في سوريا وما بين النهرين والعراق وفلسطين والقطر المصري وغيرها .

الفصل الثاني

نقل الكرسي البطريركي الى دير الشرفة بلبنان

١ ـ اجماع الملة السريانية على انتخاب المطران ديونيسيوس ميخائيل جروة بطريركاً انطاكياً

على اثر وفاة البطريرك اغناطيوس جرجس الرابع (١٧٦٨ — ١٧٨١) وجّهت الجماعات السريانية من ماردين وضواحيها ومن الموصل وملحقاتها ومن دياربكر والرها ودمشق وحمص وحماة والنبك والقريتين وتوابعها(١) مضابط وتقارير الى السيد ديونيسيوس ميخائيل جروة مطران حلب . وتوسلوا اليه بالحاح ان يشخص الى دير الزعفران ويتسلّم عكاز البطريركية الانطاكية . فغادر حلب

---

(١) وثائق للملة السريانية : مكتبة دير الشرفة : المجلد الاول

ابرشيته في ٢٤ ايلول ١٧٨١ حاملاً مضبطة الحلبيين وتقارير الابرشيات المشار اليها وانطلق الى ماردين يرافقه رهط من الكهنة واعيان الشعب. ومرّ في رحلته بالرها وسويرك ودياربكر فاقام في تلك المدن اياماً كان في كل منها موضوع الاجلال والاحترام. وقد واكبه من تلك المدن وجهاء الملة حتى بلغ ماردين في ١٤ تشرين الثاني فدخلها باحتفال باهر وحلّ في قلاية بيعة الاربعين الكبرى.

٢ - تنصيب المطران ديونيسيوس ميخائيل بطريركاً في دير الزعفران

صباح ٢٢ كانون الثاني ١٧٨٢ جرت حفلة التنصيب البطريركي بابّهة عظيمة في بيعة دير الزعفران حضرها اساقفة السريان والارمن والكلدان والمرسلون اللاتين وجماهير غفيرة توافدت من اطراف المدن والقرى. وما ان قبض البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث على عكاز الرئاسة حتى ألقى خطبةً بليغة اثبت فيها وجوب الاتحاد في كنيسة السيد المسيح الواحدة الرسولية المقدسة.

٣ - قدوم البطريرك ميخائيل الى لبنان ونقله الكرسي البطريركي الى دير الشرفة

ظل البطريرك الجديد مدة سنة وسبعة شهور يتعاطى شؤون الملّة السريانية بأسرها في كرسيه دير الزعفران. ثم اضطر لدواعٍ سياسية ان يغادره الى الموصل فبغداد حتى وصل الى لبنان في يوم سبت النور ٣٠ اذار ١٧٨٤ واستقر هناك.

وعلى اثر ذلك جرى تبادل الزيارات بين البطريرك ميخائيل وبين بطاركة الموارنة والروم الملكيين والارمن الذين كانت مراكزهم متجاورة. فرأى من الحكمة والصواب ان تكون بطريركية السريان مستقرة في لبنان كالبطريركيات الثلاث المشار اليها. ثم أخذ يبحث عن مركز موافق من جميع الوجوه يكون

كرسياً لـه ولخلفائه من بعده . فوقع اختياره عام ١٧٨٤ عـلى رابية يقال لها « الشرفة » قريبة من درعون 'تعـدّ من اجمل مواقع جبل لبنان . فاشتراها عـام ١٧٨٦ وابتنى فيها ديراً باسم « سيدة النجاة » دعاه « دير الكرسي البطريركي » . وجعل يستعمل تلك التسمية في كتاباته الى الكرسي الرسولي وفي منـاشيره وفي رسائله الى الملوك والامراء والحكام وسائر اقطاب الدنيا والدين .

الفصل الثالث

الحبر الاعظم والكرسي البطريركي في دير الشرفة

١ ـ رسالة البطريرك ميخائيل الى الحبر الروماني بشأن نقل الكرسي البطريركي

لما استتب الامر للبطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث كتب الى البابا بيوس السادس (١٧٧٥ - ١٧٩٩) وسأله ان يؤيد مشروعه فيوافق على جعل دير الشرفة كرسياً بطريركياً له ولخلفائه . فلبى البابا رغبة البطريرك وكتب اليه في ذلـك براءة (١) هذا تعريبها :

٢ ـ تأييد البابا بيوس السادس طلب البطريرك ميخائيل باقامة الكرسي البطريركي في دير الشرفة

« البابا بيوس السادس للذكر المخلد

« ان اخوتنا الموقرين كرادلة الكنيسة الرومانية المقدسة المفوّض اليهم امر

---

(١) هذه البراءة البابوية بنصها اللاتيني وترجمتها العربية تزين القاعة الكبرى في الشرفة

انتشار الايمان المقدس عرضوا علينا بواسطة ولدنا الحبيب المونسنيور اسطفان بورجيا كاتم الاسرار ان الاخ الجليل اغناطيوس ميخائيل جروة بطريرك السريان الانطاكي قد اشترى بماله وامتلك في درعون بجبل لبنان ديراً سماه دير سيدة النجاة. واستحدث فيه ابنية وطلب ان يكون الدير وجميع ملحقاته وقفاً دائماً ثابتاً له ولخلفائه البطاركة . والتمس من المجمع ان ينوب منابه في التوسل الينا لنؤيد ارادته بسلطاننا .

« اما نحن فعلاوة على مزيد اعتبارنا لما لاقاه هذا البطريرك من الاضطهاد والشدائد في سبيل الايمان الكاثوليكي قد ازداد حبنا له لسبب كرمه وفضله التقوي . وقبلنا توسّله هذا ببشاشة وترحاب . واننا واثقون كل الثقة ان ذلك يحمله على اعتبار كثرة تعطف الكرسي الرسولي عليه والتفاته اليه . ومن ثم فنحكم بقوة اسطرنا وبراءتنا هذه ونريد ونأمر بسلطاننا الرسولي ان يكون دير سيدة النجاة المذكور مع جميع ما يملكه من الارزاق الان وفي مستقبل الزمان وقفاً ثابتاً مؤبّداً حسب نية البطريرك اغناطيوس ميخائيل . وان يكون ذلك تحت تصرّفه وتصرّف البطاركة خلفائه . ونضيف الى ذلك اننا قبلناه ونقبله تحت رعاية كرسينا الرسولي ومجمع انتشار الايمان .

« ثم اننا ننهى بسلطاننا الرسولي كائناً مَن كان ان يتعدى عليه او يتلاعب باملاكه او يستحلّ شيئاً منه . ونمنع منعاً باتاً ان يباع أو يوهب شيء منه . ومَن خالف امرنا هذا سقط حالا في الحرم المحفوظ حلّه لنا ولمن يخلفنا اذا كان المعتدي في قيد الحياة .

« اعطي في رومة حذاء مار بطرس تحت ختم الصيّاد ٢٢ ايار ١٧٨٧ وهي السنة الثالثة عشرة لحبريتنا » .

+ الكردينال رملدس برسكي
دي اونسي

٣ ـ ابتهاج البطريرك ميخائيل ببراءة الحبر الاعظم

ابتهج البطريرك ببراءة الحبر الروماني واخذ يراسل ابناءه في جميع الابرشيات مستنهضاً هممهم ليساعدوه في مشروعه . فنجحت مساعيه وتحققت امانيه واصبح دير الشرفة من ذلك الحين حصناً حريزاً للبطريركية ومرجعاً للملة في شؤونها الروحية .

الفصل الرابع

دولة اسبانيا والكرسي البطريركي في لبنان

١ ـ القس الياس شدياق مندوب البطريرك في اسبانيا

لم يقتصر البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث على تأسيس كرسيه الانطاكي في لبنان بل رأى من واجبات وظيفته ان يمدّ يد المساعدة للاساقفة والكهنة والرهبان . وينهض بحاجات الابرشيات والكنائس اللائذة به في شتى الانحاء . ويؤسس مدرسة كهنوتية يتثقف فيها شبان يخدمون الملة في مستقبل الزمان الخ الخ .

ولما كان ذلك كله يتطلب اموالا وافرة لا يتيسر له الحصول عليها في بلاد المشرق دلّته فكرته ان يقرع أبواب المحسنين في بلاد اسبانيا المعروفة بسخائها على المشاريع الكاثوليكية . فكتب الى وكيله القس الياس شدياق الحلبي في الاستانة يأمره ان يسافر الى تلك البلاد كمندوب بطريركي . ويجمع باسمه صدقات الموسرين تعزيزاً للكرسي البطريركي والابرشيات التابعة له . فنشط

هذا الوكيل الامين الى انجاز اوامر رئيسه وقام بمهمته قياماً مشكوراً خلد له ذكرى طيّبة على كرور الاجيال (١).

٢ - كرلس الرابع ملك اسبانيا ودير الكرسي البطريركي

في طليعة المحسنين الى دير الكرسي الانطاكي نذكر بالرحمة كرلس الرابع ملك اسبانيا (١٧٨٨ – ١٨٠٨) . فانه أوصى اقطاب دولته ان يفرغوا الوسع في مساعدة البطريرك السرياني . ثم تبرّع بمبلغ ثلاثة آلاف وثمانمائة ريال عمودي حوّلها على يد القس الياس شدياق مندوب البطريرك. وما ان وصلت الدفعة الاولى وهي الف وخمسمائة ريال حتى وجّه الحبر الانطاكي الى جلالة الملك المشار اليه رسالة مؤرّخه في ١٠ كانون الثاني ١٧٩٢ هذا نصها :

« ايها الملك الكاثوليكي

« ... ان غيرتكم المشهورة في العالم على تعزيز الايمان الكاثوليكي قد شملت الآن دير كرسينا البطريركي الذي أسسناه حديثاً ... اذ دفعتم بيد سخية مبلغ الف وخمسمائة ريال وصلت الينا بواسطة مجمع انتشار الايمان المقدس ... فعن هذا الاحسان الملوكي نقدم لجلالتكم المديح والثناء الدائمين مع التوسل الى الله تعالى بتأييد قضيب ملككم مترجين من عواطفكم الملكية ان تشملونا دائماً بانظاركم. ومن صميم القلب ندعو لجلالتكم بالعز والتأييد ... » (٢)

٣ - ماري لويز ملكة اسبانيا ودير الكرسي البطريركي

نهجت الملكة ماري لويز منهاج زوجها الملك كرلس الرابع في مساعدة

---

(١) كان القس الياس شدياق من نوابغ علماء عصره . أهلته ثقافته العالية ان يتولى امانة المكتبة الملكية في مدريد وفي الاسكوريال مدة خمس وعشرين سنة الى حين وفاته سنة ١٨١٨

(٢) مخطوطات دير الشرفة : مجلد ٥

الكرسي البطريركي بدير الشرفة . وما ان نُمي نبأ سخائها الى البابا بيوس السادس حتى كتب اليها رسائل عديدة وأطلق عليها نعت «الملكة المسيحية المغيثة للفقراء». واثنى على مبرّاتها في جانب الملة السريانية . بناء عليه وجّه البطريرك اغناطيوس ميخائيل الى جلالتها رسالة مؤرخة في ١ كانون الاول ١٧٩١ يقول :

« ايتها الملكة الكاثوليكية

« ... ان شهرتك التقوية الذائع صيتها في العالم حرّكتنا لكي نحرر لجلالتك هذه الاسطر . فقد بلّغتنا حضرة السيدة الدوكيسّا مريم دي فيلاهرموزا ما انتِ عليه من الحب لنا . وافادتنا انها واجهت عظمتك وتكلمت مع سموّكِ وحركت عواطف مراحمك نحونا ... فنكرر التوسل اليك — اذا شاءت عظمتك وعظمة عريسك الكاثوليكي — ان تتنازلا وتقبلا دير كرسينا البطريركي تحت حمايتكما ونظركما . واننا مستعدون ان نزّينه بصورتكما الشريفة (١) ... » .

وكتب البطريرك الى الملكة ماري لويزعينها يخبرها بقبضه مبلغ الف وخمسمائة ريال عمودي حولته جلالتها باسمه على يد الكردينال انطونلي (٢) .

٤ ـ سفير اسبانيا في المكسيك ودير الكرسي البطريركي

لا نرى بداً من تسجيل اسم السنيور كندي دي راويلا جيجادوا سفير اسبانيا في المكسيك بين اسماء المساعدين للبطريرك ميخائيل في تأسيس دير كرسيه البطريركي . وقد تولى السفارة لدولته في بلاد المكسيك باميركا . فكتبت اليه الدوكيسا دي فيلا هرموزا ان يفرغ الوسع في مساعدة البطريرك . فنهض ذلك السفير الجليل بتلك المهمة نهوضاً شريفاً . وجال مع الاب يوسف كانبو مدة ٣٦

(١) اعتنى مؤلف هذا الكتاب بوضع صورتي الملك والملكة ضمن اطارين نفيسين وعلقهما في الرواق الذي سكن البطريرك ميخائيل بجانبه (٢) محفوظات دير الشرفة : مجلد ٥

يوماً حتى جمع اكثر من خمسة آلاف ريال عمودي وحوّل المبلغ الى البطريرك على يد كردينال المجمع المقدس . فسجل لصنيعه المبرور اطيب الذكر في قيود دير الكرسي البطريركي .

٥ ـ السيدة دونا انطونيا روموروزا

بين المحسنات الاسبانيات النبيلات الى دير الشرفة والى مؤسسه البطريرك الانطاكي نذكر ايضاً السيدة دونا انطونيا روموروزا . وقد وجّه اليها ميخائيل الثالث عدة رسائل نشير منها الى رسالة كتبها في ٢٠ تموز ١٧٩٠ قال : « بعد اهداء البركة الرسولية ... لا يمكننا ان ننسى ما صنعته من الاحسان مع ولدنا الربّان ايليا الاكرم : انت وولدك العزيز السنيور ويشنته (منصور) وبناتك السيدات الموقورات . وقد كتبنا الى تقواك في ٣٠ ايلول ١٧٨٩ وشكرنا مساعيك وفضلك . والآن نجدد الكتابة لنقدم لك شكرنا مضاعفاً متوسلين الى الله تعالى ان ينظر اليك والى اسرتك بعين رحمته وينقذكم جميعاً من المصائب والاخطار ويمنّ عليكم بالخيرات والبركات ... » (١).

الفصل الخامس

الدوكيسا دي فيلاهرموزا[١] والكرسي البطريركي في لبنان

١ ـ منزلة اسرة دي فيلاهرموزا الاسبانية

ما برحت ألسن السريان منذ مائة وخمسين سنة حتى الآن تلهج بذكرى الدوكيسا

(١) محفوظات دير الشرفة : مجلد ٢٥

مريم دي فيلا هرموزا النبيلة التي امتازت ببرّاتها وعوارفها . واصبحت دعامة راسخة في أسس دير الكرسي الانطاكي وتعزيز البطريركية السريانية . وقد صانت لنا سجلات الدير المشار اليه وثائق راهنة ضافية تعرب عن منزلة هذه الدوكيسا الاسبانية وعن مقام اسرتها الرفيع .

ما كاد يتعرّف القس الياس شدياق مندوب البطريرك ميخائيل بأسرة الدوكيسا دي فيلا هرموزا ويطلعها على حالة بطريركه المغبوط وعلى ما عاناه من النوائب والكوارث والاضطهادات حتى بادرت الى اغاثته بجميع الوسائل . فأبلغت امره عاهلي الدولة الاسبانية والوزراء والسفراء واشراف المملكة . فاجمعوا قاطبة على مواصلة البطريرك برسائلهم وهداياهم وتبرّعاتهم السخية .

٢ – تعزية البطريرك للدوكيسا دي فيلا هرموزا بوفاة زوجها

شاء الله سبحانه ان يمتحن الدوكيسا مريم دي فيلا هرموزا بوفاة الدوك يوحنا بولس زوجها الطيب الاثر . فوجّه اليها البطريرك ميخائيل رسالة تعزية ابوية اردفها برسالة ثانية مؤرخة في ١ اذار ١٧٩١ هذا نصها :

« ... سبقنا فحررنا لحضرتك رسالة تعزية اوضحنا بها فرط حزننا على فقد المرحوم يوحنا بولس عريسك . والآن نؤكد لك انه لا يزال مصوّراً امام اعيننا حزنك وغمك . ولهذا نمزج دموعنا بدموعك على فقد هذا الرجل الشريف المؤمن الذي انار في حياته اكثر سكان مملكة اسبانيا المؤيدة . وكان لهم كشمس مضيئة بسيرته يجتذبهم من ظلام مصر الى ارض الميعاد . ولذا يجب ان نحزن ونفرح معاً . فنحزن لان مملكة اسبانيا فقدت رجلاً مزيناً لا بالشرف العالي فقط بل بصفات اكثر قرباً لله تعالى .

« ولذا لبسنا الحداد كما لبسه اهل اسبانيا وأقمنا الصلوات والجنازات لراحة نفسه ولا سيما لانه ساعدنا من بلاد بعيدة في تشييد محلنا . اعني دير سيدة النجاة

كرسي بطريركيتنا لاجل نموّ الايمان الكاثوليكي . فلا شك ان دموعنا تمتزج من بعيد بدموعك ودموع سكان الدوكاتو دي هرموزا .

« ولكننا عند تذكرنا تشوّق الرسول بولس الى ان ينحلّ ويكون مع المسيح نعتقد ان هذه الآية نفسها كانت بفم عريسك . لعلمه الاكيد اننا عابرون وليس لنا ثبات في هذه الدنيا . وقد كانت اعماله الصالحة كسلّم يعقوب صعد على درجاتها الى السعادة الابدية .

« فعند تفكرنا في ذلك ألقينا عنّا ثوب الحداد وتهلل قلبنا بالفرح . لان عريسك المرحوم اصبح في امان من امر خلاصه الابدي كما نؤمل من مراحمه تعالى . واصبحت انت شريكته منذ الآن في سعادته . فلا تَدَعي الحزن يطعن قلبك ويشمل روحك . بل تعزّي بالرب يسوع واتّكلي عليه بموجب عوائدك الحميدة ولا سيما لاجل تسلية نجليك المحبوبين . نسأله تعالى ان يحفظهما ويوفقهما ... »

٣ ـ عوارف الدوكيسا دي فيلا هرموزا على دير الكرسي البطريركي

توالت عوارف آل فيلا هرموزا على الحبر الانطاكي وعلى دير كرسيه البطريركي . فانهم لم يقتصروا على امداده بالمال لعمارة ديره ووفاء ديونه ومساعدة ابرشياته . بل اتحفوه بهدايا فاخرة ثمينة لم تزل حتى اليوم مصونة في دير الشرفة وهي تنطق بفضلهم ومكارمهم . وقد عددها القس الياس شدياق المندوب البطريركي في رسالة ذات اربع صفحات مؤرخة في ٧ ايلول ١٧٩٣ وجهها الى السيد البطريرك . نذكر منها حلة حبرية حريرية كاملة مزركشة بقصب الذهب وآنية قدسية من الذهب الابريز تشتمل على عشرين قطعة وغير ذلك .

ولما سمع البابا بيوس السادس بأمر تلك الهدية الفاخرة ابتهج ابتهاجاً عظيماً . وكتب الى الدوكيسا الكريمة رسالة طافحة بالحب والعطف الابوي شاكراً لها

فضلها وسخاءها ومثنياً أطيب الثناء على احسانها . ومما اورده في رسالته قوله : « لا ريب في ان الله عزّ وجلّ قد ألهمك ان تساعدي هذا الراعي الصالح الكلي الاستحقاق وتخفضي عنه ما يعانيه من الشدائد والاضطهاد وما يكابده من العسر والفاقة » .

٤ ـ شكر البطريرك ميخائيل للدوكيسا المشار اليها

اما البطريرك ميخائيل فقد كتب بتاريخ ٣ تشرين الاول ١٧٩٤ الى الدوكيسا دي فيلا هرموزا الكريمة يشكر لها هديتها النفيسة وحسناتها ومساعيها المتواصلة قال :

« ... وصل الينا تحريراكِ اولهما بتاريخ ١ ايلول ١٧٩٢ وثانيهما بتاريخ ٢١ شباط ١٧٩٣ فشكرنا الله تعالى على سلامتك وسلامة نجليكِ ولدينا الدوك يوسف والدوك يوحنا المحترَمين ... وقد شملنا سخاؤك الملوكي بارسالك الينا صندوق البدلة الحبرية التامة المعتبرة مع الآنية المقدسة اللازمة لتقدمة الذبيحة الالهية . وهي حقاً تليق بسخائك ولا تليق بحقارتنا . وقد تزيّنّا بها في قداس حبري قرّبناه لاجلك ولاجل انجالك ... ثم رتلنا جنازاً احتفالياً مع قداس احتفالي يوم تذكار الموتى ٢ تشرين الثاني لراحة نفس عريسك المرحوم يوحنا بولس وكافة المتنيحين من عائلتك الشريفة . وسجّلنا اسمك واسم عريسك ووالدك ووليديك في دفتر القداس اليومي ليصير لهم تذكار في كل قداس يقام في دير كرسينا بكنيسة سيدة النجاة .

« وصل كذلك مع صندوق البدلة الف وخمسمائة ريال عمودي وثلاثمائة واثنتا عشرة ليرة ونصف ذهبية . وكتبنا لجنابك بتاريخ ١٠ ايلول ١٧٩٢ عن وصول ثلاثة آلاف ريال عمودي من كرمك ...

« ثم اننا ابتهجنا جداً عندما افهمنا كاتب اسرارنا انك كتبتِ لنا بخطك

الشريف عبارة باللغة السريانية . وكنا نتوق ان نشاهد خطك هذا السرياني بعيننا . ولكن الاله الرحيم افقدنا البصر قصاصاً لآثامنا . ولم يبقَ لنا منه الا ما يكفينا لمشاهدة الاعراض السرية وتمييزها في القداس الالهي . وقد تأكدنا من تنازلك عظم محبتك اللائقة بتقواك وعظمتك ... ومجدنا الله تعالى الذي منح سعادتك روح المشورة المقدسة وزيّنك بين النساء بمثل هذه الفضيلة السامية يا ايتها السيدة الشريفة ...

سرّنا ان ولدنا القس الياس شدياق وكيلنا حضر عندك في ١ شباط تذكار مار اغناطيوس الشهيد اسقف انطاكية . واقام القداس في قصرك العامر وشعرتِ بان الشهيد لا يخيّبك ...

«واعلمي انه لولا حسنات المجمع المقدس ولولا حسناتك ايتها الدوكيسا الشريفة لعجزنا عن وفاء ديوننا . ولذا يجب ان يقال عنك انك اشتريت بطريركية السريان الكاثوليكية وانك انقذتها بمالك وسعيك من ثقل لم يكن في امكانها ان تنهض به ابداً . وسيترتب من مالك ومساعيك المقدسة معاش لنا وللبطريرك الكاثوليكي المزمع ان يخلفنا وللناذرين في دير كرسينا .

«سُررنا جداً بوصول البراءة الرسولية الى سعادتك . وبالحقيقة انك تستحقين اعظم من ذلك . وفي الختام نتوسل الى سيدنا يسوع المسيح ان يرفع يمينه من علو سمائه ويبارك عليك وعلى ولديك وعلى منزلك العامر . ونمنحكم نحن من صميم القلب البركة الرسولية والسلام الابوي ...» .

٥ ـ البابا بيوس السادس يعلن الدوكيسا دي فيلا هرموزا مشتركة في تأسيس دير الشرفة كرسي البطريركية السريانية

اجابة الى طلب البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث انعم البابا بيوس السادس على الدوكيسا مريم دي فيلا هرموزا بلقب « مشتركة في تأسيس دير

الشرفة » يتسلسل في اولادها واحفادها . وفي سلالتهم من بعدهم مكافاة لفضائلها ومساعيها المبرورة . وكتب اليها في ذلك براءة بابوية(١) هذا تعريبها :

« البابا بيوس السادس

« ايتها الابنة المحبوبة بالرب يسوع المسيح السلام والبركة الرسولية •

« ان كثرة اهتمامنا في اتمام واجباتنا ووفرة الاحزان الملمة بنا في هذا الوقت الحرج لم تُقعدنا عن ان نوجه التفاتنا اليك ايتها الابنة المحبوبة بالرب يسوع . وفي الحق اننا نُعدّ مقصرين في اتمام واجباتنا ومهماتنا الراعوية ان اضربنا عن تبيان عربون رضانا الخاص عنك لِما تصنعينه عند اخينا أغناطيوس ميخائيل جروة بطريرك السريان الموقر وعند طائفته السريانية جمعاء ... وقد ارسل البطريرك المشار اليه الى اخوتنا الكرادلة كتباً تنبىء بتقواك وشهامتك اذ ساعدته على ابتياع وتشييد دير سيدة النجاة في كسروان بدرعون . وقد جعله كرسياً له ولخلفائه في البطريركية السريانية ... ووافقنا نحن على صنيعه هذا بكتاب وجهناه اليه بمثابة منشور مؤرخ في ٢٢ ايار ١٧٨٧ .

« فقد اضطر البطريرك ميخائيل لضيق ذات يده ان يستقرض مبلغاً باهظاً لانجاز مشروعه الخطير .. اما انت فلم تكتفي بانقاذه من هذه الضيقة وبارسالك اليه امتعة بيعية فقط بل توسطت في تلطيف شدائده لدى ولدنا كرلس الرابع ملك اسبانيا الكاثوليكي الذي نحبه حباً جماً بالسيد المسيح . وصنعت الشيء عينه لدى الشعب المكسيكي ايضاً . بناء على ذلك يحق ان نطلق عليك لقب « مشتركة في تأسيس دير الشرفة » .

« فمكافأة لصنائعك المبرورة شاء البطريرك اغناطيوس ميخائيل عربوناً لمعرفة الجميل ان يكتب الى كرادلة الكنيسة ليُنزلوك ويُنزلوا اسرتك الكريمة منزلة

---

(١) اوصت الدوكيسا دي فيلا هرموزا ان تصان هذه البراءة الرسولية في خزانة دير الشرفة للذكر المخلد . وما برحت محفوظة هناك حتى اليوم بنصها الاصلي .

المؤسسين لذلك الدير . فالتمسوا منا ان نلبي طلب البطريرك ونؤيده بسلطاننا الرسولي ... ولذا اوعزنا الى اخينا قيصر مطران نصيبين المحترم ان يجعلك انت واولادك وورثتك بمنزلة البطريرك ميخائيل فيعلنكم قاطبة مشتركين في الاعمال التقوية التي ستكمل في الدير المشار اليه . وان يمنحكم جميع القاب الشرف وجميع الحقوق والانعامات التي يمنحها العدل والعمل والعادة ويقررها لكل مؤسس دير ما دام الدير حراً . وان يحافظ على كل ما حددناه في منشورنا المومأ اليه .

« واجابة الى رغبتك نقرر لك ولذويك المكرمين بسلطاننا الرسولي كل ما تقدم بيانه ونبعث اليك بهذه البراءة تأييداً لذلك . ونؤيد طلبك عربوناً لمحبتك لنا وتعلقك بسدتنا الرسولية ومكافأة لفضائلك الحسنة . ونؤمل ان يغدو مَثَلُكِ قدوة صالحة لغيرك .

« بناء عليه نجيب الى رغبتك بكل ارتياح ونُطلق عليك نعوت الشرف اسوة بالشرفاء نظائرك . ثم نحلك من كل حرم ومنع وقضاء كنسي – ان كنت مقيدة بشيء من ذلك – ونقيمك بسلطاننا الرسولي شريكة للبطريرك اغناطيوس ميخائيل المشار اليه في تشييد دير سيدة النجاة بكسروان ... وننعم عليك وعلى اولادك واعقابك بالاشتراك في جميع الاعمال المبرورة التي تقام في ذلك الدير . وان تتمتعوا طبقاً للعدل والعمل والعادة بكل ما يتمتع به مؤسسو الاديار من ألقاب الشرف والحقوق والانعامات ما دام الدير قائماً ... ونأمر ان تحفظ شروط براءتنا هذه بالحرف الواحد وتبقى ثابتة صحيحة نافذة يحترمها الجميع احتراماً تاماً في كل شيء .

« ونحظر على الولاة او الكرادلة او سفراء الكرسي الرسولي او قصّاده ان يؤولوا براءتنا هذه تأويلاً مخالفاً لها او يحكموا عليها او يحددوها او يبطلوها او يلغوها . واذا أبدى احد بمعرفة او بغير معرفة ما يخالف حكمنا كان ذلك باطلاً ومُلغى ... ذلك ما نتوخاه من الفوائد الناجمة عن هذه البراءة . ونعتد كل ما يناقضها باطلاً وملغى .

« أعطي تحت ختم الصيّاد في ٢٠ اذار سنة ١٧٩٨ وهي السنة الرابعة والعشرون لحبريتنا » .

بالنيابة عن الكردينال براسكودي هونيستيس

ب . مار يسكوتس »

وبتاريخ ٢١ تشرين الاول ١٧٩٨ بعث البطريرك ميخائيل الى الدوكيسا دي فيلا هرموزا برسالة ورد فيها ما يلي : « ... وصل مكتوباك رقم ٣٠ تشرين الاول ١٧٩٧ و٢٨ تموز ١٧٩٨ وكان وصول كليهما بمدة عشرين يوماً لا غير . وقد فُتحا بموجب الاوامر القاطعة الصادرة من حكومة تركيا لان الدولة الفرنساوية ملكت مصر . فابتهجنا بوصول البراءة الرسولية الى سعادتك وهي تشركك معنا في تأسيس دير الشرفة . ومتى هدأت الاحوال نرسل اليك مكاتيب مستطيلة ... » .

وفي التاريخ المذكور بعث البطريرك نفسه برسالة الى دون هوسي نجل الدوكيسا يقول : « ... ابتهجنا بوصول كتابكم الشريف . وقد كمل فرحنا بين مصائبنا لوصول البراءة الرسولية الى يدكم بمشاركتكم حقارتنا في تأسيس الدير العائد الى مجدالله تعالى . وحقاً ان فرحنا هذا لا يوصف ولا يقدّر . اننا كتبنا الى والدتكم باختصار . ونهدي تحياتنا لحضرة ولدنا الحبيب دُون يوحنا بولس الشريف ... »(١) .

هذا نزر يسير من اخبار العلاقات التي توثقت بين مار اغناطيوس ميخائيل الثالث وبين أسرة الدوكيسا مريم دي فيلا هرموزا . وفي فصل سابق اثبتنا ما جرى بين هذا البطريرك وبين عاهلي اسبانيا ورجالاتها الكبار من رسائل العطف والاحترام . وهي وثائق ثمينة تنطق بفضائل ذلك الحبر البار وتجاهر بمكارم تلك الدولة النبيلة وعوارفها الجمة .

---

(١) محفوظات دير الشرفة : مجلد ٢٥

الفصل السادس

وفاة البطريرك ميخائيل الثالث وبعض مآثره وآثاره

قضى هذا الحبر الانطاكي ست عشرة سنة في لبنان يجاهد جهاد الابطال في سبيل رعيته معتصماً بالعناية الالهية في كل احواله . واتخذ شعاراً له آية المرتل : « ألقِ همّك على الرب وهو يعولك »(١) . وقد تذرّع بكل ما أوتيه من حكمة وغيرة وسداد حتى قيّض له الله عزّ وجل ان يكشف الضيم عن ملّته ويعزّز شؤونها ويسير بها في محجة الفلاح .

ومن مآثر هذا البطريرك تشييده الكرسي البطريركي في لبنان ومساعدته اساقفة الابرشيات وكهنتها وكنائسها . وفي عهده نما عدد ابناء الملة في حلب ودمشق والرها وماردين والموصل وبغداد ومصر وغيرها . ولم يكلّ من مراسلاتهم ولم يملّ من بذل النصائح الابوية لهم ليثبتوا في مبادئهم القويمة .

هكذا واصل ميخائيل الثالث سعيه الرسولي حتى ١٠ ايلول ١٨٠٠ فادركته حمّى شديدة كانت القاضية على حياته الثمينة في ١٤ ايلول . فتألب الى دير الشرفة بطريركا الروم الملكيين والارمن واساقفتهما وجماهير غفيرة من ارباب الكهنوت والمشايخ والاعيان . وبعد صلوات الجناز ادرجوه في لحد خصوصي تحت مذبح سيدة النجاة تغمده الله تعالى بغزير مراحمه .

وكان البطريرك ميخائيل الثالث عالماً كبيراً بارعاً في اللغة السريانية . ومن متروكاته نافور قداس معروف باسمه(٢) . ومناشير دينية في « التجسّد » وفي

---

(١) مزمور ٥٤ : ٢٣ (٢) رسالة التوطئة الى الاحتجاج والتبرئة : بقلم المطران اقليميس يوسف داود . (مخطوطات دير الشرفة : رقم ٣٢/٥ صفحة ٢٣)

« التقديسات الثلاث » وفي « عقيدة المطهر » (١) وفي « العقيدة بالطبيعتين » . وانشأ طقوساً لخميس عيد الجسد وللايام السابقة والتابعة له . ونقل من السريانية الى العربية بعض « حسّايات » ونظم طقوس « الجنازات » و « رسامة الرهبان والراهبات » ، وطقوساً لبعض القديسين والقديسات الخ .

ومن مخلّفاته الثمينة خزانة كتب مخطوطة ومطبوعة تعدّ من تحف لبنان وذخائره النادرة . وقد نقل اكثرها من حلب الى الشرفة مع خمس قوافل متتابعة (٢) . نضيف اليها رسائله الوافرة ومجموع سجلاته الباقية الى هذا العهد وهي تدل على ما اتصف به من الحرص والذكاء وحب النظام .

واحتوت محفوظات دير الشرفة على رسائل جمة وجهها الامراء الشهابيون واللمعيون وآل الخازن وآل السعد الى البطريرك ميخائيل الثالث . بينها رسائل الامير بشير الثاني الكبير (١٧٨٨ – ١٨٤٠) الذي كان يجلّ فضائل هذا الحبر الانطاكي ويتباهى بصداقته ويعوّل على سداد آرائه . وسلك حكّام لبنان مسلك من سبقهم في علاقاتهم مع بطاركة السريان الذين كانوا من احرص الرؤساء على احترام قوانين البلاد وارغبهم في حفظ السلام والالفة والمحبة بين جميع الملل والنحل .

الفصل السابع

خلفاء البطريرك ميخائيل الثالث في دير الشرفة

١ ـ اغناطيوس ميخائيل الرابع ضاهر (١٨٠٢ ـ ١٨١٠)

على اثر انتقال مار اغناطيوس ميخائيل الثالث عقد الاساقفة مجمعاً في دير

---

(١) المشرق : مجلد ٢٢ سنة ١٩٢٤ صفحة : ٨٩٠ (٢) محفوظات دير الشرفة : مجلد ٥

الكرسي البطريركي وانتخبوا خلفاً له الخورفسقفوس ميخائيل ضاهر الحلبي . فكتب اليه المطران يوليوس انطون دياربكرلي النائب الرسولي يستدعيه الى الدير ليتسلّم عكاز الرئاسة . فاجابه المنتخَب بتاريخ ٨ ايلول ١٨٠١ يستعفي قائلاً : « ... ان عبدكم لا يمكنني ان اقبل هذا الانتخاب لسبب عدم معرفتي الكافية . لاني ان كنت لا اعرف اسوس ذاتي فكيف اقدر ان اسوس ملّة برمّتها ومرتبة عالية كهذه ؟ فعبدكم يترامى على اقدامكم بدموع مترادفة وبقلب ممزّق ويسألكم باحشاء مراحم يسوع ان تعفوه من هذا الانتخاب الذي لا يقدر عقلي إن يتصوّره بنوع من الانواع ... فارحموني اكراماً لله ولوالدته واشفقوا عليّ ... وارجو ان يكون الجواب طبقاً للمرام اعني بالاعفاء ... » .

كان هذا الجواب داعياً الى اعتقاد الاساقفة بفضيلة الخوري ميخائيل ضاهر . فازداد الحاحهم عليه بالقدوم الى الشرفة ليسندوا الكرامة البطريركية اليه . فلم يرَ بعد ذلك كله الا الانقياد لرغائبهم فقدم من حلب الى لبنان . ثم تمّت سيامته اسقفاً فبطريركاً انطاكياً في بيعة سيدة النجاة صباح ٤ ايار ١٨٠٢ بوضع يد المطران يوليوس انطون النائب الرسولي وحضور البطريرك يوسف تيّان الماروني والبطريرك غريغوريوس الارمني والمطران اغناطيوس صرّوف الملكي وغيرهم من الاحبار والكهنة .

وعلى اثر ذلك توجّه البطريرك الجديد الى رومة فوشّحه البابا بيوس السابع بدرع التثبيت في ٢٠ كانون الاول من تلك السنة . ثم عاد سنة ١٨٠٥ الى دير الشرفة واقتفى آثار سلفه في سياسة الملة . وفي السنة ١٨٠٨ انطلق الى دير مار افرام الرغم حيث ظل زهاء سنتين . وبعد مرور ثمانية اعوام على رئاسته استثقل اعباءها فتنزّل عنها في ١٠ ايلول ١٨١٠ في ديرا لآباء الفرنسيسيين بحريصا . وجرى ذلك بحضور السيد يوسف تيّان بطريرك الموارنة الذي سبقه في التنزّل عن المنصب البطريركي بتاريخ ٨ حزيران ١٨٠٩ . وبعد تنزّل البطريرك ميخائيل الرابع انيطت به ابرشية حلب فانطلق اليها وظلّ يسوسها حتى وفاته في ٢٢ كانون الثاني ١٨٢٢ .

٢ ـ اغناطيوس سمعان الثاني زورا (١٨١٤ ـ ١٨١٨)

قدم من الموصل الى دير الشرفة وفي ١٠ حزيران ١٨١٢ ارتقى الى مطرانية دمشق وراشيا بوضع يد السيد يوليوس انطون النائب الرسولي . وفي ١ كانون الثاني ١٨١٤ جرى انتخابه بطريركاً وفي اليوم التالي قبض على العكاز البطريركي في كنيسة دير الشرفة بحضور السيد يوحنا الحلو بطريرك الموارنة والسيد غريغوريوس بطرس السادس بطريرك الارمن والسيد لويس غندولفي القاصد الرسولي والمطران جرمانس ثابت الماروني واساقفة الملّة . غير انه استعفى باختياره في ٢٠ حزيران ١٨١٨ واكمل بقية ايامه بالزهد والقشف . وتوفاه الله تعالى في ٢١ آب ١٨٣٩ ودُفن بجانب سلفه مار ميخائيل الثالث . وسبق هذا الحبر الورع فكتب في ٧ ايلول ١٨٢٣ وصيّته الاخيرة بخطّ يده وهذه خلاصتها :

« اني انا الحقير غريغوريوس المطران سمعان السرياني الموصلي قد حضرت الى دير سيدة النجاة الكرسي الانطاكي لطائفتنا . وانتُدبت وتكرّست مطراناً لدمشق الشام سنة ١٨١٢ وبعد سنتين انتُخبت بطريركاً انطاكياً وثبّت الكرسي الرسولي انتخابي ومنحني سيدنا الحبر الاعظم البالليوم . ولكن لراحة ضميري قبل وصول التثبيت والباليوم تفرغت باختياري عن الوظيفة البطريركية وَقبلَ الكرسي الرسولي تفرّغي ...

« والآن باختياري ورضاي احرر وصيتي بخطي وامضيها واشهد فيها علي جملة شهود ليُعمل بموجبها بعد وفاتي ... فاقول : قد اقتنيت في كسروان جانب « البيّاض » وغرست ونصبت فيه وما زلت اعتني به . وبما انه مالي وفي حوزتي وتصرفي ولي الحرية ان افعل به ما اشاء فاريد بحريتي المطلقة ان يتولاه بعد وفاتي السيد بطريرك طائفتنا وجمعية الناذرين في دير سيدة النجاة لا غيرهم . . . لاني لله وكل ما يختص بي فهو لله ومن مال الله واقدمه لله .

« اما مدخوله فاريد واطلب من السيد البطريرك ومن جمعية الناذرين لسيدة

النجاة واثقل ذمتهم امام الله بان يتقدّم بالثلث قدّاسات بحسنة مضاعفة بموجب نيتي ما دام الدير قائماً والرزق مغلا. والثلث الثاني يكون اسعافاً لدير سيدة النجاة والثلث الثالث يعود الى عمار الرزق جيلًا فجيلًا ... هذه هي وصيتي ... تحريراً في ٧ ايلول سنة ١٨٢٣ .

الحقير

المطران سمعان السرياني»

٣ ـ اغناطيوس بطرس السابع جروة (١٨٢٠ ـ ١٨٥١)

قبض على عصا البطريركية بتاريخ ٣ اذار ١٨٢٠ في كنيسة دير سيدة النجاة بالشرفة . وقد سلمها اليه سالفه البطريرك سمعان بحضور غريغوريوس الثاني بطريرك الارمن (١٨١٢ ـ ١٨٤٠) ولويس غندلفي القاصد الرسولي ورهط من اساقفة جميع الملل وكهنتها وأعيانها . وصرف هذا البطريرك جهوده في توسيع دير الكرسي فابتنى غرف الممشى التحتاني .

وفي السنة ١٨٢٥ سافر الى رومة فقلده البابا لاون الثاني عشر درع التثبيت في ٢٨ كانون الثاني ١٨٢٨ . وبعد ذلك قفل عائداً الى الشرق وسكن زهاء سنة في دير مار افرام الرغم واحدث فيه بعض الابنية . ثم قام برحلة راعوية فزار ابرشيات دمشق وراشيا وطرابلس وحمص وحماة وحلب . وانضم الى طاعته سبعة من اساقفة اخوتنا السريان الارثوذكس وهم : غريغوريوس يعقوب حلياني مطران دمشق . وغريغوريوس عيسى محفوظ مطران اورشليم . ويوليوس انطون سمحيري اسقف ماردين ودياربكر . وايونيس متى نقّار مطران الموصل . وغريغوريوس عمنوئيل كرمة مطران الموصل . وغريغوريوس عبد المسيح مطران حمص وحماة . وديونيسيوس يوسف سمنة مطران حلب . وغريغوريوس الياس شهوان مطران حمص وحماة . وهؤلاء الاساقفة السبعة ثبتوا على عهودهم حتى آخر ايامهم .

واقام البطريرك بطرس مدة في حلب وابتنى حول كنيسة والدة الله الكاتدرائية

عدة دور ومخازن في حي الصليبة . وفي ٢ حزيران ١٨٣٦ نادى البطريرك بوجوب استعمال الحساب الغريغوري بدلا من الحساب اليولي . ثم ارتحل سنة ١٨٤٣ الى عاصمة السلطنة حيث اجتمع ببطريركي الروم الملكيين والكلدان وقرروا معاً انفصال مللهم الثلاث الكاثوليكية انفصالا مدنياً عن سائر الملل المسيحية . وعاد البطريرك بطرس الى لبنان حاملاً براءة سلطانية تؤيد مطاليبه كلها .

واتفق حين ذاك ان انتخب السيد يوسف الخازن مطران دمشق بطريركاً للطائفة المارونية في ١٨ آب ١٨٤٥ فدُعي البطريرك بطرس السابع الى حفلة تسليم العكاز البطريركي . وحدثت وقتئذ تظاهرات أخذ الشبان في اثنائها يطلقون البنادق وينشدون الاهازيج تعظيماً للبطريركين الماروني والسرياني . فأصاب البطريرك بطرس من جراء ذلك صداع شديد ولزمته آلام هذا الصداع بسبب دوي البارود حتى نهاية أجله .

وبعدما قضى البطريرك بطرس زهاء سنتين في دير الشرفة قام بزيارة راعوية ثانية حتى انتهى الى حلب وفيها قضى بقية ايامه . وفي ١٦ تشرين الاول ١٨٥٠ ثار بعض الرعاع فنهبوا وقتلوا وارتكبوا الفظائع . واحرقوا الكنائس واوقاف الفقراء ودار البطريركية والحقوا الاهانات والضربات والشتائم بجميع الرؤساء الروحانيين . ولم يسلم البطريرك بطرس السابع من تلك الغائلة فانهم هجموا عليه وضربوا رأسه بآلة حديديّة فانتفخت عيناه وسالت دماؤه . ثم اوثقوا رجله اليمنى بحبل وجرّوه على الحضيض في ساحة القلاية دون ان يراعوا شيخوخته وكرامته . واستلّ احدهم سيفاً وحاول ان يقطع عنق البطريرك فأخطأه . لكنه اثخن في ضربه فجرح كتفه اليمنى جرحاً بليغاً . ولما شاهده في تلك الحال احد كرام المسلمين (الحاج عثمان حمصاني) نقله الى بيته وضمّد جراحه وعالجه .

وبعد ثلاثة ايام حضر دي ليسبس قنصل فرنسا ونقل البطريرك الى داره محفوفاً بارباب الكهنوت واركان القنصلية وجماهير غفيرة وظلّ هناك زهاء شهرَين حتى تعافى . ثم انتقل البطريرك الى بيت مجاور للقلاية البطريركية وظل يتقلّب

على فراش العذاب حتى استأثرت به المراحم الالهية في ١٦ تشرين الاول ١٨٥١ اي بعد مرور سنة كاملة على حدوث تلك الفاجعة .

يطول بنا الشرح لو عدّدنا مآثر هذا البطريرك الشهيد ومؤلفاته التي اتينا على تفصيلها في كتابنا « السلاسل التاريخية »(١) . وقد جرت له مراسلات علمية مع بعض المستشرقين ولاسيما عميدهم سلوستر دي ساسي (١٧٥٨ - ١٨٣٨) . وفي محفوظات مكتبة الشرفة طائفة من تلك الرسائل . وفي ٥ اذار ١٨٢٠ بعث اليه هذا المستشرق برسالة عربية كتبها بخطّه الرائع وشفعها بخمس وعشرين نسخة من كتاب ألّفه عن لويس السادس عشر ملك فرنسا سمّاه « الدرّ المنظوم في وصايا السلطان المرحوم » . وارسل اليه كذلك امّهات الحروف السريانية الضخمة بمثابة هديّة تعزيزاً للمطبعة التي استحضرها البطريرك من انكلترا .

وللبطريرك بطرس السابع مؤلفات وترجمات ومجاميع سريانية وعربية عدّدناها في كتابنا « التحفة في تاريخ دير الشرفة »(٢) . وقد حُفظ منها في خزانة مخطوطات دير الشرفة وفي مكتبة ماردين ومكتبة مطرانية حلب .

الفصل الثامن

بطاركة السريان في لبنان

من السنة ١٨٥٣ حتى السنة ١٨٩٧

١ - اغناطيوس انطون الاول سمحيري (١٨٥٣ - ١٨٦٤)

جرى انتخاب السيد يوليوس انطون سمحيري اسقف ماردين في دير الشرفة

---

(١) السلاسل التاريخية : صفحة ٩١ - ١١٢

(٢) التحفة في تاريخ دير الشرفة : لفيليب دي طرازي : فصل ١٥ رقم ٢

صباح ٣٠ تشرين الثاني ١٨٥٣ خلفاً للبطريرك اغناطيوس بطرس السابع . واحتفل البطاركة بتسليمه العكاز البطريركي بتاريخ ٨ كانون الاول في كنيسة الدير المذكور . وحضر الاحتفال بطريرك الموارنة يوسف الخازن وبطريرك الارمن غريغوريوس بطرس الثامن ومبارك بلانشة القاصد الرسولي (١٨٥٢ - ١٨٥٧) في بلاد ما بين النهرين واساقفة السريان والموارنة والروم الملكيين والارمن وعدد غفير من اعيان الملّة ومشايخ جبل لبنان .

وعلى اثر تتويجه البطريركي عاد الى بيروت وحلّ ضيفاً كريماً في دار جدّنا المقدسي انطون طرّازي . واغتنم تلك الفرصة فاحتفل مع الاساقفة في ٦ شباط ١٨٥٤ بخطبة والدنا نصرالله ووالدتنا منّة بنت يوحنا شقال وبارك خاتمي خطبتهما .

وفي ربيع السنة ١٨٥٤ سافر البطريرك انطون الى رومة حيث قلّده الحبر الاعظم درع التثبيت في ١٦ حزيران . ثم طاف بلاد اوروبا فاحتفى به ملوك فرنسا وبلجيكا وهولندا والنمسا احتفاء عظيماً واتحفوه بهدايا فاخرة ثمينة لم تزل محفوظة بكل اجلال في خزائن البطريركية السريانية . واستدعاه نابليون الثالث الى باريس عام ١٨٥٦ وسمّاه عرّاباً لابنه ووليّ عهده البرنس لويس نابليون .

ظلّ البطريرك الانطاكي زهاء عامين في اوروبا ثم قفل عائداً الى بيروت. ثم توّجه الى دير الشرفة فاطّلع على سجلاته واوقافه وحسابات ارزاقه . وأشرف بنفسه على احوال مدرسته واستكتب لائحة بجميع محتوياته من آنية بيعية ومخطوطات قديمة وتحف فنية وغير ذلك . وفي السنة ١٨٥٧ ارتحل عن لبنان وتفقّد ابرشيات الملة في سوريا وما بين النهرين والعراق . وتبرع بأموال سخية لبناء كنائس حلب وماردين ودياربكر والموصل وبغداد والقاهرة وغيرها .

وأرسل شباناً يتلقّنون العلوم في دير الشرفة وفي مدرسة بروبغندا برومة (١) .

(١) بين الشبان الذين ارسلهم الى رومة نبغ احبار رفعوا شأن الامة بعلمهم وفضلهم كالبطريركين اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٣ - ١٨٩٧) واغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨ - ١٩٢٧) واقليميس يوسف داود مطران دمشق (١٨٧٩ - ١٨٩٠) . وقس عليهم خوارنة اجلاء نذكر منهم : الخوري بطرس بوصيك والخوري جبرائيل دقماق والخوري افرام احمر دقنه . والخوري يوسف معمار باشي.

واستغرقت بطريركية هذا الحبر الانطاكي عشرة اعوام وستة اشهر وسبعة عشر يوماً . وتوفاه الله تعالى في ١٦ حزيران ١٨٦٤ وفي تاريخ اليوم والشهر نفسه من السنة ١٨٥٤ كان الحبر الاعظم قد وشّحه بدرع التثبيت كما نوهنا . وقد لحد جثمانه تحت مذبح مار افرام في كنيسة والدة الله التي ابتناها في ماردين .

٢ ـ اغناطيوس فيلبس الاول عركوس (١٨٦٦ ـ ١٨٧٤)

هو من بواكير تلامذة الشرفة في طورها الثاني قدم اليها عـام ١٨٤٤ وصار قسيساً عام ١٨٥٠ ورُقي الى مطرانية دياربكر عام ١٨٦٢ في كنيسة ماردين . وقبض على عصا البطريركية في ٢٤ حزيران ١٨٦٦ في كنيسة والدة الله بحلب . وافتتح بطريركيته بمنشور ابوي وجهه الى رئيس الشرفة وتلامذتها بتاريخ ٢٥ حزيران جاء فيه :

« ... نناشد تقواكم بالحب الابوي ان تعتصموا بروح الودّ المسيحي متمسكين بهذه العلامة الفريدة التي منها وبها تُعرفون انكم تلاميذ يسوع المسيح . . . لكي نستحق ان نشاهده تعالى في ذلك الموقف العظيم بوجوه مُسْفِرة . ونهتف نحوه جلّ شأنه بدالة « ها انا والبنون الذين اعطيتنيهم يا رب » .

وفي تموز السنة عينها شخص الى بيروت يرافقه بعض الاساقفة وحلوا ضيوفاً كراماً في منزل والدنا نصرالله دي طرازي (١) . ثم انطلق الى رومـة فوشّحه البابا بيوس التاسع بدرع التثبيت في ٦ آب . ثم جال البطريرك فيلبس في انحـاء اوروبا وقابل بعض ملوكها ولا سيما نابليون الثالث امـــبراطور فرنسا وفرنسوا جوزيف امبراطور النمسا وعاد الى الشرق. وفي السنة ١٨٦٩ سافر في ستة اساقفة وبعض خوارنة الملة وعلمائها الى عاصمة الكثلكة لحضور المجمع الفاتيكاني ونزلوا في

---

(١) العقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين : مخطوطة دير الشرفة : مجلد ١ رقم ٦/١٩

قصر الامير طورلوني . وفي ذلك القصر شعر البطريرك بداء اليم فزاره البابا بيوس التاسع وبادله عبارات الاخاء والمحبة .

بعد هذا رجع البطريرك الى لبنان فرحب به والدنا نصرالله ترحيباً بنوياً وصرف عندنا اياماً يعتني بأمر صحته حتى ارتحل الى ماردين . وهناك هصر غصن حياته كهلاً في ٧ اذار ١٨٧٤ في السابعة والاربعين من سنه والثامنة من بطريركيته .

وكان البطريرك فيلبس الاول واعظاً بليغاً اشتهر بمواقفه الخطابية في الكنائس والمجالس . وعندما قابل السلطان عبد العزيز العثماني سنة ١٨٦٦ في بلاطه الملكي ألقى خطاباً نفيساً فأعجب السلطان بلهجته التركية الفصيحة ودفع اليه بيده الفرمان الشاهاني .

٣ ـ اغناطيوس جرجس الخامس شلحت (١٨٧٤ - ١٨٩١)

على اثر وفاة البطريرك فيلبس التأم الاساقفة في دير الشرفة وانتخبوا مار ديونيسيوس جرجس شلحت مطران حلب بطريركاً للكرسي الانطاكي باسم اغناطيوس جرجس الخامس . وبتاريخ ١١ تشرين الاول ١٨٧٤ تسلم عكاز الرئاسة ووافق ذلك تاريخ مولده سنة ١٨١٨ .

وفي اثناء اقامة هذا البطريرك في الشرفة (١٨٧٤ - ١٨٧٨) انصرف الى الاعتناء بتثقيف التلامذة وتعليمهم الرتب البيعية والترانيم الطقسية . ثم اسس كنيسة الدير الجديدة واعتنى بارزاقه ووقف له بعض الاوقاف . وزيّن قاعته برسوم البطاركة اسلافه . وافرغ الجهود في ترميم دير مار افرام الرغم واعادة العيشة النسكية اليه .

وانتهز والدنا نصرالله فرصة اقامة البطريرك في دير الشرفة فزاره مراراً وأبدى له فكرته في وجوب تأسيس كنيسة للملّة في بيروت . فلم يرَ البطريرك الا ان يلبّي طلب والدنا ونزل الى بيروت وعقد في دارنا مجلساً مؤلفاً من الكهنة والاعيان

وتمّ القرار على مشترى ارض مجاورة لبيتنا . ووضع البطريرك الحجر الاول في ٢٥ اذار ١٨٧٨ ثم دشّن الكنيسة في ٢٧ كانون الاول ١٨٨٥ واطلق عليها اسم شفيعه مار جرجس الشهيد(١) .

والى البطريرك جرجس يعود الفضل في تأسيس دير مار افرام في ماردين . وقد ذهب بنفسه الى تلك المدينة ووضع حجر الاساس في ٢٠ تشرين الاول ١٨٨١ في حفلة عظيمة .

وفي السنة ١٨٨٨ عاد البطريرك الى لبنان فكتب الى الاساقفة واستدعاهم الى دير الشرفة حيث عقد مجمعاً مليّاً افتتحه في ٢٢ تموز واختتمه في ١٣ تشرين الاول. وقد أتيح لنا ان نحضر افتتاح ذلك المجمع مع والدنا واخوتنا وبعض اعيان الملة . وفي ٨ كانون الاول انتقل البطريرك جرجس الخامس في حلب الى الاخدار السماوية وهي السنة الثامنة عشرة لبطريركيته .

٤ ـ اغناطيوس بهنام الثاني بني (١٨٩٣ ـ ١٨٩٧)

هو من نجباء تلامذة مدرسة بروبغندا ارتحل اليها من الموصل وطنه عام ١٨٤٦ وقضى فيها عشرة اعوام ارتقى في نهايتها الى الدرجة الكهنوتية . وفي السنة ١٨٦٢ استدعاه البطريرك اغناطيوس انطون الاول سمحيري الى ماردين وسلّمه عكاز المطرانية على الموصل وسمّاه « قرلس بهنام » . فخدم تلك الابرشية الواسعة الارجاء بغيرة لا تعرف الكلال . وانشأ فيها عدّة كنائس افخمها كنيسة الطاهرة التي تُعد اعظم كنائس الملة .

ولما فرغ الكرسي البطريركي عام ١٨٩١ أنيطت النيابة الرسولية بالمطران قرلس بهنام بنّي . وقد اجتمع الاساقفة في الموصل صباح ١٢ تشرين الاول ١٨٩٣ واجلسوه على الكرسي الانطاكي في كنيسة الطاهرة « رغماً عن تمنّعه

(١) وثائق تاريخية في علائق آل طرازي بالملة السريانية : قسم ١ فصل ٣ صفحة ٢٣ ـ ٢٧

الشديد المكرّر عديداً »(١) . وما ان وافتنا البشرى بذلك حتى بادرنا الى تهنئة غبطته بلسان البرق بهذه الابيات الشعرية :

يا حبّـذا يومٌ توّلانا بـــه	حبرُ الهدى في دست انطاكيةِ
طابت نفوس الخلق حين جلوسه	واعتزّ مفتخراً مقامُ الغبطـةِ
رقاه ربّ العرش اكرم منصبٍ	اذ قال : سُس شعبي ودبّر بيعتي
ولذا الصفـا شمعون أرّخ قائلاً	ناداه يا بهنـام انت خليفتي
	١٨٩٣

وفي اوائل السنة ١٨٩٤ قام البطريرك اغناطيوس بهنام الثاني برحلته الشهيرة فتفقد ابرشيات ما بين النهرين وحلب حتى انتهى الى بيروت . فجرى له استقبال حافل ورحّبنا به في دارنا حيث توافد ارباب المناصب الدينية والمدنية واعيـان البلاد للسلام عليه .

ثم توجه البطريرك بهنام الى دير الشرفة واشرف على تلامذته وسجلاته واوقافه وسمّى له رئيساً جديداً. وسنّ بعض القوانين وحتم حتماً مطلقاً ان يتقـيّد بها جميع سكان الدير . وزار ايضاً دير مار افرام الرغم وتعهد بعض ارزاقه يصحبه فريق من الكهنة واعيان الملة . وكلّف احـد المهندسين الزراعيين ان يمسح اراضي الدير ويحلـّل تربتها وسأله ان يضع تقريراً مفصلاً عما يصلح ان يُغرس في تلـك الاراضي من انواع البقول والاشجار المثمرة . وان يذكر فيه ما يمكن الانتفاع به من مياه الدير ومن غاباته ومناجمه الفحمـيّة وكرومه وغير ذلك .

ومن بيروت ارتحل البطريرك الى عاصمة السلطنة وعاصمة الكثلكة . وسعى لدى البابا لاون الثالث عشر (١٨٧٨ - ١٩٠٣) لالتئام مجمع البطاركة الشرقيين سنة ١٨٩٤ في رومة تعزيزاً لبطريركياتهم . وترأس الحبر الاعظم ذلـك

(١) اعمال الديوان السري المنعقد في رومة : بتاريخ ١٨ ايار ١٨٩٤ صفحة ٦

المجمع وأصدر في نهايته رسالته المشهورة الــتي افتتحها بقوله : « شرف الكنائس الشرقية » وهي مؤرخة في ٦ كانون الاول من السنة المذكورة (١) .

ولما عاد البطريرك الى الشرق تعهّد ابرشيات دمشق والنبك والقريتين والحفر وحمص وحمـاة وانتهى الى حلب . ومنها استأنف رحلته الى الرهـا وسويرك ودياربكر وماردين وطوز عبدين والجزيرة حتى وصل الى مـقره في الموصل . غير ان المنية عاجلته في ١٣ ايلول ١٨٩٧ وأبّنه السيد جرجس عبـد يشوع خيـاط بطريرك الكلدان بفصاحته المعهودة . ودُفن في لحـدٍ مخصوص سبق فاعدّه لنفسه ضمن كنيسة الطاهرة .

الفصل التاسع

اساقفة السريان الكاثوليك في طرابلس

سلك بطاركة السريان الكاثوليك مسلك السلف فنصبوا مطارنة لاورشليم ضموا اليهم ايضاً رعـاية كرسي طرابلس . ونصبوا بعد ذلـك لكرسي طرابلس اساقفة مستقلين عن مطرانية اورشليم . والى القارىء فذلكة من أخبار اولئك المطارنة وهؤلاء الاساقفة :

١ ـــ غريغوريوس بطرس شهبادين (١٦٦٢ - ١٦٧٨)

وُلد عام ١٦٣٦ في الرها وانقطع الى العيشة النسكية في دير مار ابجاي بجوار سويرك وارتقى سنة ١٦٥٨ الى الدرجة الكهنوتية . وبعد اربعة اعوام قلده خاله

(١) السلاسل التاريخية : صفحة ١٥١ - ١٥٢

البطريرك اغناطيوس عبد المسيح الاول مطرانية اورشليم ورعاية كرسي طرابلس أسوة بأسلافه .

ولما قدم صاحب الترجمة الى حلب رحّب به بطريركنا مار اغناطيوس اندراوس اخيجان . وكلفه ان يقيم القداس صباح الاحد في كنيسة والدة الله بشرط ان يحذف ما لا يتّفق والمعتقد الكاثوليكي . فلبى المطران بطرس طلب البطريرك ومكث في ضيافته اياماً . ثم جمع مبلغاً من المال وتوجّه الى طرابلس حيث اقام مدة يشرف على احوال ابناء رعيته . واستأنف مسيره الى القدس فظلّ هناك حتى السنة ١٦٧٧ وفيها توفي البطريرك اندراوس . فكتب اليه الحلبيون يستقدمونه اليهم لقبول الرتبة البطريركية وقد تمّ ذلك في السنة التالية .

وسنة ١٦٨٩ توّجه البطريرك بطرس الى لبنان فمكث عند البطريرك اسطفان الدويهي في دير قنّوبين . وفي اثناء اقامته هناك انتهز الفرصة فزار غير مرة ابناء رعيته الطرابلسيين . ثم رجع الى حلب سنة ١٦٩٣ على اثر صدور الفرمان السلطاني باعادة كنيسته اليه . وتعهد البطريرك بطرس ابناءه ايضاً في طرابلس عام ١٧٠١ قبل ترحيله الى آطنة واستشهاده في قلعتها سنة ١٧٠٢ كما سلف القول(١) .

٢ ـ غريغوريوس يشوع مصرشاه (١٦٧٨ ـ ١٧١٥)

نصبه البطريرك اغناطيوس بطرس السادس في ٤ نيسان ١٦٧٨ خلفاً له في كرسي اورشليم وضم اليه كأسلافه اسقفية طرابلس . فغادر المطران يشوع مدينة حلب ويمّ طرابلس كرسيه . ومكث عند ابناء رعيته يقضي بينهم ويبذل لهم ما يحتاجون اليه من النصائح والمساعدات .

وبعدما تفقّد المطران يشوع رعيته الطرابلسية انطلق الى القدس الشريف يواصل اعمال الغيرة في سبيل ابناء ابرشيته . وفي السنة ١٦٩٢ عاد من القدس

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٧ فصل ٣

الى حلب ثم توجه سنة ١٦٩٥ مع البطريرك بطرس الى رومة والنمسا والاستانة . وبعد ذلك رجع الى رومة واقام في دير مار افرام يعاون الاسقف اثناسيوس سفر العطار. وادركته المنية في ١٧ نيسان ١٧١٥ ودُفن في كنيسة مدينة اوسطيا بجوار رومة (١) .

ومن آثاره العلمية كتاب « زهر الفضائل » قابله على اصله الايطالي ونقّح عبارته العربية التي وضعها القس جبرائيل حوّا . وهذا المخطوط مصون في خزانة مدرسة القديسين بطرس وبولس بعشقوت .

وقام القسّ سليمان خور بخدمة النفوس في طرابلس مدّة تغيّب المطران يشوع . واشترك هذا القس مع الرهبان في دير مار افرام الرغم وتولى رئاسته يوم افتتاحه سنة ١٧٠٥ .

٣ - غريغوريوس جبرائيل فيزون (١٧٤٠ — ١٧٦٠)

واصلَ قسوس دير مار افرام الرغم خدمة النفوس في طرابلس حتى السنة ١٧٤٠ التي ارتقى فيها السيد غريغوريوس جبرائيل فيزون الى كرسي مطرانية اورشليم واسقفية طرابلس . وكان يتفقد فيهما ابناء رعيته ويقيم لهما كهنة وشمامسة نذكر من جملتهم الخورفسقفوس يوحنا سعيد الاورشليمي . فانه خدم ابناء الملة في القاهرة ثم انطلق الى رومة وفيها قضى آخر ايّامه . وتوفي في ٧ شباط ١٧٧٧ بالغاً الرابعة والسبعين من سنّه . ودُفن جثمانه في كنيسة مار ميخائيل ووضعت صفيحة من المرمر فوق ضريحه كُتب عليها بالسطرنجيلية ما تعريبه : « يوحنا سعيد الاورشليمي السرياني خورفسقفوس مصر . غادر هذه الدنيا وانتقل الى مولاه في ٧ شباط ١٧٧٧ مسيحية صلوا لاجله »(٢) .

---

(١) السلاسل التاريخية : صفحة ٧٩ - ٨٢

(٢) فهرس مخطوطات الشرفة : رقم ٧/١١ صفحة ٢١١و٢١٢

وتعهد المطران جبرائيل ابناء رعيّته في طرابلس ونصب كهنة وشمامسة لبيعتها المؤسّسة على اسم والدة الله . من ذلك انه زار تلك البيعة عام ١٧٤٩ ورقى فيها الى رتبة هفوذياقون موسى ابن القس ملكا الاورشليمي . يؤيّد ذلك ما جاء في كتاب السيامات الكهنوتية(١) وهذا تعريبه : « رقى الروح القدس موسى بن ميخائيل ابن القس ملكا الاورشليمي هفوذياقوناً لكنيسة والدة الله مريم في طرابلس بيد غريغوريوس جبرائيل مطران اورشليم سنة ١٧٤٩ » .

٤ ـ اثناسيوس موسى صباغ (١٧٨٢ ـ ١٨٠٩)

وُلد هذا المطران في حلب عام ١٧٤٣ وبرع في السرياني والعربي وامتاز بخطه الجيد في كلا القلمَين . وفي السنة ١٧٧٨ سافر الى طورعبدين فرقّاه المفريان باسيل صليبا الى الدرجة الاسقفية . ولما انطلق السيد ديونيسيوس ميخائيل جروة عام ١٧٨١ الى ماردين ليتسلم عكاز البطريركية الانطاكية في دير الزعفران انضم المطران موسى اليه مع ثلاثة من اساقفة اخوتنا السريان الارثوذكس وقرّروا جميعاً صورة ايمانهم الكاثوليكي في بيعة الاربعين.

وبعد الاحتفال بالتنصيب البطريركي عُيّن السيد اثناسيوس موسى مطراناً شرعياً على طرابلس . واقام مدة في دير الشرفة ينسخ الكتب ويلقّن التلامذة الاولين آداب اللغتين السريانية والعربية . وحلّت وفاته عام ١٨٠٩ في حلب .

٥ ـ اقليميس بولس صعب (١٨٤٥ ـ ١٨٤٩)

هو جرجس بن الياس بن شكرالله صعب الحلبي يتحدّر من اسرة المركيز دي صعب المتصلة بقرابة دمويّة باسرة المركيز دي جروة التي تحدّثنا عن مشاهير

---

(١) فهرس مخطوطات الشرفة : رقم ٧/٧ صفحة ١٣٩

احبارها في هذا الكتاب . وُلد في حلب بتاريخ ٢٦ حزيران ١٨١٥ وانتظم في عداد تلامذة الشرفة في عهد طورها الاول . ثم ارسله البطريرك اغناطيوس بطرس السابع الى مدرسة بروبغندا برومة فلبث فيها حتى حزيران ١٨٤٠ ثم قفل راجعاً الى حلب وطنه . وصار قسّيساً بوضع يد البطريرك بطرس المشار اليه .

وفي السنة ١٨٤٢ عيّنه البطريرك رئيساً على دير الشرفة فزاد في ابنيته ونظم قوانين اكليريكيته على نمط المدارس الكهنوتية في اوروبا . وفي ٣١ آب ١٨٤٥ رقّاه البطريرك الانطاكي الى كرسي اسقفية طرابلس ودعاه « افليميس بولس » لكن اسقفيته لم تستغرق اكثر من اربعة اعوام . وتوفاه الله تعالى بتاريخ ١٧ آب ١٨٤٩ في قرية ميروبا بين يدي ابن شقيقته الشماس يوسف اسلامبولية . ثم نُقل جثمانه الى مدفن الاحبار في دير الشرفة (١) .

وقد أعربت مدرسة بروبغندا عن اعجابها بثقافة تلميذها وفضيلته فسجلت عنه في محفوظاتها ما تعريبه : «كان شاباً تلوح عليه مخايل النجابة . اشتهر بالحشمة وحفظ القانون والتقوى . اولع بتحصيل العلوم وأحب الجميع فأحبوه ... فارق المدرسة ولها فيه آمال عظيمة ! » .

٦ ـ ثئوفيلس انطون قندلفت (١٨٨٦ ـ ١٨٩٨)

تمت حفلة ترقيته الى مطرانية طرابلس صباح ٢٠ حزيران ١٨٨٦ في كنيسة مار جرجس ببيروت بوضع يد الحبر الانطاكي مار اغناطيوس جرجس الخامس . وحضر السيامة رهط من الاساقفة والاعيان دعاهم والدنا رحمه الله تعالى الى منزله بعد ذلك الاحتفال . وهناك توافد المهنّئون ليشكروا للبطريرك اهتمامه ويبدوا عواطف الترحيب للمطران الجديد . وقد قرر البطريرك ان تكون اقامة المطران

---

(١) السلاسل التاريخية : صفحة ٣٧٠ ـ ٣٧٤

انطون في بيروت كنائب بطريركي . فأكمل بنيان الدار الاسقفية وتولّى رعاية الملة والقاء الرياضات الروحية فاستمال الى حبه واحترامه الرفيع والوضيع . وقد عددنا في غير هذا المحل تآليفه وبعض مناقبه . وانتقل الى جوار ربّه بتاريخ ٥ آب ١٨٩٨ في دير الشرفة وضُم جثمانه الى جثمان الاحبار المتنيحين بالرب . وقد وفينا فضائله حقّها من التأبين في ذلك المحفل المهيب الذي ضم صفوة من ارباب الدين والدنيا .

الفصل العاشر

اساقفة السريان الكاثوليك في بيروت

ازداد عدد السريان في بيروت منذ القرن الثامن عشر فازدادت عناية الرؤساء بشؤونهم الروحية . وكان اولئك الرؤساء يقيمون غالباً في دير مار افرام الرغم ويشرفون على ابناء الملة في مختلف الابرشيات . وكانوا يترددون الى بيروت حيناً بعد حين او يوجهون اليها كهنة لتوزيع الاسرار على ابناء الملة وتفقّد أحوالهم .

ظلت الحال على ما وصفنا حتى كتب جدنا المقدسي انطون طرازي (١٧٨٩- ١٨٥٥) الى السيد اغناطيوس سمعان الثاني (١٨١٤ - ١٨١٨) يهنّئه بارتقائه الى المنصب البطريركي. وانتهز تلك الفرصة فعرض على البطريرك احتياج بيروت الى اسقف يقيم فيها ويتولى ادارة مَن فيها من السريان . وقرر للسيد البطريرك انه اذا لبىّ رغبته رحّب بذلك الأسقف وأفرز له محلاً في داره ريثما يتهيأ بناء قلاية خصوصية له وللكهنة .

١ - قورطس انطون دياربكرلي (١٨١٧ - ١٨٤١)

لم يَرَ البطريرك اغناطيوس سمعان الا ان يجيب الى طلب جدّنا فرقى في ١٠

تشرين الاول ١٨١٧ القس انطون دياربكرلي الى كرسي اسقفية بيروت وسمّاه قورطس انطون. وما عتّم ان نزل المطران الجديد الى بيروت حاملاً السوسطاتيقون البطريركي المعلن رئاسته عليها . واجتمع بابناء الملة في دار المقدسي انطون طرازي ودفع اليه رسالة البطريرك المورّخة في ١٠ تشرين الاول وفيها يقول :

« ... حيث ان اقامة اخينا المطران قورطس انطون ستكون في منزلكم العامر كما طلبتم ... نرغب ان تجمعوا ابناء طائفتنا عندكم ... لتصير تلاوة منشورنا البطريركي بتعيين اخوته مطراناً عليكم . فنبتهل الى الاه الجود ان يبارك هذه الغرسة التي زرعناها في حقل ابرشيتكم حتى تأتي بالاثمار الصالحة لخيركم الابدي ويفرح قلبنا بنجاحكم روحاً وجسماً . اننا لا نقدر يا ولدنا العزيز ان نكافئكم على اتعابكم وفضلكم ومحبتكم . وعلى الخصوص لانه ليس لنا احد غيركم نعتمد عليه لاجل قضاء مصالح الطائفة في طرفكم . بلّغوا منّا السلام والدعاء والبركة لجميع اولادنا الروحيين ولكل من يلوذ بكم والباري تعالى يحفظكم » (١) .

بعد هذا تلا احد الكهنة نصّ السوسطاتيقون البطريركي على مسامع ابناء الملّة وعلى الحاضرين عموماً . فشكروا للبطريرك عنايته الابوية ودعوا له باليمن والتوفيق . اما المطران الجديد فانه اخذ يفرغ المساعي في رعاية ابناء ابرشيته البيروتية . فكان يتردّد عليهم في بيوتهم ويحثّهم على قبول الاسرار البيعية ويرشدهم الى الكمال المسيحي قولا وعملاً .

هكذا صرف المطران قورطس انطون حياته الاسقفية التي استغرقت اربعاً وعشرين سنة (١٨١٧ – ١٨٤١) مقيماً في دار جدّنا المقدسي انطون كأنه هو صاحبها وجدّنا ضيف فيها(٢) . وحلّت وفاة هذا المطران الورع في ١٦ كانون

---

(١) وثائق خطية في علائق آل طرازي بالملة السريانية : صفحة ١٦ ـ ١٧

(٢) وثائق خطية في علائق آل طراري بالملة السريانية : صفحة ١٦ ـ ١٧

الثاني ١٨٤١ وصلي عليه في كنيسة الآباء الكبوشيين . ثم نُقل باكرام الى دير الشرفة ولحد في مغارة الآباء .

٢ ـ قورطس يوسف حائك (١٨٤١ ـ ١٨٥٣)

نصبه البطريرك اغناطيوس بطرس السابع مطراناً لبيروت سنة ١٨٤١ وفوّض اليه رعايتها وملاحظة شؤونها وشؤون دير الشرفة . وفي السنة ١٨٥٣ انتدبه البطريرك اغناطيوس انطون سمحيري لتدبير كرسي مطرانية حلب . فارتحل اليها وساسها حتى السنة ١٨٦٢ ثم اخترمته المنيـــة في ٢٨ شباط من السنة التالية . وخلّف جميع امواله المنقولة وغير المنقولة لدير الشرفة .

٣ ـ ديونيسيوس يوسف سمنة (١٨٥٣ ـ ١٨٥٩)

اسرة سمنة حلبية الاصل انتزح بعض افرادها الى بيروت في اوائل القرن التاسع عشر وتعاطوا فيها التجارة . وقام من تلك الاسرة السيد ديونيسيوس يوسف سمنة الذي خدم الرعية في القطر المصري اربعة وعشرين عاماً (١٨٢١ ـ ١٨٤٥) . وفي السنة ١٨٥٣ نُصب مدبّراً لابرشية بيروت نيابة عن المطران يوسف حائك المذكور آنفاً فخدمها ستة اعوام وشيّد فيها معبداً صغيراً ومدرسة لتعليم الاحداث في حي « المقسَم » . وكان في اثناء ذلك يتردد الى طرابلس للاشراف على ابناء الملة هناك . وفي السنة ١٨٥٩ باع ما اقتناه من العقار في ثغر بيروت وبعث بالقيمة الى دير الشرفة . ثم انطلق الى حلب وفيها قضى آخر ايامه بتاريخ ١٩ اذار ١٨٧٠ ودفن في ضريح البطريرك اندراوس الاول[١] .

---

(١) السلاسل التاريخية : صفحة ٢٣٦ ـ ٢٣٨

٤ ـ ثئوفيلس انطون قندلفت (١٨٨٦ ـ ١٨٩٨)

منذ السنة ١٨٥٩ حتى السنة ١٨٨٦ أنيطت رعاية ابرشية بيروت برهط من الكهنة الاجلاء خدموها كنوّاب بطريركيين وهم : الخوري ميخائيل ازرق (١٨٥٩ – ١٨٦١) والخوري بولس راضية (١٨٦١ – ١٨٦٤) والخوري يوحنا معمارباشي (١٨٦٥– ١٨٧٢) يعاونه القس لويس صابونجي . ثم الخوري بطرس بوصيك (١٨٧٢ – ١٨٧٤) فالخوري يوحنا معمارباشي للمرّة الثانية (١٨٧٥– ١٨٧٨) فالخوري افرام ابيض (١٨٧٨ – ١٨٨٦) .

وفي ٢٠ حزيران ١٨٨٦ ارتقى الخوري انطون قندلفت الحلبي في كنيسة مار جرجس مطراناً على طرابلس بوضع يد البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس كما ذكرنا في الفصل السابق . وانيطت به النيابة البطريركية على بيروت فخدمها اثنتي عشرة سنة حتى توفاه الله تعالى عام ١٨٩٨ في دير الشرفة(١) .

٥ ـ ثئوفيلس يوسف جرجي (١٩٢٨ ـ ١٩٣٠)

بعد وفاة المطران انطون قندلفت جعل البطريرك الانطاكي اغناطيوس افرام الثاني اقامته في بيروت ونصب للابرشية نوّاباً يتولون خدمتها تحت اشرافه. نذكر منهم : الخوري سليمان تبّوني (١٨٩٨ – ١٩٠٢) والخوري يوسف اسطنبولي (١٩٠٢ – ١٩٢٠) والخوري افرام حيقاري (١٩٢١ – ١٩٢٨) .

وفي تشرين الاول ١٩٢٨ سُمي المطران ثئوفيلس يوسف جرجي نائباً لهذه الابرشية فقضى فيها سنتين . ثم انطلق الى البصرة حيث انتقل الى جوار ربّه في ٢١ تشرين الاول ١٩٤٢ بالغاً السنة الخامسة والسبعين .

---

(١) السلاسل التاريخية : صفحة ٣٧٥ ـ ٣٧٩

٦ ـ اثناسيوس اغناطيوس نوري (١٩٣٠ ـ ١٩٣٢)

تقلّد النيابة البطريركية في بيروت عـام ١٩٣٠ وفي السنة التـالية احتفل البيروتيون بيوبيله الكهنوتي الذهبي (١٨٨١ ـ ١٩٣١) احتفالا جميلًا . ولبث في هذه النيابة مدة سنتين انتقل في نهايتهما الى الدار البطريركية الجديدة . وكان يُعدّ هذا الحبر الوقور عميد اساقفة الشرق في عصره وقد بلغ السنة الثانية والخمسين من حيـاته الاسقفية (١٨٩٥ ـ ١٩٤٦)(١) . وحلت وفاته سنة ١٩٤٦ في دير الشرفة ودفن في مدفن الاحبار .

الفصل الحادى عشر

اساقفة السريان فى راشيا وتوابعها

راشيا او ريشّيا لفظ سرياني معناه «الفاخر والممتاز» وهي بلدة لبنانية واقعة عند جبل الشيخ يقطنها فريق من الدروز وفريق من المسيحيين . وللسريان فيها جماعة قديمة العهد خاضعة في سياستها البيعية لمطرانية دمشق . وفي القرن الخـامس عشر انضمت الى تلك الجماعة أسر شتى انتزحت عن « عين حليا » بقضـاء الزبداني وابتنت لها حياً لم يزل معروفاً باسم « حارة العناحلة » هنـاك . ومن أشهر الإسر السريانية يومئذٍ في قاسطرة راشيا نذكر : آل الحلياني وآل ابي حمد وحكيم وشاهين وطعمة وزهير وابي رزق وابي مراد وداود وبهنـا وحـاج وهدهد وزخم وغصن ودعّاس الخ الخ .

وكانت ابرشية راشيا تشتمل عـلى حاصبيا وكفرقوق وكوكبا وقلعة

---

(١) السلاسل التاريخية صفحة ١٦٨ ـ ١٧٣

جندل وقطنة وغيرها من القرى العامرة بالسريان في تلـــك الانحاء . ومن اسر حاصبيا السريانية نذكر اسرة « صوما » أو « برصوما » التي هجرت تلك البلدة الى جبل لبنان وانضمت الى الملة المارونية . ومن الاسر السريانية في تلك القرى نذكر آل منّير وآل اليان وآل عين وآل سركيس وآل عبيد ورحّال وعسلي وغيرهم.

والى القارىء أخبار مَن عرفنا من اساقفة راشيا :

١ ـ غريغوريوس عبد الازلي (١٧٠٦ ــ ١٧٣٠)

نصبه البطريرك جرجس الثاني (١٦٩٠ـ ١٧٠٩) اسقفاً على دمشق وراشيا. ولما بلغه عن سركيس بو رزق ابن ابرشيته انه توجه من راشيا الى الشبانية ليبتني ديراً للسريان قدم بامر البطريرك اسحق الثاني (١٧٠٩ ــ ١٧٢٣) الى لبنان لينهاه عن مواصلة البناء . غير ان سركيس اصرّ على رأيه وشارك الرهبـان في تشييد الدير الذي اطلق عليه اسم دير مار افرام الرغم . فعاد المطران عبد الازلي الى كرسيه دون ان يفلح في مهمته . وظل يرعى ابناء ابرشيته في دمشق وراشيا وملحقاتها حتى توفاه الله تعالى عام ١٧٣٠ .

غريغوريوس توما (١٧٣١ ـ ١٧٥٣)

أقيم اسقفاً باسم ايونيس بوضع يد البطريرك اغنـــاطيوس شكرالله الثاني (١٧٢٣ ــ ١٧٤٥) . وفي السنة ١٧٣١ نُقـل الى كرسي دمشق وراشيا خلفاً للاسقف عبد الازلي ودُعي غريغوريوس توما . وقد تولى رعـاية ابناء ملته حتى وفاته عام ١٧٥٣ .

ومن مصنّـفات المطران غريغوريوس توما « حسّابات الصوم » نقلهـا عن السريانية الى العربية . وانشأ ثماني واربعين موعظة عربية كتبها عام ١٧٤٧ بخط يده . ومن منسوخاته : كتاب « الايثيقون » تاليف ابن العبري كتبه عام ١٧٢٤

ونسخ عام ١٧٣٠ كتاب «تفسير المزامير» بقلم دانيـال الصلحي" وهو تفسير نادر الوجود . وكتب سنة ١٧٣١ في راشيا ابرشيته كتاب «سلاح الدين وترس اليقين» تاليف المفريان شمعون الطوراني (+١٧٤٣) . وتوفي المطران غريغوريوس توما سنة ١٧٥٣(١) .

٣ - غريغوريوس يوحنا شقير (١٧٥٤ - ١٧٨٣)

ينتمي الى اسرة شقير التي عُرفت في قاسطرة صدَد منـذ القرن الخامس عشر. وتولى ابرشية دمشق وراشيا عام ١٧٥٤ فساسها بكل فطنـة زهاء ثلاثين سنة . وانقطع الى الدرس ونساخة الكتب كما ذكرنا في غير هذا المحل(٢) .

٤ - ايونيس نعمةالله تابت (١٧٨٥ - ١٨١٢)

وُلد هذا المطران في قاسطرة صدَد عام ١٧٣٥ وتوشّح بالاسكيم الرهباني في دير مار موسى الحبشي بجانب النبك . ونظراً الى فضائله ومعارفه رقّاه البطريرك اغناطيوس جرجس الرابع (١٧٦٨ — ١٧٨١) الى مطرانية مذيات(٣) حاضرة طورعبدين . وانضم سنة ١٧٨١ الى الكثلكة عـــلى يد البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث في ماردين ثم لحقه الى لبنان .

وفي السنة ١٧٨٥ كتب شيوخ راشيا وحاصبيا الى البطريرك ميخائيل المشار اليه يلتمسون منه ان ينصب لهم مطراناً يرعاهم . وساعدهم على بلوغ رغبتهم امراء راشيا الشهابيون(٤) فوقع اختيار البطريرك عـلى السيد ايونيّس نعمةالله تابت

(١) المجلة البطريركية السريانية في القدس : مجلد ٦ سنة ١٩٣٩ صفحة ١٩٧
(٢) راجع هذا الكتاب : قسم ٩ فصل ٦ رقم ١ — وقسم ١٢ فصل ٢٩ رقم١
(٣) المجلة البطريركية في القدس : مجلد ٧ سنة ١٩٤٠ صفحة ١٩٥
(٤) عناية الرحمان : للمطران افرام نقاشة : صفحة ٣١٤

وسمّاه مطراناً على الشام وراشيا وحاصبيا . ودفع اليه منشوراً بطريركياً مؤرخاً في ٢٥ حزيران للسنة المذكورة هذا نصه :

« النعمة الالهية والبركة الرسولية . . . تأتي وتستقرّ على انفس واجساد اولادنا المباركين ... اننا تنازلنا الى اجابة مطلوبكم . واقمنا لكم حضرة اخينا مار ايونيّس نعمةالله المطران الكلي الشرف مطراناً عليكم : انتم اولادنا المباركين جماعات السريان ساكني الشام مرعيث مار بهنام واتباع هذا الكرسي المقدس ريشيّا وحاصبيا . فيجب ان تعرفوه انه مطرانكم الشرعي . . . وان تطيعوه وتخضعوا لاوامره وتقبلوها ... نسأل الله تعالى ان يجعل توليته مباركة عليكم ... ويدرّ الرب بركاته عليكم وينجح مقاصدكم الصالحة ... والبركة تشملكم وتشمل بنيكم وجميع من يلوذ بكم ثانياً وثالثاً ... » .

حمل المطران ايونيس نعمةالله تابت منشور البطريرك وانطلق الى راشيا ابرشيته . فخرج الى استقباله خلقٌ كثير من دروز ومسيحيين ورحبوا به أحسن ترحيب . ثم اخذوا يتسابقون في ضيافته وتأدية الاحترام لمقامه . وبتاريخ ١٧ تموز ١٧٨٥ كتب المطران نعمةالله الى البطريرك ميخائيل الثالث يقول :

« ... وصلنا الى قاسطرة ريشيّا في ١٢ تموز والجميع استقبلونا واخذوا يعزمونا. وامر حضرة الامير بنزولنا في بيت الشيخ ابي شديد الياس اخي ابي مراد طعمة... وصار اهالي الطائفة يعزمونا ... ويوم الاحد ١٦ تموز حضرة سعادة الامير المحترم كنّا عند حضرته لانه ارسل وكلفنا للغداء والعشاء . وبعد ذلك تعشّينا عند احد اعيان الدروز يُقال لهم بيت العريان . . واما عمار الكنيسة والانطوش فالى الآن ما انتهى . ولكن ان شاء الله تعالى بدعاء قدسكم يكمل عن قريب . . . والآن نقدّس في الكنيسة الجديدة التي لم تزل بغير سقف ... » (١) .

وكان بعض الكهنة يوآزرون المطران ايونيس نعمةالله تابت في خدمة ابرشية

---

(١) محفوظات دير الشرفة : مجلد ١٢

راشيا . ومن اشهرهم : الخوري يعقوب قدسي (+ ١٧٩٨) والقس جبرائيل طعمة (+ ١٨٢٣) والقس حنـا قرقور الصـددي (+ ١٨٢٧) . ولم يقتصر المطران نعمةالله على سياسة ابناء ابرشيته فقط بل توجّه سنة ١٧٨٧ طبقاً لاوامر البطريرك ميخائيل الثالث فتفـقّد ابرشية حمص وحماة وجال في صدد والنبك والقريتين (١). وبعد ذلك عاد الى راشيا وأستأنف رعاية ابنائها بغيرته المعهودة . وحمـل معه في تلك الرحلة كتاب « مختصر المجمع الخلقيدوني » وكتاب « مواعظ المفريان اسحق جبير » (٢) .

ولما اشتدّت وطـأة المرض عام ١٨٠٠ عـلى البطريرك ميخائيل الثالث بادر المطران نعمةالله الى زيارته ومكث في دير الشرفة الى آخر ايامه. وتوفاه الله تعالى في الدير المذكور بتاريخ ٢١ ايار ١٨١٢ عن سبع وسبعين سنة . وحضر مأتمه يوحنا الحلو بطريرك الموارنة واغناطيوس الرابع صروف بطريرك الروم الكاثوليك وغريغوريوس بطرس الخامس بطريرك الارمن ونسيبه المطران جرمـانوس تابت الماروني مع مطارنة الملل الكاثوليكية وفريق من الكهنة . وقد أبنه البطريرك اغناطيوس الرابع تأبيناً بليغاً فعدّد حسناته ومناقبه الفريدة (٣) .

٥ ـ غريغوريوس سمعان زورا (١٨١٢ ـ ١٨١٤)

على اثر وفاة المطران ايونيس نعمةالله نُصب السيدغريغوريوس سمعان مطراناً لدمشق وراشيا . فساس الابرشية سنتين كاملتين وارتقى بعد ذلك الى الكرامـة البطريركية في بيعة سيدة النجـاة بالشرفة . وتوفاه الله تعـالى في ٢١ آب عام ١٨٣٩ (٤) .

---

(١) محفوظات دير الشرفة : مجلد ١٢ (٢) عن دفتر حسابات البطريرك ميخائيل الثالث : صفحة ٦٠ (٣) السلاسل التاريخية :صفحة ٢٧٧
(٤) طالع ترجمته في السلاسل التاريخية : صفحة ٢٧٧ – ٢٨٢

٦ - غريغوريوس يعقوب الحلياني (١٨١٩ - ١٨٧٦)

تفتخر راشيا بأحد أبنائها المشاهير المطران غريغوريوس يعقوب الحلياني. ففيها أبصر النور سنة ١٧٩٤ وفيها قضى ايام كهنوته . ولما زار السيد اغناطيوس جرجس سيّار بطريرك السريان الارثودكس (١٨١٩ - ١٨٣٦) قاسطرة راشيا طلب منه اهاليها ان ينصب ابن وطنهم الربان يعقوب الحلياني مطراناً لهم. فاجاب البطريرك الى طلبهم ورقّاه في كنيسة راشيا الى كرسي دمشق وراشيا وتوابعهما.

وفي السنة ١٨٢٩ جاهر المطران يعقوب بالايمان الكاثوليكي وتبعته الابرشية كلها بقسوسها وشعبها وكنائسها واوقافها . وظل هذا المطران الجليل يسوس ابرشيته بحكمة وغيرة مدة سبع وخمسين سنة قضى ردحاً منها في راشيا وطنه . وقد عرفنا هذا الحبر الموقر في حداثتنا يوم كان يحل ضيفاً في دار والدنا رحمهما الله تعالى .

الفصل الثاني عشر

اخبار السريان وآل طرازي في بيروت

تشرّب آل طرازي خلفاً عن سلف عواطف الحب والولاء لملّتهم السريانية والتوقير لاحبارها والغيرة على مصالحها لا في بيروت ولبنان فقط بل في سائر الابرشيات . وقد ورثوا تلك العواطف البنوية عن آبائهم وأجدادهم ولا سيما عن جدهم بطرس طرازي (١٦٨٧ - ١٧٧٦) وعن زوجته جدّتهم مرّوم خالة السعيد الذكر البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث جروة (١٧٨٢ - ١٨٠٠) .

اتصّل ذلك التراث الثمين بجدهم المقدسي انطون طرازي (١٧٨٩ - ١٨٥٥) الذي قدم الى بيروت عام ١٨٠٨ واستوطنها . وقد مرّ الكلام عما افرغه من المساعي

لأجل تأسيس مطرانية بيروت (١) . فانه جعل منزله محط رحال احبار الملة مـدة حياته وظلّ البطاركة والاساقفة يحلون ضيوفاً في داره ودار انجاله وأحفاده من بعده مدة قرن كامل . اعني منذ عهد مار اغناطيوس ميخائيل الرابع (١٨٠٢ — ١٨١٠) حتى اوائل عهد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨ — ١٩٢٩) .

جرى ذلك « كل مرة يمّم اولئك الاحبـار مـدينة بيروت غادين ورائحين الى دير الشرفة او الى عاصمة المملكة او الى عاصمة السلطنة او الى بلاد اوروبا . وكثيراً ما صادف ان البطريرك الانطاكي وجميع مطارنته مـع حاشيتهم حلّوا ضيوفاً اعزاء في وقت واحد على آل طرازي كما حدث لدى انعقاد المجامع الطائفية في دير الشرفة عـام ١٨٥٣و١٨٧٤و١٨٨٨ ومجمع حلب عـام ١٨٦٦ والمجمع الواتكاني عام ١٨٧٠ الخ الخ (٢) .

وكانت جدتنا كاترين ووالدتنا الكونتس مـنّة من بعدها تضاهيان جدنا المقدسي انطون ووالدنا الكنت نصرالله في تكريم اولئك الائمـة الاجلاء وتبالغان في توفير دواعي الراحة لهم ولحاشيتهم .

وقد كتب اولئك الاحبار بخطوط ايديهم الوف الرسائل وجهوها الى جـدنا والى والدنا والى انجاله اعربوا فيها عن آيات امتنانهم وشكرهم . وما برحنا نحرص عليهـا في خزائننا وهي تتألف من اربعة عشر مجلداً عنوانها « العقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين » .

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ٨ فصل ١٠

(٢) وثائق خطية في علائق آل طرازي بالملة السريانية : صفحة ٦: — ٨:

الفصل الثالث عشر

احبار رومة العظام وآل طرازي

ما عدا اخلاص بني طرازي الحب والولاء لرؤساء الملة السريانية فانهم تقيدوا بالخضوع والاحترام للاحبار العظام اصحاب الكرسي الرسولي في رومة . فسار آباؤهم واجدادهم على تلك الخطة بدءاً من عميدهم الياس طرازي (١٧١٥–١٧٩٢) ونالوا من عوارف روساء البيعة الجامعة ما ندر من الانعامات السامية . وما برحوا منذ قرنين كاملين على وصال متين وولاء بنوي وثيق لخلفاء شمعون كيفا هامة الرسل .

١ – بيوس السادس والياس طرازي

وقف البابا بيوس السادس (١٧٧٥ – ١٧٩٩) على ما بذله الياس طرازي (١٧١٥ – ١٧٩٢) من المساعي المشكورة في تعزيز بطريركية مار اغناطيوس ميخائيل الثالث (جروه) ابن خالته . فلم يرَ الا ان يكافئه عليها بان انعم عليه في ٢٨ آب ١٧٨٥ بنوط « المهماز الذهبي) . وما برحت براءة ذلك النوط الشريفة مصونة عند سلالته كذخيرة ثمينة . وفيها ينوّه الحبر الاعظم بسجايا الياس طرازي فيصفه « بالمحسن الوافر السخاء لكنيسته والجندي الباسل المتطوّع لحراثة كرم الرب وخدمة الاعمال الصالحة منذ حداثته »(١) .

٢ – لاون الثالث عشر والكنت نصرالله دي طرازي

تجلّت عوارف البابا لاون الثالث عشر (١٨٧٨ – ١٩٠٣) باجمل مظاهرها

---

(١) وثائق خطية في علائق آل طرازي بالملة السريانية: للخوري اسحق ارملة: صفحة ٤٦–٤٧

عندما جاد على والدنا نصرالله طرّازي (١٨٢٢ – ١٨٩٥) بنوط القديس سلفسترس في ٢٠ شباط ١٨٨٠ ولم تقف مكارمه عند هذا الحد بل اضاف الى تلك العارفة عارفة اشرف وأثمن اذ جاد عليه بلقب « كنت روماني » يتسلسل في اعقابه كابراً عن كابر . وأصدر في ذلك براءة بابوية تاريخها ١٦ تشرين الثاني ١٨٩٤ هذا تعريبها :

« البابا لاون الثالث عشر

« الى حضرة الابن الحبيب نصرالله طرّازي

« السلام والبركة الرسولية

« ان حلى الفضائل السامية التي تزيّنت بها انت وأنجالك مع حسن السمعة عند الجميع والثناء الطيّب الذي اطرأك به بطريرك السريان الانطاكي . ولا سيما ما اتصفت به من صدق الدين والتقى واداء الاحترام الثابت للسدّة الرسولية الرومانية . فذلك كله يحملنا على ان نخوّلك برهاناً على انعطافنا الخاص .

« بناء عليه نرفع مرتبتك ومرتبة اعقابك الى مقام الأشراف والنبلاء . ولما كنا نروم ان يشمل انعطافنا هذا كل مَن نوجّه اليهم رسالتنا اجمالا وافراداً . فبعد حلّ الجميع من كل حرم وقطع ومن سائر الاحكام والتأديبات والعقابات الكنسية التي لعلكم تكونون قد سقطتم فيها ومع اليقين بانكم ستحلّون منها باجراء النعمة الحاضرة، ونقلدك ايها الابن العزيز بمرسومنا هذا وبقوّة سلطاننا رتبة كنت' . فنقيمك ونعلنك بها مع ابكار اسرتك الذكور يتوارثونها عنك بطريق التسلسل كابراً عن كابر . بشرط ان يولدوا من زواج شرعي ويعتصموا بعرى الديانة الكاثوليكية ويثابروا على اداء الاكرام لهذا الكرسي الرسولي المقدس .

« وعليه نسمح لك ايها الابن العزيز ولاعقابك المشار اليهم ان تتخذوا هذا اللقب بحيث يمكنكم ان تستعملوه شرعياً وتتمتعوا بكل اصناف الشرف والامتيازات والانعامات التي يستعملها ويتمتع بها حائزو هذه الرتبة الشريفة او عساهم يحوزونها فيما بعد . فتستطيعون وسوف تستطيعون استعمالها مع التمتع بها

في الكتابات العامّة والخاصة والمدنية وفي مراسلاتكم الى الكرسي الرسولي . ثم اننا نقضي بان منطوق هذه البراءة ثابت وشرعي وفعّال في الحال والمستقبل وانه نافذ بجزئياته وكلّياته وشامل بامتيازاته المذكورة كلها مَن أنيط او سيُناط بهم الامر كافة . هكذا يُحتم ان يجري ذلك ويعمل به جميع القضاة سواء كانوا نوّاباً او رؤساء ذوي سلطة ثابتة بحيث ان كل مَن يخالف الاحكام المذكورة انفاً يُعد عمله باطلاً وملغى . ونُبطل كل ما هو مخالف لأوامرنا هذه .

« أعطي في رومة بالقرب من القديس بطرس تحت ختم الصياد في ١٦ تشرين الثاني سنة اربع وتسعين وثمانمائة بعد الالف وهي السنة السابعة عشرة لحبريتنا »

(مكان الختم)

المسجّل الكردينال دي روجيرو

وفي خريف السنة ١٨٩٥ بلغ الاب الاقدس خبر اشتداد المرض على الكنت نصرالله دي طرّازي . فاوعز الى الكردينال رمبولا وزير دولته ان يوجّه الى الكنت رسالة برقية بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني هذا تعريبها : « لما علم الاب الاقدس باشتداد مرضك غلب عليه الغمّ . وهو يمنحك من صميم الفؤاد بركته الرسولية طالباً لك العون السماوي » .

وعلى اثر وصول برقية الحبر الاعظم رفع الكنت نصرالله الى سدّته الرسولية في ٢٦ تشرين الثاني عريضة امتنان وشكر .

٣ ـ الحبر الروماني وانجال الكنت نصرالله دي طرازي

حذا حذو الكنت نصرالله انجاله في تبيان عواطف اخلاصهم للكرسي الرسولي وتشبثهم بالاحترام لرأس البيعة الجامعة . فحج كبيرهم الكنت انطون عاصمة الكثلكة عام ١٨٨٩ ونال شرف المثول في مقابلة خاصة لدى البابا لاون الثالث عشر . وفي السنة ١٨٩٣ سافر مع قرينته الكونتس ماري الى رومة وأدّيا فرائض

التهنئة البنوية للبابا لاون المشار اليه ببلوغه يوبيل اسقفيته الذهبي . ورفعا الى قداسته فريضة الاحترام مشفوعة بجزيتهما البنوية .

نهج الفيكنت سليم دي طرازي نهج شقيقه الكنت انطون فحظي بالمثول لدى قداسة البابا لاون الثالث عشر دفعتين متواليتين عام ١٨٩٥ ونال من مكارمه وسام « القديس غريغوريوس الكبير » من رتبة كومندور . وحاز سنة ١٩٠٠ وسام « التذكار المئوي للقرن العشرين » .

ولم يَرَ كاتب هذه الاحرف الا ان ينسج على منوال اجداده وشقيقيه في ابداء فروض الولاء للسدة الرومانية . وفي ٥ نيسان ١٩٠٠ قابل مع قرينته اوجيني الحبر الاعظم واستمنحا بركته الرسولية وادعيته الابوية . وقد استغرقت الزيارة خمساً وثلاثين دقيقة تحدث الاب الاقدس في خلالها عن شؤون بلاد الشرق كأنه ساكن فيها ومضطلع باحوالها . ثم اتحفنا بوسام « القديس سلفسترس » من رتبة كومندور اضافة الى وسام « القديس غريغوريوس الكبير » كان قد سبق فانعم به علينا عام ١٨٩٤ ووسام القبر المقدس بواسطة البطريرك الاورشليمي .

القسم التاسع

كنائس السريان الكاثوليك ومجامعهم في لبنان

الفصل الاول

كنائس الاديار السريانية في لبنان

١ ـ كنيسة دير مار افرام الرغم سنة ١٧٠٥

مركز هذا الدير في سفح قرية الشبانية بقضاء المتن . اما كنيسته المؤسسة على اسم مار افرام ملفان الكنيسة الجامعة فيرتقي عهد انشائها الى مطلع القرن الثامن عشر . اعتنى بتشييدها الرهبان الافراميّون الاولون سنة ١٧٠٥ يساعدهم سركيس بو رزق احد اعيان السريان في راشيا وكان مقيماً وقتئذ في القرية المذكورة . وهذه الكنيسة القائمة حتى اليوم مبنيّة بنياناً متيناً وهي تشتمل على مذبح واحد لجهة الشرق وعلى سوق واحدة .

وظلّت كنيسة دير مار افرام حتى اليوم محجاً يقصده الزوّار وذوو الحاجات من دروز ومسيحيين في نذورهم من زيت وشمع وبخور وغير ذلك . وقد ضمّت تلك الكنيسة رفات فريق من الاساقفة والرؤساء اثبتنا اسماء بعضهم في فصول سابقة .

٢ ـ كنيسة الام المحزونة سنة ١٧٦٩

شيّد هذه الكنيسة السيد غريغوريوس شكرالله جروة مطران اورشليم (١٧٦٠ – ١٧٧٣) في قرية « زوق مصبح » بكسروان واطلق عليها اسم « كنيسة مريم المحزونة » . ولما فرغ من بنيانها كتب بتاريخ ٣٠ تموز ١٧٦٩ الى الخوري يوسف حجار وكيله في حلب والى جماعة السريان فيها يقول :

« ... نحن الآن متضايقون بالعمار وقد شرعنا نبلّط الكنيسة والدار والايوان وسقف البيت . الله يدبّرنا ويعمّر معنا ! فانتم الآن لا تتهاملوا في صمد الكنيسة ومذابحها لاننا ما لنا قدرة ان نعمّر ونصمد في وقت واحد ... »(١) .

وبعد وفاة المطران شكرالله جروة خلفه المطران غريغوريوس يوسف قدسي في الكرسي الاورشليمي . فتولى ادارة كنيسة « مريم المحزونة » والدير المجاور لها مدة من الزمان . ثم باعهما ونقل آنية الكنيسة وامتعة الدير الى دير مار افرام الرغم في الشبانية .

٣ ـ كنيسة سيدة النجاة القديمة في الشرفة سنة ١٧٨٦

أسّس هذه الكنيسة البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث عام ١٧٨٦ تيمّناً باسم « سيدة النجاة » لانها انجته من شتى النوائب والمخاطر . وكان طولها عشرين ذراعاً في عرض عشرة اذرع . وزيّن مذبحها بايقونة « سيدة النجاة » التي امتلكها عام ١٧٧٩ يوم حجّ الاراضي المقدسة . وكان يحملها معه في اسفاره الطويلة الشاقة الى بلاد ما بين النهرين والعراق وسوريا وغيرها . وصنع للقربان الاقدس خزانة مصفّحة بالفضة المذهّبة حفرت فوقها بالسريانية آية الانجيل الكريمة : « هذا هو

---

(١) مخطوطات دير الشرفة : مجلد ه

الخبز الذي نزل من السماء »[١] . ونقش على جدران الكنيسة في السريانية ايضاً « وصايا الله العشر »[٢] . ووضع حجراً فوق مدخل الكنيسة حُفر عليه في السريانية عبارة مقتبسة من الاناشيد الافرامية تعريبها « بكِ ارتفع رأس امنا حوّاء » تيمناً بالعذراء شفيعة الدير .

وضم البطريرك ميخائيل الى هذه الكنيسة ذخائر ثمينة وحللاً حبرية فاخرة وآنية ذهبية وفضّية اتحفه بها الحبر الاعظم البابا بيوس السادس وملوك اسبانيا واشرافها واعيان الملة .

وفي هذه الكنيسة اقيمت حفلات تاريخية جديرة بالذكر : منها حفلات تكريس الميرون وحفلات تسليم العكاز البطريركي لخمسة احبار انطاكيين وهم : اغناطيوس ميخائيل الرابع عام ١٨٠٢ واغناطيوس سمعان الثاني عام ١٨١٤ واغناطيوس بطرس السابع عام ١٨٢٠ واغناطيوس انطون الاول عام ١٨٥٣ واغناطيوس جرجس الخامس عام ١٨٧٤ . ومنها ترقية احد عشر كاهناً الى الدرجة الاسقفية وسيامة مئات من الاقليرس شمامسة وقسّاناً . ومنها عقد ثمانية مجامع سنأتي على ذكرها .

وفي هذه الكنيسة اقيمت جنّازات حافلة لكل من ساعد البطريرك ميخائيل الثالث وخلفاءه في عمارة دير الشرفة وتعزيزه كالاحبار العظام وملوك اسبانيا وفرنسا والنمسا ونابلي وآل دي‌فيلا هرموزا واحبار الملّة وآل جروة وكبار المحسنين الى دير سيدة النجاة .

وتحت مذبح هذه الكنيسة مدفن اشتمل على رفات بطريركَين وعشرة اساقفة وقد فصّلنا ذلك كله في القسم السابع عشر من هذا الكتاب وقد خصصناه باخبار اديار السريان الكاثوليك في لبنان .

---

(١) انجيل يوحنا ٦ : ٥٠

(٢) اندثرت هذه الكتابة على اثر اصلاح الكنيسة وتبديل هيئتها طولا وعرضاً .

٤ ـ كنيسة سيدة النجاة الجديدة في الشرفة سنة ١٨٧٧

عُني البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس عام ١٨٧٧ بوضع الحجر الاول في اساس هذه الكنيسة الجديدة . يبلغ طولها ستة وعشرين ذراعاً وعرضها اثني عشر ذراعاً . وقد بُنيت حنايا مذابحها الخمس من رخام سمّاقي فاخر قُطع من الجبل المجاور للدير . اما مذبحها الوسطاني المخصّص بسيدة النجاة شفيعة الدير فهو مبني بالمرمر الابيض وقد نُقشت تحت مائدته آية ملاخي النبي في السريانية وهذا تعريبها : « من مشرق الشمس الى مغربها ... يقرّبون لاسمي قرابين طاهرة »(١) .

ثم كتب على قنطرة مذبح مار اغناطيوس النوراني في السريانية كذلك : « حبة الحنطة ... ان ماتت اتت بثمر كثير »(٢) . وكُتب على قنطرة مذبح مار جرجس الشهيد : « فرأيت واذا بفرس ابيض ومع الراكب عليه قوس وقد أعطي اكليلاً فخرج ظافراً »(٣) .

وللكنيسة ثلاثة ابواب : حُفر على الباب الغربي في السريانية « اسجدوا للرب امام مذبح قدسه » . وعلى الباب الجنوبي « بك ننطح اعداءنا » . وعلى الباب الشمالي « وباسمك ندوس مبغضينا »(٤) كل ذلك وفقاً للتقليد الابوي . ونظم المطران ثئوفيلس انطون قندلفت تاريخاً شعرياً عربياً لتأسيس الكنيسة نُقش على صفيحة رخامية وُضعت فوق باب الكنيسة الجنوبي هذا نصه :

يا حُسنها من بيعة قد شادها الـ بطريك جرجس خيرُ راعٍ قد رعى
لما ازدهت أرختها بثنائها الله أسّسها فلن تتزعزعا

١٨٧٧

وصباح ١٥ آب ١٨٨٢ احتفل القس افرام ابيض نائب الرئيس احتفالا عظيما

---

(١) نبؤة ملاخي ١ : ١١ (٢) يوحنا ١٢ : ٢٤ (٣) رؤيا ٦ : ٢
(٤) مزمور ٤٣ : ٦

بنقل صورة سيدة النجاة من الكنيسة القديمة الى الكنيسة الجديدة بين الترانيم البيعية والاهازيج الشعبية وقرع النواقيس واطلاق البنادق . والقى في وصف مناقب العذراء الجليلة خطاباً نفيساً افتتحه بهذه الآية « مَن هذه المشرفة كالصبح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس المرهوبة كصفوف الرايات »(١) . هكذا أطلق على الكنيسة الجديدة اسم « كنيسة سيدة النجاة » وخصّصت الكنيسة القديمة بالقديس افرام السرياني .

وبلغت نفقات البناء زهاء ثلاثة آلاف ليرة عثمانية ذهبية تبرّع بقسم منها السيد اغناطيوس جرجس الخامس البطريرك الانطاكي وبعض الاساقفة والكهنة واعيان الملة . نذكر منهم بالرحمة والمغفرة : المطران متى نقّار والمطران يعقوب حلياني والخوري فيلبس قزّازة والخوري بولس قصّار والخوري بولس راضية . ونذكر من الاعيان : الكنت نصرالله دي طرّازي واسرته . ورزق الله اسطنبولية الخ .

واخذ البطاركة والرؤساء من ذلك العهد يقيمون الحفلات البيعية في هذه الكنيسة بدلا من الكنيسة القديمة . وسنذكر كل ذلك في مكان آخر من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

معابد السريان الكاثوليك في بيروت

(١٨١٧ - ١٨٨٣)

١ - معبد مار انطونيوس ومعبد مار يوسف ومصلى التجلي

اعتاد ابناء الملّة السريانية في بيروت منذ القرن الثامن عشر ان يكمّلوا

---

(١) نشيد الاناشيد ٦ : ٩

فروضهم الدينية في كنيسة الآباء الكبوشيين . وظلّوا على تلك الحال حتى عيّن لرعايتهم سنة ١٨١٧ المطران انطون دياربكرلي كما سلف الكلام . فاستأجر جدنا المقدسي انطون طرّازي في حي الكراويا بيتاً واسعاً خصّص اكبر غرفة فيه للمصلى واطلق عليه اسم شفيعه مار انطونيوس الكبير . وافرز بقية الغرف لمدرسة يتعلّم فيها الطلبة اللغتين السريانية والعربية . وتولى المطران انطون ادارة المصلى والمدرسة حتى وفاته عام ١٨٤١ وجرى مجراه خلفه المطران قورطس يوسف حائك حتى السنة ١٨٥٣ .

ولما تعيّن المطران يوسف سمنة لرعاية ابرشية بيروت انتقل من تلك الدار الى دار شيّدها في حيّ « المقسَم » كما ذكرنا وجعل فيها مصلى اطلق عليه اسم مار يوسف شفيعه .

وفي السنة ١٨٦٥ تولى الخوري يوحنا معمارباشي والقس لويس صابونجي خدمة الرعية في بيروت . فتخلى لهما والدنا نصرالله عن دار ملاصقة لداره في الشارع الذي أطلق عليه اسمه بعد وفاته . فدعي « شارع نصرالله طرازي » وهو واقع بين شارعي سوريا والبسطة . فخصصا الغرفة الكبرى بالمصلى وجعلا سائر الغرف للمدرسة والمطبعة وادارة مجلتَي « النحلة » و « النجاح » ودعي ذلك المصلى « مصلى التجلي » اي تجلي الرب في طور تابور .

٢ ــ مراسلات البطريرك فيلبس وآل طرازي بشأن كنيسة بيروت واحتياجاتها

لما ارتقى البطريرك اغناطيوس فيلبس الاول الى الكرسي الانطاكي جرت بينه وبين والدنا نصرالله مراسلات بشأن ابتناء كنيسة في بيروت . وفي ١٧ كانون الاول ١٨٦٨ كتب اليه البطريرك يقول : « ... بما انكم متقدمو ابرشية بيروت المحبوبة لدينا فقد وجّهنا الحاظنا اليكم لكي تعلمونا بالتفصيل ما هي احتياجات

ابرشية بيروت سواء كان من جهة الكنيسة ام من جهة رعاية النفوس وخدمتها بالنوع الذي يقتضي لنجاح تلك الابرشية ... » .

ثم كتب البطريرك فيلبس كذلك الى والدنا بتاريخ ٢٤ نيسان ١٨٦٩ يقول: « ... ارتضينا بما ارتأيتم وحوّلنا القضية لذمتكم لثقتنا بتقواكم . لان حضرتكم اخبر منا في ذلك ... ومهما حكمتم به فنحن راضون من دون مراجعة...»(١) .

الفصل الثالث

كنيسة مار جرجس الكاتدرائية في بيروت

ظلّ السريان دون كنيسة رسمية في بيروت حتى تولى البطريركية مار اغناطيوس جرجس الخامس (١٨٧٤ – ١٨٩١) . فعوّل ان يبتني فيها كنيسة تضم ابناء الملة السريانية . وكتب الى والدنا نصرالله يستشيره في الامر . فاجابه والدنا معرباً عن رغبته في ابتناء الكنيسة بنفقته الخاصة . فشكره البطريرك على تلك الحميّة مصرّحاً بانه يحب ان يشترك في هذا الصنع المبرور جميع ابناء الملة احرازاً للثواب في الدارَين .

وفي ٢٥ اذار ١٨٧٨ وضع البطريرك جرجس الحجر الاول لاساس الكنيسة ودعاها باسم شفيعه مار جرجس الشهيد . وبلغ طولها اربعاً وثلاثين ذراعاً وعرضها سبع عشرة ذراعاً وعلوّها سبع عشرة ذراعاً يكتنفها سبعة ابواب . ولما اكتمل بنيان جدرانها عام ١٨٧٩ نظمنا فيها تاريخاً شعرياً هذا نصه :

---

(١) العقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين : مجلد ١ رسائل البطريرك فيلبس عركوس

انشا امام الفضل جرجس بيعةً | لليمن باسم شفيعه قد كرّست
ضمّت خراف المؤمنين لانهـا | حقاً على ايمان راعيها رست
بُنيت بجود ذوي الحميّة والتقى | ومن السماء بحلّة القدس اكتست
اكرم بعامٍ قـد هتفت مؤرخاً | فيه على خوف الاله تأسّست(١)

١٨٧٩

وصباح الاحد ١١ تشرين الثاني ١٨٨٣ احتفل القس افرام ابيض كاهن الرعية بالقداس الاول في هذه الكنيسة . وألقى بعـد الانجيل خطاباً قال فيه : « قـد شملكم السرور ايها الاحباء يا ابناء الطائفة السريانية الاعزاء اذ شاهدتم بأبصاركم ثمرة اتعابكم... فقد فزتم بمرأى معبد جديد شُيد لله تعالى في بيروت على اسم مار جرجس الشهيد ... اني اشكر جميع الذين اعتنوا ببناء بيت الله هذا وساعدوه بيد سخية ... و أخصّ بالذكر السراة الغُير الافـاضل نصرالله طرازي وانجـاله ورزق‌الله شقال وميخائيل موصلي ... واشكر الفاضل ميخائيل بن اليان سركيس العامل الادبي ... » (٢) .

وعندمـا سمع البطريرك بذلـك كتب الى والدنا بتـاريخ ١ كانون الاول : « ... هل تصمت ايها الابن العزيز عن امتداح المساعي الحسنة المقترنة بالتوفيقـات العلوية والمبذولة من بنوتكم خاصة ... في انشاء بيت الرب هذا ؟ فليجزل لكم الثواب تعالى في الدارين ... »

وفي السنة ١٨٨٥ جاء البطريرك جرجس من حلب الى بيروت وتولى تقديس هذه الكنيسة بالميرون في ٢٧ كانون الاول يعـاونه رهطٌ مـن الاساقفة . واغتنم تلك الفرصة ليجدد آيات الثناء على جميع الذين اشتركوا في انشاء هذا الهيكل المقدس ولا سيما على والدتنا الكونتس منّة (٣) شاكراً لها جهودها في تزيينه

(١) ديوان قرة العين : صفحة ١٣٧ من مخطوطة خزانتنا (٢) دليل الفردوس : للقس افرام ابيض : المجلد الاول (٣) وثائق خطية في علائق آل طرازي بالملة السريانية : صفحة ٢١ — ٢٩

بالحلل الكهنوتية والاغطية المطرزة وسائر ما يلزم للنهوض بالطقوس البيعيـــة . وكان ابنـاء الملة غنيهم وفقيرهم يتنافسون في خدمتها وتجميلهـا بالصور والثريات والقناديل الفضية والنذور الثمينة حتى اصبحت من أفخر الكنائس وادعـاها الى الخشوع والعبادة .

ومَن شاء زيادة ايضاح عن هذه الكنيسة وعن المحسنين اليها وعن سائر المشاريع المبرورة التابعة لها فعليه ان يطالع : اولا « الذكرى الذهبية لكنيسة مار جرجس السريانية » بقلم الطبيب الاثر الخورفسقفوس ميخائيل بن اليان سركيس (+١٩٣٥) ثانياً : « وثـائق خطية في علائـق آل طرازي بالملـة السريانية » بـقلم الخوري اسحق ارملة .

الفصل الرابـع

كنيسة مار اغناطيوس النوراني في بيروت

أسس هذه الكنيسة البطريرك اغناطيوس جبرائيل الاول تبوني على اثر ارتقائه الى السدة الانطاكية . وأطلق عليها اسم مار اغناطيوس النوراني شفيع البطركية السريانية (١) . وهي اول كنيسة دعيت باسم هذا الشهيد المجيد في بلاد المشرق . وقد احتفل هذا البطريرك بوضع حجرها الاساسي ثم دشنها بحضور جميع اساقفة الملة صباح ٢٩ حزيران ١٩٣١ .

(١) للسريان في بلاد الملبار بالهند ثلاث كنائس باسم مار اغناطيوس النوراني الشهيد : الاولى في الواي تريكوتناط بابرشية انكمالي . والثانية في كونوكلم . والثالثة في كنير امـــاطم بابرشية كوجين (المجلة البطريركية السريانية : مجلد ٧ سنة ١٩٤٠ صفحة ٢٥٤ — ٢٥٦) .

ويزيّن صدر كنيسة مار اغناطيوس مذبح من المرمر تعلوه قبّة مرتكزة على اربعة اعمدة ضمن حنيّة بديعة النقوش طبقاً لطراز الكنائس السريانيـة . والى يمين المذبح قبّة لطيفة ضمنها عرش البطريرك وهو من خشب ثمين اهداه ابناء ابرشية دمشق السريانية . والى يسار المذبح قبة ثانية ُضمدت ضمنها ذخيرة من عود الصليب الكريم وذخيرة من عظام مار اغناطيوس النوراني وغير ذلك من الذخائر المقدسة . ويُشاهد في اعلى كلتا القبتين شعار البطريرك « السلام والمحبة » (١) في السطرنجيلية .

ويعلو باب الكنيسة الغربي جناح داخليّ نُصب فيه مذبح جميل تزيّنه صورة اثرية ثمينة تمثّل العذراء والدة الله يبشرها جبرائيل الملاك . وقد وقف تلك الصورة الاثريّة الخورفسقفوس توما حلبية الوكيل البطريركي لدى الكرسي الرسولي .

اما موقف الكنيسة فهو وراء المذبح الاكبر وفي ارضـه سرداب يُفضي الى مدفن الاحبار . وقد فُرشت ارض الكنيسة بالرخام من مدخلها الى منتهاهـــا ودُبّج سقفها بالوان ظريفة تتخللها مصابيح كهربائية .

ويكتنف باب الكنيسة الخارجي عمودان من المرمر السمّاقي تجمعهما قنطرة عليها ثلاثة صلبان بشكل الصلبان التي استعملها آباء الكنيسة السريانية منذ قديم الازمنة . ويعلو قبّة الجرس المستوية فوق سطح الكنيسة صليب كبير من البلور يُضاء بانوار كهربائية في بعض الاعياد والمواسم .

---

(١) رسالة يهوذا ١ : ٢

الفصل الخامس

سائر كنائس السريان في بيروت

١ ـ كنيسة مار افرام في المصيطبة

المصيطبة حيّ من احياء بيروت يقطنه فريق غير قليل من السريان كانوا محتاجين الى كنيسة تجمع شملهم . فاعتنينا بامرهم وعرضنا على البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني ان ينظر اليهم بعينه الابوية ويتمم رغبتهم . فاقتنى بقعة ارض في الحي المذكور . وعصر الاحد ٢٩ نيسان ١٩٢٨ وضع فيها الحجر الاساسي لكنيسة اطلق عليها اسم شفيعه مار افرام السرياني الملفان . واودع هناك قرطاساً من الرق كتب عليه في السريانية ما تعريبه : « في عهد البابا بيوس الحادي عشر الحبر الاعظم وضع مار أغناطيوس افرام الثاني البطريرك الانطاكي الحجر الاول لكنيسة مار افرام السرياني ببيروت في ٢٩ نيسان سنة ١٩٢٨ »(١).

وما كاد ينجز بنيان هذه الكنيسة حتى استأثرت ببانيها رحمة الله تعالى في ٧ ايار ١٩٢٩ فاكملها في السنة التالية خلفه البطريرك الحالي .

٢ ـ كنيسة سيدة البشارة في الاشرفية

موقع هذه الكنيسة على شارع اسحق بن حنين بجوار الصرح البطريركي . ويتألف معظم رعيتها من أسر سريانية عُنينا بلم شعثها وتخفيف ويلاتها . وقد يسّر لنا الله سبحانه فأنقذناها من مخالب الذلّ والفاقة ومهّدنا امامها كل عقبة

---

(١) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ٣ سنة ١٩٢٨ صفحة ١٨٠

لتحسين شؤونها المادّية غير مبتغين في عملنا الا تمجيد الله تعالى وصنع الخير (١) . وقد تأسست كنيسة هذه الرعية على اسم « سيدة البشارة » . وجرى تدشينها بالماء المبارك صباح الاحد ٥ تشرين الثاني ١٩٣٣ . وبجانبها مدرسة للبنين ومدرسة للبنات تضم زهاء اربعماية طالبة . ادارتها بيد راهبات مريم الفرنسيسيات اللواتي يعلمنَ فريقاً من الطالبات اصول تدبير المنزل والتفصيل والخياطة والطرازة والطبخ وما شاكل ذلك .

الفصل السادس

كنائس السريان في راشيا وحاصبيا

ابتنى السريان قديماً في راشيا كنائس جمّة لم نعرف منها الا اربعاً : الاولى كنيسة السيدة ومار قوما ومار ديمط . والثانية كنيسة مار موسى الحبشي . والثالثة كنيسة مار ميخائيل . والرابعة كنيسة مار الياس الحيّ . واليك ما اتصل بنا من اخبارها .

١ ـ كنيسة السيدة ومار قوما ومار ديمط

انتزح في القرن السادس عشر جم غفير من السريان عن « عين حليا » وطنهم وانطلقوا الى راشيا فانضموا الى اخوانهم السريان الذين كانوا فيها . وحملوا معهم في رحيلهم اسم مار ديمط شفيع بيعتهم الكبرى في مسقط رأسهم (٢) واسسوا بيعة على اسمه في وطنهم الجديد . وبقيت تلك البيعة عامرة حتى القرن الثامن عشر .

---

(١) راجع هذا الكتاب : قسم ١٠ فصل ٥ (٢) فهرس مخطوطات باريس : رقم ١٧٤

يدلّ على ذلك سنكسار نسخه في ٩ حزيران ١٧٧١ غريغوريوس يوحنا بن عيسى شقير الصددي مطران دمشق (١٧٥٤ – ١٧٨٣). ففي ذلك المخطوط يُقرأ ما يلي : «انتهى هذا السنكسار على يد المطران غريغوريوس يوحنا سنة ٢٠٦٧ لليونان (١٧٥٦م) ووهبه الى بيعة السيدة ومار قوما ومار دعط في قرية راشيا ، التابعة لابرشيته (١) .

ونسخ المطران غريغوريوس يوحنا شقير كتباً كثيرة بخط يده سريانية وعربية : منها كتاب « رؤوس الانغام » نسخه في حلب واهداه الى صديقه الشماس ميخائيل ولد الشماس نعمة الله جروة (٢) الذي صار بعد ذلك بطريركاً باسم اغناطيوس ميخائيل الثالث (١٧٨٢ – ١٨٠٠) . ونظم المطران عينه ترانيم بيعيّة ينشدها السريان الكاثوليك والسريان الارثوذكس في بعض المواسم كترنيمته في عيد القيامة ومطلعها :

انقضى الصوم المقدّس بالسلام والمخلّص خلّص العالم وقام

وهذه الترنيمة الجميلة قد نقّحها المطران اقليميس يوسف داود ونشرها كاملة في كتابه « الكينارة الصهيونية » المطبوع في الموصل (٣) .

٢ – كنيسة مار موسى الحبشي

للسريان كنيسة ثانية في راشيا اسموها تيمّناً باسم مار موسى الحبشي . وهي متينة البنيان ما برحت عامرة حتى اليوم وفيها يتمّم ابناء الملة فروضهم الدينية . وكانت تحوي هذه الكنيسة أسوة بسائر الكنائس الشرقية مكتبة حُفظت فيها مخطوطات سريانية و كرشونية يستعملها الكهنة الذين يتولون خدمة الرعية . غير

---

(١) المجلة البطريركية السريانية : مجلد ٧ سنة ١٩٤٠ صفحة ١٨٩

(٢) فهرس مخطوطات الشرفة : رقم ٥/٣٥ صفحة ١٠٧ – ١٠٨

(٣) الكينارة الصهيونية : المطران اقليميس يوسف داود : ترنيمة ٧٧ صفحة ١٢٢ طبعة رابعة

ان الايدي لعبت بتلك المخطوطات فلم يُحفظ منها الا القليل النادر . نذكر من ذلك انجيلاً سريانياً وكرشونياً طبقاً للترجمة الحرقليّة مكتوباً في حقلين ومجلداً تجليداً متقناً ومحلّى باطار ملوّن (١) وهذا الانجيل محفوظ اليوم في خزانة مخطوطات دير الشرفة .

٣ ـ كنيسة مار ميخائيل

هذه كنيسة ثالثة انشاها السريان في قصبة راشيا . وقد ورد ذكرها في مخطوط كرشوني عنوانه « تواريخ دير مار مرقس » لمؤلفه المطران عبد النور الرهاويّ الذي تولى الكرسي الاورشليمي مدة ثلاثين سنة (١٨٤٧ - ١٨٧٧) . فلمّا اتى المؤلف على خبر انحياز السيد غريغوريوس يعقوب حلياني مطران دمشق ولفيف جماعته سنة ١٨٢٦ الى الكثلكة اورد اسماء الكنائس التي ضبطها هذا المطران في انحاء ابرشيته . وفي جملتها كنيسة مار ميخائيل في راشيا (٢) . وقد اخنى عليها الدهر فلم يُبق لها اثراً .

٤ ـ كنيسة مار الياس الحي

جرى بنيان هذه الكنيسة عام ١٧٨٥ على يد المطران ايونّيس نعمة الله تابت الصددي الذي اقامه البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث (جروة) مطراناً لدمشق وراشيا كما ذكرنا . غير انه ما كادت تنتهي عمارة تلك الكنيسة حتى انطلق المفريان باسيل بشارة سنة ١٧٩٠ الى راشيا مع مطرانين وشماسين واخذ يضيّق على وجهاء الملّة فالقى بعضهم في السجن وضبط ارزاقهم . ثمّ ادّى رشوة

---

(١) فهرس مخطوطات الشرفة : رقم ٢/٢٧ صفحة ٣٩ — ٤٠

(٢) الخزانة المرقسية في القدس : مخطوطة رقم ٢١٢ صفحة ٤٧ — ٤٨

كبيرة لحاكم راشيا فقوّض كنيسة مار الياس وتشتّت بسبب ذلك شمل ابناء الملة في مختلف البلاد (١).

وبعد ذلك شاء آل ابي حمد الحلياني اعيان السريان في راشيا ان يجدّدوا بنيان كنيسة مار الياس اكتساباً للثواب . لكنهم لم يتوفقوا في مسعاهم فاكتفوا بكنيسة مار موسى السابقة الذكر .

اما الكهنة الذين تولوا خدمة رعية راشيّا فنذكر منهم : القس فرج الله ابو كرش سنة ١٧٠٢ (٢) . والقس جبرائيل طعمة الحلياني (١٧٩٢ — ١٨٢٣) والخوري يعقوب قدسي (+ ١٧٩٨) والخوري انطون قدسي (+ ١٨٣٥) وَالقس باسيل حكيم (+ ١٨٤٣) والقس اسطفان الحلياني (+ ١٨٦٢) والقس اسطفان داود (+ ١٨٦٧) والقس جرجس حكيم (+ ١٨٧٥) والقس يوحنا دلال (+ ١٨٨٧) . وبعد هذا تناوب كهنة دمشق في خدمة رعية راشيا واحداً فواحداً حتى السنة ١٩٠٢ فتعيّن القس يوسف طعمة الحلياني كاهناً لها . وهو لا يزال قائماً بتلك الخدمة الى الزمان الحاضر .

٥ ــ كنيسة مار يوليان الشرقي في حاصبيا

حاصبيا جمع حاصبا اسم سرياني معناه « خزّافون » اطلق على بلدة في وادي التيم ازاء جبل الشيخ تابعة للجمهورية اللبنانية . وكانت في غابر الازمنة مأهولة بجمهور غفير من السريان خاضعين في سياستهم البيعية لمطرانية دمشق . والیهم والى اهل راشيا السريانيّين وجّه البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث سوسطاتيقوناً كتبه بتاريخ ٢٥ حزيران ١٧٨٥ وامرهم ان يطيعوا السيد ايونيس نعمة الله تابت

(١) جثالقة المشرق ومفارنة السريان : رقم ١٠١

(٢) فهرس مخطوطات الشرفة : رقم ١٩/٨ صفحة ١٦٨

الذي اقامه عليهم مطراناً شرعياً ويمتثلوا اوامره ويعملوا بنصائحه (١) .

وكان للسريان في حاصبيا كنيسة قديمة العهد اسّموها على اسم مار يوليان الشرقي . وهو الذي وشّح مار افرام الملفان باسكيم الرهبنة كما ألمعنا الى ذلك في محل آخر . ولمار يوليان الشرقي (+ ٣٦٧ م) دير قديم في القريتين بين حمص وتدمر . وفيه ضريحه من حجر البازار يحجّه الاهالي على اختلاف الملل والنحل يوم عيده في تاسع ايلول من كل سنة (٢) .

الفصل السابع

سائر كنائس السريان في لبنان

١ ـ كنيسة مار افرام في زحلة

اوّل مَن عقد النيّة على تشييد كنيسة للملة السريانية في زحلة هو البطريرك اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨ – ١٩٢٩) رحمه الله تعالى . فانه وجّه اليها عام ١٩٠١ القس جبرائيل صالحاني الدمشقي الذي سعى لجمع شتات ابناء الملة واقترح على البطريرك ان يشيّد لهم كنيسة ومدرسة لتثقيف اولادهم . فاستحسن البطريرك ذلك الاقتراح وامر ان تُشترى بقعة ارض في مركز موافق من المدينة وان يباشَر البناء . وفي السنة ١٩٠٦ انطلق البطريرك الى زحلة في فئة من الاساقفة والكهنة ودشّن الكنيسة واطلق عليها اسم مار افرام ملفان البيعة الجامعة .

---

(١) راجع هذ الكتاب : قسم ٨ فصل ١١ رقم ٤

(٢) مخطوطة دير الشرفة : رقم ٦/١١ صفحة ٢١١

وفي السنة ١٩٤٠ اشترى القس اسطفان بخاش الحلبي خادم رعية زحلة ارضاً من ماله في شارع البولفار تبلغ مساحتها نحو الفين وخمسمائة ذراع وشيّد فيها مدرسة ذات ثماني قاعات فسيحة بلغ عدد طلبتها ثلاثمائة وعشرين طالباً . وافرز من الارض المذكورة بقعة طولها اربعون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً لبناء كنيسة جديدة . وجرى افتتاح تلك المدرسة في ١٨ شباط ١٩٤١ فقدرت الجمهورية اللبنانية القس اسطفان وزيّنت صدره بنوط الاستحقاق اللبناني .

٢ ـ كنيسة مار انطونيوس الكبير في جونية

كان للسريان شأنهم في جونية كما دلّت عليه تواريخ القرون الوسطى . فكان لهم فيها كرسي اسقفي وكنيسة او اكثر اندثر اثرها مع تعاقب الايام . وفي السنة ١٨٩١ حملت الغيرة الخورفسقفوس انطون قرواني الدمشقي وكيل ارزاق دير الشرفة فابتنى على شاطىء تلك المدينة كنيسة اطلق عليها اسم شفيعه القديس انطونيوس الكبير ابي الرهبان . وهي اول كنيسة بُنيت هناك في العصر الحاضر قبل كنائس سائر الملل النصرانية . وقد حبس لها منشئها وقفاً يقوم بحاجتها وبيتاً لسكنى الكاهن الذي يتولى خدمتها .

٣ ـ ٤ كنيسة طرابلس وكنيسة اللاذقية

في كل من هاتين المدينتين جمهور كبير من ابناء الملة السريانية يتعاطون التجارة او الصناعة او الزراعة او المهن الحرّة . وبينهم فريق من العمّال والعاملات يشتغلون في الدوائر الرسمية او في بيوت الخاصة . فقرر الرؤساء ان ينشئوا في كلتا المدينتين كنيسة يقضي فيها السريان شعائرهم الدينية . غير ان الحرب الضروس التي اقامت دول الارض واقعدتها حالت حتى الان دون تحقيق رغائبهم . فعسى تتحقق تلك الاماني عندما يسود السلام الذي بشّر به الملائكة يوم مولد السيد المسيح له المجد .

الفصل الثامن

مجامع السريان في دير الشرفة

اصبح لبنان منذ السنة ١٧٨٦ مرجعاً لاحبار الكنيسة السريانية . فجعلوا يعقدون فيه المجامع للتداول في الشؤون الخطيرة والنظر في كل ما يؤول الى تعزيز الملّة . وعليه رأينا ان نروي اخبار تلك المجامع التي عقدوها في دير الشرفة حيناً بعد حين وهي :

المجمع الاول عام ١٧٩٠

عقد البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث اوّل مجمع في دير الشرفة عام ١٧٩٠ وكان مؤلفاً من السيد يوسف اسطفان بطريرك الموارنة (١٧٦٦ — ١٧٩٣) والسيد غريغوريوس بطرس بطريرك قيليقيا وسوريا (١٧٨٨ — ١٨١٢) على الارمن . وجرمانس آدم مطران حلب الملكيّ (+ ١٨٠٩) قاصد الكرسي الرسولي . وميخائيل فاضل مطران بيروت الذي ارتقى الى كرسي البطريركية المارونية ١٧٩٣ — ١٧٩٥) وبعض اساقفة السريان . وبعد التداول مع البطريرك ميخائيل الثالث في شأن تلامذة دير الشرفة قرروا جميعاً ما يلي :

« ... ان ابراز النذر ضروري لقيام المحل وهو مطابق للشريعة الكنسية . وكما ان البطريرك يلتزم ان يقوم بجميع لوازم الكاهن كذلك يلتزم الكاهن ان يخصص بالدير كل ما يجنيه . ولا يحق لانسباء ذلك الكاهن ان يدّعوا بشيء مما يخلفه قطعاً » (١) .

---

(١) محفوظات دير الشرفة : مجلد ٥ .

المجمع الثاني عام ١٧٩٨

لعبت قضية الوقف الذي حبسه جبرائيل غضبان الحلبي الراهب الباسيلي دوراً خطيراً في ملّة الروم الكاثوليك . واستحكم الخلاف بسببها مدة سبعة اعوام (١٧٩١ – ١٧٩٨) بين البطريرك اغابيوس الثاني مطر (١٧٩٦ – ١٨١٢) وبين السيد اغناطيوس صرّوف مطران بيروت (١٧٧٨–١٨١٢) . وراجع كل منهما بطاركة الموارنة والارمن والسريان لفضّ ذلك الخلاف . ولما تعذر التوفيق بين الفريقين المتخاصمين اجمعت الآراء على ان يتولى فحص القضيّة من فاتحتها الى خاتمتها السيد اغناطيوس ميخائيل الثالث جروة بطريرك السريان الانطاكي (١٧٨٢ – ١٨٠٠) . ويبت فيها الحكم الفصل لتضلّعه من الشرائع البيعية واشتهاره بالنزاهة وسداد الرأي .

وعلى اثر ذلك عقد البطريرك اغناطيوس ميخائيل في دير الشرفة عام ١٧٩٨ مجمعاً مؤلفاً من خيرة الآباء وافاضل العلماء . فدرسوا القضية درساً دقيقاً وانعموا النظر في كلياتها وجزئياتها وعرضوها على البطريرك الانطاكي فاصدر فيها الحكم التالي :

« اننا اذ التزمنا ان نفحص المواد الحادثة بين اخينا البطريرك اغابيوس الكلي الغبطة وبين حضرة اخينا كير اغناطيوس مطران بيروت المحترم وذلك برضاهما الكامل ... نحكم : اولاً يجب اتباع حكمنا وقبوله من الطرفين لانه مستند على القوانين المقدسة والشرائع الكنائسية ورسوم الاحبار الرومانيين المعظّمين . نحكم ثانياً ان هذه المواد التي تقدمت لفحص ديواننا ... تستمر كما هي بموجب ما تحرر حتى يأتي الجواب من الكرسي الرسولي . نحكم ثالثاً بانه يلزم قدس الاخ البطريرك اغابيوس الكلي الغبطة وحضره الاخ المطران اغناطيوس المحترم ان يعطيا مناشير بركة عموماً اجمالا وافراداً ويرفعا القصاصات الكنائسية التي وضعاها وذلك بدون طلب . ثم نروم ايضاً ان يظهر منذ الان الحب والسلام

ما بينهما ولا يسمحا بحدوث تبلبل جديد بين الرعايا لاجل المسالمة ونزع الشكوك وراحة الضمائر صحّ صحّ ».

لخصنا اخبار هذا المجمع عن مخطوط يقع في ٣٩٤ صفحة اشتملت على حوادث جرت في ملة الروم الكاثوليك وعلى فتاوى اصدرها السيد يوسف تيّان بطريرك الموارنة (١٧٩٦-١٨٠٩) والسيد غريغوريوس الاوّل بطريرك الارمن (١٧٨٨-١٨١٢) في قضية جبرائيل غضبان. وهـــذا المخطوط هو النسخة الوحيدة في موضوعها (١).

المجمع الثالث عام ١٨٠٠

عُقد هذا المجمع في دير الشرفة برئاسة السيد ايونّيس نعمة الله تابت الصدديّ مطران دمشق وراشيـا في ٣٠ ايلول ١٨٠٠ وقرّر الاباء انتخاب السيد قرلّس بهنام اخطل اسقف الموصل للكرسي الانطاكي خلفاً لمار اغناطيوس ميخائيل الثالث. وقد كتبوا الى المنتخَب رسالة في الحضور الى دير الكرسي ليسلموه عكاز الرئاسة. غير ان الاسقف بهنام تمنّع بسبب شيخوخته وجزيل تواضعه و كتب الى الاساقفة موافقاً على مَن يختارونه لذلك المنصب السامي.

المجمع الرابع عام ١٨٠١

التأم هذا المجمع في ١٥ آب ١٨٠١ برئاسة السيد يوليوس انطون الدياربكرلي النائب الرسولي. واجمع الآباء عـلى انتخاب الخورفسقفوس ميخائيل ضاهر الحلبي للكرامة البطريركية. فاعتذر مراراً وتمنع. لكنهم كتبوا اليه يلحون عليه في القدوم الى دير الشرفة فلم يرَ الا ان يلبي الطلب خاضعاً طائعاً.

---

(١) فهرس مخطوطات الشرفة: رقم ١٥/٥ صفحة ٣٥٢

وعندما بلغ المنتخب الى الدير اعتكف مع الآباء اسبوعاً كاملا كانوا في خلاله يتداولون في امر الانتخاب حتى توّصلوا الى اقناع الخورفسقفوس ميخائيل بقبول المنصب البطريركي . وفي ثالث ايار ١٨٠٢ رقوه في كنيسة سيدة النجاة الى الرتبة الاسقفية . ثم سلّموه في اليوم التالي العكاز البطريركي باحتفال شائق حضره بطريركا الموارنة والارمن ورهطٌ من اساقفة الملل ودُعي اغناطيوس ميخائيل الرابع .

المجمع الخامس عام ١٨١٤

عُقد هذا المجمع في ١ كانون الثاني افتتاح السنة ١٨١٤ برئاسة المطران يوليوس انطون دياربكرلي النائب العام . وقد حضره اساقفة الملة ما عدا مطراني حلب والموصل لاجل انتخاب بطريرك جديد بدلا من السيد اغناطيوس ميخائيل الرابع البطريرك المستقيل . فوقع اختيارهم على السيد غريغوريوس سمعان زورا مطران دمشق ونادوا به بطريركاً انطاكياً باسم اغناطيوس سمعان الثاني . وصباح اليوم التابع سلموه العكاز البطريركي في كنيسة سيدة النجاة بالشرفة بحضور السيد يوحنا الحلو بطريرك الموارنة والسيد غريغوريوس بطرس السادس بطريرك الارمن ولويس غندولفي القاصد الرسولي والمطران جرمانوس تابت الماروني .

المجمع السادس عام ١٨٢٠

جرى التئام هذا المجمع في ٢٥ شباط ١٨٢٠ برئاسة السيد ميخائيل هدايا مطران آمد . وبعدما وردت الى آباء المجمع صكوك الرضا والقبول من مطراني حلب والموصل اجمعوا على انتخاب غريغوريوس بطرس جروة مطران اورشليم ونادوا به بطريركاً انطاكياً باسم اغناطيوس بطرس السابع . وتمّت حفلة التنصيب في كنيسة سيدة النجاة بحضور بطريرك الارمن والقاصد الرسولي

واساقفة السريان والموارنة ومشايخ لبنان واعيان الملّة السريانية الذين قدموا من بيروت ودمشق وحلب والنبك وغيرها .

المجمع السابع عام ١٨٥٣

كان التئام هذا المجمع في ٣٠ تشرين الثاني ١٨٥٣ برئاسة السيد يوليوس انطون سمحيري مطران ماردين الذي اسندت اليه النيابة البطريركية العامة في ٢٢ اذار ١٨٥٢ على الطائفة السريانية (١) . وحضر هذا المجمع اساقفة الملّة سوى السيد غريغوريوس عيسى محفوظ مطران الموصل والسيد غريغوريوس زيتون مطران طورعبدين . وانتخبوا باجماع الاصوات رئيس المجمع ونادوا به بطريركاً انطاكياً صباح ٨ كانون الاول ١٨٥٣ في كنيسة سيدة النجاة بالشرفة . وتمّت حفلة التنصيب بموآزرة البطريرك يوسف الخازن الماروني (١٨٤٥ — ١٨٥٤) وغريغوريوس بطرس الثامن البطريرك الارمني (١٨٤٣ — ١٨٦٦) والسيد مبارك بلانشة القاصد الرسولي وعدد غفير من الاحبار والاقليرس والمشايخ والاعيان .

وانتهز الآباء الاساقفة فرصة اجتماعهم في الشرفة فتفرغوا منذ ٩ كانون الاول ١٨٥٣ حتى ١٤ كانون الثاني ١٨٥٤ لوضع قوانين قرروا اتباعها في جميع الابرشيات وادرجوها في مجلد مخصوص . وهي تتألف من مقدمة وخمس مقالات وخاتمة . ومن تلك القوانين نسخة مخطوطة اهديناها الى مكتبة دير الشرفة وضممنا اليها في مجلد واحد نسخة من اعمال مجمع حلب سنة ١٨٦٦ (٢) .

المجمع الثامن عام ١٨٧٤

ترأس هذا المجمع السيد ديونيسيوس جرجس شلحت مطران حلب والنائب

---

(١) مجمع حلب : سنة ١٨٦٦ قسم اول : باب اول : مخطوطة الشرفة : رقم ٤/١٧ صفحة ٣٤٢

(٢) فهرس مخطوطات الشرفة : رقم ٤/١٧ صفحة ٣٤٢

الرسولي العام . والتأم آباؤه في دير الشرفة واعتكفوا اياماً ثلاثة واجمعت آراؤهم على اصطفاء رئيس المجمع بطريركاً انطاكياً باسم اغناطيوس جرجس الخامس . وصباح الاحد ١١ تشرين الاول ١٨٧٤ سلمه عصا البطريركية عميد الآباء السيد غريغوريوس يعقوب الحلياني مطران دمشق وراشيا . وممن حضر حفلة التنصيب : السيد يوحنا الحاج نيابة عن البطريرك بولس مسعد بطريرك الموارنة . والسيد يوحنا حاجيان مطران الارمن . والاب لودفيكو بيافي نائب القصادة الرسولية .

المجمع التاسع عام ١٨٨٨

التأم هذا المجمع في ٢٢ تموز ١٨٨٨ في عهد البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس . وجرى افتتاحه في دير الشرفة بحضور سبعة اساقفة سريانيين وهم : قورلس بهنام بني مطران الموصل . واثناسيوس روفائيل جرخي مطران بغداد . واقليميس يوسف داود مطران دمشق . ويعقوب متى احمردقنه مطران الجزيرة . وثئوفيلس انطون قندلفت مطران طرابلس . وربولا افرام رحماني مطران الرها . وماروثا بطرس طوبال مطران ميافرقين . اما السادة ايونيس ايليا عتمة مطران القلاية بماردين وغريغوريوس جرجس شاهين مطران حمص وحماة واوسطاثيوس افرام تكمجي مطران خربوط فلم يتمكنوا من الحضور . وقد ترأس هذا المجمع السيد لودفيكو بيافي القاصد الرسوليّ باسم الحبر الاعظم البابا لاون الثالث عشر .

احتفل الآباء بافتتاح الجلسة الاولى احتفالاً عظيماً مهيباً في كنيسة سيدة النجاة الجديدة . وانضم اليهم احبار الملل اللاتينية والمارونية والارمنية ورؤساء الاديار ووجهاء الجماعة السريانية ومشايخ البلاد واعيانها . فدخل الاحبار الى الكنيسة متشحين بحللهم الحبرية بين تهليل الشعب واناشيد الاقليرس وقرع النواقيس . وجلس كل منهم في المحلّ المعدّ له . وتولى مطران بغداد تقريب الذبيحة الالهيّة .

ثم ُتليت مناشير الحبر الروماني ومجمع انتشار الايمان . وبعد ذلك اعلن الحبر الانطاكي افتتاح المجمع بخطبة بليغة وبعث الآباء برسالة برقية الى الاب الاقدس يبشرونه ويلتمسون بركته الرسولية .

ومنذ ٢٢ تموز باشر الآباء جلسات المجمع فكانوا يلتئمون مرّتين في النهار صباحاً ومساء . اما الجلسات العلنية الرسمية فبلغت تسع جلسات ُعقدت الاولى في ٢٢ تموز والتاسعة في ١٢ تشرين الاول . وقد اختتمها البطريرك بنشيد الشكر للعزة الالهية في السريانية . ثم رفع هو والاساقفة رسالة الى الحبر الاعظم يعلنون فيها نهاية المجمع . ويطلبون تثبيت ما قرروه من القضايا الدينية والشرعية والطقسية والتهذيبية .

واخصّ من عني بتهيئة مواد هذا المجمع هو السيد العلامة اقليميس يوسف داود مطران دمشق . وتولى هو نفسه بايعاز البطريرك والاساقفة نقل اعمال المجمع كلها الى اللغة اللاتينية ففرغ منها في ١٠ نيسان ١٨٨٩

وقف البابا لاون الثالث عشر على اعمال مجمع الشرفة فابتهج بها و كتب بتاريخ ١٠ ايلول ١٨٨٩ الى بطريرك السريان الانطاكي يقول : « نهنئكم ايها الاخوة المحترمون لانكم اكملتم بحوله تعالى عملًا جزيل الفائدة بل ضرورياً جداً . . . حتى اصبحتم مثالا حياً تقتدي به كنائس الطقسين الغربي والشرقي اجمع » (١) .

وفي ٢٨ اذار ١٨٩٦ برزت اعمال المجمع مطبوعة في اللاتينية برومة . اما النسخة العربية فقد ُنشرت عام ١٩٢٢ في مطبعة الشرفة بهمّة مار اغناطيوس افرام الثاني البطريرك الانطاكي .

وقد اتيح لوالدنا نصرالله طرازي ولنا ولاخوتنا ولبعض اعيان الملة ان نحضر الاحتفال بافتتاح المجمع المشار اليه . وانتهزنا تلك الفرصة فالقينا خطبة في تقريظ آبائه الاحبار الاجلاء واختتمناها بهذا التاريخ الشعري :

---

(١) مجمع السريان في دير الشرفة : سنة ١٨٨٨ صفحه ٥٥ من مقدمة النسخة العربية

احبار ملّتنا اقاموا مجمعاً نالوا به في الشرق أبعد شهرةِ
للدين والتهذيب خير شرائعٍ سنّوا بعهد البطرك ابن الشلحتِ
أحيَوا رسوماً قد عفَت آثارها من خاليات الاعصر الرسليةِ
فقضوا بذلك منيةً كنا الى تحقيقها نسعى لفخر الملّةِ
سقياً لهذا البطريرك فعهده برئاسة السريان زاهي الطلعةِ
لا غرو فهو بيمن تاريخٍ أبٌ فيه لهم شرفٌ بمجمع شرفةِ

١٨٨٨

المجمع العاشر عام ١٩١٠

استمر انعقاد هذا المجمع من ١١ الى ٢٢ نيسان ١٩١٠ برئاسة البطريرك اغناطيوس افرام الثاني . وجاء الى حضور جلساته اغلب اساقفة الملة من لبنان وسوريا وما بين النهرين والعراق . ولم يتخلف سوى الاساقفة الذين قعدت بهم الشيخوخة عن الحضور . وافتتحوا المجمع باعتكاف القى ارشاداته الاب انطون رباط اليسوعي السرياني (+ ١٩١٣). ثم عقدوا ثماني جلسات قانونية اتخذ الآباء فيها قرارات شتى تتعلق بسياسة الابرشيات ولا سيما بالكرسي البطريركي .

وعلى اثر ذلك سافر البطريرك مستصحباً مطران دمشق السيد اقليميس ميخائيل نجاش وبعض الخوارنة والقسّان وتفقد ابرشية حمص وحماة وحلب . ومن هناك توجه الى الرها وسويرك ودياربكر ودشّن كنيستها الكبرى . واستأنف سيره الى ماردين ودشّن فيها كنيسة مار افرام صباح ٢٩ حزيران ١٩١٠ . وفي ٦ تموز غادر ماردين وتعهد قرى طورعبدين والجزيرة حتى وصل الى الموصل وزار دير مار بهنام الشهير وقرقوش وبرطلي وبعشيقا . ثم انحدر الى بغداد فالبصرة ومن هناك قفل راجعاً الى ماردين وعمّر فيها داراً جديدة فخمة للبطريركية وفضّ بعض المشاكل المعقدة . وفي ١٩ اذار ١٩١١ برح ماردين الى بيروت .

المجمع الحادي عشر عام ١٩٢٩

التأم هذا المجمع في ١٥ حزيران ١٩٢٩ وافتتحه الآباء برياضة روحية ألقي مواعظها الاب انطون صالحاني اليسوعي السرياني (١٨٤٧ - ١٩٤١). ولم يتخلف عن الحضور سوى السيد غريغوريوس بطرس هبرا مطران دمشق بسبب انحراف صحته. فكتب اليهم رسالة اعتذار وأيّد موافقته على جميع تقاريرهم. وفي ٢٤ الشهر ذاته اجمع الاساقفة على انتخاب السيد ديونيسيوس جبرائيل تبّوني مطران حلب للكرسي الانطاكي. اما حفلة التنصيب وتسليم عكاز الرئاسة فقد تمّت صباح الاحد ٣٠ حزيران في كنيسة مار جرجس السريانية ببيروت.

المجمع الثاني عشر عام ١٩٤٧

كان انعقاد هذا المجمع بتاريخ ١٠ آب ١٩٤٧ بدعوة من البطريرك. فحضره جميع مطارنة الملة دون استثناء وعددهم تسعة احبار استعرضوا شؤون الطائفة السريانية عموماً واحتياجات ابرشياتها واحدة واحدة بنوع خاص". وجرى اختتام المجمع في ١٥ آب الواقع فيه عيد انتقال العذراء شفيعة دير الشرفة. فاحتفل رئيس الملة بقداس حبري يعاونه لفيف المطارنة وثلاثون كاهناً من كهنة الطائفة(١).

تلك خلاصة ما وقفنا عليه من اخبار المجامع المليّة التي تمت في دير سيدة النجاة بالشرفة. وقد عُقد ثمانية منها في كنيسة الدير القديمة. اما المجامع الاربعة الاخيرة فكان التئامها في كنيسة الدير الجديدة.

---

(١) النشرة الطائفية للسريان الكاثوليك بالقطر المصري: صفحة ٢١ - ٢٣

الفصل التاسع

مجامع السريان في بيروت

مثلما عقد السريان مجامع ملّية في دير الشرفة عقدوا في بيروت ايضاً بعض مجامع لها شأنها في تاريخ الملة وفي تنظيم الطقوس البيعية والصلوات القانونية . وقد دفعهم الى ذلك حرصهم على توحيدها في كل الابرشيات وعلى نشرها بالطبع .

١ ـ اختلاف الكتب الطقسية في الابرشيات السريانية

اوّل ما وجّه اليه أحبار السريان انظارهم ضبط كتاب « الحسّايات » و كتاب « الفنقيث » اللذين جرى استعمالهما في الكنائس السريانية ايام الآحاد والاعياد والاصوام والتذكارات . فكان لكل ابرشية بل لكل كنيسة ولكل دير حسّايات وفناقيث خاصّة بها . فمخطوطات الموصل مثلًا كانت تختلف عن مخطوطات قرقوش وبرطلي ودير مار بهنام الشهيد ودير مار متى الشيخ مع انها باجمعها تؤلف ابرشية واحدة . وقس عليها مخطوطات ماردين ودير الزعفران وطورعبدين فانها تختلف عن مخطوطات كنائس آمد وجرجر والرها وملطية وعن مخطوطات دير تلعدا ودير قنّسرين ودير برصوما ودير البارد وغيرها . ونضيف الى ذلك مخطوطات اورشليم وحلب ودمشق وحمص وحماة والنبك ولبنان . فان مشتملاتها كانت مختلفة عن مشتملات مخطوطات سائر الابرشيات والاديار . وكان اذا انشأ احد الاساقفة او احد رؤساء الاديار ميمراً او مدراشاً او حسّاية في وصف احد المواسم او احد القديسين حتم على كهنه ابرشيته او على رهبان ديره ان يضيفوا ذلك الى الوضع القديم .

٢ ـ حرص السريان على توحيد كتبهم الطقسية

هكذا تعدّدت تلك الكتب القانونية واختلف بعضها عن البعض الآخر باختلاف الاماكن والاشخاص . فرأى احبار السريان الكاثوليك ان يصلحوا هذا الخلل ويوحّدوا استعمال الحسّايات والفناقيث في جميع الابرشيات والاديار على حدّ سوى . فكلّفوا احد علماء الملة السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق ان ينهض بهذا العمل الجبّار بما تفرّد به من سعة الاطلاع ورسوخ القدم في الطقوس البيعية واللغتين السريانية والعربية .

٣ ـ نهوض المطران يوسف داود بتوحيد كتب الصلوات القانونية

اخذ المطران يوسف داود المشار اليه على عاتقه تلك المهمة الخطيرة وشرع يكاتب الاساقفة والرؤساء في مختلف الانحاء ليبعثوا اليه بما عندهم من تلك المخطوطات القديمة حتى اجتمع منها لديه عدد وافر . فاكبّ على درسها وتمحيصها وتنقيحها ومقابلتها مدة عشر سنوات متوالية (١٨٧٧ — ١٨٨٨) دون ملل ولا كلال . واضاف الى الوضع القديم صلوات جمّة كصلوات عيد الجسد وصوم الرسل وصوم السيدة وعيد الحبل بلا دنس وعيد مار يوسف وتذكارات بعض القديسين والايام السابقة والتالية لعيد انتقال العذراء وعيد ارتفاع الصليب واسابيع المجيء الخ الخ . فانه صنّفها وضبطها كلها بالشكل الكامل ونشرها بالطبع في تسعة مجلدات ضخمة .

٤ ـ عنايتنا بنشر ترجمة المطران يوسف داود ومراثيه في عشرين لغة

عرفنا هذا الجهبذ الكبير حق المعرفة وطالعنا مؤلفاته واختبرنا مناقبه . فنشرنا

على اثر وفاته ترجمة حياته وادرجنا اسماء مصنفاته الوافرة العدد والجزيلة الفائدة. ثم ضممنا اليها طائفة من المراثي الشعرية والنثرية التي فاضت بها قرائح العظماء من اساطين الدين والدنيا تنويهاً بفضيلته وفضله. وسمّينا ذلك الكتاب «القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة» فتهافت القوم على احرازه ليطلعوا على ما ازدان به ذلك الحبر الفذّ من سمو الفضائل والنبوغ في شتى المعارف واللغات.

ونهض ايضاً جمهور من شعراء حلب وادباء الموصل وغيرها فنظموا قصائد بليغة في رثاء هذا الحبر الجليل. وقد نشرت تلك المراثي في مجموعتين نفيستين: عنوان احداهما «قضاء فريضة الرثاء» وعنوان ثانيتهما «رنّة العود في مراثي ابن داود».

بعد هذه المقدّمة نذكر بايجاز ما اطّلعنا عليه من اخبار المجامع التي عُقدت في بيروت للغاية المومأ اليها وهي:

المجمع الاول عام ١٨٧٩

في خريف السنة ١٨٧٩ حضر المطران اقليميس يوسف داود من دمشق الى بيروت حاملاً في حقيبته المجلّدين الاوّلين من الحسايات ونزل كمألوف عادته في دار والدنا المرحوم نصرالله. فاجتمع هناك مراراً ببعض الاساقفة وعلماء الكهنة وعرض عليهم نصوص تلك الحسّايات التي عرّبها او نقلها عن السريانية.

وفي ٢٠ تشرين الاول من السنة عينها جرى افتتاح المجمع في دار القصادة الرسولية باذن الحبر الاعظم وامره. وقد حضره السيد لودفيكو بيافي القاصد الرسولي في سوريا ولبنان والاب اوغسطين شياسكا(١) مندوب البابا الروماني وفريق من الآباء والعلماء. وعيّن البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس الخورفسقفوس يوسف معمارباشي رئيس دير الشرفة لينوب عنه في المجمع المشار

(١) ارتقى الاب اوغسطين شياسكا الى المنصب الكرديناني عام ١٨٨٨

اليه[١] . فاجروا فحص الحسّايات فحصاً مدققاً في جلسات متعددة استغرقت ثلاثة اسابيع ووافقوا على مضامينها . وكتبوا الى البطريرك الانطاكي ليأمر بنشرها وشكروا للمطران يوسف داود همته وجهوده .

تهلّل البطريرك لتلك البشرى وصدّر كتاب الحسّايات بمقدمة عربية انشأها بتاريخ ٣ تشرين الاول ١٨٨١ في ماردين . وافاض في الثناء على ما كابده المطران اقليميس يوسف داود من العناء والسهر والتدقيق في تنقيحها وتعريبها وضبطها[٢]

المجمع الثاني عام ١٨٨٥

التأم هذا المجمع في بيروت عام ١٨٨٥ برئاسة البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس . وحضره السيد لودفيكو بيافي القاصد الرسولي والمطران اقليميس يوسف داود والخورفسقفوس انطون قندلفت كاتم اسرار البطريركية والخورفسقفوس لويس رحماني وفريق من علماء الكهنة . فعقدوا عدّة جلسات فحصوا في اثنائها نصوص المجلدَين الاوّلين من الفناقيث . وقد اشتمل احدهما على الصلوات الفرضية العموميه وثانيهما على الصلوات التي تُتلى من احد تقديس البيعة حتى آخر كانون الثاني . فوافق الجميع على مضامينها باسرها ثم قرّروا نشر المجلدين في مطبعة الآباء الدومنكيين بالموصل كما تقرر قبل ذلك نشر كتاب الحسّايات .

ثم فوّض البطريرك الانطاكي الى الخورفسقفوس لويس رحماني[٣] ان يصنع للفناقيث مقدمة مستوفاة في السريانية . وقد اشرف عليها البطريرك واسترسل في اطراء السيد اقليميس يوسف داود واثنى على جهوده وفضله كل الثناء . وختم

---

(١) سجلات رؤساء دير الشرفة : يومية الخوري يوسف معمارباشي .

(٢) مقدمة كتاب الحسايات : طبع الموصل : صفحة ٣ — ٤

(٣) ارتقى الى الدرجة الاسقفية على الرها في ٢ تشرين الثاني ١٨٨٧ باسم ربولا افرام وتسلم عكاز البطريركية الانطاكية في ٩ تشرين الاول ١٨٩٨ باسم اغناطيوس افرام الثاني وتوفاه الله تعالى في ٧ ايار ١٩٢٩

حتماً مطلقاً على جمهور الشمامسة والكهنة والاساقفة ان يتقيدوا باستعمال تلك الصلوات في اوقاتها .

وقد نجز طبع المجلدين المومأ اليهما سنة ١٨٨٦ في المطبعة المذكورة . اما الفناقيث الخمسة الباقية فقد جرى النظر فيها خلال المجمع الملكي المعقود عام ١٨٨٨ في دير الشرفة . واجمع الآباء كافة على نشرها فتم طبع المجلد الثالث عام ١٨٨٩ والمجلد الرابع عام ١٨٩١ والمجلد الخامس عام ١٨٩٢ والسادس عام ١٨٩٥ والسابع عام ١٨٩٦ .

على ان السيد اقليمس يوسف داود الطيّب الاثر احتاج في مشروعه هذا الشاق الى استخدام بعض الكهنة المتضلعين من اللغة السريانية ليتولوا اصلاح اغلاط المطبعة . ومن اولئك الكهنة نذكر القس افرام نقاشة (١) والخوري سمعان يونان والقس ميخائيل قس موسى القرقوشي والقس طوبيا يونان والقس ميخائيل دلال الدمشقي . وبعد الفراغ من تهيئة الحسّايات والفناقيث ونسخها وتبييضها جمعت اوراقها فبلغت اكثر من اثني عشر مجلداً من اضخم المجلدات (٢) .

المجمع الثالث عام ١٩٢١

عُقد هذا المجمع عام ١٩٢١ في بيروت برئاسة البطريرك اغناطيوس افرام الثاني . وحضره مطارنة لبنان ودمشق وحلب والموصل وبغداد . واتفقت كلمتهم على طبع اعمال مجمع الشرفة التاسع في اللغة العربية . ثم نظروا في كتاب القداس السرياني واجمعوا على نشره في المطبعة البطريركية بدير الشرفة . واغتنموا تلك الفرصة فانتخبوا الخورفسقوس يوسف جرجي اسقفاً لحمص وحماة وتوابعهما والقس بهنام قليان رئيس دير مار بهنام الشهيد اسقفاً لماردين . ودعي الاول ثاوفيلس يوسف والثاني يوليس بهنام وتمت حفلة سيامتهما في كنيسة بيروت صباح الاحد ٣٠ نيسان ١٩٢٢ .

---

(١) تقلد مطرانية حلب في ٥ نيسان ١٩٠٣ باسم ديونيسيوس افرام وانتقل الى جوار ربه في دير الشرفة بتاريخ ٢١ اذار ١٩٢٠ (٢) القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة : صفحة ٢٦

القسم العاشر

بطريركية السريان الانطاكية في بيروت

الفصل الاول

مراسلات البطاركة وآل طرازى بشأن اعادة الكرسى البطريركى الى لبنان

لم يسلك بطاركة السريان الانطاكيون الكاثوليك مسلك اسلافهم في الاقامة بلبنان. فالبطريرك بطرس السابع في اعوامه الاخيرة جعل مركزه في حلب وطنه. ورأى البطريرك انطون سمحيري ان اقامته في ماردين قريباً من بطريرك السريان الارثذكس خيرٌ للملة وأدعى الى نموّها وتعزيزها. واقتفى اثره في ذلك خلفه البطريرك فيلبس الاوّل. وجاء بعدهما البطريرك جرجس الخامس فجعل اقامته اغلب ايامه في حلب مسقط راسه. ثم قام البطريرك بهنام الثاني فاتخذ الموصل وطنه مركزاً لكرسيه.

ازاء هذا التنقل من مدينة الى مدينة كتب جدّنا المقدسي انطون طرّازي (١٧٨٩ - ١٨٥٥) الى البطريرك انطون سمحيري يقول: « ان وجود الكرسي البطريركي في مركزٍ ثابت أنفع للملة من تنقله من مدينة الى مدينة او من دير

الى دير. وأرى من الواجب ان يحافظ على نيّة مؤسس دير الشرفة الذي احسن ان يكون الكرسي البطريركي في الدير المذكور » .

وكتب والدنا نصرالله طرّازي (١٨٢٢ - ١٨٩٥) في هذا الصدد مراراً الى السيد ديونيسيوس جرجس شلحت مطران حلب عندما كان نائباً رسولياً . وأثبت ما كتبه جدّنا انطون من قبله . فاجابه النائب الرسولي بتاريخ ٩ نيسان ١٨٦٥ يقول : « ... انكم في تحريركم الاوّل في ٣٠ اذار توضحون افكاركم في ما يلاحظ الكرسيّ البطريركي في حلب او في الشرفة او بيروت . وانـه اكثر اعتباراً للطائفة من وجوده في ماردين المنزوية في رأس جبل بين قبائل العرب والاكراد. اي نعم ايها الابن العزيز ان وجود الكرسي في احدى هاتين المدينتين حلب او بيروت هو اكثر اعتباراً للطائفة . ولكن كيف العمل ؟ ان المجمع المقدّس في رومة لا يفتكر نظيرنا بل يرتئي الضد . اي ان وجود الكرسي في ماردين يصير منه خير اكثر ... » (١) .

ويطول بنا الشرح لو تقصّينا المراسلات التي دارت بهذا الشأن بين والدنا ورؤساء الملة فنكتفي بالاشارة اليها .

الفصل الثانى

البطريرك اغناطيوس افرام الثانى فى بيروت

(١٨٩٨ ــ ١٩٢٩)

ما كاد يُنتخب مار اغناطيوس افرام الثاني للكرسيّ الانطاكيّ في ماردين بتاريخ ٩ تشرين الاوّل ١٨٩٨ حتى عدنا نجدّد الطلب بجعل المركز البطريركيّ

(١) وثائق خطية في علائق آل طرازي بالملة السريانية : قسم ٢ فصل ٣ صفحة ٦٢ و ٦٣ .

في بيروت فكتب لنا البطريرك الجديد بتاريخ ٢٢ الشهر المذكور جواباً بخط يده يقول: « ... وان شئتم ان نطلعكم على دخيلة افكارنا فنحن من نيتنا ان نجعل لنا مقراً في سوريا مدينة بيروت ... العامرة بكم خاصة ... ونظن ان رايكم طبق رأينا ... » (١).

وفي ربيع السنة ١٨٩٩ قدم هذا الحبر الانطاكي الى بيروت فرحّبنا به في دارنا كما رحبّ آباؤنا بأسلافه المغبوطين من قبله. وبتاريخ ٢٤ شباط ١٩٠٢ انتقل الى الدار البطريركية التي أُعدّت له جنوبي كنيسة مار جرجس فاتخذها مركزاً لاقامته الى آخر حياته رحمهُ الله تعالى.

اولا ـ مجمل اعمال البطريرك في بيروت

كان عهد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني عهد خير وبركة للملة السريانية لا في بيروت فقط بل في سائر الابرشيات اللائذة بولايته البيعية. واصبح موضوع اجلال لدى ارباب السلطات المدنية والدينية لما تفرّد به من سموّ الفضائل وسعة المعارف.

واخذ البطريرك يقيم الطقوس البيعية والصلوات القانونية في كنيسة مار جرجس في جميع الاعياد والمواسم السيديّة. ولم يفتر عن القاء المواعظ والرياضات السنوية على الرجال والنساء. فكانت تغصّ الكنيسة بالمؤمنين يتقاطرون اليها ليحضروا قدّاس ابيهم المغبوط ويسمعوا مواعظه ويبهجوا قلوبهم ببهاء الطقس الانطاكي.

ولم ينقطع البطريرك عن زيارة ابناء الملة في منازلهم منزلا منزلا. فكانوا يخفون الى الترحيب به ويتبرّكون بلثم يمينه معتقدين ان زيارته مجلبة خيرات وبركات لهم ولاولادهم.

---

(١) العقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين: مجلد ٢

ولم يغمّض هذا الحبر البار عن مساعدة الفقراء وسدّ حاجاتهم ولاسيما في اثناء الحرب العظمى (١٩١٤ – ١٩١٨) . فكان يوزّع الدقيق عليهم قاطبة في كل اسبوع بسخاء وعطف ابوي . وانصرف ايضاً الى تخفيف آلام البائسين والجائعين من اهالي القرى المجاورة لدير الشرفة . فانه امر ان توزّع عليهم الاطعمة والالبسة اياماً معلومة من كل شهر في اثناء تلك النكبة الكبرى التي اجتاحت جبل لبنان وذهبت بحياة الكثيرين من سكانه

ثانياً ـ اشهر حفلات البطريرك في كاتدرائية مار جرجس

١ ـ الاحتفال بيوبيلي لاون الثالث عشر وبيوس العاشر

اوّل حفلة تولاها البطريرك في كنيسة بيروت كانت صباح ٢ اذار ١٩٠٢ تكريماً للبابا لاون الثالث عشر لبلوغه الخامسة والعشرين من تتويجه البابوي . فالقى البطريرك في اثنائها خطبة بليغة في وصف مناقب ذلك الحبر العظيم ولاسيما محبته للشرقيين وعطفه على مصالحهم . وقام البطريرك بمثل ذلك الاحتفال في ١٥ تشرين الثاني ١٩٠٨ احتفاء باليوبيل الكهنوتي الذهبي تبجيلاً للبابا بيوس العاشر .

٢ ـ الاحتفال باليوبيل الخمسيني لاعلان عقيدة الحبل بلا دنس

ابهى حفلة قام بها البطريرك اغناطيوس افرام الثاني احتفاؤه في ٨ كانون الاول ١٩٠٤ باليوبيل الخمسيني تذكاراً لاعلان عقيدة الحبل بلا دنس (١٨٥٤ – ١٩٠٤) . وقد حضرها في كنيسة مار جرجس احبار جميع الملل ومتصرّف جبل لبنان وقناصل الدول واعيان البلاد ورؤساء الرهبنات والجمعيات . وسبق البطريرك فاوعز الى اثني عشر كاهناً ان ينشىء كل منهم بلغته الطقسية او القومية تقريظاً شعرياً فصيحاً في مديح والدة الله المنزّهة عن كل دنس . فلبّوا الطلب

قاطبة وكان كلما انشد احدهم قصيدته اردفها الشمامسة بترنيمة رخيمة في تقريظ العذراء .

واختتم البطريرك ذلك الاحتفال النادر بخطبة بليغة في وصف فضائل والدة الله الجزيلة القداسة . ومما قال : « ان بيوس التاسع توّج تمثال العذراء الثمين في كاتدرائية مار بطرس الكبرى بتاج مدبّج باثنتي عشرة نجمة ذهبية . وفي هذا الصباح يكلل البابا بيوس العاشر ذلك التمثال عينه باكليل مزدان باثني عشر كوكباً رصّعت باثمن اللالىء والحجارة الكريمة . ونحن بدورنا رأينا ان نهدي الى امّنا العذراء المغبوطة اكليلاً مؤلفاً من اثنتي عشرة قصيدة واثنتي عشرة ترنيمة منظومة بلغة من اللغات الشرقية والغربية » .

٣ ـ الاحتفال بمناداة مار افرام السرياني ملفاناً للبيعة الجامعة

واصل البطريرك اغناطيوس افرام الثاني المساعي الحثيثة لدى البابا بندكتس الخامس عشر (١٩١٤ — ١٩٢٢) لينادي بالقديس افرام ملفاناً للكنيسة الجامعة. فحقّق الحبر الاعظم امانيه واماني بطاركة المشرق واذاع في ٢٨ تموز ١٩٢٠ براءة بابويّة قرّر فيها اعلان القديس افرام ملفاناً للكنيسة الكاثوليكية وقد افتتحها بقوله :

« شخص الى رومة اصحاب الغبطة السادة اغناطيوس افرام الثاني رحماني بطريرك السريان الانطاكي والياس بطرس الحويك بطريرك الموارنة الانطاكي ويوسف عمنوئيل الثاني توما بطريرك بابل الكلداني وجاهروا باسمهم واسم اساقفتهم وشعبهم بين يدي الاب الاقدس البابا بندكس الخامس عشر بعواطف طاعتهم ووحدة ايمانهم ووثيق تعلقهم بكنيسة السيد المسيح الحقيقية ورأسها المنظور الحبر الروماني خليفة مار بطرس رئيس الرسل .

« وبعد قيامهم بالواجب البنوي توسلوا ملحين على قداسة الحبر الاعظم المشار اليه ان يعلن القديس افرام السرياني شماس بيعة الرها الذي تعتبره الكنيسة

السريانية الشرقية والكنيسة اللاتينية كوكباً ساطعاً وملفاناً بارعاً ملفاناً عاماً للكنيسة الجامعة قاطبة وان يحدد له بسلطته الرسولية صلاة خصوصية تُتلى في القداس يوم تذكاره في ١٨ حزيران من كل سنة ...

« فالاب الاقدس البابا بندكس الخامس عشر لبّى طلب البطاركة المومأ اليهم وعمّم تذكار مار افرام في الكنيسة الغربية والشرقية واضاف اليه لقب « ملفان الكنيسة الجامعة » وضم اسمه بهذه الصفة الى الكلندار الروماني في ١٨ حزيران وعيّن له صلاة فرضية يتلوها الكهنة عامة في القداس يوم تذكاره ... »

هكذا اصبح مار افرام السرياني ملفاناً للكنيسة الجامعة في مشارق الارض ومغاربها . وهذه البلة البابوية قد ختمها الكردينال فيكو اسقف بورتي روفيني والمنسنيور اسكندر فيردي كاتم الاسرار .

وما كاد يتلقى البطريرك الانطاكي تلك البشرى حتى اذاعها في جميع انحاء بطريركيته وامر ان تقام الحفلات في الكنائس والاديار تعظيما للملفان السرياني المعظم وشكراً لخليفة مار بطرس رئيس الرسل . وعيّن ثلاثة ايام منذ ١١ — ١٣ شباط ١٩٢١ تقام في اثنائها القداديس الحافلة والمواعظ في كنيسة مار جرجس طبقاً للطقس الملكي والماروني والسرياني . فاحتفل في اليوم الاول المطران بولس ابو مراد بقداس حبري اختتمه بخطبة نفيسة اتى فيها على ذكر الآباء الكنيستين اليونانية والسريانية في عهد مار افرام الملفان في عهد سميه البطريرك الانطاكي . واقام المطران اغناطيوس مبارك صباح ١٢ شباط قداساً حسب الطقس الماروني اختتمه بخطبة ذكر فيها مناهضة مار افرام لاراتقة عصره وذوده عن العقائد القويمة وافحامه برديصان الملحد واشياعه .

وصباح الاحد ١٣ شباط اختتم البطريرك تلك الثلاثية الافرامية بقداس حبري يحف به ستة من احبار الكنيسة السريانية . وفاه بخطبة تاريخية عدّد فيها مناقب مار افرام الدينية والعلمية في مدينتي نصيبين والرها . ونوّه بذيوع تصانيفه بين

اللاتين واليونان والسريان والاقباط واشار الى استعمال مداريشه في الكنائس منذ كان في قيد الحياة .

وانشئت في عهد البطريرك رحماني سبع كنائس تيمناً باسم مار افرام الملفان في المدن والقرى التالية اعني : في باريس والقدس وبيروت وزحلة وحلب وفي باقسيان و كربوران بطور عبدين الخ .

٤ ــ الاحتفال بسيامة سبعة اساقفة في كنيسة بيروت

احتفل البطريرك افرام الثاني بسيامة عشرة اساقفة منهم سبعة اساقفة وضع عليهم اليد في كنيسة مار جرجس ببيروت وهم : اسطاثيوس موسى سركيس لحمص وحماة . واثناسيوس جرجس دلاّل لبغداد في ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٢ ثم ثئوفيلس جبرائيل تيّوني للنيابة البطريركية وفلبيانس ميخائيل ملكي للجزيرة في ١٩ كانون الثاني ١٩١٣ ثم تئوفيلس يوسف جرجي لحمص وحماة ويوليوس بهنام قليان للنيابة البطريركية بماردين في ٣٠ نيسان ١٩٢٢ واخيراً ثئوفيلس يوسف رباني لحمص وحماة في ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٨ .

اما سائر المطارنة الذين وضع عليهم اليد هذا البطريرك في غير كنيسة بيروت فهم : اقليميس ميخائيل بخاش الذي نصبه مطراناً بتاريخ ٣ حزيران ١٩٠٠ في كنيسة دمشق . ونصب في كنيسة سيدة النجاة بالشرفة : غريغوريوس بطرس هبرا مطراناً للموصل في ٢٦ كانون الثاني ١٩٠٢ وديونيسيوس افرام نقاشة مطراناً لحلب في ٥ نيسان ١٩٠٣ .

٥ ـ يوبيلات البطريرك افرام الثاني في بيروت

اتيح للملة السريانية ان تحتفل لرئيسها الاعلى في اثناء بطريركيته بثلاثة مهرجانات يوبيليّة : اولها يوبيل اسقفيته الفضي عام ١٩١٢ ثانيها يوبيل كهنوته الذهبي

وثالثها يوبيل بطريركيته الفضّي سنة ١٩٢٣ . واشترك في تلك المهرجانات جميع ابناء الملة واصدقاء البطريرك في بيروت وفي سائر الانحاء . واهدوا اليه تحفاً ثمينة وطرفاً فنية وآنية بيعية في جملتها صور البطاركة اسلافه مرسومة بالزيت .

ثالثاً ـ حرص البطريرك على الالفة والسلام بين جميع الملل

تفرّد البطريرك رحماني بشديد حرصه على استمرار الالفة والسلام ما بين جميع الملل . فكان يرشد ابناء رعيته ليخلصوا الحبّ والحرمة للولاة المدنيين والبيعيين. ذلك ما حبّبه الى الكبير والصغير وجعله محترماً لدى الخاص والعامّ . ولما انطلق عام ١٩٠٢ الى اسطنبول العاصمة اثنى السلطان على ولائه وزيّن صدره بالنَوط المجيدي المرصّع . ولم يكن السلطان العثماني اهدى مثل ذلك النوط الى بطريرك يقيم خارجاً عن دار السلطنة .

رابعاً ـ تآليف البطريرك ومكانته العلمية

نوّهت « دائرة معارف لاروس الفرنسية » بثقافة هذا البطريرك العلامة فاثبتت رسمه وخلاصة ترجمته في معجمها الشهير(١) . واشارت الى بعض مؤلفاته ومنزلته الرفيعة بين مشاهير القرن العشرين . فكان عضواً في عدّة مجامع علمية . وصنّف وترجم ونشر كتباً جمة اوفى عددها على الثلاثين في اللغات السريانية والعربية واللاتينية والفرنسية والايطالية . واصبحت تلك الكتب اشهر من نار على علَم . اخصها كتاب « عهد ربّنا » المنسوب الى اقليميس الاول الحبر الروماني . و « الدروس السريانية » في خمسة مجلدات . و « مداريش البتولية » تأليف مار

---

(١) معجم لاروس القرن العشرين : كراس ٥٨ صفحة ٩١٣

افرام الملفان . فهذه الكتب نقلها عن السريانية الى اللاتينية وعلّق عليها شروحاً علمية وتاريخية ونشرها بالطبع في كلتا اللغتين .

وصنّف ايضاً كتاب « الليترجيات الشرقية والغربية » في ثلاثة مجلدات باللغتين الفرنسية والعربية . وانشأ مجلة بطريركية عنوانها « الآثار الشرقية » عاشت اربعة اعوام (١٩٢٦ – ١٩٢٩) حبّرها بمقالات شتى تاريخية واثريّة وعلمية وطقسية . ذلك ماعدا الكتب البيعية التي نشرها في مطبعة الشرفة بالسريانية والكرشونية فضلاً عما طبعه في مطبعة الدومنكيين بالموصل .

ومما لم يتيسّر له نشره من تركته العلمية كتاب سمّاه « مقابلة نصوص الاناجيل السريانية (البسيطة) بنصوص اقدم منها عهداً » . اكبّ على تصنيفه مدة اربعة اعوام (١٩١٤ – ١٩١٨) . فقابل نصوص الترجمة البسيطة بنصوص اخرى عثر عليها في مؤلفات سابقة للقرن السادس . فشرح الفاظها وحلّلها تحليلاً لغوياً منطقياً علمياً بما لا يوصف من التعمّق والتدقيق . وضمّن الكتاب فوائد وافية لم يسبقه اليها مؤلف على الاطلاق . وقد ألمع رحمه الله تعالى الى عمله هذا بمحاضرة نفيسة ألقاها عام ١٩٢٠ في عاصمة الكثلكة على جمهور من الكرادلة والعلماء والمستشرقين . ولهذا الكتاب الفريد مخطوطة وحيدة في الخزانة البطريركية ببيروت .

وكان هذا الحبر الانطاكي خبيراً بعشر لغات مختلفة ومُلماً بقراءة بعض الاقلام القديمة كالمسمارية والآرامية والتدمريّة والحميريّة والكوفية . ونظراً الى سعة اطلاعه بشؤون الشرق والشرقيين سمّاه البابا بندكتس الخامس عشر مستشاراً في المجمع الشرقي الذي انشأه في اول ايار ١٩١٧ في عاصمة الكثلكة .

خامساً ـ المؤسسات الملية في عهد بطريركيته

لم يدخر هذا الحبر الخالد الذكر وسعاً في تعزيز ملّته بما خلفه لها من الاوقاف والكنائس والمباني . فانه شيّد قلاية لمطرانية الموصل . وجدّد بنيان دير مار

بهنام الاثوي وانشأ فيه رهبنة قانونية . وشيّد داراً بطريركية فخمة في ماردين . ووفى الديون عن بساتين نهراسي ووقفها لدير مار افرام في المدينـة المذكورة . واشترى دارين بجوار كنيسة الرها لاجل توسيعها . وشيد كنيسة كبرى في دياربكر على اسم الرسولين بطرس وبولس . واقتنى في حمص داراً للمطران وانشأ عقارات للكرسي البطريركي في بيروت . واسس كنيسة وداراً للنيابة البطريركية في القدس . ووضع الحجر الاول لكنيسة مار يوسف في بيت لحم . وفي عهد رئاسته ُبنيت كنائس جديدة في القاهرة والاسكندرية والاسكندرونه وفي حماة وزيدل وصدَد وقطنة ويرانشهر وقلعـة المرأة وقرقوش والبصرة . هذا ما عـدا الكنائس السبع التي ُبنيت في ايامـه باسم شفيعه مار افرام السرياني وقـد سبق ذكرها .

وأحرز من مكارم البابا بندكتس الخامس عشر عام ١٩٢٠ كنيسة اثرية في ساحة « كمبومارسو » برومة . وهي مبنية على اسم العذراء والدةالله ويرتقي عهدها الى القرن السادس . ثم تبرعت الدولة الفرنسية عام ١٩٢٦ على الملة السريانية اجابة الى طلب البطريرك بكنيسة اثرية موقعها في « شارع الكرم » بباريس . فاطلق عليها البطريرك اسم كنيسة مار افرام .

سادساً ـ الاكليريكية السريانية في جبل الزيتون

سعى هذا البطريرك لدى البابا لاون الثالث عشر عـام ١٨٩٩ ان تؤسس للسريان اكليريكية في اورشليم يديرهـا الرهبان البندكتيون بما عرفوا بـه من التقوى والتضحية وسعة المعارف . فاجاب البـابا الى طلب البطريرك واصدر مرسوماً قال فيه : « اني احمدالله عز وجل واثقاً بان يؤيد مشروعي هذا ويكمله ... هذه مدرسة خامسة اشيدها حباً لرجوع خرافي في المشرق الى الحظيرة البطرسية » .

ظهرت تلك الاكليريكية للوجود عام ١٩٠٣ متيمنة باسم القديسين مار مبارك ومار افرام . وقد شيدت على رابية في جبل الزيتون تشرف على وادي يهوشافاط

حيث كان للبندكتيين دير قديم عُرف بدير « ضريح والدة الله » . فاقاموا فيه حتى السنة ١٢٩١ ثم استولى عليه السريان وظلوا يمارسون فيه الصلوات والطقوس البيعية مدة مائة سنة (١٢٩١-١٣٩١) . ثم استحوذ عليه الرهبان الفرنسيسيون واصبح في ايامنا بيد الروم والسريان والارمن والاقباط . وهو المشهور بقبر « ستي مريم » .

سابعا ـ تركته البيعية والكتابية

خلف البطريرك افرام الثاني للكرسي الانطاكي ذخائر قدسية وآنية بيعية وحللا حبرية غالية الثمن . وملأ خزائن البطريركية بمخطوطات سريانية وعربية انفق مالا وافراً في مشتراها او استنساخها او تصويرها عن مخطوطات نادرة في مكتبات الشرق والغرب . وضم الى تلك المخطوطات الوف الكتب المطبوعة بينها مجاميع ثمينة وموسوعات ومعاجم مختلفة اللغات .

وخلاصة القول ان حياة هذا الحبر الانطاكي الطيب الأثر كانت سلسلة جهودٍ واعمالٍ ماثورة غير منقطعة . ومما لا نرى السكوت عنه انه ظلّ مثابراً على العمل حتى آخر نسمة من حياته . فقد لفظ روحه بيد خالقها والقلم بيمينه والقرطاس بيساره (١) :

ثامناً ـ اعتلال صحته وسفره الى مصر ووفاته

في اوائل السنة ١٩٢٩ اعتلت صحة البطريرك فاشار عليه الاطباء ان يتوجه الى القطر المصري انتجاعاً للعافية . غير انه على ما بذله الاطباء والاصدقاء وابناء الملة هناك من العناية بصحته اشتدت عليه وطأة المرض يوماً فيوماً حتى استأثر به

---

(١) لوعة القاصي والداني على السيد اغناطيوس افرام الثاني رحماني : صفحة ٤٧

لله تعالى في ٧ ايار ١٩٢٩ في القاهرة . فحنّط جثمانه وشيع بمجالي التوقير والتكريم الى كاتدرائية الروم الكاثوليك بالفجالة .

وترأس الصلاة على فقيد الكنيسة السريانية صاحب الغبطة كيرلّس التاسع بطريرك الروم الملكيين يعاونه القاصد الرسولي واحبار جميع الملل المسيحية . وجرى للحبر الراحل مأتم عظيم مشى فيه ممثل جلالة ملك مصر ومحافظ العاصمة وكبراؤها وارباب الدين وسفراء الدول ووفود الجمعيات وطلبة المدارس من الكاتدرائية المشار اليها حتى محطة مصر . ومن هناك نقل الجثمان الى الاسكندرية فالى البارجة الفرنسية التي اقلته الى بيروت .

تاسعاً — الاحتفال بتشييع جثمان الفقيد ودفنه في بيروت

صباح ١٨ ايار شُيع جثمان البطريرك في موكب حافل من مرفأ بيروت الى كاتدرائية مار جرجس السريانية . وهناك استقبله الاستاذ شرل دباس رئيس الجمهورية اللبنانية والسيد بونسو مندوب الدولة الفرنسية يحيط بهما الوزراء وقناصل الدول واركان السلطتين اللبنانية والفرنسية . وترأس الصلاة في الكنيسة النائب الرسولي السيد ديونيسيوس جبرائيل تبوني رئيس اساقفة حلب . وحضرَ الحفلة بطريرك الارمن وممثل الحبر الاعظم وعدد غفير من احبار جميع الملل ومن الرهبان والراهبات واعيان البلاد . وظل الجثمان مصموداً في الكنيسة الى صباح اليوم التالي وفيه تمت رتبة الدفن . وقد اودع ضريحاً خاصاً اعِد له تحت مذبح العذراء والدة الله .

ومن شاء الوقوف على الحفلات المؤثرة وعلى الخطب التأبينية التي فاه بها الاحبار والرؤساء في القاهرة وفي بيروت معددين مناقب هذا الحبر الانطاكي المغبوط فعليه ان يراجع كتاب « لوعة القاصي والداني على البطريرك اغناطيوس افرام رحماني »(١) . تغمّد الله تعالى نفسه بغزير مراحمه .

---

(١) كتاب « لوعة القاصي والداني على البطريرك اغناطيوس افرام رحماني » طبع بالمطبعة السريانية التي انشأها الفقيد في بيروت

الفصل الثالث

الكردينال البطريرك اغناطيوس جبرائيل الاول في بيروت

١ ـ انتخاب السيد جبرائيل تبوني للكرسي الانطاكي

على اثر انتقال مار اغناطيوس افرام الثاني الى راحة الابرار وجّه البابا بيوس الحادي عشر مرسوماً في ٨ ايار ١٩٢٩ الى احبار الكنيسة السريانية يعزّيهم بوفاة الراحل المغبوط . وفي ذلك المرسوم عيّن السيد ديونيسيوس جبرائيل تبوني رئيس اساقفة حلب نائباً ومدبّراً رسولياً للبطريركية الانطاكية السريانية .

وبعد مرور اربعين يوماً على ذلك التاريخ التأم الآباء في دير الشرفة واعتكفوا على الرياضة الروحية كمألوف العادة . وبتاريخ ٢٤ حزيران انتخبوا المدبّر الرسولي المشار اليه بطريركاً للكرسي الانطاكي . وفي ٣٠ حزيران تم الاحتفال جرياً على التقاليد الطقسية بتنصيب البطريرك الجديد وتسليمه عكاز الرئاسة في كاتدرائية مار جرجس في بيروت . وقد حضره رئيس الجمهورية وارباب المناصب الدينية والمدنية . وبعد انتهاء الحفلة رُفع البطريرك مستوياً على منصّة حملها الكهنة والاعيان . ثم طافوا به في الكنيسة وفي ساحتها الخارجية حتى بلغوا باب الدار البطريركية . وجرى ذلك بين الاناشيد البيعية وقرع النواقيس طبقاً للطقس السرياني . وهناك منح الحبر الانطاكي جميع الحاضرين باكورة بركته الرسولية . فكان ذلك الطواف مشهداً فريداً لم يألفه اهالي بيروت قبل هذا العهد .

وفي اواخر تموز من تلك السنة ارتحل البطريرك الى عاصمة الكثلكة حيث وشّحه الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر صباح عيد التجلي ٦ آب بدرع التثبيت في قاعة الكونسيستوار . على ان تاريخ انتخاب البطريرك جبرائيل وتاريخ توشيحه بالدرع البابوي يُعيدان الى الاذهان ذكرى سالفه اغناطيوس فيلبس الاول

« عركوس » الذي نُصب كذلك بطريركاً في ٢٤ حزيران ١٨٦٦ ووشحه البابا بيوس التاسع بالدرع البابوي في ٦ آب من السنة عينها .

وفي ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ كتب البابا بيوس الحادي عشر الى غبطته يستدعيه لدى قداسته كي يقلده الارجوان الكردينالي مع خمسة عشر كردينالا . وقد جرى ذلك بتاريخ ١٦و١٩ كانون الاول باحتفال مهيب في كنيسة مار بطرس الكبرى . ثم عاد الكردينال البطريرك الى كرسيه في عاصمة الجمهورية اللبنانية ليستأنف رعاية الخراف الموكولة الى عنايته الابوية . حقق الله تعالى امانيه لخير الملة وارتفاع شأن الكنيسة .

تنبيه : اننا لم نشأ التوسع اكثر من ذلك في ترجمة غبطته عملاً برغبته : « انه ينبغي العدول عن ذكر اعمال العصر الحاضر والاعراض عن ذكر الاحياء واعمالهم بنوع خاص اياً كان مقامهم واية كانت هذه الاعمال شأن المؤرخ المدقق المنزه »(١)

الفصل الرابع

صرح البطريركية السريانية في بيروت

١ ـ اختيار موقع الصرح البطريركي

قال البحاثة الخورفسقفوس اسحق ارملة ما نصه (٢) : « لما عزم السيد البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل الاول الجالس سعيداً على تشييد دار ثابتة في مدينة بيروت للاقامة فيها رسمياً اراد من باب الحكمة ان يستشير في هذا الشأن

---

(١) رسالة غبطته الى مؤلف هذا الكتاب : تاريخها ١١ ايلول سنة ١٩٤٢ رقم ١٢ – ٥٣٥٦

(٢) وثائق خطية : صفحة ٦٦ و ٦٧

بعض اللائذين بكرسيه البطريركي من روحانيين وعالميين . فاخذ كل منهم يبدي رأيه الخاص مدعياً بانه الاوفق والأصوب . وكان بعضهم يعرض آراء غير ناضجة او لا تنطبق على قياس منطقي او لا يستقيم لها وزن . بل كان كلما دار البحث عن هذه القضية في جلسة سرية انتشرت اخباره بسرعة البرق بين القريب والغريب داخل بيروت وخارجها .

« وقد عرف السيد البطريرك حين ذاك غث الآراء وسمينها فخشي ان تؤول النتيجة الى ما لا تحمد عقباه من ارتفاع اسعار الاراضي المرغوب في مشتراهـا فيعود ذلك بالخسائر الفادحة على البطريركية . ومن تلك الساعة رأى ان تحصر المفاوضات بكل تحفظ بينه وبين اشخاص معدودين مشهود لهم بالرصانة والصدق واصالة الفكر . وبعد التروي اختار رجلين من اعيان الملة وادبائها يُركن اليهما في جلائل الامور وهما : الفيكنت فيليب دي طرازي والسيد نجيب موصلي . ثم اضاف اليهما المهندس البارع جورج سركيس وفوّض الى ثلاثتهم درس هذه القضية بحذافيرها كما يوحيه اليهم الضمير الحي والوجدان الطاهر .

« فاخذ هؤلاء الثلاثة يبحثون يومياً تحت اشراف صاحب الغبطة عن بقعة ارض مناسبة بحسن موقعها واتساع مساحتها وجودة مناخها ليشيّد فيها صرح البطريركية الجديد . وبعد البحث المتواصل والتدقيق العميق وقع اختيارهم قاطبة باتفاق الآراء على بقعة ارض مساحتها ستة وعشرون الف ذراع مربع واقعة بين شارعين كبيرين من اهم شوارع بيروت وهما : شارع الشام من الناحية الجنوبية وشارع الكورنيش من الناحية الشمالية .

« ولم ينقض اسبوع على نتيجة ما قررته هذه اللجنة حتى بادر السيد البطريرك الى مشترى البقعة المنوّه بها . ثم باشر البناء بكل همة في مطلع السنة ١٩٣٠ وفرغ من هذه العمارة الجميلة التي دشنها بحفلة شائقة في ٢٨ حزيران من السنة التابعة . فجاء صرحاً فخماً يعد من اظرف الصروح البطريركية في الشرق » .

٢ ـ ابنية الصرح البطريركي وحدائقه

يقع الصرح البطريركي قريباً من بناية المتحف اللبناني الى يسار المسافر من بيروت الى دمشق . وهو قائم في وسط حديقة مربعة طولها ضعف عرضها يحيط بها سور من جميع اطرافها . وقد غرس في تلك الحديقة اصناف الاشجار على اختلاف انواعها .

ولسور البطريركية الجنوبي باب حديدي نقش في اعلاه بالسطرنجيلية ماتعريبه: « بطريركية السريان سنة ١٩٢٩ » . والى زاويتيه بنايتان تشتمل كل منهما على ثلاث طبقات . ويلاقي الداخل طريقين تتوسّطهما بقعة نضيرة مدبجة بصنوف الرياحين واشكال الزهور . فاذا تيامن في مسيره افضت به الطريق الى الكنيسة . واذا تياسر وصل الى السلم المؤدي الى رتاج الصرح . وهذا الصرح مجاور لبقعة الارض الفسيحة التي اقتنيناها سنة ١٩٢٥ لجمعية المساعي الخيريّة واعددناها لسكنى مائة أسرة من الأسر الرازحة تحت اعباء العسر والفاقة .

٣ ـ سخاء البابا بيوس الحادي عشر لتشييد كرسي البطريركية

شُيد الصرح البطريركي على طراز الفن الآثوري وتولى هندسته السيد ملكيودي رئيس مهندسي الدولة الفاتيكانية بتفويض الحبر الروماني بيوس الحادي عشر . وعاونه في الهندسة السيد جورج سركيس السرياني مهندس البطريركية ونهَض بالاشراف على البناء من اوّله الى آخره . وسبق الحبر الاعظم فاطلع على تصميم الصرح واستحسنه ووافق عليه وساعد المشروع بثمانية آلاف ليرة عثمانية ذهبية . وجرى الاحتفال بتدشينه في ٢٨ حزيران ١٩٣١ فشهدهُ اساقفة الملة ووفود الابرشيات السريانية وارباب السلطتين الدينية والمدنية .

٤ ـ طبقات الصرح البطريركي ومشتملاتها

تبلغ مساحة الصرح البطريركي من الشرق الى الغرب ستة وثلاثين متراً في ارتفاع خمسة وعشرين متراً حتى صليب قبة الكنيسة ويشتمل الصرح على اربع طبقات : فالطبقة الاولى تحوي مستودعات البطريركية ومخازنها ومرافقها . وتشتمل الطبقة الثانية على غرف الديوان البطريركي ودوائره وعلى مائدة الطعام . وهناك بهو فسيح مزدان برسوم زيتية تمثل بطاركة الملة منذ القرن السادس عشر حتى اليوم .

وتنطوي الطبقة الثالثة على غرف البطريرك ومعاهده الخاصة . وفيها بهو الاستقبال الرسميّ يتوسط صدره شرقاً رسم زيتي بديع الصنع يمثل البابا بيوس الحادي عشر تخليداً لعوارفه على هذا الكرسي البطريركي . وحول ذلك الرسم اطار مصفح بالذهب نُقش اسم البابا عليه .

وفي الطبقة الرابعة حُجر المطارنة وضيوف البطريركية وخزانة واسعة للمخطوطات والمطبوعات تتسع لعشرات الالوف من المجلدات . والى جانبها مخدع لمحفوظات البطريركية كالسجلات والصكوك والفرمانات والمناشير والرسائل وما شابه ذلك . وفوق خزائن الكتب قبة يعلوها صليب من البلور ينار في الاحتفالات الكبرى بالمصابيح الكهربائية .

ويُرقى الى الطبقات المذكورة بسلم من المرمر الابيض مفروش بالطنافس الشرقية . وهناك سلم ثان يؤدي الى مائدة الطعام والمطبخ والمرافق والحمامات المرصوفة بالرخام والمصفحة جدرانها بالمرمر .

٥ ـ كنيسة الصرح البطريركي

شُيّدت في ناحية الصرح الشرقيـــة كنيسة انيقة على اسم مار اغناطيوس

النوراني شفيع الكرسي الانطاكي . وقد سبق وصفها في الفصل الرابع من القسم التاسع . فنحيل القارىء الى مطالعته في المكان المذكور .

٦ ـ منظومة تاريخية في تأسيس الصرح البطريركي

عندما نجز تشييد الصرح الطائفي نظمنا في ذلك ابياتاً شعرية اختتمناها بتاريخ لتاسيسه سنة ١٩٣٠ ميلادية ثم استكتبنا تلك الابيات وجعلناها ضمن اطار جميل علّق في مدخل الصرح وهي .

كرسي انطاكية أمسى هنا ... ُطوراً يكلّله جمال الهيبةِ
جبريل جدّد عصره الذهبي في ... بيروت مثل الاعصر الرسليةِ
حبر تسلسل من بطاركة الهدى ... خلفاً لبطرس في سرير البيعةِ
وبه بنو آرام طرّاً فاخروا ... لمّا تسلّم صولجان السلطةِ
قد شاد صرحاً للامامة باذخاً ... ترعاه عين العزّة الصمدية
صرح لسريان الورى هو مرجع ... يبقى مدى تاريخه كذخيرةِ

١٩٣٠

الفصل الخامس

نمو السريان في الانحاء اللبنانية

١ ـ لبنان ونكبات البلدان المجاورة له

ُقضي على سكان البلاد الشرقية ان يصابوا بنكبات وشدائد حيناً بعد حين . فتضطرّهم الحال ان ينتزحوا عن اوطانهم ويلتحقوا باخوانهم العائشين بالطمأنينة في

الانحاء اللبنانية . وكان ذلك ديدنهم كلما حدث غلاء او وباء او حرب او ضيق وما شاكل ذلك من كوارث الدهر وغوائله . وهناك فريق منهم قصد الى لبنان لاجل التجارة او التمتع بالامان وجودة المناخ . ويطول بنا المجال لو شئنا استقصاء الحوادث التي حملت اولئك الاقوام على مغادرة بلدانهم وارزاقهم ومواشيهم . ولدينا من ذلك امثلة عديدة سنذكر بعضها في فصول لاحقة .

٢ ـ توافد اسر سريانية من انحاء شتى الى لبنان بعد الحرب العظمى

ما وضعت الحرب العظمى (١٩١٤ — ١٩١٨) أوزارها حتى اخذ المسيحيون من سكان قيليقيا وارمينيا وما بين النهرين يغادرون اوطانهم ويتوافدون في قوافل متتالية الى سوريا ولبنان . وهناك انضموا الى اخوانهم وتخلصوا مما انتابهم من الفظائع والمذابح والخسائر فضلاً عن ترحيلهم كرهاً دون سبَد ولا لبَد .

وبين اولئك الاقوام عدد غفير من السريان اقبلوا عام ١٩٢١ من اطراف آطنة وطرطوس ومرسين . ثم تبعهم جمهور عظيم من الرها (اورفا) وديار بكر وماردين وطور عبدين وسعرد ونصيبين وجزيرة ابن عمر الخ . ولما وصلت قافلتهم الاولى الى بيروت رحّبنا بهم في دورنا وفي كنيسة مار جرجس وفي غرفها وساحتها . وافرغنا الجهود في تخفيف وطأة الشقاء عنهم . وهيّأنا لهم ما احتاجوا اليه من طعام وكسوة واغطية وأدوية . وصرفنا المساعي لايجاد اشغال يرتزق بها رجالهم ونساؤهم وشبانهم . ثم ابتنينا لهم منازل حجرية وخشبية في بقعة ارض ملاصقة لمقبرة الملّة كنّا وقفناها على الفقراء .

غصّت الكنيسة وارض الوقف وبعض خانات العاصمة وفنادقها باولئك الاخوان المنكوبين . فكتبوا الى سائر آلهم واصدقائهم يطلعونهم على ما صادفوه من الترحيب وحسن المعاملة ويرغبونهم في القدوم الى بيروت . وكان السيد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني يثني على تلك الهمم ويبارك تلك الاعمال

وينشطنا الى مواصلة السعي لمساعدة ابناء جلدتنا المتزحين عن اوطانهم والتائهين على وجوههم (١) .

٣ ـ تجميعنا فريقاً من المنكوبين وعنايتنا باسكانهم في بقعة واحدة

ازداد عدد اولئك الاخوان يوماً بعد يوم فرأينا ان نجمع شملهم في بقعة فسيحة ونبتني فيها منازل يسكنونها . هكذا تتيسر لنا ملاحظتهم عن كثب والسهر على صحتهم وآدابهم وراحتهم . ففاوضنا في ذلك صديقنا الهمام السيد نجيب موصلي واتفقنا معه على طرق ابواب اهل الحميّة والاحسان لبلوغ الغاية المنشودة . فجمعنا في مدة وجيزة من اقاربنا واصدقائنا ومن التجار والاعيان مبلغاً من المال . ثم سافرنا وحدنا الى القاهرة والاسكندرية فجمعنا هناك مبلغاً آخر . وكتبنا الى السيد اثناسيوس جرجس دلال فجمع من ابناء ابرشيته في بغداد والبصرة مبلغاً ثالثاً . ومن مجموع تلك الاموال اشترينا باسم فقراء الملة بقعة ارض مساحتها زهاء ثلاثة عشر الف ذراع مربع واقعة جنوبي مستشفى « اوتيل ديو » تكتنفها الشوارع من جهاتها الاربع . وبلغ مجموع تلك التبرعات الفاً وثلاثمائة واثنتين واربعين ليرة عثمانية ذهباً .

وبعد ذلك صرفنا الهمّة الى تمهيد البقعة وتسويتها وتشييد نحو مائة وعشر غرف فيها لسكن مائة وعشر عائلات . واشتملت تلك البقعة على ناعورة غزيرة المياه العذبة وكافية لشرب الاهالي وللقيام بحاجاتهم المنزلية والصحية .

٤ ـ ما دونته الجمعية الخيرية السريانية بهذا الشان

سُرّت « جمعية المساعي الخيرية السريانية » ببيروت كل السرور فنشرت في

(١) وثائق خطية في علائق آل طرازي بالملة السريانية : صفحة ٣١ ـ ٣٥

برنامجها عام ١٩٢٦ ما نصه (١) : « ... كان صندوق الجمعية في ذلك الحين خاليا من المال . بل ان موارد اوقافها لم تكد تفي بحاجة فقرائها الوطنيين دون سواهم. فدفعت الغيرة عضوين من اعضائها هما الفيكنت فيليب دي طوازي ونجيب افندي موصلي لعمل اكتتاب برصد ريعه لمشترى بقعة ارض وتعمير مساكن فيها تقي الفقراء من قيظ الصيف وبرد الشتاء . فتكللت مساعيهما بالنجاح واستطاعا من فضل اهل الاحسان وذوي الحنان ان يقتنيا بقعة ارض تبلغ مساحتها ثلاثة عشر الف ذراع مربع . وهي واقعة في سفح رابية الاشرفية يفصلها عن المستشفى الافرنسي الجديد (اوتيل ديو) شارع اسحق بن حنين . وهذه البقعة المغروسة باشجار الليمون والتوت كناية عن جزيرة ذات موقع صحي ومنظر جميل تكتنفها الشوارع من جهاتها الاربع » .

بارك الله سبحانه مسعانا المقرون بصلاح النية والعائد الى خير الفقراء . فارتفعت اسعار الاراضي في تلك الناحية ارتفاعاً محسوساً حتى اصبحت الآن البقعة المذكورة تساوي عشره اضعاف ثمنها الاصلي .

٥ ـ بقية الانحاء التي سكنتها اسر سريانية

وما عدا ذلك فان فريقاً آخر من السريان آثروا السكنى في محلتي المصيطبة والمزرعة حيث بُنيت لهم بيعة باسم مار افرام . وهناك قوم منهم اتخذوا السكنى في محلة الكرنتينا وفي الاشرفية وفي غيرهما من احياء بيروت . اما بعض اعيان الملة فاقتنوا اراضي مجاورة للصرح البطريركي شيدوا فيها دوراً لأقامتهم

ولم ينحصر نموّ ابناء الملة السريانية في بيروت وحدها بل امتدّ الى غيرها من المدن والدساكر اللبنانية . فانشاوا فيها متاجر ومصانع ومزارع فضلاً عن مشاريع مختلفة عادت عليهم وعلى لبنان بالخير والبركة

---

(١) برنامج جمعية المساعي الخيرية السريانية : سنتها الثالثة والاربعون : صفحة ٦ ـ ٨

٦ ـ محلة العمال السريان شرقي مستشفى « اوتيل ديو »

قال الخورفسقفوس اسحق ارملة ما نصه(١) : « ونختم هذا الفصل بذكر مأثرة جليلة للفيكنت فيليب المشار اليه . وهي انه جرّد همته لانشاء محلة يأوي اليها العمال من ابناء الطائفة الذين تساعدهم احوالهم المالية على تعمير بيوت لسكناهم توفيراً لراحتهم وضماناً لمستقبلهم . وقد عالج هذه الفكرة زماناً وعجمها حتى وقع اختياره على الاراضي الواقعة شرقي « اوتيل ديو » والقريبة من سائر اوقاف الجمعية الخيرية ومن الصرح البطريركي السرياني . ثم قصد السيد البطريرك وفاوضه في الامر . فاعجب صاحب الغبطة بهذا الرأي المصيب واثنى على الفيكنت النجيب(٢) واشترى البقعة المذكورة التي اصبحت مسكناً لعدد غير يسير من ابناء الملة . وما برح هؤلاء جميعاً يطلقون الالسنة بالادعية الحميمة لمن اصطنع عندهم هذا الصنع الجميل .

« والخلاصة ان الفيكنت فيليب دي طرّازي صرف اقواله واعماله وامواله في تعزيز كنيسة بيروت وجمعيتها الخيرية منذ نشأتها حتى اليوم . ولم يضنّ عليهما بكتاباته ومساعيه وبنات افكاره ايضاً . بل نشر المقالات وألّف التواريخ والقى الخطب ونظم القصائد ورتب الحفلات وسهر الليالي وعانى الاسفار حباً لرقي ملته واعلاء شأنها في هذه الديار » .

---

(١) وثائق خطية : صفحة ٣٥

(٢) يؤيد ذلك رقيم بطريركي انفذه صاحب الغبطة مار اغناطيوس جبرائيل الاول من حلب بتاريخ ٩ نيسان ١٩٣٠ الى الفيكنت فيليب دي طرازي في بيروت .

القسم الحادي عشر

السريان الارثوذكس في لبنان الزمان الحاضر

صرّحنا فيما سبق ان السريان ظلّوا مقيمين في بعض انحاء لبنـان الى اواخر القرن الثامن عشر . وبقيت منهم بقية وافرة حتى اوائل القرن التاسع عشر . ثم اخذ عددهم يزداد وينمو على اثر الحوادث المشؤومة التي جرت عام ١٨٩٥ في بعض الولايات العثمانية . فقدم الى بيروت أسر من ديار بكر ومـاردين وطورعبدين ولحقتها أسر غيرها توّطنت زحلة وطرابلس .

وفي السنين ١٩٠٨ و ١٩٢١ و ١٩٢٢ انتزح عن آطنة وطرسوس ومرسين والرها (اورفا) جماهير غفيرة انضمّت الى اخوانهـا في بيروت وطرابلس وفي بعض قرى لبنان حتى اناف عددهم الآن على ستة آلاف نسمة . وتعاطى كل منهم ما كان يتعاطاه في بلده من زراعة او صناعة او تجارة . واعتنى الرؤساء البيعيون بشؤونهم فانشأوا لهم كرسياً اسقفياً في بيروت وابتنوا بعض معاهد دينيّة وعلمية نذكرها في ما يلي :

الفصل الاول

سلسلة اساقفة السريان الارثوذكس في بيروت ولبنان

في السنة ١٩٢٢ قدم الى بيروت البطريرك اغناطيوس الياس الثالث (١٩١٧-

١٩٣٢) للاشراف على ابناء رعيته . وجرى التداول بينه وبينهم في شؤون شتى عادت على الملّة بالخير والمنفعة . وفي ذلك الاجتماع اتفقت الكلمة على اصطفاء السيد سويرس افرام برصوم مطراناً لبيروت ولبنان . فثبّته البطريرك عام ١٩٢٣ في هذا المنصب ودعا لهذه الابرشية الجديدة بالتوفيق والنموّ :

اولا : سويرس افرام برصوم مطران بيروت ولبنان

(١٩٢٣ - ١٩٣٣)

١ - عناية المطران افرام بابرشية بيروت

اخذ المطران سويرس افرام يفرغ الوسع في رعاية ابناء ابرشيته وينهض بلوازمهم الروحية . وعيّن لهم حين ذاك كاهناً يقوم بشؤونهم وهو الربّان ابرهيم حلوجي الذي خدمهم خدماً مشكورة واستأجر لهم بيتاً للصلاة . وكان الربّان المشار اليه من اكبر المعتنين بهم ومن انشط العاملين في تأسيس الميتم السرياني كما سترى .

٢ - رحلة المطران افرام الى اوروبا واميركا

امتازت حياة المطران سويرس افرام باكبابه على اقتباس العلوم فحصّل منها نصيباً وافراً واتقن لغات شتى . وسافر الى اوروبا فتعهد مكتبات لندن وباريس واوكسفرد وكمبردج والفاتيكان . وقابل البابا بندكتس الخامس عشر الذي رحّب به واهتم براحته ورفاهيته في اثناء اقامته بعاصمة الكثلكة .

وفي السنة ١٩٢٧ سافر الى اميركا مندوباً من قبل البطريرك الياس المشار اليه وتفقد احوال ابناء الملّة هناك واعتنى بتنظيم شؤونهم البيعية . وبعد غياب

خمسة عشر شهراً عاد في ١٠ تشرين الثاني ١٩٢٨ ظافراً بامانيه ورافعاً لواء ملته اينما سار وحيثما حلّ .

٣ ـ ارتقاء المطران افرام الى الكرسي الانطاكي وجولته البطريركية

قضى المطران افرام عشرة اعوام في تدبير هذه الابرشيـة وفي السنة ١٩٣٣ اجمع الاساقفة على انتخابه للكرسي البطريركي وسلموه صباح الاحد ١٢ شباط عكاز الرئاسة في كنيسة والدة الله بحمص وسمي اغناطيوس افرام الاول .

انصرف البطريرك الجديد منذ اول عهد رئاسته الى تعزيز الملة في كل قطر فقام بجولة راعوية في انحاء سوريا ولبنان وفي الجزيرة العليا والموصل وبغداد . وانشأ في اكثر تلك الاماكن مدارس ومجالس مليّة وجمعيات خيرية . ولا يزال يرعى الخراف الموكولة لعنايته بحكمة وغيرة حتى اجمعت القلوب على حبـه واحترامه . وتفرد بحرصه على تقاليد اسلافه البطاركة الميامين ومحافظته على عاداتهم المشكورة .

٤ ـ آثاره العلمية

تفرّغ البطريرك اغناطيوس افرام الاول لدرس التواريخ الشرقية ولا سيما ما يتعلق بالامة السريانية . فجمع في خزانته آثاراً خطية قديمة وحديثة اقتناها من شتى مكتبات الشرق ومن الكنائس والاديار . ووضع مؤلفات عديدة خطيرة نذكر منها : « تاريخ الابرشيات السريانية » الذي ضمنه تراجم تسعمائة مطران من عهد سالفه ميخائيل الكبير (١١٦٧ ـ ١٢٠٠) حتى العصر الحاضر . وكتاب « اعيان السريان » جمع فيه تراجم مشاهيرهم في العلم والغيرة والاحسان والوجاهه منذ اقدم العصور . وقد نشر نبذاً من كلا الكتابين في « المجلة البطريركيـة » بالقدس .

ونشر على صفحاتها وصفحات مجلة « الحكمة » مقالات ذات شأن نروي منها مقالا في « كنائس الرها القديمة » ولمعة في « تاريخ الامة السريانيـة في العراق » وترجمة « ماروثا التكريتي » و « تاريخ دير قنّسرين » المشهور الخ الخ . وقلما صدر جزء من تينك المجلتين لم يكن فيه مقال بقلم هذا العلامة .

ومن مؤلفات البطريرك افرام المطبوعة نذكر : الجزء الاول من كتاب « الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة » . وكتاب « نزهة الاذهان في تاريخ دير الزعفران » . وكتاب « تهذيب الاخلاق » ليحيى بن عدي نشرة في شيكاغو خلال رحلته الى اميركا . ونشر سنة ١٩٤٠ ترجمة عربية فصيحة لكتاب « حديث الحكمة » الذي الفه ابن العبري باللغة السريانية . ونشر للمؤلف عينه رسالته في « النفس البشرية » باللغة العربية . طبقاً لنسخة نفيسة حظي بها في ويست نيويرك باميركا .

وقد طالعنا كتاباً لغبطته جديداً عنوانه « اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية » الذي اشتمل على ٥٦٠ صفحة . وهو في الحقيقة مؤلف نفيس جدير بالاعتبار انطوى على اخبار علماء السريان المغاربة وادبائهم دون علماء اخوانهم السريان المشارقة والملكيين والموارنة . فعدّد مؤلفه البطريرك البحّاثة تصانيف اولئك العلماء المشاهير منذ اقدم العصور حتى يومنا مما لم يسبقه اليه مؤلف على الاطلاق . وقد عانى في تأليفه وضبطه ونشره ما عانى من الاتعاب والكُلَف وافتتحه بمقدمات واسعة دلّت على نبوغه ودقة نظره . وقد ذيّله بشروح وافية وفهارس محكمة تسهيلًا للوقوف على مضامينه .

استند المؤلف الجليل في وضع كتابه الثمين على مخطوطات قديمة ومآخذ عديدة عثر عليها في المكتبات شرقاً وغرباً وفي زوايا الاديار وفي خزائن الكنائس العتيقة . وراجع ايضاً في هذا الصدد مؤلفات المستشرقين من فرنسيس وانكليز والمان وايطاليان . فسدّ بذلك ثغرة واسعة في تاريخ علومنا وآدابنا التي وشّحت الشرق المسيحي حلة ناعمة قشيبة مدة عصور طويلة .

٥ ـ يوبيله الاسقفي الفضي

مضت خمس وعشرون سنة على ارتقاء هـذا البطريرك الى الكرامة الاسقفية (١٩١٨ – ١٩٤٣) . فاحتفلت الملّة السريانية قاصيها ودانيها في ٣ حزيران ١٩٤٣ بمهرجان يوبيله المذكور . وتقاطرت الوفود من جميـع الانحاء الى حمص لتهنئة صاحب اليوبيل فكان يوماً مشهوداً تجلّت فيه محبة الابناء لابيهم المغبوط واجلالهم لشخصه الموقر . وقد رفعنـــا الى صاحب اليوبيل رسالة تهنئة بنوية هذا نـصّها :

« غبطة المولى العالي الشأن مار اغناطيوس افرام الاوّل بطريرك السريان الانطاكي المثلّث الطوبى .

« بعد لثم الانامل الطـاهرة والتماس البركة الرسولية تشرّفت بالدعوة الى الاشتراك في مهرجان يوبيلكم الاسقفي الفضي . فرأيت انْ ارفع لغبطتكم عريضة التهنئة بهذا الموسم السعيد فاقول :

« نُظِـمت مواسم اليوبيلات في تاريخ الكنيسة امتثالاً لامر الله تعالى كما ورد في سفر الاحبار (٢٥:١٠) لكي يؤدي البشر لجلاله فروض الحمد على ايّام مضت ولكي يستمنحوه القوى العلويّة ليواصلوا العمل في ظل عنايته قائمين بوصاياه حافظين احكامه عائشين بالامن والطمأنينة . ثم ينتهزوا تلك الفرصة ليجدّد بعضهم لبعض المحبة والولاء والسلام .

« ان يوبيلكم الاسقفي الفضي (١٩١٨ – ١٩٤٣) ايها الحبر الانطاكي الفائق الغبطة يُخطر بالبال اعمالكم الرسولية ومشاريعكم المبرورة مـدة خمس وعشرين سنة في سبيل الرعية المحبوبة التي تتولون رئاستها بكل حكمة وجدارة . فقد ضحّـيتم وما برحتم تضحّـون بكل غال ونفيس لتعزيز شؤونها واعادتهـا الى سالف مجدها . ولم تكتفوا بذلك بل زيّنتم نفسكم الزكية باجمل الفضائل واتحفتم

الامّة الآرامية بتصانيف جليلة ومناشير رائعة دلّت على سمو مداركهم وغزارة علمكم .

« اني لمبتهج كل الابتهاج ببلوغكم الى هذه المرحلة من حياتكم الاسقفية المجيدة . وودت لو تيسّر لي ان امثل بين يديكم في هذا اليوم الميمون وانضمّ الى طغمة المهنّئين الملتفين حول اريكتكم البطريركية . غير ان الشيخوخة تحول دون انجاز هذه الامنية التي اصبو اليها من صميم الفؤاد . لهذا رأيت ان ارفع الى سدّتكم المعظمة احرّ التهانىء مردداً مناقبكم الشريفة مترنّماً بمآثركم الجليلة داعياً الى المولى القدير ان يطيل عهد رئاستكم ويكمل جميع نياتكم الصالحة ويبلغكم اليوبيل البطريركي الذهبي بالعز والعافية .

« التمس في الختام ان تمنّوا بالبركة الرسولية والادعية الابوية على ولدكم المخلص

بيروت في ٢٩ ايار ١٩٤٣ فيليب دي طرّازي

فتكرّم صاحب الغبطة ووجّه الينا الجواب التالي :

« اغناطيوس افرام الاول بطريرك انطاكية

« حضرة النبيل العلّامة حبيبنا الروحي الفيكونت فيليب دي طرازي المحترم

« بعد اهداء البركة الرسولية نقول : ان رسالتكم التي حبرّتموها في ذكرى يوبيلنا الاسقفي الفضي وما تحلّت به من بيان العاطفة وعذوبة البيان ، قد حلّت عندنا محلا من الاعتبار جليلا . ذلك انها جاءتنا مضمّخة بعطر من مكارم اخلاقكم طيّب . والنبل مصدره النبيل والشعور الصادق طيّب الجنى حلو الثمرة شهي المجتنى . ومَن ملأت محبة الادب اقطار نفسه وملكت عليه التقوى اطباق تفكيره نظير حضرتكم ، كان حقيقاً ان تصدر عنه هذه الرسالة الحافلة بالمعاني والرافلة بحلة قشيبة من التهانيء . وانا لنقابل جميل تهانئكم بجميل الثناء سائلين الله سبحانه ان يحيطكم باسباب الهناء . لا زال نجمكم متألقاً وروض الادب

بوجودكم عابقاً وجو" شيخوختكم بالصحة رائقاً وخاطركم بالمجد السرياني عالقاً .
ولا برح لكم في البحوث الممتعة رأي ناصع وعلم واسع وسعي نافع انشاءالله تعالى .
« حمص في ٨ حزيران ١٩٤٣ م » .

ثانياً ـ ايونيس يوحنا كندور مطران بيروت ولبنان (١٩٣٣-)

ولد في دير الزور وقبل سر العماذ من يد القس اغناطيوس نوري عام ١٨٨٢ في كنيسة السريان الكاثوليك . وتوشح بالاسكيم الرهباني في دير الزعفران . وبعد ارتقائه الى الدرجة الاسقفية خدم الرعية في ماردين وفي حلب وفي اورشليم . وبتاريخ ١٦ ايار من السنة ١٩٣٣ عينه البطريرك اغناطيوس افرام الاول خلفاً له في كرسي بيروت ولبنان . وفوّض اليه الاشراف على السريان الارثوذكس في دمشق الشام .

والى المطران ايونيس يوحنا يعود الفضل في تأسيس دار للمطرنة وتشييد مدرسة طائفية للبنين والبنات بجانب الكنيسة . وهي لا يقل عدد طلبتها اليوم عن المائتي طالب وطالبة .

وللمطران ايونيس يوحنا عدة مآثر مشكورة في سبيل طائفته وابرشيته لا يتسع المجال لسردها فنكتفي بالالماع اليها . ويقضي المطران يوحنا اوقات الفراغ من مهام الرعية بالمطالعة ونساخة الكتب بخطه السرياني الجميل . ويثابر على الصلوات والاصوام لا يشغله شاغل البتة عن قضائها في اوقاتها . وفي ايامه تاسست الجمعية الخيرية والمجلس الملي اللذان يشرفان على مقدرات الملة وانتظام احوالها . ذلك فضلاً عن جمعيات اخرى افرزنا لها فصلاً خاصاً .

الفصل الثاني

كنائس السريان الارثوذكس في لبنان

١ ـ كنيسة مار جرجس في زحلة

تشيدت كنيسة مار جرجس في زحلة بسخاء البطريرك اغناطيوس عبدالله الثاني (١٩٠٦ – ١٩١٦) واموال المحسنين التي جمعها سنة ١٩٠٨ في اميركا الربان ابرهيم البشيراني . وفي السنة ١٩١١ اشترى البطريرك داراً تبرع بربع ثمنها واشترك الراهب ابرهيم والشعب بقسم من الثمن وفتح بيت صلاة . وفي السنة ١٩٢٥ تبرّع السيد سويرس افرام برصوم مطران الابرشية بباقي الثمن وشيد كنيسة جميلة على اسم مار جرجس نجز بنيانها سنة ١٩٢٧ .

وفي كانون الاول من تلك السنة مر البطريرك اغناطيوس الياس الثالث بزحلة ودشن الكنيسة يعاونه السيدان غريغوريوس جبرائيل مطران اورشليم وقورلس ميخائيل مطران القلاّية . وفي السنة ١٩٣٤ اضيف الى الكنيسة مدرسة بنيت باحسان الشعب وتركة الربان ابرهيم الذي توفاه الله تعالى بتاريخ ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٣ في بيروت ودفن في كنيسة الرسولين بطرس وبولس . وتولى خدمة النفوس بعده القس ميخائيل برجاع فالقس عبد النور شاشا الخ .

٢ ـ كنيسة مار بطرس ومار بولس في بيروت

كثر عدد السريان الارثوذكس في بيروت واتخذ اغلبهم السكنى في محلتي المصيطبة والمزرعة . فاشتروا ارضاً هناك واسسوا فيها كنيسة اطلقوا عليها اسم الرسولين بطرس وبولس . وقد جاءت تلك الكنيسة بمجموعها مطابقة لهندسة

الكنائس السريانية . وقام ابناء الطائفة غنيهم وفقيرهم بنفقاتها التي بلغت الفي ليرة عثمانية ذهبية بقطع النظر عما بذله بعضهم من الاتعاب والاشغال فيها مجاناً . ووردتهم بعض مساعدات من وقف آطنة ومن دير مار مرقس بالقدس ومن بعض المحسنين في الموصل واميركا .

ونقش فوق باب الكنيسة الغربي في السريانية انها شيدت بنفقات الشعب السرياني في عهد البطريرك اغناطيوس الياس الثالث والمطران سويرس افرام برصوم عام ١٩٣١ للميلاد . وفي شباط ١٩٣٣ جرى تدشينها بحفلة جميلة قام بها البطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم يوآزره ستة من اساقفته وجمهور من الرهبان والاقليرس .

الفصل الثالث

نهضة السريان الارثوذكس في بيروت وجمعياتهم الملية

لأبناء هذه الابرشية نهضة مباركة في تنظيم امورها الروحية والزمنية . فعلى رغم حداثتها نراهم متوفرين على تعميرها وتعزيزها قولا وعملًا . وقد صرفوا الهمة بنوع خاص الى انهاض اللغة السريانية في طقوسهم البيعية وجرائدهم ونواديهم وسائر شؤونهم الاجتماعية . واكبر برهان على تلك النهضة عنايتهم بتعميم لغتهم الشريفة في مدارس الذكور والاناث على السواء . وبهذه الوسيلة صار هؤلاء الطلبة يتلقنون قاطبة لغة اجدادهم منذ الصغر ويتقنون التكلم بها في بيوتهم ومجالسهم واماكن عملهم . ذلك فضلًا عما انشأوه من الجمعيات الطائفية التي على قلة مواردها وحداثة عهدها يقصر عن مثلها كثير من جمعيات سائر الطوائف الغنية بالمال والجاه والرجال . واليك اسماء جمعياتهم في الزمان الحاضر :

(١) المجلس الملي . (٢) جمعية النهضة الخيرية . (٣) جمعية النجمة لأدارة

الاوقاف وطبع الكتب السريانية . (٤) جمعية مار بطرس وبولس لأدارة المدارس والمقبرة . (٥) الجمعية النسائية الخيرية . (٦) جمعية سنحاريب الرياضية . (٧) لجنة الميتم السرياني . (٨) فرقة الكشافة السريانية الخ الخ .

الفصل الرابع

ميتم السريان الارثوذكس في بيروت

١ ـ اهتمام جمعية الترقي السريانية بتأسيس الميتم

انشأ السريان هذا الميتم عام ١٩٢٣ ليعلّموا فيه ابناء قومهم لغتهم السريانية قراءة و كتابة وتكلماً . هكذا يستطيعون نشرها في البلدان التي يقطنها فريق من جماعتهم .

ففي نيسان السنة ١٩٢٣ وجّهت « جمعية الترقي » السريانية رسالة من اميركا الشمالية الى عميد الملة فتح الله خضرشاه ببيروت تشير عليه ان يجتمع بالربان ابراهيم حلوجي النائب البطريركي وبالوجيه جورج رضوانلي ويبحث ثلاثتهم عن ايتام الملة ويجمعون شملهم .

لبىّ اولئك الثلاثة نداء الجمعيـة وانتقوا عشرين فتى من الايتـام المتشرّدين واستاجروا لهم بيتاً في محلة المصيطبة . و كتبوا الى الجمعية يطلعونها طلع الامر . فوجهت اليهم كتاب امتنان ضمت اليه مبلغاً من المال مهماً لاجل تأسيس معهدٍ علمي يتثقف فيه ايتام الملة ثقافة سريانية بحتة . وفي ١ تشرين الاول ١٩٢٣ فتح ابوابه لقبول التلامـذة ونهض رئيسه الاب ابرهيم ومعاوناه المشار اليهما بجميـع لوازمهم من طعام و كسوة وادوات مدرسية . واختاروا لهم اساتذة يدرّسونهم

مختلف العلوم حتى صارت تلك الناشئة في عاميها الاولين تتكلم بلغة الاجداد دون تكلف .

٢ ـ تشييد الميتم في شارع الخندق الغميق

ابتهجت جمعية الترقي باستماع اخبار الميتم في بيروت وضاعفت سخاها لمساعدته وتعزيزه حتى بلغت تبرعاتها السنوية اربعة الاف ريال اميركي . ثم عوّلت على ابتناء معهد يضم اولئك الشاردين فكتبت في ذلك الى الربان ابرهيم ومعاونيه فتح الله خضرشاه وجورج رضوانلي .فاشتروا ارضاً في شارع الخندق الغميق وباشروا البناء حتى انتهوا منه عام ١٩٢٨ وبلغت نفقاته نحو اثني عشر الف ريال اميركي . اما عدد الايتام فلا يزيد على الاربعين يتيماً . يضاف اليهم زهاء ستين طالباً يختلفون اليه ويقتبسون العلوم فيه باجرة محدودة .

٣ ـ ثمرات الميتم وفروع جمعية الترقي

انجب الميتم في مدة ست عشرة سنة (١٩٢٣ ـ ١٩٣٩) اكثر من سبعين استاذاً تفقهوا في مختلف العلوم وتفرق بعضهم في مدن وقرى شتى . واخذوا يعلمون الاحداث ما تلقنوه هم من اللغات والمعارف . ودخل فريق منهم في التجارة وتعاطى بعضهم الزراعة او الصناعة وتولى فريق منهم بعض وظائف في الحكومة وفي المحاماة .

وقد سرّتنا لمحة عنوانها « ثمرات المعهد السرياني في بيروت» نشرها الاستاذ حنا سلمان وضمنها اخبار هذا الميتم مدة الست عشرة سنة . وزينها برسوم اعضاء « جمعية ترقي المدارس السريانية » في الولايات المتحدة الاميركية . واضاف اليها رسوم خريجي ذلك المعهد ونتفاً من اخبارهم . وقد عدد فروع « جمعية الترقي » التي اشتركت في مساعدة هذا المشروع المفيد فبلغت احد عشر فرعاً في باترسون

وبروكلن ونيويرك وهيدسون كونتي ولونغ ايلند الخ . ومنها فرعان احدهما في القامشلي بالجزيرة . وهنالك « جمعية الصليب الاحمر » للسيدات السريانيات في يونيون سيتي تساعد بكل جدّ ونشاط « جمعية الترقي السريانية » في مشروعها(١) .

الفصل الخامس

المدرسة الاكليريكية الافرامية في زحلة ونقلها الى الموصل

افتتح البطريرك مار اغناطيوس افرام الاول عهد بطريركيته بانشاء هذه المدرسة الكهنوتية التي جرى تدشينها في ٢٩ اذار ١٩٣٩ فدخلها الطلبة من مختلف الابرشيات . واطلق عليها مؤسسها اسم « الاكليريكية الافرامية » تيمناً بشفيعه الخاص مار افرام ملفان الكنيسة المعظّم . فقام بجميع نفقات البناء وولى عليها احد مطارنة كرسيه الانطاكي السيد اقليميس يوحنا عباجي مطران الجزيرة والفرات . ثم اوفده الى اميركا فجمع من حسنات المؤمنين اهل الخير مبلغاً كافياً لتجهيزها وتعزيزها .

وفرض البطريرك على كل فرد من افراد الملة ان يؤدي كل سنة قرشاً ذهبياً للقيام بنفقات التلامذة واساتذتهم . وما برح البطريرك يعتني بجميع شؤون تلك المدرسة من الناحيتَين العلمية والمادية طبقاً لقانون سنّه لها . وتشتمل الاكليريكية الافرامية في عهد تأسيسها على ستة عشر تلميذاً يتلقنون العلوم العقلية والنقلية والطقوس البيعية ويدرسون معها اللغات السريانية والعربية والفرنسية والانكليزية . ومدير هذه الاكليريكية في الزمان الحاضر هو الربّان النشيط بولس بهنام الموصلي المحتد ومنشىء مجلة « المشرق » .

---

(١) ثمرات المعهد السرياني في بيروت : بقلم الاستاذ حنا سلمان : صفحة ٢٠ وما يلي

ولهذا الربّان آثار قلمية تشهد بطول باعه ورسوخ قدمه في العلوم . فعرّب قصيدة « الحكمة الالهية » البليغة المعنى والمبنى من نظم العلامة ابن العبري . وانشأ خطباً نفيسة ونشر على صفحات المجلات والجرائد مقالات شتى نخص منها بالذكر : مقالته عن « ابن العبري الشاعر الفيلسوف » طبعها في مجلة « النشرة السريانية » بحلب . ومقالات ضافية عنوانها « الامة السريانية : لغتها — ثقافتها — فلسفتها » نشرها تباعاً على صفحات جريدة « لسان الامة » في بيروت .

اما الاكليريكية المشار اليها فظلّت سائرة سيرها الحسن حتى السنة ١٩٤٥ واتفق ان البطريرك الانطاكي مؤسسها سافر حين ذاك الى الموصل وعقد في ٤ تموز اجتماعاً حضره المطارنة والكهنة وستون وجيهاً . فبسط لهم حالة الاكليريكية وبعد التداول قرّ رأيهم على وجوب نقلها من زحلة الى الموصل وهي اشهر الابرشيات السريانية واغناها بالمال والرجال والثقافة . وبهذه الوسيلة تعزّزت مكانة الاكليريكية وازداد عدد تلامذتها وأعدّ لهم معهد لائق مجاور لكنيسة الطاهرة الكبرى(١) .

---

(١) النشرة السريانية : مجلد ٢ سنة ١٩٤٥ صفحة ١٢٦

فهرس

المجلد الاول من الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

طبع هذا الكتاب
في « مطابع جوزف سليم صيقلي »
بيروت
سنة ١٩٤٨

أصدق ما كان عن تاريخ لبنان

وصفحة من أخبار السريان

بقلم

الفيكنت فيليب دي طرازي
مؤسس دار الكتب اللبنانية
والعضو في عدة مجامع علمية شرقية وغربية

المجلد الأول